فلسطين عروس عروبتكم

د. محمد عباس



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : فلسطين عروس عروبتكم

المــــــؤلف : د. محمد عباس

رقــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١١

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

إهداء

إليك يا فلسطين ..

إلى أحيائك الشهداء وشهدائك الأحياء عند ربهم ..

إلى عز الدين القسام وأحمد ياسين ..

إلى الرنتيســـي والزهـــار وولديـــه .. ونـــزار وصـــيام ..

وألوف وألوف وألوف ..

ثم

إلى الشهيد الذي لم أره قط:

إلى رائد القسام

تقديم

هل كنت أطمع في أن يقدم لي هذا الكتاب شخص أكبر أو أعظم من شهيد ..

ثم إن هذا الشهيد هو ابني

ابني الذي لم أره قط ..

ابني الذي لم أنجبه ..

لكنه ابن إيماني وألمي وعجزي وقهري وطموحي ..

ولما كان- أغلب الظن- قد ذهب شهيدا فلم يكن من الممكن أن يعود ليكتب تقديما لهذا الكتاب عن فلسطين .. لذلك أستعيض برسائله كي تكون مقدمة لهذا الكتاب الذي يتضمن بعض المقالات التي كتبتها عن فلسطين، أو بالأحرى تلك المقالات التي تتميز بتناول فلسطين بشكل أساسي .. ذلك أن فلسطين حاضرة في كل أعمالي .. على أنني لم أستطع أن أبتر من السياق مقالات أخرى وإن لم تتناول فلسطين وإسرائيل بشكل مباشر إلا أنها لا تقل أهمية وتأثيرا .. ذلك أن المعتقد والتأثير بينهما مشترك .. والسلوك الإجرامي واحد .. بل ليست إسرائيل إلا مخلبا لأمريكا .. مجرد حاملة طائرات ثابتة وهائلة معا .. أو هي ببساطة قاعدة عسكرية أمريكية –أطلسية .. كما أن ما يحدث في العراق وجنوب لبنان والقاهرة والرياض لا يقل تأثيرا على فلسطين مما يحدث في غزة وجنين والقدس .. إن القضية في النهاية ليست قضية أرض سليبة .. ولا حدود ولا وجود .. وإنما هي قضية الإيمان والكفر .. قضية الإسلام .. قضية لا إله إلا الله محمد رسول الله .. نعم .. هي قضية الدفاع عن العقيدة .. وليس لأحد أن يترخص فيها ولا أن يتنازل ولا أن يساوم ..

ولكم يحزنني يا رائد – يا سيدي- أنك لن تقرأ شطرا كبيرا مـن هـذه المقـالات .. فقد كتبت بعد استشهادك. كتبت إبان الحرب الأخيرة على غزة ..

كم كنت يا رائد – يـا بـني- أود أن يوفيـك – وصـحبك – هـذا الكتـاب بعـض حقكم، ولكنني أدرك يا بني الحبيب وأسلم أنه لا يساوي قطرة من دم شـهيد .. لكـن حكمة الله التي تعزينا عن ذلك .. أن جزاءك عند الله لا عند بشر .. وستوفى–إن شاء الله- أجرك بغير حساب.

فيا ابن إيماني وألمي وعجزي وقهري وطموحي .. يا ابني الـذي لم أره ولم أنجبـه .. ولم أعرف كيف وأين استشهد .. كل ما حدث أن رسائله انقطعت رغم محاولات الاتصال.

ومثله لا يصمت إلا إن كان حيا في السماء .. بين الشهداء ومع الأنبياء ..

فتفضل يا رائد: قدم كتاب أبيك ..

***

-١-

السيد الدكتور / محمد عباس حفظه الله

سيدي / لا أدري من أين أ بدا لك الحكاية فأنت بلا شك تعرفها جيدا قصتنا أننا قوم ابتلانا الله بأن جعلنا من أهل فلسطين أهل الأقصى والرباط وسلط علينـا أخـس عباده اليهود المجرمين يسفكون دماءنا ويقتلـون رجالنـا ونسـاءنا وأطفالنـا. أنـا لسـت بصدد الشكوى لك لأن الشكوى لغير الله مذلة ولكن سيدي دعـني أبـث لـك مـا في خاطري وسامحني إن كدرت عليك صفوك.

سعادة الدكتور الفاضل / طفح الكيل وادلهم الخطب ولـيس ثـم والله إلا الصـبر الذي ليس لنا غيره هذه الأيام ، فخيرة الشـباب انفـرد بهـم اليهـود وقتلـوهم بـأعتى وأشرس الأسلحة فالشهداء بالمئات والأسـرى بـالآلاف والجرحـى بعشـرات الآلاف والدمار والفقر والعوز والخوف والبؤس والشقاء والظلم والجبروت قد عم البلاد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سيدي كل هذا ونحن لا نملك إلا أجسادنا نجعلـها قنابـل نـدافع بهـا عـن أطفالنـا ونسائنا وأهلينا وجعلنا من غرف نومنا معامـل لتصـنيع الألغـام ونخبئهـا تحـت سـرر أطفالنا لحين الحاجة عندما عز علينا إخواننـا بهـا خوفـا مـن اليهـود وأنصـار اليهـود

وأصبحت الحدود العربية نيرانا علينا جنانا لأعدائنا.

سيدي ولكننا والحمد لله واثقون بوعد الله لعباده المتقين وليس لنا أدنى شك في ذلك ولكن الذي يدمي قلوبنا أنه لم يعد فيها متسع لتحمل المزيد فأين سنضع هم العراق وأين سنضع هم مصر وهم سوريا وهم السعودية غدا عندما يصلها الطوفان المجرم لا قدر الله يكفينا أن قلوبنا كانت تستقبل القنابل قبل أن تسقط هناك على سفوح جبال تورا بورا وقندهار فتنشرخ وتتفتت ونسمع أخبار الشيشان ونبكي دما على ما آل إليه حال هذه الأمة وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ووالله الذي لا إله غيره إنني أنا أكتب لك في هذه الرسالة وفي هذه الليلة الرمضانية المباركة فإن مدينتي جارتكم رفح الفلسطينية لتتعرض لهجمة شرسة من رتل ضخم من الدبابات اليهودية وطائرات الأباتشي الأمريكية وأن المخيم الذي لا يبعد سوى ٥٠ مترا من الحدود المصرية قد نزح أهله منه عن بكرة أبيهم في الزمهرير وتحت نيران القذائف المسمارية ودوي الدبابات والطائرات ويا ليتك تشاهد هذا البؤس بأم عينك وقد وصلني الآن أن أما وطفلتها وعمرها عامان قد استشهدتا تحت أنقاض منزلهما ولا زالت المعارك مستمرة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سيدي لا أريد أن أزعجك فيكفيك ما أنت فيه ولكن أردت أن أبث لك شيئا يسيرا مما يجيش في صدري وصدر هذا الشعب المسكين وإلى لقاء قريب في رسالة قادمة إن كان في العمر بقية

سيدي نسعد بمقالاتك كثيرا ونعلقها عندنا في المساجد لأننا نحس بأنها نبض الأمة الحية فجزاك الله عنا خير الجزاء والسلام عليكم ورحمة الله

ابنكم رائد القسام فلسطين ٦ رمضان ١١ ليلا

***

-٢-

بسم الله القاهر الجبار

الحمد لله وكفي وسلام على رسوله الذي اصطفى، وبعد

سيدي الدكتور /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أولا: أتمنى لك حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وأتمنى لـك صـحة جيـده وحمـداً لله على سلامتك

ثانياً: أرجوك سيدي لا تتركنا لا تغيب عنا لا تقطعنا أرجوك سيدي لا تحرمنا من أفكارك فنحن والله لا ندري ماذا نفعل نحن والله أسوأ ألف مرة من الأيتام على موائد اللئام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثاً : أبث إليك همي للمرة الثانية من هنا من حمامات الدم من هنا من سـاحات الوغى من هنا مـن الـدمار والخـراب والآلام والظلـم والاضـطهاد والويـل والثبـور والدموع والصرخات و .. ..

سيدي أبث إليك همي من فلسطين من أكناف بيت المقـدس الـذي ضـيعته أمتنـا ومن وسط المذابح التي ترتكب ليل نهار وتبث على الفضاء مباشرة ليشاهدها القاصي والداني لكي يباركوها ويطلبوا المزيد منها لأن دمائنا وأشلائنا. وجراحاتنا يبـدو أنهـا أصبحت وجبه أساسية في موائد العشاء لدي شعوبنا وحكوماتهـا المجـاورة ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سيدي : كم كنا مغفلين جداً عندما فرحنا عنـدما هبـت الشـوارع العربيـة تطلـب دعمنا وقلنا الحمد لله قد قرب الفرج فلتفرح يا أقصى ها قد تحرك المـارد وقـد قربـت ساعة الخلاص ولكن يا سيدي سرعان ما انكشف الأمر وتبين لنا أن ما نلاقيه ونعانيه ليس إلا مقدمه لما هو أسوأ وأفظع وأن الأقصى لم يعد يعني أحدا فليهـدم وليـذرى في الرياح فلم يعد يعني أحدا فالأمر أكبر وأعظم مما كنا نتوقع فيا الله كن معنا.

سيدي: نمر الآن كشعب مسلم عربي فلسطيني بأسوأ الظـروف فكـل يـوم مذبحـة تداهم دبابات اليهود وطائراتهم مخيماتنا في الليل وتداهم علب الصفيح المليئة بـأكوام اللحم البشري فتسفك دمائنا وتمزق أشلاء أطفالنا ونسـائنا وسـط الصـراخ والعويـل لتنشر الويل والخراب والموت ونحن ليس بيدينا ما نـدفعها بـه ألـيس ذلـك حرامـاً يـا سيدي ألا نجد ما ندافع به عن أنفسـنا ونسـائنا وأطفالنـا الـذين يسـتغيثون بنـا سـاعة الشدة ونحن لا نملك والله إلا التوكل على الله وما نجهزه من معدات بدائية لندافع بهـا عن شعبنا وكم ضاع لنا من شباب أطهار وهم يعدون في هذه الوسائل فقبـل أسـبوع فقدنا ستة من خيرة شبابنا انفجر بهم المكان الذي كانوا يعدون فيـه السـلاح وقبلـهم سبعه وقبلهم ثلاثة وحتى اليوم سقط لنا شهيد وأصيب زميلاه أثناء إعـدادهم لأحـد

الألغام لكي يزرعوه على أبواب مخيماتهم ليصدوا به غزو البرابرة فمن المسئول عن هذه الدماء أليست جيوشنا العربية التي تزخر مخازنها بالسلاح ويتركوننا نهباً لليهود ونهباً للأخطاء التي نقع فيها ونحن نعد السلاح بوسائلنا البدائية بعد أن انقطعت بنا السبل للحصول عليه من مصادره الصحيحة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سيدي بلغ الأمة أننا على استعداد أن نفني جميعا ولا نريد من أحد أن يساعدنا أو يساعد أهل العراق الذي ينتظر حتفه ولكن ذكرهم بأن هناك مسجد ذكره الله في كتابه قد يتعرض للزوال في أي لحظه وكل التقارير تفيد بأن هناك مخطط جاهز لدي اليهود لاستغلال ما يحدث في المنطقة لتنفيذه فساعتها أين ستذهب أمتنا من الله؟

سيدي نعلم أن الأمة جاءها اليوم ما يشغلها فالطوفان على الأبواب فلك الله يا شعب العراق ولتستعدي يا باقي الشعوب لتشربي من نفس الكأس فالله أكد لنا أن من رأى أخاه في محنة ولم ينصره فسيأتي عليه الدور ليذوق مرارة الألم ولكن لا زال في الأمر متسع لمسح الخور والخوف من نفوسها ولتهب ولتقول لا فالأمر لم يعد يطاق.

سيدي : أنت ضمير الأمة لا تسكت ولا تيأس ولتحمل اللواء فاليوم نكون أو لا نكون فالأمر جد خطير وليس ثم والله إلا الصبر والثبات فلتستنهض الأمة ولتصرخ فأنت المسؤول عن الأمر بعد أن سقط حكامنا وسقط علماؤنا وسقطت أمتنا فكان الله في عونك.

أما نحن وبالرغم من سواد ما ينتظرنا وما يتوعدنا اليهود بعمله فينا لحظة انشغال العالم بضرب العراق فإننا والحمد لله صابرون وثابتون ولن يفارق سوادنا سوادهم حتى يموت الأعجل فينا فيا الله انصر دينك.

ابنكم رائد أبو القسام / غزة / فلسطين ٢٧ فبراير ٢٠٠٣

***

-٣-

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الدكتور محمد عباس

يا كل علماء أمتنا وأخيارها وشبابها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

أكتب إليك رسالتي الثالثة في عجالة من الأمر وأسأل الله أن تصلك وأنت في أتم صحة وعافية

سيدي/

وها نحن هنا في فلسطين ندفع فاتورة الشرف والكرامة عن الأمة.

وها نحن نباد يومياً قادة ومجاهدين ونساء وأطفالاً على أيدي أقذر أمم الأرض.

وهاهي الحركة الإسلامية في فلسطين تخوض الصراع بمفردها متسلحة بإيمانها بالله وثقتها بموعوده.

وهاهم اليهود قد جاءوا بخيلهم وخيلائهم وقد حشدوا كل أمم الأرض من خلفهم ليقضوا على آخر معاقل الإسلام في فلسطين في غزة بعد أن فشلوا في كسر إرادتنا بكل وسائلهم.

نعم هاهم يعدون للأمر عدته وفي أي لحظة قد تقع المجزرة.

ونحن وبإذن الله قد أعددنا للأمر عدته بما تيسر في قلوبنا من إيمان وصبر وثبات.

وبما تيسر في أيدينا من وسائل أغلبها بدائية لنرد بها الموت عن أنفسنا وأطفالنا ونسائنا.

سيدي الدكتور محمد عباس وكل أسيادنا في هذه الأمة:

قريبا ستسمعون عن مقاتل عظيمة بيننا وهاهي اليوم قد بدأت بشائرها لأننا لن نكون حينها إلا واقفين مكتوب على جبيننا أننا متنا واقفين مقبلين غير مدبرين ومات معنا أطفالنا ونساؤنا وشيوخنا وشبابنا !! جعلنا منهم وقودا لهذه الأمة الساكنة البليدة!!

لا تنتظروا منا أن نستسلم أو أن نرفع الراية البيضاء لأننا تعلمنا أننا سنموت أيضا إن فعلنا ذلك فاتركونا نمُوت بشرف المجاهد !.

إن شئتم كونوا معنا بما تستطيعون فثأرنا يتقلّده كل واحد منكم في عنقه ؛ ولكم أيضا أن تشاهدوا موتنا وتترحموا علينا ؛ وعزاؤنا أن الله سيقتص من كل من فرّط في أمانته التي أعطيها.

ونرجوكم ألا تكونوا علينا ؛ بالله عليكم لا تكونوا علينا يا قادة أمتنا يا شعوب أمتنا يا مثقفي أمتنا يا أحرار أمتنا !!

«اللهم نشكو إليك .. نشكو إليك .. نشكو إليك .. نشكو إليك ضعف قوتنا .. وقلة حيلتنا .. وهواننا على الناس .. أنت رب المستضعفين وأنت ربنا .. إلى من تكلنا .. إلى بعيد يتجهمنا .. أم إلى عدو ملكته أمرنا.

اللهم نشكو إليك دماء سفكت .. وأعراضا هتكت .. وحرمات انتهكت .. وأطفالا يتمت .. ونساء رملت .. وأمهات ثكلت .. وبيوتا خربت .. ومزارع أتلفت .. نشكو إليك .. تشتت شملنا .. وتشرذم جمعنا .. وتفرق سبلنا .. ودوام الخلف بيننا .. نشكو إليك ضعف قومنا وعجز الأمة من حولنا وغلبة أعدائنا !!.

سيدي الدكتور

هذه الصرخة أرسلها لك وأنا كلي أمل ألا تسبب لك ضيقا أو حرجاً ..

ولكن سامحني فالأمر والله جد خطير ولا أكتب هذه الكلمات جزعاً من المـوت لا والله ..

ولكن حزنا وألما على حال هذه الأمة ..

واعتذارا إلى ربي بأنني قد بلغت ..

ألا هل بلغت اللهم فاشهد ..

ألا هل بلغت اللهم فاشهد ..

ألا هل بلغت اللهم فاشهد ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ابنكم رائد

فلسطين عروس عروبتكم

براءة – خزي وعار

براءة ..

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.. والمرتـدين – بحكـم فتـوى شرعية– وبَرَاءةٌ من حكامنا .. أخزاهم الله .. والله مخزي الكافرين ..

براءة ممن خانوا الله ورسوله والمؤمنين ..

براءة من حكام العرب جميعا وأولهم مصر والسعودية .. اللـذان دمـرا بقايـا نظـام الأمن العربي الهزيل وأكملا الإجهاز عليه .. فيـا خـادم الحـرمين لقـد كانـت خدمـة المجاهدين بل وأن تنفق عليهم ما تنفقه على توسـعة الحـرمين أولى وأجـزى .. فـالحج يمكن أن يتوقف بعدم الاستطاعة أما جهاد الدفع فلا يتوقف أبدا .. ويا حـاكم مصـر لا نملك إلا الدعاء بأن يجعل الله مـا عملـت في ميـزان سـيئاتك يـوم القيامـة هـاتفين بالهتاف المكلوم لحاكم قطر: «حسبنا الله ونعم الوكيل» .. لكنني أرى في الأفق جزاء ما فعلت كجزاء مسلم بن عقبة ويزيد بن معاوية (رضي الله عن معاوية) .. فمات مسلم قبل أن يجني ثمار خيانته ومات يزيد قبل أن يستمتع بجريمته.

براءة ممن قام بعمارة المسجد الحرام ليسمح للبهائيين بالحج وليمنع المجاهدين ..

براءة ممن تعمد أن يتيح أطول وقت لإسرائيل المجرمة حتـى تقتـل أكـبر عـدد مـن المسلمين فعطل أي احتمال لنجدة عربيـة أو لموقـف عربـي في مـؤتمر للقمـة أو عـداه وكان الثمن استمرارا لعرش أو تولية لوريث .. ولم تكـن صـدفة أن هـؤلاء بأنفسـهم هم الذين عطلوا أي حل عربي في أزمة الخليج قبل ذلك ممـا أدى إلى تـدنيس أمريكـا لبلاد العرب وتحطيم العراق ..

ألا لعنة الله على الظالمين ..

براءة من الْمُشْرِكِينَ والعلمانيين فهم مع اليهود في نفس الفسطاط .. فَليعْلَمُواْ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ ..

براءة ممن عاهد الْمُشْرِكِينَ الذين اسـتعمرونا وقهرونـا وأذلونـا ونهبونـا وحاربونـا وظاهروا علينا ..

كيف يكون لليهود الصليبيين عهد عند الله وعند رسوله؟ ..

كيف وهم لا يَرْقُبُونَ فينا إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ..

كيف يوالونهم وقد أمروا أن يقاتلوهم .. أليسوا أَئِمَّةَ الكفر ..

لكن .. هل تضم التسمية« أَئِمَّةَ الكفر»: الكافر الأصلي فقط أم تضم معه المرتد الذي حالفه ووالاه؟ ..

لماذا لا نقاتل قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بَدَءُونا ؟.

كيف كان ولاؤهم لأعداء الله والأمة رغم أننا أمِرنا ألا نتخذ آباءنا وإخواننا أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ..

هل أولمرت أعز على حكامنا من إخوانهم؟ ..

ألم يقل المرتد: لا تسمحوا لحماس بالانتصار ..

وهل بوش أقرب لحكامنا من آبائهم؟ ..

ألم يطلب المرتدون منه إعلان الحرب على الإرهاب وهو لا يقصد وهم لا يقصدون إلا الإسلام ..

ألم يؤيد المرتدون – من نخب الحكم والإعلام والأمن والفكر- أئمة الكفر ..

كيف لم ترتعد قلوبهم وتشتعل نفوسهم وتتأجج أرواحهم وتشل أطرافهم وهم يقرؤون:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة].

براءة .. براءة من أصحاب المليارات المنهوبة يكنزونها في بنوك العدو وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّه بل ينفقونها على عدو اللهِ ..

براءة منهم ولهم عَذابٍ أَلِيمٍ .. ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة].

براءة ممن اثَّاقَلْوا إِلَى الأَرْضِ عندما دعوا إلى الجهاد بل إن بعضهم-لعنه الله-كان في الجانب الآخر .. جانب إسرائيل حتى تكمل المجزرة ..

براءة ممن أغلقوا المعابر ثم راحوا –وهم أكذب من مسيلمة- يدّعون أنها مفتوحة ..﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ .

براءة ممن إذا دعوناهم للقيام بأقل ما يجب القيام به ليس بالمؤازرة بل بالامتناع عن التآمر مع العدو زعموا أنهم لا يستطيعون الانتحار بمواجهة يهود وَلَوْ أَرَادُوا المواجهة لأَعَدُّوا لَهَا العُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ..

براءة ممن رفضوا لقاء وفد علماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ يوسف القرضاوي.

فأبشروا يا حكامنا .. أبشروا بخسارة الدنيا والآخرة .. أبشروا بخيبة مسعاكم في توريث أبنائكم ..

أبشروا بالنار يا من ابتغيتم الْفِتْنَةَ ألا في الْفِتْنَةِ سَقَطتم وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ

لا تخدعونا .. لقد حكم العلماء بردة من يوالي أعداء الله .. ومن يحاصر المسلمين ويمنع المعونة عنهم ..

براءة ممن خذلوك يا فلسطين ومالوا إلى الكفار عليك فإنهم منهم .. بل وربما أشد منهم لأن حكمهم حكم المرتد والمرتد أشد سوءا من الكافر .. فإذا كان اليهود في الحقيقة كفارا فإن المتحالفين معهم من حكامنا وحاشيتهم أسوأ من الكفار لأنهم مرتدون ..

لقد اعترف المجرم أولمرت أنه أجهش بالبكاء أمام طبيب فلسطيني استشهد أبناؤه الثلاثة وهو أمر لم يفعله من حكامنا المجرمين أحد.

***

براءة من امرأة دخلت النار في قطة حبستها وأجاعتها .. وملايين البراءات من حكام وأعوانهم حاصروا أهل غزة وجوعوهم كما جوع المشركون المسلمين وحاصروهم في شعب بني هاشم ..

تحتاج غزة لتسعمائة شاحنة يوميا للطعام .. ما يدخل إليها في أيام فك الحصار- أيام الفك لا الإغلاق- ما بين ثلاثين وستين شاحنة .. فلعنة الله على من أمر بذلك أو سمح به أو ساهم فيه أو وافق عليه أو رضى عنه أو سكت عنه حين علم به سكوت شيطان أخرس ..

***

براءة منكم يا مرتدين!! ..

نعم ..

حتى لو كان لهوا ولعبا فقد كفرتم بعد إيمانكم فما بالكم إذا كانت مواقفكم جدا مجاهرا فاجرا بلا محاولة استتار ..

أنتم تكرهون الإسلام لأسباب عديدة .. أولها : أنه لا يسمح للجهلة والظالمين واللصوص وأرباب الشهوات أن يكونوا ولاة أمر .. وثانيها : أنه يتطلب واجبات لا تقدرون عليها .. والثالث أنه يتطلب منكم ولاء للإسلام والمسلمين وبراءة من أعداء الله بينما تقوم حياتكم كلها على البراء من الإسلام والولاء لأعداء الله ..

نعم .. أنتم توالون الكفار على المسلمين ..

و من يوال الكفار على المسلمين مرتد ..

وأنتم قاتلكم الله لا تكتفون بهذا بل تريدون حمل أمتكم على ما صرتم إليه فتكرسون حكوماتكم ودعاياتكم وكتابكم للدعوة إلى الشيطان .. وإلى الردة .. يا حكاما مرتدين ..

وها هو ذا بيان العلماء المسلمين يضع النقاط على الحروف ليثبت الردة على:« كل من تعاون من بعض الدول العربية بإغلاق معبر رفح وتتبع الأنفاق الأهلية وهدمها حتى لا يصل الغذاء والدواء والسلاح لأهلنا في غزة، واستمر الإصرار على إغلاق المعبر حتى بعد هجوم اليهود العسكري على إخواننا في غزة وقتل المئات وجرح الآلاف وانقطاع الماء والكهرباء والوقود، كل ذلك مع إلحاح وصراخ المسلمين كافة بطلب فتح المعبر. فهو تعاون صريح مع العدو اليهودي في قتل إخواننا في غزة، وما كان ليتم هذا الحصار، ولا استنزاف قوة المجاهدين وخنقهم في غزة وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم إلا بإغلاق المعبر والأنفاق. فهو من أعظم الخيانات الصريحة التي مرت على الأمة عبر التاريخ، وقد اتفق العلماء على أن مظاهرة الكفار على المسلمين كفر وردة عن الإسلام»

ثم يستطرد البيان الذي أعذر المرتدين الذين قد يزعمون أنهم لم يكونوا يعرفون الحكم الفقهي بانسحاب الحكم بالردة على كل من تعاون على إغلاق المعبر أو الأنفاق أو الدلالة عليها أو منع دخول المساعدات إليهم « .. ويتحمل كل جندي شارك في ذلك إثم كل قتيل وجريح وإثم هدم المساجد والدور بغزة، ولا حجة لمن قال من الجنود: إنه عبد مأمور ؛ لأن العبودية لله وحده، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. كما يشمل الحكم أيضا من يقوم بتسليم المعابر لليهود أو القوات الدولية

الموالية لهم. وكذلك الأفراد والمنظمات والوسائل الإعلامية التي تمالأت مع اليهود على المجاهدين في سبيل الله في غزة».

ثم يستطرد العلماء قائلين بأنصع بيان:

«ونقصد بهذا البيان التحذير من جريمة غلق المعبر وجريمة التعاون مع اليهود ضد المسلمين. وندعو كل من وقف ضد الجهاد في سبيل الله تعالى سياسياً أو إعلامياً أو عملياً، أو منع دخول الإمداد والسلاح للمجاهدين بغزة، ندعوهم جميعاً إلى إعلان التوبة إلى الله تعالى، ونخص الرئيس المصري بفتح معبر رفح عاجلا بلا شرط أو قيد، ونطالبه بترك الأنفاق الأهلية وعدم تتبعها. »

فاللهم إني بريء ممن أعان على أهلنا في غزة ولو بشطر كلمة ..

أما أولئك السفهاء الذين حاصروا أهلنا في غزة فلا أملك إلا أن ألعنهم كما ألعن الشيطان ..

اللهم إني بريء مما فعل السفهاء منا ..

بل اللهم إني بريء مما فعل الحكام منا ..

بريء منهم يا رب ..

لكن ..

هل يكفي ذلك؟ ..

وهل تشفع لي براءتي تلك يوم القيامة ..

هل تنفعني؟ ..

هل تنفعنا؟ ..

والله الذي لا إله إلا هو .. إنني أكاد أرى رأي العين .. أن تلك المذابح التي حدثت في غزة .. تلك المذابح التي لا أجرؤ على وصفها لأنها تجل عن أي وصف .. أكاد أراها تحدث غدا في القاهرة والرياض وصنعاء جزاء وفاقا على صمتنا ..

إن الساكت عن الحق شيطان أخرس ..

أما الساكت عما حدث في غزة فهو أشد سوءا من الشيطان آلاف المرات ..

قاتلهم الله أنى يؤفكون ..

أكاد أشعر بالخجل والخزي والعار بسبب انتمائي إلى الجنس البشري الذي يضم معي فيمن يضم أناسا كيهود وآخرين كحكامنا وبعض كتابنا ..

أشعر بالخزي والعار لردود أفعال نخبتنا وحكوماتنا على دعوة رئيس حزب «إسرائيل بيتنا» افيغدور ليبرمان إلى إلقاء قنبلة ذرية للقضاء على غزة .. ولم تكن صدفة أنه هو الذي تمنى قبل ذلك إلقاء قنبلة ذرية على السد العالي ..

أشعر بالخزي والعار وأنا أقرأ أو أسمع لأناس كجهاد عودة وصلاح عيسى ومجدي الدقاق والنائب اللص مصطفي الفقي وأحمد الصاوي وسليمان جودة وحمدي رزق وسمير فريد وعبد الشيطان المضلل الذي يزعم أنه عبدالرحمن الراشد! أو أسامة أنور عكاشة وجمال الغيطاني وعبدالله كمال وكرم جبر وعمرو عبدالسميع والجار الله وجهاد الخازن وكتاب الحياة والشرق الأوسط اللندنية والذين انضمت إليهم أبواق كثيرة.

انظروا إلى المجاري الطافحة من أفواههم في مواجهة الفكر الحقيقي الصافي المنصف لكاتب رائع بالغ العمق والموسوعية ينصف المسلمين والإسلام أكثر من كتاب يزعمون أنهم مسلمون .. والكاتب هو المسيحي الدكتور رفيق حبيب والذي كتب يقول:

(الأهم من ذلك، أن تلك الحرب الوحشية ضد قطاع غزة، كان مخططا لها من قبل، وهي ليست حرب دخلت فيها إسرائيل فجأة. وتوقيت الحرب، في فترة ما قبل الانتخابات الإسرائيلية، وما قبل تولي الرئيس الأمريكي الجديد، يؤكد على أنه لم يكن من الممكن تأجيلها. ولهذا كانت الحرب ستقوم في النهاية وفي نفس التوقيت، مهما كان رد فعل حركة حماس. ولكن العدو يبحث دائما عن ذرائع يستخدمها إعلاميا، مثل كذبة أسلحة الدمار الشامل في العراق، والتي دمر بسببها بلدًا. والحقيقة أن أهداف الحرب تكون غير الذرائع المعلنة، والمشكلة عندما تسوق بعض النخب العربية لتلك الذرائع، وكأنها تسوق لحرب العدو علينا. فحرب إسرائيل ضد قطاع غزة كانت قادمة لا محالة، لأن إسرائيل لا تقبل بوجود حركات المقاومة، ولذلك تريد تدمير حركة حماس وغيرها من فصائل المقاومة، أو الحد من قدراتهم على الأرض). المصريون ١٤-١

***

أشعر بالخزي والعار إذ أسمع أبواق الشيطان تسخر من الجهاد والإسلام والمسلمين ولا تستطيع إخفاء أمانيها بأن تنتصر إسرائيل رغم أن كتاب إسرائيل نفسها يقولون غير ذلك .. فقد كتب جدعون ليفي في هآرتس ٢٣ / ١ / ٢٠٠٩ قائلا: بعد عودة آخر الجنود

من غزة إلى البيت يمكن أن نجزم بيقين أنهم خرجوا إلى هناك عبثا. ففي هذه الحرب فشلت إسرائيل فشلا ذريعا. ليس الحديث فقط عن الفشل الأخلاقي العميق، وهو شأن بالغ الخطر في حد ذاته، بل عن عدم قدرتها أيضا على إحراز أهدافها المعلنة. بعبارة أخرى أضيف إلى الثكل الفشل أيضا. لم تحقق شيئا من هذه الحرب، سوى مئات القبور، وفيها لصغار، وآلاف المعوقين، والدمار الكثير وضعضعة صورة إسرائيل. كان أول هدف للحرب: وقف إطلاق صواريخ القسام؛ وهذا الإطلاق لم ينقطع حتى يومها الأخير، وبحسب تقديرات الجهات الأمنية بقي عند حماس أكثر من ١٠٠٠ صاروخ.

ثم يواصل الكاتب قوله:

لكن ميزان هذه الحرب من جهة إسرائيل لا يتلخص بعدم أي إنجاز فقط. فالحديث عن أبهظ ثمن جبي وسيجبى بعد. فقد سببت أعمال إسرائيل أضرارا بالغة بتأييد الرأي العام لنا. في الحقيقة أن هذا لا يترجم دائما للغة السياسية المباشرة لكن الأمواج الارتدادية ستأتي. في العالم كله رأوا الصور. وقد زعزعت كل إنسان.

***

ألا ليت كلابنا- أقصد بعض كتابنا- يقفون مثل هذا الموقف من حماس !!.

***

أشعر بالخزي والعار من الإصرار على الباطل رغم فتاوي الشيوخ أكرمهم الله فقد أصدر ٩٦ من العلماء -على رأسهم فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي أبقاه الله وحماه- بيانا يؤكدون فيه أن الادعاء بأن هذا العدوان الإسرائيلي كان رد فعل على استفزاز، وأن الكيان المحتل يدافع عن نفسه قول باطل لا أساس له من الصحة أو المنطق، ومن ثم فإن تحميل المسؤولية على أي طرف غير العدوان اليهودي الإجرامي هو جريمة قانونية وأخلاقية، وهو -بصورة مباشرة- مساندة للعدوان وتأييد له، والعدو اليهودي المحتل قد ارتكب مئات المذابح والجرائم الوحشية على مدى أكثر من ستين عاماً قبل وجود حماس والجهاد الإسلامي. ويندد البيان بموقف الدول العربية والإسلامية فإن مواقفها ضعيفة عاجزة، ليس لها تأثير، وهي مختلفة تتراشق التهم فيما بينها، وتعمل على تعطيل المشاريع الجماعية التي تؤدى إلى مواقف قوية واضحة، مما جعل بعضها في موضع الاتهام بالتآمر والمشاركة في الجريمة.

***

أشعر بالعار عندما أتنبه للمرة الأولى لسبب تنكيل أجهزة أمننا ببدو سيناء الأبطال .. فالآن أظن أن أهل سيناء الأحرار مسؤولون عن تسليح إخوتنا الفلسطينيين .. وأن اتهامهم بتهريب المخدرات مجرد ذريعة للتنكيل بهم .. وهذا ما يفسر أيضا صمت أدعياء حقوق الإنسان عما يحدث لهم. فمن الخائن إذن ومن العميل بل ومن المرتد ..

أشعر بالخزي والعار لأنني أرى ما تسعى إليه الحكومات العميلة من كسر حماس .. وكما يقول !! محمد كريشان في القدس العربي ١٤-١ (إن كسر سلطة «حماس»، وأيا كان الرأي في أطروحاتها وسياستها، سيدخل الفلسطينيون لسنوات في مرحلة من الذل والخنوع شعارها: خذ ما يتكرم به عليك الاحتلال صاغرا وإلا فستلقى نفس المصير الذي لاقته «حماس» وبقية فصائل المقاومة)

أشعر بالخزي والعار من ولاة أمورنا حين أقرأ تنديد المستشار الجليل محمود الخضيري نائب رئيس محكمة النقض بأبعاد جديدة في علاقة مصر بإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وقال لـ'القدس العربي' بات من المؤسف أن يبرهن النظام المصري كل يوم أنه ضد مصالح أمته حتى أولئك الموتى والجرحى لا يحركون ضميره كي ينهي مأساة الأشقاء في غزة ولو بحضور القمة.

أشعر بالخزي والعار حين أقرأ قول الدكتور نادر الفرجاني الباحث السياسي المرموق، في صحيفة «البديل»، عن نظام حكمنا وحكامنا: 'تلك السلطة المغتصبة لمقاليد الأمور والتي تحولت إلى تشكيل عصابي يروم احتكار قلة قليلة للثروة والسلطة في البلد جورا وإرهابا لأهل البلد ونهبا لثرواتنا وتطلق جهاز أمن مسعور يبطش بالمواطنين وبكرامتهم الآدمية ويصر هذا التشكيل العصابي على الاستمرار في الحكم والرغبة في اطراد التمرغ في مزايا الفساد الفاجر وتفادي القصاص العادل من رؤوس الحكم التسلطي على فسادهم وطغيانهم (...) ولنذكر بعض أمثلة دالة نكتفي بواقعتين الأولى هي تجييش الآلاف من قوات الأمن المركزي بقيادات عالية الرتبة من جهاز البطش لمنع بضع عشرات من الشخصيات العامة من بدء مسيرة إغاثة رمزية لإخواننا المحاصرين في غزة (...) والواقعة الثانية هي اقتحام الجامع الأزهر بالأحذية من قبل قوات البطش يوم الجمعة ٢ يناير لمنع مظاهرة سلمية للتعبير عن مساندة الإخوة الفلسطينيين'.

أشعر بالخزي والعار من ادعاء سلطات بلادي فتح المعبر وهو مغلق .. ومن ادعائها إيقاف احتفالات رأس السنة الميلادية تضامنا مع غزة .. ولقد دهشت من هذا القرار والله يا قراء .. ذلك أنني أدركت منذ زمان طويل أن إسرائيل قد تعصي قرار

أمريكا أما بلادنا فلا تستطيع أبدا .. فعلاقة إسرائيل بأمريكا علاقة البنوة والندية .. أما علاقة بلادنا فعلاقة الجارية التي لا حق لها أن ترفض أبدا ولا أن يكون لها مجرد شعور يختلف عن شعور مولاتها .. من هنا كانت دهشتي لقرار وقف الاحتفالات .. لكنني سرعان ما عرفت السبب فجللني الخزي والعار .. لقد كانت سلطات بلادي تخشى أن تتحول الاحتفالات إلى مظاهرات تضامن مع المجاهدين في غزة وتنديد بموقف السلطة المخزي .. ومن أجل هذا ألغوا الاحتفالات ..

أشعر بالخزي والعار لأن سكوت الغرب على هذا الفساد كله إنما هو ثمن سكوتنا عن هذا الدم الفلسطيني المهراق كله ..

أشعر بالخزي والعار من تأجيل قمة العرب استجابة لمطالب إسرائيل كي تكمل المجزرة .. ومن قمة عربية لا تعقد لأنها تحتاج إلى إعداد يستغرق شهورا إلى قمة عربية أوربية تعقد في ٢٤ ساعة ..

أشعر بالخزي والعار عندما أقرأ للدكتور حسن نافعة قوله: «المفاجأة الحقيقية جاءت هذه المرة من مصر الرسمية، والتي بدا سلوكها منحازا لإسرائيل على نحو فاضح. ولا أخفي على القارئ أنني أحسست بأن مصر الرسمية بدت لي في هذه الأزمة دولة أخرى صغيرة ولا تشرف أحداً. (...) وبدت فاقدة لإرادتها ومنقادة على نحو مخجل. ورغم تحفظاتي السابقة فلم أكن أتصور مطلقا أن تصل الأمور يوماً إلى ما وصلت إليه وأن تتجاوز هكذا كل الخطوط الحمراء. (...) عندما يذهب الأستاذ هيكل إلى حد التأكيد على أن الرئيس مبارك عبر لساركوزى في لقائهما الأخير بالقاهرة عن رأيه بضرورة عدم السماح لحماس بالانتصار في هذه الأزمة، يصبح الأمر في حاجة إلى إعادة نظر. فإذا صح هذا القول، ولا أظن أن شخصاً بوزن هيكل يمكن أن يجازف بتصريح على هذه الدرجة من الخطورة إلا إذا كان واثقا من صحته إلى درجة اليقين. وليس لذلك سوى معنى واحد وهو أن مبارك تصرف في الأزمة من منطلق أن حماس وليس إسرائيل، هي العدو .. وهذا أمر جلل. (...) وأظن أن الطيب رجب أردوجان قدم درساً بليغاً في الطريقة التي يمكن بها لدولة تحترم نفسها أن تحافظ على استقلال قرارها، (...) لكن موقف أردوجان صنع الفرق بين دولة تدير علاقاتها الخارجية من منطلق الحرص على استقلالها، وأخرى لم تعد تملك من أمرها شيئا وتتصرف كدولة تابعة ومستجدية. فما الذي تستجديه مصر الرسمية يا ترى؟ وهل يُقبل أن تتخذ موقفاً محايداً، ناهيك عن أن يكون منحازاً، في أزمة كهذه. هذا هو العار بعينه.

أشعر بالخزي والعار من أولئك الذين يطالبون حماس بالاستسلام مقابل وقف إطلاق النار .. إنهم مندهشون لأن حماس تقف هذا الموقف البطولي الذي يرحب بالاستشهاد إن لزم الأمر .. تماما كدهشة الداعرة عندما ترى عفيفة تدافع عن شرفها حتى الموت .. لكن الداعرة لا توافق على سفح شرفها فقط بل تبيعه وتستفيد بثمنه بل وتستمتع بالخيانة ..

أشعر بالخزي وبالعار لأن عدد المعتقلين في بلادي- بسبب المظاهرات المحتجة على الاعتداء على غزة- قد بلغ رقما لم يبلغه ولا نصفه ولا حتى عشره مجموع المعتقلين في العالم كله .. فلقد تجاوز عدد المعتقلين الألف ..

أشعر بالخزي والعار لأن بلادنا بعد انتصار المجاهدين الدامي-نعم هو انتصار- راحت تحاول نجدة إسرائيل وإنقاذها فراحت بالعناد الذي يورث الكفر وقهقهة السخرية معا تنادي بأن تكون المبادرة المصرية أساس مؤتمر قمة الكويت .. , وهي المبادرة التي بصقتها إسرائيل على وجوه حكامنا وصفعت بها أقفيتهم ..

كريه أن تعاند ..

لكن الكريه والمهين والمقزز أن يعاند مسئول والناس تستلقي على ظهورها ضحكا منه وسخرية منه واستهزاء بشأنه ..

أشعر بالخزي والعار لأنهم يسمون أحد مسئولينا – بالرغم منا ونحن نبرأ منه -: أبا الغائط ..

أشعر بالخزي والعار وتلك المرأة النبيلة تقف أمام سفارتنا في إحدى العواصم-بل القواصم- تهتف في غضب يتأجج: يا حكام يا جيوش خذوا خمارنا واحتجبوا وأعطونا سلاحكم كي نقاتل ..

أشعر بالخزي والعار وتلك المرأة الأخرى تصرخ: أنا علمانية لكنني الآن أنادي بالجـهــــاااااد!!! ...

(هل يمكن أن نضيف إلى علامات الترقيم كالاستفهام والتعجب علامة بكاء؟!) ..

أشعر بالخزي والعار وصحافة صهيون تقر بالهزيمة وصحافتنا تتمنى وتنتشي بسحق حماس!

أشعر بالخزي والعار وعلماؤنا يفتون بكفر من يمالئ يهود أو يدين حماس لكن من

يمالئ ومن يدين لم يبالي .. فالشيطان أحب إلى قلوبهم من الله والصهيوني أقرب للقلب من العربي!!

أشعر بالخزي والعار عندما أقرأ عن تلك المرأة اليمنية الفقيرة التي ذهبت ببقرتها العجفاء إلى شيخ المسجد في قريتها متوسلة أن يرسل البقرة إلى غزة .. وضحك الشيخ تحت وقع المفاجأة متسائلا: كيف نرسلها يا حاجة ؟!! فردَّت عليه: الله يبارك فيها يا شيخ، خذها فقط !!، تعالت تكبيرات الحضور، وانطلق صوت جهير: أنا أشتري هذه البقرة بعشرين ألف ريال، فتعالت التكبيرات أكثر، مع صيحات وهتافات مختلطة، وتكاثر المزايدون على بقرة العجوز، فبيعت البقرة بنصف مليون ريال يمني، ثم ردَّها آخر المزايدين إلى العجوز، قائلاً: لقد بارك الله لك في بقرتك فخذيها لتعمّ بركتها، وانتفض الحاضرون صادحين: الله أكبر ولله الحمد.. ولكنني أرى هذه البقرة المباركة تحاول المرور من معبر رفح فتجد بقرة ملعونة تصر على إغلاقه ومن أجل ذلك ملأني الخزي والعار .

أشعر بالخزي والعار من مشهد تلك العروس تذهب إلى أحد مراكز جمع التبرعات قائلة: هذه صرّة عرسي من الذهب تذهب كلها لأطفال غزة، فهم أولى بها مني، وبكى زوجها الشاب رضاً، وقال: وعليّ أيضاً مثل قيمة هذا الذهب لأطفال غزة، ثم سأشتري لها ذهباً آخر: نظرت إليه عروسه بحنان: ما دمت تستطيع شراء كمية أخرى من الذهب لي، فإنني سأتبرع بها أيضاً لغزة الشهداء !! .. لكنني أرى فرعون يسد المعبر فلا يمر الذهب ..

أشعر بالخزي والعار من دعوة منسق الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة جون هولمز إلى فتح المعابر في غزة للسماح ومن موقف الطاغوت المجرم الذي يغلقها وهو يزعم العكس ..

أشعر بالخزي والعار من مشهد ومظهر ومخبر عادل إمام إزاء الفنَّان الأميركي «مايكل هارت» الذي غنى أغنية بعنوان «من أجل غزة »، عبَّر فيها عن صمود غزَّة في وجه العدوان الإسرائيلي الذي تتعرَّض له منذ أيام، وقال هارت: إنَّه يريد أن يهدي «أغنية أمل للفلسطينيين في غزة» .. نعم .. قد يكون – وأقول قد- عادل إمام مهرجا ناجحا لكن اهتمامنا برأيه السياسي يساوى اهتمامنا برأي عاهرة في الشرف.

أشعر بالخزي والعار وذلك الحاخام يشعل جواز سفره الإسرائيلي لأنه شعر بالخزي والعار بسبب ما تفعله بلاده وهتفت: أنت أكثر وطنية من كل حكامنا وأكثر

إحساسا وثقافة من جل كتابنا وأقرب إلى الله من بعض كبار شيوخنا ..

أشعر بالخزي والعار ورئيس وزراء تركيا يتصرف كزعيم حقيقي بينما حكامنا يتصرفون كبغايا ..

والله يا قراء .. إنني من فرط دهشتي لانعدام الدين والنخوة والكرامة والحمية والوطنية أخذت أبحث في الشبكة العنكبوتية عن موضوع يشرح الأسس النفسية لمثل هذا الموقف .. كيف يمكن أن يبرر إنسان لنفسه كل هذا الخزي وكيف يمكن أن يسوغ كل هذا العار .. ولم أجد أبدا يا قراء .. فحتى كتابات ككتابات الدكتور على زيعور والدكتور مصطفي حجازي تتناول نرجسية الحاكم الطاغية الدكتاتور .. ولم يكن هذا ما أبحث عنه .. فذلك كان في زمن قد انقضى .. ما أبحث عنه الآن تفسيرا نفسيا لوضعية الحاكم الذليل الخسيس الجبان الخائن الكذاب اللص العربيد المزور المهرب الممالئ لأعداء الله .. ما أبحث عنه هو الزنديق الكافر الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان .. فليس ادعاء الإيمان بالنسبة له إلا سلعة تزيد سعره تماما كما يزيد من سعر البغي ادعاءها بأنها شريفة .. بحثت عن مثل هذه الدراسة النفسية فلم أجد .. فقلت لنفسي: لتبحث إذن من موضوع مشابه .. ووجدت بالفعل كتابا في سلسلة «عالم المعرفة» عنوانه: «سيكلوجية البغاء» .. ووالله يا قراء ما أن تصفحت الكتاب حتى اكتشفت أن البغايا أشرف وأكثر منطقية ..

أشعر بالخزي والعار أمام أشلاء أطفالنا ونسائنا في غزة .. لكنني أشعر بخزي أكثر وعار أشد إزاء مشهد أشلاء حكامنا ودم حيضهن في الكويت ..

أشعر بالخزي والعار أمام خالد عبد ربه (٤٠ عاما) من عزبة عبد ربه، شاهد مجزرة ارتكبها أحد جنود الاحتلال بحق ثلاثة من بناته ووالدته، لا يزال يعيش حسرة مقتل اثنتين من بناته وإصابة الثالثة بالشلل إلى جانب أمه التي ترقد في غرفة العناية المركزة في مشفي كمال عدوان بين الحياة والموت.

ويروي الأب المكلوم لقناة الجزيرة، تفاصيل المجزرة قائلا : «كنا نعيش في بيتنا المكون من أربع طبقات بسلام، إلى أن تمركزت فجأة إحدى الدبابات الإسرائيلية على مقربة من المنزل بعد ظهر اليوم الرابع من الاجتياح البري للقطاع في السابع من مطلع الشهر الجاري».

ويضيف، بدأ الجنود الإسرائيليون ينادون علينا بالخروج من المنزل، وعندما هممت بالخروج أنا وأمي وزوجتي وثلاث من بناتي وفي أيدينا قطع قماش بيضاء

إشارة إلى أننا بيت مسالم، لاحظت أن جنديين كانا يقفان على ظهر دبابة على مقربة من المنزل يأمراننا بالتوقف.

وما هي إلا لحظات، يروي عبد ربه للجزيرة نت، حتي خرج جندي ثالث من بطن الدبابة وفي يده بندقية ويشرع بإطلاق النار مباشرة وبشكل جنوني صوب البنات.

وتابع الأب في شهادته «سارعت بشكل جنوني إلى حمل بناتي وأمي إلى داخل المنزل، وشرع إخواني في الاتصال بالإسعاف، وما هي إلا لحظات حتى سمع الجميع صوت سيارة تقترب من المنزل وفجأة خفت صوتها وحينما نظرت من نفاذة المنزل لاحظت أن طاقم الدبابة أنزلوا سائق الإسعاف من سيارته واعتدوا عليه بالضرب ثم أجهزوا بالدبابة على سيارة الإسعاف.

وذكر عبد ربه أنه في تلك الأثناء صعدت كل من روح أمل (عامين) وسعاد (سبعة أعوام) إلى بارئهما، بينما استمرت والدته (٦٨ عاماً) وابنته سمر (أربعة أعوام) تئنان من شدة الألم والنزف.

وبعد انقضاء ساعتين فشلت خلالهما كل مساعي الاتصال بالصليب الأحمر وسيارات الإسعاف بدأت سمر تطلب ماء، وتسأل ببراءة «أليس من يصاب يحضرون له الإسعاف يا أبي» وحينها لم يتردد الأب في حملها والخروج بها إلى حيث مدخل المنزل لعله ينقذ حياتها أو يستشهد معها.

ويواصل عبد ربه الحكاية قائلا: ما إن خرجت من مدخل المنزل إلا ودبابة إسرائيلية ثانية تقف محل الأولى وبعد أن لاحظ أحد الجنود أن ابنتي تقطر دماً على الأرض لوح لي بالخروج، وحينها عدت إلى المنزل وطلبت من جميع من في المنزل الخروج فإما أن يكتب الله لنا الحياة جميعاً أو الشهادة جميعاً.

وبعد ذلك خرجت وزوجتي حاملين جثتي سعاد وأمل، بينما أخي إبراهيم كان يحمل سمر الجريحة، وباقي إخوتي أحضروا سريرا صغيرا ووضعوا عليه أمنا، وبيننا أطفالنا الصغار، وبدأنا نسير باتجاه المشفي وسط إطلاق نار كثيف كان يطلقه الجنود أسفل أقدامنا وفوق رؤوسنا ومن حولنا.

وقال الأب المكلوم: لدى مرورنا قرب منزل في طرف المنطقة هم أحد أصحاب ذلك المنزل بإحضار عربته التي يجرها حصانه للمساعدة في إيصالنا إلى المشفى، لكن جنود الاحتلال أطلقوا النار وأصابوه وأصابوا حصانه.

وأضاف: حينها أيقنا أنه ليس أمامنا سوى المشي مسافة كيلو متر إلى أن وصلنا إلى قلب بلدة جباليا التي سارع أهلها لنجدتنا وإسعاف مصابينا.

أشعر بالخزي والعار ..

ثم ..

ثم ..

ثم ..

خزي وعار خزي وعار خزي وعار خزي وعار خزي وعار خزي وعار خزي وعار خزي وعار خزي وعار إلى يوم القيامة أن أقرأ في الجزيرة:

«أبلغ جرحى فلسطينيون تلقوا العلاج في مستشفيات مصرية وعادوا إلى قطاع غزة الجزيرة نت أن قوى الأمن هناك حققت مع بعضهم، وطالبتهم بمعلومات عن أماكن تصنيع الصواريخ وكيفية تهريب الأسلحة إلى القطاع. وقال عدد من الجرحى للجزيرة نت إن قوى الأمنية المصرية حققت في المستشفيات مع عدد منهم بشكل عنيف، وهددت الرافضين للتحقيق بالملاحقة وعدم السماح لهم بإكمال العلاج في المستشفيات المصرية. وأوضح المصابون أنهم بعد أن تماثلوا جزئيا للشفاء خضعوا للاستجواب من قوى الأمن المصرية الذين طلبوا منهم الإدلاء بمعلومات عن المقاومة، كما طالبوهم بعدم العودة لمساعدة حركة المقاومة الإسلامية (حماس). وقال أحد الذين بقوا للعلاج في مصر باتصال هاتفي مع الجزيرة نت إن قوى الأمن طلبت منه إبلاغ المقاومة في غزة بأن القاهرة لن تسمح لهم بتهريب السلاح إلى غزة، ولن تسمح لحماس بإعادة بناء قدراتها من جديد. وأوضح الجريح أنه فور تعافيه من الإصابة طلب منه الطبيب الانتظار في غرفة جانبية المستشفيات، ومن ثم جاء إليه محققون من المخابرات وتعهدوا له ببقاء ما يدلي به من معلومات طي الكتمان. وأضاف «سألوني عن المقاومة وكيف تخزن أسلحتها وكم يمكن أن تصمد فصائل المقاومة في غزة في وجه إسرائيل، مشيرا إلى أنهم طلبوا منه معلومات عن حركة حماس وقياداتها «المختفية». وقال أيضا : إنه في البداية كان التعامل معه «لطيفا للغاية» لكنه حين أنكر معرفته بالمقاومة ضربه أحد المحققين على مكان الجرح، وقال له : «لا تكذب أنت من حماس وكتائب القسام، ويجب أن تتحدث وإلا فلن نسمح لك بإكمال العلاج وسنرميك كالكلاب».

آآه ..

حيوان وحشي أسطوري .. مخالبه خناجر .. وأنامله جمر متأجج .. ولسانه سوط مجدول من الفولاذ .. تنغرس الخناجر في كبدي وتشتعل النار في قلبي فكلما احترق أعطيت قلبا غيره كي أتألم من جديد ..

آآآآآآآآآآآآآآآآآه ..

والكلمات سياط .. والسياط حبال مجدولة حبل من النار وحبل من الفولاذ وقواطع من السلك الشائك والسوط لا يجلد بقدر ما ينهش اللحم الضحية وينثره ..

يا للخزي يا للخزي يا للخزي

يا للعار يا للعار يا للعار ..

يا للألم يا للألم يا للألم ..

يا للقلب المسحوق ..

يا للنفس المتفتتة أشلاء ..

يا لطوفان الدموع ..

هل تغسل دموعي الآن خزيي وعاري؟ ..

اخلعي هذا المجرم يا زوجته تبرأ منه يا أباه العنيه يا أمه واهجروه يا أبناءه فهو ليس إلى الكفر أقرب من الإيمان بل هو الكفر بعينه ..

اخلعوه واهجروه فوالذي نفسي بيده إنني أظن الشيطان يقف أمام رجل الأمن الذي يعذب مجاهدا ويوسوس له بخيانة المسلمين ليصرخ قائلا: أعوذ بالله منك!! ..

نعم ..

يستعيذ الشيطان بالله من ضابط أمن الدولة أو ضابط الحرس الوطني الذي يعذب المجاهدين أو يوسوس لهم بخيانة الله ورسوله وأمتهم والتجسس لإسرائيل!! ..

يا شبابنا: لا تصدقوا صحفنا ولا إذاعاتنا ولا قنواتنا الفضائية والأرضية .. يا شبابنا: أصدق حاكم من حكامنا أكذب من مسيلمة .. فلا تصدقوهم أبدا واعلموا أن كل ما يحمله الإعلام لكم كذب .. وما يقال عن قضايانا كذب لصالح أمريكا وإسرائيل .. وأنه يكفي لهم أن يكون أصحاب الانتصار مسلمين حتى ينكروا الانتصار .. وأن اليهود والصهاينة أقرب إليهم من المسلمين وأن المجرم لم يستنكف أن يقول أنه يرفض وجود إمارة إسلامية بجوار مصر .. بينما يقبل برضا واستمتاع وجود

إمبراطورية يهودية بلا اعتراض ..

.. ...

يا فقهاءنا ..

يا علماءنا ..

الإجمال لا يفيد هؤلاء ولا الإشارة تدعهم يفهمون .. فمتى يأتي اليوم التي تصل فتاواكم فيه إلى كل منبر مسجد .. أن من يفعل فعل هذا الشيطان الذي عذب مجاهدا وحرضه على التجسس لإسرائيل-عالما بما يفعل- هو كافر ودمه مهدر .. نعم .. إنه مرتد تجب عليه كل أحكام المرتد وأول هذه الأحكام ميراثه وعلاقته بأهله .. وأن العقوبة على الجريمة لا تُستحق باكتشافها بل بمجرد ارتكابها وهذا يعني أن هناك عشرات الآلاف لا يستحقون الحياة التي يستحقونها حتى وإن عاشوا حتى يموتوا في فراشهم لينالوا عقابهم كاملا في الآخرة ..

المصيبة أنني صدقت هذا الواقع الكابوسي البشع لتعذيب المجاهدين-دون لحظة شك واحدة- على الفور .. فمخزون معلوماتي ينبئني أن مثل هذا يحدث على الدوام .. وأننا في هذا المجال القذر الدنس الكافر .. قد تفوقنا حتى على أمريكا .. كما أنني أواجه القارئ بأن هذه ليست المرة الأولى التي تنشر فيها الصحف عن تعذيب المجاهدين الفلسطينيين وغير الفلسطينيين – وتعبير المجاهدين مفضل عندي عن تعبير حماس لأن حماس اليوم تمثل الجهاد في الإسلام وتمثل المجاهدين.

سوف تظل خطيئة تعذيب المجاهدين وصمة عار تدمغ أجهزة أمننا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

معذرة إلى الله أكتب وأتبرأ وأخلع وألعن كل من اتصل علمه بهذه الجريمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالفعل الإيجابي المجرم أم بالموقف السلبي الخسيس ..

أما أولئك المجاهدون فإنني أخجل من توجيه الاعتذار إليهم ..

يتساقط لحم وجهي خجلا فأري نفسي بعين الخيال وقد احترق اللحم في وجهي وتهشمت العظام بعد التعرض لقنبلة فسفور صليبية يهودية .. يتساقط لحم وجهي خجلا فلا أجرؤ على توجيه الاعتذار .. فالاكتفاء بالاعتذار استهانة وإهانة ومهانة ..

أشعر بالخزي والعار لاقتصاري على الشعور بالخزي والعار ..

أشعر بالخزي والعار .. وأشعر بعجز الكلمات وبنضوب ينبوع المعاني .. إذ كيف أعبر بالكلمات المتداولة في المعاجم عن أحاسيس كالتي أشعر بها ..

كيف أعبر بألفاظ كالنار عما هو أشد من النار ألف مرة ..

وعن الألم بنفس اللفظ الذي أعبر به عن آلامنا المعتادة التي نبدو فيها – مقارنة بإخوتنا في غزة– كمن يرفلون في النعيم ..

لقد أحسست والله يا قراء بأقصى درجات التعاطف مع ذنب ديني كبير لا شك فيه عندما اكتشفت أنني أتعاطف إلى أقصى حد مع ذلك الرجل التركي الذي أشعل النار في نفسه احتجاجا على ما يحدث في غزة ومشاركة لأهلها الذين تشتعل فيهم النار .. وشعرت بالتعاطف– أقصى درجات التعاطف– مع ذلك الكاتب الذي تمنى لو أن الله قد خلقه أعمى لا يرى أصم لا يسمع معتوها لا يدرك كمّ الألم الوحشي في غزة؟ .. الوحشي؟؟!! .. معذرة لكل الوحوش .. فوالله الذي لا إله إلا هو إنني لأرى في جل جنس يهود الذي نراه شرا لم يحفل التاريخ بمثله إلا فيهم .. أرى فيهم وحشية تكون أشرس الوحوش إزاءها حمائم سلام بريئة وأرى فيهم شرا لا يوجد مثله عند الشيطان الرجيم .. وأرى فيهم خسة وحقارة تعجز كل قواميس اللغة عن التعبير عنها .. ولا ينافسهم فيها إلا جل حكامنا وبعض كتابنا ..

أرى في جلهم شرا لا يقتلع إلا باقتلاعهم من الجنس البشري كله ..

وهذا هو دورنا يا يهود ..

أقسم أننا سنفعله .. بأيدينا أو بأيدي أبنائنا وأحفادنا ستفعله ..

أما أنتم فلن يكون لكم أحفاد .. فأغلب ظني أن أبناءكم سيُبادون قبل أن يكون لهم أبناء ..

يا يهود: لو لأنني كنت منكم– والحمد لله أن لم يمسخني مثلكم: أحط من القردة وأذل من الخنازير– لامتلأت رعبا ولوليت فرارا من تلك البلاد التي يقاتل أهلها كما قاتل أهل غزة ..

إنني أعاود النواح في قلبي على هزائمنا أمامكم قبل ذلك .. لأننا لم نحارب كما حارب أهل غزة .. في عام ٥٦ استغرق غزو غزة ست ساعات وعشرين دقيقة كان حاكمها كحكامنا .. مسخ مجنون مجرم اسمه اللواء فؤاد الدجوي الذي استسلم بل وأرغم اللواء الفلسطيني على الاستسلام معه .. وذهب أسيرا ليهاجم مصر من إذاعة

تل أبيب .. كانت له نفس ملامح محمود عباس ومحمد دحلان والرجوب .. بعد تسعة أعوام سيحاكم هذا المجرم الشهيد سيد قطب ويحكم عليه بالإعدام .. كان لسيد قطب ملامح إسماعيل هنية ومحمود الزهار والشهداء أحمد ياسين والرنتيسي وسعيد صيام .. فهل ضر سيد قطب أنه استشهد أم بقي علامة سامقة في أعلى ذرى الإنسانية والمجد حتى يرث الله الأرض ومن عليها؟.. وهل استفاد الدجوي بجريمته أم ظل بها ملعونا إلى آخر الزمان؟ .. كل دجوي .. دحلان الدجوي وعباس الدجوي وحسني الدجوي وعبدالله الدجوي .. وزين الدجوي وسليمان الدجوي .. و .. و .. و ..

لن يضرنا استشهاد قيادات حماس جميعا .. سيكونون مثل الشهيد-إن شاء الله- سيد قطب وصحبه .. بل إن روعة انتصار غزة الدامي لا يقلل من قيمته أن يكون أهل غزة جميعا كأصحاب الأخدود .. نعم .. لن يضرهم ذلك بعد أن سجلوا انتصارهم وانتصار غزة وانتصار الإسلام بأحرف من نور ..

هل قلت بأحرف من نور؟ .. وهل قلت أنني أشعر بالعجز المطلق إزاء عجز الكلمات عن حمل المعاني .. الآن أعرف ما كنت أريد ..

كنت أريد لغة كلماتها من نور.. ومن نار أيضا كي أستطيع التعبير عما يجيش بصدري .

***

عام ٢٠٠٦ زعم المرتدون والمنافقون وبعض الجاهلين أنهم لا يؤازرون حزب الله لأنه شيعي. وكنت أعرف أنهم كاذبون .. وكنت أعرف أنهم –فيما عدا استثناءات قليلة- لا يؤمنون لا بسنة ولا بشيعة بل يؤمنون بالموساد والسي آي إيه .. ولكن بدا أنهم يلقون بحجة على أي حال بغض النظر عن صدقها .. حجة كحجة الشيطان حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين .. وأراد الله أن يكشفهم فاندلعت الحرب ضد فلسطين وحماس السنة وليس الشيعة .. فإذا بهم يقفون نفس الموقف .. ضد السنة هذه المرة.

***

أعترف .. رغم فخري واعتزازي بنصر لبنان وحزب الله عام ٢٠٠٦ إلا أن مشاعري اشتعلت بالغضب والرفض والغيرة حين واجهني أحدهم: متى نرى السنة يقاتلون كالشيعة؟ ..

كان السؤال نفسه خطأ .. وكان التاريخ جله إجابة .. لكن ذلك لم يمنع الألم والغيرة حتى أتت حماس في فلسطين لتضرب مثلا ينتمي إلى عصر الصحابة وإلى

أصحاب الأخدود ..

مثل لا يضاهيه مثل ..

ولكي أكون واضحا فإنني أوجز في النقاط التالية ما فصلته قبل ذلك:

إنني سني سلفي وفخور بذلك ولا أرضى عنه بديلا وأرى في الفكر السلفي السني ذروة الفكر الإنساني عبر تاريخه الممتد وأنقى درجات الإيمان وأعلى مراتب التوحيد .

إنني أدرك وجود خلافات جوهرية بين السنة والشيعة وإن كانت لا تجرح العقيدة في النهاية ..

إنني فخور إلى أقصى حد يسمح به الفخر بانتصارنا في جنوب لبنان عام ٢٠٠٦- وأقول انتصارنا- ..

إنني أشد فخرا بنصرنا في غزة ..

إنني أناشد شعبنا في غزة أن يكون كمثل شعبنا في لبنان فلا يدع المنافقين والمجرمين يتسللون إليه من ثغرة حجم الخسائر .. وأقول لكم يا أهل غزة .. يا أهلي .. أن خسائركم لم تبلغ بعد خسائر أصحاب الأخدود .. ودعوني أسألكم: هل فاز أصحاب الأخدود وانتصروا أم كانوا من المهزومين ..

إنني مدين بالامتنان لإيران على قيامها بتسليح السنة في غزة بعد أن تقاعس من يزعمون أنهم ملوك السنة وشيوخها عن القيام بذلك .. كانوا ملوك المنافقين لا السنة .. وكانوا أئمة للكفر لا للإسلام.

إنني أذكر لإيران – ولست مسئولا عن النوايا- أنها هي الدولة الوحيدة في العالم التي حاولت تسليح أهل البوسنة والهرسك وجلهم سنة بينما وقف عالمنا العربي موقف الديوث.

إنني أتمنى من علماء إيران ومن كافة علماء المسلمين ألا يسمحوا للمذبحة البشرية التي حدثت في لبنان وغزة أن تحدث مرة أخرى .. ويجب اكتشاف سلاح يستعمل كرادع بشري فإذا أحدثت إسرائيل فينا مذبحة في المدنيين رددنا بمذبحة للمدنيين .. وإن قصفت الأحياء السكنية في غزة قصفنا الأحياء السكنية في تل أبيب.

إنني أتمنى من إيران سرعة اقتناء رادع نووي فهو حق لنا لا ينكره علينا إلا مجرم يحرص على حرمان ضحيته مما تدافع به عن نفسها ..

بغض النظر عن التفاصيل فإنني أنظر بإعجاب إلى السياسة الإيرانية التي انتصرت نصرا ساحقا على السياسة الصليبية واليهودية. فتمكنت من المراوغة وتجنب الشراك والوصول إلى ما تريد. هناك ساسة يفكرون ويخططون وهنا بلطجية وقوادون ودعار يخونون ويستسلمون .. هناك ساسة وهنا خدم .. هناك وطنيون وهنا خونة .. هناك مسلمون يذنبون وهنا كفار مرتدون ..

إنني في نفس الوقت أدين بكل ما أملك من ألم ومرارة واحتجاج واعتراض دور إيران في العراق وأفغانستان .. لكنني أقرر وأكرر أن ذنوب إيران كبائر لا تخرج من الملة –إذ أن لها باب من التأول الخاطئ– أما ذنوب حكامنا وحاشيتهم والراضين عن سياستهم فهي ذنوب مخرجة من الملة .. وليس هناك لها أي تأويل ولو كان فاسدا: هل لإغلاق معبر رفح تأويل؟ هل للحصار تأويل؟ هل التصريح لساركوزي بأنه لا ينبغي لحماس أنت تخرج منتصرة تأويل؟ .. هل الخروج –حتى على مقررات الجامعة العربية – عن المشاركة في الحصار تأويل .. هل للامتناع عن الغوث تأويل .. هل لإطلاق الرصاص على المدنيين– أو حتى المجاهدين– اللائذين بنا تأويل .. لقد كان المشركون يجيرون المسلمين .. لذلك أريد لكل من شارك في الحصار أن يعلم أنه أشد كفرا من المشركين .. لا يوجد لدينا تأويل فاسد بينما يملك الإيرانيون الكثير من هذه التأويلات بغض النظر عن الصواب أو الخطأ.

إنني أنبه القراء إلى سبب جوهري في التناقض والانفصام في تصرفات السياسة الإيرانية: فهناك كما هنا يوجد تياران: التيار الإسلامي وهو معنا .. والتيار القومي العلماني– يسمونه زورا بالإصلاحي– وهو مع أمريكا وإسرائيل ومع الكفر .. ومنه تخرج مواقف كتلك التي اتخذتها إيران في مسألة العراق وأفغانستان ..

إن حكامنا يتمنون انتصار التيار العلماني الكافر في إيران.

إنني في نهاية هذه الفقرة أناشد إيران الإسلامية في أمرين: أن تعوض سنة غزة كما عوضت شيعة لبنان عن خسائرهم .. وأن تبتكر العبقرية الإيرانية وسائل لتسليح أهلنا في غزة. كما أناشد الإسلاميين هناك أن لا يتركوا للعلمانيين– والعلمانية مرادفة للكفر– فرصة للنجاح في الوثوب على الحكم كما نجحوا في كل عالمنا العربي .. فالنتيجة واضحة: الخراب والهلاك والذل والخسة.

ثم.. أين أنت يا باكستان: دورك هنا في سبيل الله وليس في أفغانستان في سبيل الشيطان.

***

هناك فئات في أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله لا أتخيل أن تصمت ..

دعنا من الجيوش فهي مشغولة بحصارنا من جاكارتا إلى طنجة .. ومشغولة بحماية أمن أمريكا وأوربا وإسرائيل .. دعوها فإن تجربتنا معها مرة ..

ودعنا من الشباب فقد قاموا بأقصى ما يستطيعون القيام به إزاء تخاذل الكبار ..

أما العلماء كرم الله وجوههم فإنها المرة الأولى التي يقومون فيها بواجبهم منذ قرون وإن كنت أطمع منهم فيما هو أكثر وأشمل .. بل وأطلب منهم إصدار فتاوى بعزل من يخون الأمة من حكام المسلمين .. بل وإنني أطمع وأتمنى منهم إصدار فتوى عاجلة بعزل البهائي الذي وضعوه على رأس شعبنا في فلسطين حتى بعد أن انتهت مدته .. اعزلوه فإنه يتلمظ الآن لنهب أموال الإعمار ..

الأمر نفسه مطلوب من شعبنا في الضفة الغربية .. نعم .. مطلوب القضاء على الانقسام .. لكن هل نصل إلى هذا الانقسام بجمع نصف مؤمن على نصف كافر؟! .. نصف شريف على نصف خائن .. نصف زاهد على نصف ناهب؟ .. أم أن المنطق يقتضي التخلص من الخائن الكافر الناهب وتسليم الراية موحدة للمجاهد الشريف الزاهد .. بل إنني أوجه هذا النداء لشرفاء فتح نفسها .. إذ يعز على أن أتخيل فتح كلها عباس ودحلان والرجوب.

بعد هذا يأتي دور فئتين ننتظر منهما الكثير:

القضاء .. ولست أنا في الموقع الذي يعطيني الحق في أن أقترح عليهم ما يجب أن يفعلوه .. لكنني أتساءل فقط عن أحكامهم المهدرة خاصة فيما يتعلق بإسرائيل كالمعبر والغاز .. والعدل جسم واحد إما أن يطبق كله وإما فالأكرم التوقف عن العمل حتى تتوقف السلطة التنفيذية عن الافتئات على القضاء ..

الفئة الثانية هي أساتذة الجامعة .. وأيضا .. لست أنا الذي أقول لهم ما يجب أن يفعلوه.

لقد انتقدت العلماء من قبل كثيرا .. والآن عليّ أن أحييهم بأعلى صوت .. ,أن أشد على أيديهم .. وأن أناشد أجهزة الأمن- أو بقاياها التي لم تنحز إلى الحلف الصليبي الصهيوني بعد- بحراسة علمائنا .. فلم أعد أستبعد على أنظمة تمرست في الإجرام أن تقتل

بالسم علماء كشفوا مواقفها وصرحوا بأن هذه الأنظمة كانت تتمنى انتصار إسرائيل.

***

ثمة نقطتان تبقيان:

أولهما : تحية لمؤتمر قمة الدوحة وللشيخ حمد بن خليفة آل ثان أمير دولة قطر على كسره لجدران الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وبرغم أنني أتصور وضعا مختلفا عما ظهرت به الأحداث، لأنني أظن أن أمريكا مخرج اللعبة كلها وأن الأدوار لا تتمايز إلا باختلاف الأفراد. ولقد هدفت الاستراتيجية الأمريكية في نهاية عهد بوش وبداية عهد أوباما إلى أن تتخلص فيه مما علق بسمعة أمريكا من دنس، وهكذا فقد كان مؤتمر الدوحة رسالة إلى ثلاث دول في المنطقة:

- لإسرائيل: اكبحي نفسك فإن جنونك وإجرامك وجنوحك زادا من الإرهاب والقلق والعنف, أرّقت ضمير العالم ودنست سمعتنا وديمقراطيتنا وليبراليتنا .. إنك بهذه الطريقة ستدفعين العالم للهاوية.

- ولحكام مصر والسعودية: لم تعودا تناسبان العصر فاذهبا حيث ذهب الشاه .. ودعوا غيركما ممن لا يحمل أوزارا كأوزاركم يحقق أغراضنا دون أن يجلب لنا كراهية رعاياكم .. كل رعاياكم ..

***

التحية الثانية لسيد المجاهدين أسامة بن لادن **ط** (١).. لقد أخرج كل الأفاعي من كل جحورها .. ولإن متنا برصاصها خيرا لنا من أن نموت بسمها ..

لكننا بوعد الله سنقتلها ليبلغ هذا الدين ما زوى لرسول الله ﷺ من مشارق الأرض ومغاربها. نعم سيبلغ ما بلغ الليل والنهار ولا يترك بيت مدر ولا وبر إلا دخله بعز عزيز أو بذل ذليل.

أما أنتم يا أهل فلسطين يا أهل غزة يا حماس يا إسماعيل هنية وصحبه الأبرار فأنتم –إن شاء الله– الطائفة التي عناها رسول الله ﷺ حين قال:

«لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ».

---

(١) عليه رحمة الله ورضوانه.

القدس .. وغزة .. وبغداد.. عروس عروبتكم

ها نحن أولئك مرة أخرى يا سويداء القلب يا فلذة الكبد يا مهجة الروح يا فلسطين الحبيبة .. نتجرع السم وما هو أقسى وما هو أنكى .. نتجرعه بأعيننا التي ترى الدم والأشلاء وبآذاننا التي تصمّها الانفجارات والأصداء وبمشهد من لم تمزقه القنابل والشظايا من نسائنا وأطفالنا بعد أن تهدمت منازلهم في العراء حيث لا يجدي عزاء ولا يروي بكاء.

لكننا من وسط الجحيم الدنيوي وخذلان الكلاب الملوك والملوك الدمى نقسم غير حانثين أنك يا إسرائيل سوف تبكين الدموع دما ولات ساعة ندم. نقسم أننا سنقتضي منك ما فقدنا .. مقابل الأشلاء أشلاء ومقابل الدماء دماء ومقابل الكبرياء المطعون كبرياءً ومقابل الذل ذلا ومقابل الموت موتا ومقابل الخوف خوفا ومقابل فزع الصغار فزعا ومقابل الحصار حصارا ومقابل العطش عطشا ومقابل الجوع جوعا ومقابل صمودنا أمامك لن نرضى منك إلا بالاستسلام والركوع ..

أقسم بالدم وبالنار ..

أقسم بألم وعذاب تلك الطفلة التي تحولت إلى أشلاء وهي لا تدرك لماذا ..

أقسم بشحوب ذلك الطفل الذي يشي بأنه فقد نصف دمه بعد إصابته وليس ثمة دماء ولا وسيلة إسعاف .. لأن «أباتشي» العالم المتحضر تقصف سيارات الإسعاف ..

أقسم بمبتورة الساقين ومسمول العينين ومثقوبة القلب ومجذوذ الرأس وبالممزقين تحت كتل الأسمنت والمخنوقين بأكداس الرماد ..

أقسم بالأجداث الجثث الطاهرة التي نهشتها الكلاب بعد أن قتلتموها .. والكلاب أقل دنسا منكم ..

أقسم بدم ذلك الجندي الفلسطيني الشهيد الذي لخص إيمان هذه الأمة وقدرتها العبقرية على المقاومة حتى النصر .. فحين أدرك أن الموت به يحيق وأن الحياة تضيق وليس في الوقت متسع فاستغل الثواني الباقية من عمره في نطق أغلى كلمة في الوجود: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

أقسم بأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

أقسم ببكاء الأطفال المروعين ..

أقسم بملامحهم وقد ماتوا مبتسمين ..

أقسم بلهفة الأمهات الثكلى وبفجيعة الأرامل ودموع الآباء إذ يتفحصون أشلاء كانت أبناء ..

أقسم بوجه بلا ملامح ..

أقسم بالدم المتخثر ..

أقسم بشلو لن نعرف أبدا لمن هو ..

أقسم بالألم .. أن لن ينفعكم ندم .. وستتمنون يومئذ العدم ..

أقسم بالعدل ..

أقسم بمن حرم الظلم على نفسه ..

أن تكون نهايتك يا إسرائيل على أيدي أبنائنا ..

أيد تشهد بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله ..

أيد متوضئة ..

أقسم بأن نستأصل شأفتك من الدنيا فلا تعودين إلى تدنيسها أبدا ..

أقسم بأن نرفض حلول الدولة والدولتين .. وأن ننتقم للتاريخ وللجغرافيا وللبشرية جمعاء ..

نعم ..

ستدفعون الثمن ..

لكن الثمن الذي دفعناه نحن دون أن نهلك.. سيفقدك يا إسرائيل أبناءك وأهلك .

أنا حزين حتى الموت ..

وغاضب حتى الموت ..

وعاجز حتى الموت ..

بل إن مشهدا واحدا مما أراه أقسى من الموت ..

حزين وغاضب وعاجز .. لكنني لست يائسا أبدا ..

بل أحذر وأنذر وأبشر بالدمار والخراب وبالهلاك ..

ليس لإسرائيل فقط ..

بل للكلاب الملوك وللملوك الدمى .. ولحاشيتهم من الخنازير والجرذان والدعار والداعرات .. في الماضي والحاضر والمستقبل.

***

نعم .. الويل للكلاب الملوك وللملوك الدمى ..

الويل لهم ..

خانوا الله وخانوا المسلمين وخانوا الأمة وخانوا الدولة وخانوا الشعب.

إلا أنهم وقد طمس الله على أبصارهم لا يدركون ضراوة المتغيرات التي ستسحقهم سحقا ..

لا يدركون أن القواعد كلها تتغير ..

وأن زمن الخمر ولّى وبقي زمن الأمر ..

في البداية كان الناس يخرجون إلى المظاهرات ليعبروا عن آرائهم وليبرئوا ذمتهم أمام الله .. الآن بعد أن حاض الملوك وأدركت حمى النفاس الجيوش سيخرج الناس العزل وهم يدركون أنهم جيش الدفاع الوحيد .. ويوم يحدث ذلك- وقد اقترب- ستنقلب الأمور رأسا على عقب.

لا يدرك الطغاة الأغبياء أنهم بعد كل أكاذيبهم لم يعد حاجز الخوف ولا الحياء يحجز عنهم رعاياهم وقد بدأ الناس فعلا يجاهرون بالحديث عن الملك الكذاب والرئيس المخادع والأمير اللص.

ثم إن هؤلاء الطغاة أوغلوا في موالاة الكفار بعيدا بعيدا .. وقد اقتربت المفاصلة بينهم وبين علماء الأمة من المجاهدين .. ساعتها ستصدر الفتوى بكفر الحاكم .. وستعود الأمور إلى سيرتها الأولي كي يكون الإسلام حاكما مسيطرا لا مطاردا محاصرا .. ويومئذ ستكون المشانق مآلات الملوك والرؤساء والأمراء .. وليس المجاهدين.

أجل ..

لقد نفد صبر الأمة ..

وقواعد الحركة تتغير الآن .. والإسلام يتقدم ..

إن المؤرخ البريطاني الأشهر أرنولد توينبي يعتبر أن المعتقد السياسي كالشيوعية

سلاح كالقنابل والطائرات والمدافع بل إنه يفوق بقوته أخطر الأسلحة المادية.

تويني يقول هذا عن معتقد بشري فما بالك إن كان هذا المعتقد إلهيا ..

ما بالك إذا كان الإسلام ..

وماذا تقولون في حكام جردوا أمتهم من أقوى أسلحتها ثم راحوا يحذرونها من الجهاد لأنه انتحار.

ثم يزعمون التحضر بالبعد عن الدين وإسرائيل كلها أسطورة دين محرف كاذبة فاحشة والمجرم الكذاب بوش يدعي أنه يوحى إليه .. ويزعم المجرم أن: المسيح هو المفكر المفضل لديه لأنه «أنقذ قلبي» وحالما تسلم السلطة أعلن يوم ٢٠ يناير ٢٠٠١ يوما وطنيا للصلاة. يزعم المجرم أن ثمة كتابا وحيدا حرص على قراءته سطرا سطرا، وبتركيز شديد، وأحدث فيه تغييرات جذرية على مستوى الشخصية والنظرة إلى العالم، انه كتاب الانجيل الذي قرأه وهو يشارف على الأربعين من العمر. عالم جورج بوش السري- أريك لوران

يبدوا أن من يزعمون أنه المسيح صاحب الإنجيل المحرف هو الذي يلهم قلوب حكامنا أيضا .. وينقذها لكن من الإيمان ..

صدقت يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم .. فحكامنا ونخبتنا يتبعون سنن اليهود والصليبيين والمشركين حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ..

أما جيوشنا فلم تعد لأعدائنا ..

لقد تورط وزير غبي ليهين جيشنا قائلا أننا أعددناه لمواجهة حسن نصر الله (وليس إسرائيل) .. فليس لجيوشنا إذن من وظيفة سوى التصدي للمجاهدين وحماية الظالمين وتأمين حدود إسرائيل ..

***

الويل للكلاب الملوك وللملوك الدّمى ..

والويل أيضا لشيوخ النفاق والشقاق والجهل ..

لقد كنت أتجنب طيلة الوقت الحديث عن تقاريرَ منشورةٍ للمخابرات الأمريكية تتحدث عن أن الطريقة الوحيدة لمواجهة الجهاد (الذي يسمونه إرهابا) هي دفع بعض

الجماعات السلفية إلى إدانته .. كان ما عندي أكثر من شبهات لكنني كنت أطوي جرحي على صديده ..

وأنا سلفي وحازم صلاح أبو إسماعيل سلفي ومحمد حسان سلفي وصفوت حجازي سلفي ووجدي غنيم سلفي وعائض القرني سلفي وعبدالرحمن البراك سلفي وسلمان العودة سلفي وناصر العمر سلفي .. وأسامة بن لادن سلفي .. وكلّ التّابعين سلفيون .. والحق أقول أن هؤلاء جميعا أحسبهم على خير ولقد وقفوا من قصف غزة موقفا أرجو أن يجدوه في ميزان حسناتهم يوم القيامة .. لكن مجموعة تسربت إلى صفوف السلفيين – كيف؟ .. لا أدرى- راحت تطعن الأمة في أمانيها نفاقا للطاغوت .. وربما كنت –غيرة على الفكر السلفي العظيم- أتجنب الحديث عن الدرك الأسفل الذي هبط إليه هذا البعض من السلفيين .. أما الشيخ محمد حسين يعقوب فلا أقول له إلا: غفر الله لك .. وعوّضك عن رصيدك الذي فقدته كله.

بعض هذا البعض لم يدرك تداعيات الصحوة التي صهرها نابالم الغارات .. إن الناس لم تعد تستمع لتنبهر بل لتحكم على القائل مهما كانت درجته .. تستمع إليه لتحكم عليه: هل هو من أولياء الله أم أولياء الشيطان؟؟.

كنت أتابع هذا البعض في مصر- حيث شيخ الأزهر- وفي السعودية وفي أنحاء عديدة من العالم الإسلامي.

وكنت أرقب بعين الدهشة مساحة الحرية المتاحة لهم بل واختراقهم الخطوط الحمراء بإنشاء فضائيات تتبعهم ..

وكنت أقول لنفسي: مهما كانت الأخطاء فسوف يمر الزمن وستنصلح الأخطاء وستنتشر الدعوة .. وكنت أفسر الحرية المتاحة لهم في مصر بأنه تخطيط غبي للأمن لكي يواجهوا بهم الإخوان المسلمين .. وكنت أقول لنفسي: فليكن .. فالإسلام هو الذي يكسب في النهاية.

إن الكتلة الرئيسية للسلفيين عليها أن تبرأ إلى الله من هؤلاء الذين ينحصرون بين الجهل والغباء والنفاق ..

وا أسفاه عليهم ..

فليقولوا في الإخوان المسلمين ما شاءوا وسنوافقهم ..

وليقولوا في الشيعة ما شاءوا وسنوافقهم ..

ولكن ماذا يقولون فيما يحدث في غزة ..

أليسوا سنة ..

أليسوا مجاهدين ..

أليسوا –حتى– ضحايا يجب علينا نجدتهم حتى لو لم يكونوا مسلمين .. فما بالكم إن لم يكونوا مسلمين فقط .. بل هم الفئة المنصورة التي أخبرنا عنها حبيبنا المصطفي صلى الله عليه وسلم ...

لماذا اندفع بعضكم كالثيران العمياء تثلم الإسلام وتنافق الحكام وتتبع الشيطان ..

وهل كان الرد على الوحشية المسعورة لليهود في غزة أن تعلن أجهزة إعلامنا الحرب على الشيعة؟!

هل اقتصر جهادكم على إعلان الحرب على الشيخ حسن نصر الله وعلى ما تنسجونه من أكاذيب سمجة مهملين الفروق الحقيقية الجوهرية التي ينبغي فعلا مناقشتها لكن ليس على شاشات الفضائيات أو صفحات الصحف .. ..

شاهت الوجوه .. شاهت الوجوه .. شاهت الوجوه ..

يعلم القارئ الذي يتابعني أنني سلفي .. بل ونصرت الشيخ يوسف القرضاوي في موقفه الفكري مع الشيعة نصرا مؤزرا – رغم التحفظات–.

أنا السلفي أقول لكم يا بعض أدعياء السلفية: شاهت وجوهكم ..

وا أسفا عليكم .. وا أسفا عليكم .. وا أسفا عليكم ..

***

نعم .. الويل للكلاب الملوك وللملوك الدمى ..

والويل أيضا لكتاب النفاق والشقاق والجهل ..

الويل لكتاب المارينز ..

الويل لكتاب يستأجرون كالداعرات ..

الويل لكتاب الجهل والأخطاء المتراكمة ..

الويل لتلك الطغمة ..

لكن خياناتهم لم تعد تؤلم من فرط ما خانوا ..

بيد أن أمرين كانا جديرين بالانتباه:

صلاح عيسى .. ورغم أن مواقفه ترفعه إلى أن يكون مصدرا جديدا لأفعل تفضيل عربي مثل أحلم من الأحنف وأحمق من هبنقة وأطمع من أشعب وأكذب من مسيلمة وأعز من كليب بن وائل ... ليقال أكثر تلونا وتقلبا من صلاح عيسى ..

صلاح عيسى مهما كان ازدرائي لمواقفه إلا أنه مثقف بالمعنى الغربي .. فكيف رضي لكرامته أن يكون مثل البلطجية الذين يستدعيهم رئيس جامعة عين شمس لمواجهة الإسلاميين بالسنج والمطاوي ..

كيف رضى لكرامته أن يكون كبلطجية الحزب الوطني الذين يتصدون للشرفاء لتلويثهم والتحرش بهم ..

إنه يجلس تحت الطلب ليكون أول متحدث في أي أمر يتعلق بالهجوم على الإسلام.

فكيف لم تأب عليه كرامته ..

الشخص الآخر الذي ظهر فجأة-وأنا أرتاب جدا ممن يظهرون فجأة مهما بدوا معارضين- اسمه أحمد المسلماني .. وكان أول معرفتي به هجوم بعض الصحافيين من زملائه عليه لأنه الصديق الصدوق للخائن محمد دحلان .. بل اتهمه زملاؤه- ومنهم الأستاذ محمود سلطان رئيس تحرير «المصريون» بأن بيت المسلماني هو منزل دحلان الأثير عندما يأتي إلى مصر. لذلك لم يكن غريبا عليّ أن يبدي المسلماني خلاف ما يبطن أثناء المجزرة في غزة وهو يتحدث عن الهزيمة العسكرية الساحقة لحماس .. لم أهتم لذلك .. على العكس .. ابتسمت سخرية وازدراء .. ورحت أتمتم: « بسم الله الرحمن الرحيم .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ ﴾ [آل عمران].

أما ما دفعني إلى الغثيان قبلها بأيام فهو ما كتبته في ملاحظاتي:

كلما بلغت آفاق الكذب ذروة تساءلت في دهشة هل توجد ذرى أعلى ..

تفوق القومي الناصري أحمد المسلماني على الجميع ليكشف لنا أن أنفاق غزة لا تستخدم لتهريب الطعام للجوعى والسلاح للمجاهدين بل لتهريب البانجو والحشيش

وكل أنواع المخدرات والرقيق الأبيض إلى غـزة!!! (والكـلام منقـول عـن المسـلماني حرفيا).

هل رأيتم كذبا أبشع من هذا وأفجر ..

هل ما زلتم تندهشون لحجم الهزيمة الهائلة عام ٦٧ على يد آلهته الذين كذبوا كـذبا فاجرا وصدقوا أنفسهم حتى جاءت القارعة التي مازلنا نكتوي بلظاها.

بقي أن نقـول أن المسـلماني يـربط بـين أمـرين يبـدوان في الظـاهر-علـى عكـس الحقيقة- أنهما متناقضان. إنه أحـد عبـدة عبدالناصـر .. ثـم إنـه الصـديق الصـدوق للخائن محمد دحلان.

واللهم ارحم أروى صالح التي تنبأت بشفافية مذهلة منـذ عشـرين عامـا أن المـآل الطبيعي للناصريين هو أن ينتهوا على حجر إسرائيل.

فقط .. أريد أن أضيف هنا ما تناقلته الصحف تحـت عنـوان « بتواطـؤ مصـري .. دحلان اجتمع قبل أسابيع مع الصـهاينة لإنضـاج مـؤامرة العـدوان علـى غـزة» عـن تصريحات الإعلامي المصري المتخصص بالشأن الفلسـطيني، إبـراهيم الـدراوي بشـأن الاجتماع الذي عُقد في مدينة رام الله بالضفة الغربية، وحضره محمـد دحـلان وتم فيـه تقديم معلومات دقيقة عن المقار الأمنية والعسكرية التي تستخدمها «حمـاس» في قطـاع غزة، والتي تم استهدافها لاحقاً في القصف الجوي الذي بدأ منذ يوم السـبت الماضـي، حيث طالب دحلان الأمريكيين والصهاينة بتوجيه «ضـربة موجعـة» لا يمكـن بعـدها لـ «حماس» أن تنهض، أما إذا كانت الضـربة عـابرة فـإنّ «حمـاس» سـتعود أقـوى ممـا كانت، وفق روايته. وقد ذكرت بعض المصادر أن دحلان أجرى اتصالا مع أحد كبـار المسئولين في المخابرات العامة المصرية لينقل رسالة إلى عمر سليمان مفادها أنه أجـرى اتصالات مع مسؤولين في الولايات المتحدة ومع بريطانيا وفرنسـا وكـذلك مـع مـدير المخابرات الأردنية، وأنه على استعداد للقيام بمبادرة لإنقاذ قطاع غزة. دحلان وصـل سراً إلى القاهرة يوم أول أمس بعد جولة قام بهـا في إحـدى الـدول الأوروبيـة، وقـد رفض مقابلة الصحفيين لكنه أبلغ مسئولا أمنياً مصـرياً أنـه يتوقـع أن يشـهد القطـاع حالة من الفوضى وأن تخرج الناس إلى الشـوارع لإسـقاط سـلطة حمـاس. المختصـر: ٢/ ١/ ١٤٣٠ الموافق ٣٠-١٢-٢٠٠٨

ترى .. لماذا لم يتحفنا المسلماني بحديث مع دحلان .. ولماذا لم يعـرض –كبهـارات

صحافية- صورة الداعرات اللائي هُرِّبن إلى غزة .. أو صورة قضية واحدة من قضايا تهريب المخدرات عبر الأنفاق.

أما المهزلة حقا فهي أن دحلان - صديق المسلماني - هو المتورط في تجارة الرقيق الأبيض والمخدرات.

***

كان أداء الإعلام المصري مخزيا إلى أبعد حد .. إلى الدرجة التي سمعت فيها من الكثيرين من شبابنا في الخارج أنهم يخجلون من كونهم مصريين .. وأن زملاءهم من الأجانب ينظرون إليهم بمنتهى الاحتقار متسائلين شامتين:

لماذا لا تساعدون إخوتكم في غزة؟ .. لماذا لا تفتحون معبر رفح؟ ..

سقطت النخبة وسقطت القيادة وفقدنا ورقة التوت الأخيرة ولا ورق نخصفه إلا أوراق العجز التي لا تصلح لستر عورة لأنها هي بذاتها عورة ..

ولقد اضطروا في اليوم الثالث إلى إخراج الرئيس بنفسه كي يمتص غضب الناس .. ولقد أساء مستشارو الرئيس إليه كثيرا .. من الناحية المجردة بدا كملك وحيد على رقعة شطرنج سقط منه فيها كل جنوده وضباطه وكان عليه أن يواجه وحيدا في معركة يائسة فالهزيمة فيها مسألة وقت .. ومن الناحية الواقعية فقد كان عليهم وقد عرّضوا الرئيس لهذا الموقف المهين أن يضعوا على لسانه حلولا وتصورات جديدة .. لكنه خرج ليكرر ما قاله قبله وزراؤه ومستشاروه. إن الناس لم ترفض كلام المستشارين والوزراء لأنهم ثقيلي الظل أو أغبياء .. ولكن لأن تصوراتهم غبية وجاهلة وخاطئة وخائنة .. ثم إنهم يكذبون وهم يعرفون أنهم يكذبون .. وما كان من مستشاري السوء إلا أن جعلوا الرئيس يتعرض لهجوم ضار مهين كان الأولى- مادام لن يغير موقفه- أن يقف مستشارو السوء دونه يحتملون ازدراء الناس واتهاماتهم وسخريتهم نيابة عنه.

***

كان الأداء مخزيا .. وبدت سفالات بعض الكتاب مستفزة حتى صاح صديق:

أكاد أجن .. هل هؤلاء كتاب أم حيوانات .. إنني أقترح تقييما جديدا لهؤلاء الكتاب مقارنة بتقييم محرك السيارات حين نقول أن محرك هذه السيارة سبعون حصانا أو مائة حصان .. أقترح تقييم قوة هؤلاء الكتاب فنقول أن قوة هذا الكاتب خمسين

حمار أو مائة حمار أو ألف حمار.

وقلت لصديقي وقد أثقلت قلبي الهموم:

لم يترك الألم في قلبي متسعا لابتسامة على سخريتك ..

فأجاب على الفور:

لكنني لا أسخر .. إنني جاد.

***

على قناتي المحور ودريم كان الأمر مأساويا (ولا تنسوا أن مجرد التصريح بالقناتين يحمل دليل الإدانة ولا أقول شبهات) ..

كان معتز في برنامجه تسعين دقيقة متسقا تماما مع نفسه .. شاب حداثي «براجماتي» ذرائعي ومذيع صاحب حضور بغض النظر عن مواقفه .. وهو مبهور بأمريكا لذلك كان طبيعيا أن يهاجم حماس منذ اللحظة الأولى .. وقد استدعى بعض المثقفين ليهاجموها معه أو نيابة عنه .. بدوا كبلطجية الانتخابات وأولئك الذين تحرشوا بالصحافيات والقضاة .. كان معتز يصر على استنطاق الناس لإدانة من يريد إدانته .. كان يصر بنبرة تهديدية على الحصول على اعتراف بإدانة الشيخ حسن نصر الله ..

تخيلت أنه يهددهم:

- معنا أو علينا .. هذا أو جوانتانمو .. هذا أو جوانتانمو ..

ورحت أكرر ذلك المقطع الدامي من قصيدة مظفر النواب: «وتريات ليلية»:

والنخلة قالت والأنهر قالت, فتحملت .. تحملت

وشق الجمع

وهبت نسمات أعرف كيف أفيق عليها

بين الغيبوبة والصحو تماوج وجه فلسطين

فهذي المتكبرة الثاكل

تحضر حين يعذب أي غريب

أسندني الصبر المعجز في عينيها

فنهضت:

وقفت أمام الجلاد

بصقت عليه من الأنف إلى القدمين

فدقت رأسي ثانية بالأرض

وجيء بكرسي .. حفرت هوة رعب فيه

ومزقت الأثواب عليّ

ابتسم الجلاد كأن عناكب قد هربت

أمسكني من كتفي وقال

على هذا الكرسي خصينا بعض رفاق

فاعترف الآن

على هذا الكرسي .. اعترف الآن ..

اعترف الآن ..

اعترف .. اعترف .. اعترف الآن ..

عرقت .. وأحسست بأوجاع في كل مكان من جسدي

***

- اعترف الآن ..

وأحسست بأوجاع في الحائط

أوجاع في الغابات وفي الأنهار وفي الإنسان الأول.

***

تركت قناة المحور إلى قناة دريم (التي لا أكف عن الدعاء على صاحبها أن يحشره الله مع جمال البنا الذي يقدمه ككاتب كبير .. وهو الذي حكم مجمع البحوث الإسلامية لا بجهله فقط .. بل بكفر فكره).

بدت منى الشاذلى كأسيرة أو رهينة .. كانت أفضل قليلا من معتز .. لكنها بدت مرغمة على حديث أمرت به وكأنما خلف الكواليس مخبر أمن دولة يصوب إليها مسدسه.

قلت لنفسي أنه من المؤكد أن مخبر أمن دولة هو الذي يسير العمل في وزارتي الإعلام والثقافة .. بل إنه هو الرئيس الحقيقي وما الوزير سوى مساعد.

لم يكن عندي بقية احتمال لكي أشاهد القنوات الحكومية .. لكنني أدركت أن الجهد الذي بذلته السلطة أعواما كي تنشئ فضائيات تسحب بعض مشاهدي قناة الجزيرة قد أهدر كله في لحظة .. لو كانوا أذكياء لتركوا تلك الفضائيات تزايد حتى على الجزيرة .. لكنهن كشفوا الستر عنها فبانت عورتهم!

***

لقد قلت لكم يا قراء قبل ذلك أن صحيفة المصري اليوم أكثر الصحف في مصر مهنية وحرفية، وهذا لا يعني أبدا أنها أكثرها صدقا. ولقد نبهتكم إلى أنها تشكل نوعا من الخلايا النائمة، تسعى لاكتساب القارئ طول العام مقابل أن تسرب له كذبة أو كذبتين في أوقات فاصلة يكون للكذبة فيها تأثيرها الهائل .. ليس من قيمة المعلومة التي في الكذبة .. ولكن لأن جهازا ما هو الذي يسرب هذه الكذبة لتنشر وسط سيناريو كامل سابق ولاحق. ولتتذكروا فرية ميليشيات الإخوان في الأزهر. ولنتأمل ما كتبته يوم ٩ / ١/ ٢٠٠٩ حول مقتل (وليس استشهاد) الرائد ياسر عيسوي، ضابط حرس الحدود المصري، الذي قتل على الحدود المصرية , ولقد علق الأستاذ فهمي هويدي على هذا الخبر مرات عديدة .. كان الخبر فضيحة .. فهو خبر أمني بامتياز ..

يقول الخبر:

المصري اليوم: / ١/ ٢٠٠٩

كشفت مصادر عن أن عملية «اغتيال» الرائد ياسر عيسوي، ضابط حرس الحدود المصري، الذي استشهد على الحدود المصرية ـ الفلسطينية مساء الأحد الماضي، تمت «بتعليمات من قيادات تابعة لحركة حماس»، مؤكدة أن الحركة أصدرت أوامر لعناصرها بـ«استهداف» قوات حرس الحدود المصرية.

وقالت المصادر: «أوامر قيادات حماس كانت تهدف إلى إشاعة الفوضى على الحدود مع مصر، وتسهيل اختراق عناصر المقاومة الأراضي المصرية، حيث كلفت إحدى مجموعاتها بتنفيذ اقتحام النقطة الحدودية المكلف بتأمينها الرائد ياسر عيسوي».

وأضافت: «بالفعل قفزت مجموعة من الملثمين الحاجز الحدودي، وكانوا يخفون سلاحهم، وعندما كشف الضابط المصري أمرهم قام بمواجهتهم دون سلاح، وعندما اقتربوا منه وطالبهم بتسليم أنفسهم، بادروه بطلقتين في قلبه، وأصابوا الجنديين المرافقين له ثم فروا هاربين».

ولنتأمل الخبر الذي لا مصدر له لنكتشف أنه لا يصلح لا متنا ولا سندا .. فإن كانوا قد فروا هاربين فكيف اكتشفت الصحيفة هذا السيناريو المحكم ..

انتهى الخبر ..

وهو خبر لا مصدر له ولا محرر ولا مرجع .. أما حقيقة الخبر فهو أن مجموعة من الفلسطينيين حاولت الهرب من جحيم المهالك داخل غزة فحاولت عبور المعبر فأطلق الضابط المصري الرصاص فبادلوه به .. وقتل الضابط وقتل فلسطيني وجرح تسعة فلسطينيين لكنهم لاذوا جميعا بالفرار فمن أين أتت «المصري اليوم» بالتفاصيل المصطنعة .. وكيف ولماذا صاغت الخبر بهذه الطريقة لكي نلعن حماس ونشيد بإسرائيل .. خبر أمريكي أو إسرائيلي ..

خبر أُمليَ على الصحيفة .. وأرجو أن يكون من أملاه مصريا! ..

وعلى أي حال فإنها طريقة تعيسة جدا ولم تعد تصلح في زمن الصحوة.

ومن ناحية مهنية بحتة فإن الخبر بهذه الطريقة فضيحة .. ثم إنه –خاصة بعد فتوى العلماء– سيؤثر عكسيا .. وبغض النظر عن الصواب والخطأ .. فإن الذي سيقرر ويتصرف لا يقرأ المصري اليوم ولا روز اليوسف ولا أسامة سرايا ولا الأخبار والجمهورية .. الذين يقرءون هذه وتلك عاجزون عن الفعل .. والقادرون على الفعل لا يقرأنها.

***

أما استجابة الدولة طبقا للسيناريو فقد كانت مثيرة للغثيان والسخرية في بلد تحمل –حتى قبل الإسلام– إحساسا عميقا بجلال الموت .. ولم يكن يتسق مع هذا الجلال أن توزع في جنازة الضابط مئات اللافتات التي تدين حماس .. ولما سأل مندوبو وكالات الأنباء حاملي هذه اللافتات من أين أتوا بها أخبروهم أنهم وزعوها عليهم في قسم الشرطة!!

كم كان ذلك خسيسا ووضيعا ومهينا ..

لم يفهم هؤلاء ولا أولئك أن حماس قد انتصرت بمجرد الصمود حتى البداية وليس حتى النهاية ..

وأنها انتصرت حتى لو استشهد أهلنا في غزة جميعا ..

لأن دماء الشهداء ستحرق الخونة والغاصبين.

لم يفهموا لأنهم صم بكم عمي فهم لا يفقهون ..

لكم كان مهينا أن أقرأ أن من بين مخاوف إسرائيل من مضاعفات هجومها على غزة أنها-أي إسرائيل- تدرك مدى هشاشة موقف أصدقائها من حكام الدول العربية وأنها تخشى من ثورة بلادهم عليهم!!

***

الويل للكلاب الملوك وللملوك الدمى ..

الويل لمن خان ولمن خدع ..

الويل لمن وصمونا بالإرهاب وزعموا أن الآخر متحضر وأننا متخلفون متوحشون برابرة همج ..

لم يكونوا قادة ولا كتابا بل كانوا قوادين وداعرات ..

لقد اضطررت إلى قراءة كتاب علمي رصين بعنوان: «سيكلوجية البغاء» كي أفهم منهج وسلوك بعض كتابنا.

لكن .. هل يحتاج القارئ الآن إلى دليل إضافي يوضح له من هو المجرم ومن هو الإرهابي؟! ..

هل يحتاج إلى أكثر.

أم يحتاج القارئ إلى من يطفئ لهيب أتون النار المتأججة من ارتكاب أبشع جرائم التاريخ ضده ثم اتهامه هو بالإرهاب.

يا إلهي

صدق الله العظيم .. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾..

أقارن ما ينسبونه زورا إلينا وما يفعلونه ..

أري الحاضر في الماضي والماضي في الحاضر فالإجرام هو نفس الإجرام ..

ونحن الآن في لحظة محورية يعاد فيها قراءة الحاضر والماضي وتحديد المواقع .. بل وتتغير قواعد الصراع كلها ..

الآن يتحدد التشخيص ويتجدد ..

وما كان قبل الآن اشتباه خيانة هو اليوم خيانة صريحة ..

وما كان سوء فهم هو اليوم تعمد مع سبق الإصرار والترصد ..

فالنيران المسكوبة على غزة تشبه تحليل الحمض النووي الذي يفصل بين أبناء الحلال وأبناء السفاح .. بين حكام الحلال – وإن أساءوا- وحكام السفاح مهما ناوروا ..

ما يحدث اليوم ليس جديدا بل هو تكريس وتأكيد للماضي كله ..

ما يحدث اليوم هو الدليل الأخير على أن إجرام اليهود – ومن والاهم- ليس أمرا عارضا بل هو أمر متجذر في التاريخ وما كان أجدرنا أن نؤمن بذلك منذ البداية .. فقد نبأنا به القرآن وكشفته لنا الأحاديث النبوية الشريفة.

نعم .. الجريمة عند اليهود- ولا أقول الصهاينة- كاملة شاملة تشمل الجانب العقائدي الفكري النظري السياسي والجانب الواقعي العملي الدموي المرعب وكذلك جانب الإعلام حيث يلبسون الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق.

لا فرق بين يهود اليوم ويهود الأمس ..

ولا فرق لدى اليهود بين يمين ويسار وحمائم وصقور فالكل سواء يعمل بوحي من تعاليم التوراة والتلمود.

إنهم مجرمون لأن تعاليم دينهم المحرف تحضضهم على أن يكونوا مجرمين .. وتعدهم بمرضاة الرب-بل الشيطان- إن كانوا مجرمين .. تعاليم دينهم المحرف تحضهم على أن يكونوا غلاظا قساة وأن تكون حروبهم مدمرة تشتمل على العنف والإرهاب والقتل والحرق والنهب والصلب والرجم والتدمير بكل أشكاله.

يقول لهم دينهم الشيطاني المحرف المكذوب أن قيمة اليهودي عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أميٌّ إسرائيليا فكأنما ضرب العزة الإلهية لأن اليهودي جزء منه كالابن من أبيه.

هذه الأمة المجرمة أنى كانت تعتقد أن خيرات الأرض لهم وكل ما في أيدي الناس ملكهم، وأن الله سلطهم على أموال الأمم الأخرى ودمائهم، ولليهودي سرقة

الأجنبي وغشه وأخذ ماله بالربا الفاحش. وقتل اليهودي للأمي لا يعد جريمة في نظرهم بل فعل يرضي الله، وجرائمهم مع الناس قربات يثيبهم الله عليها، ولا يجوز لليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من الهلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها والزنا بغير اليهودي ذكورا كانوا أم إناثا لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات والمرأة التي ليست من بني إسرائيل كالبهيمة، ومن واجبهم معاملة الناس كالبهائم.

ينبئهم دينهم الشيطاني المحرف : أن أرض فلسطين - بل الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات - وعد إلهي لهم على مدار الزمان منذ إبراهيم وإسحاق ويعقوب خالصة لهم من دون الناس.

يحضهم دينهم الشيطاني المحرف على ممارسة الحروب بسياسة الأرض المحروقة ويستعملون لذلك جميع أنواع الأسلحة دون ضابط ويوجهونها للصغير والكبير والرجل والمرأة والإنسان والحيوان والمنزل والمزرعة.

يتعلمون عن يوشع-عليه السلام- أن الذي يقتل أكثر هو الذي يبقى في النهاية حيا (وأظنه بريء مما يزعمون إلا أن الفيصل هنا ليس ما فعل بل ما يزعمون أنه فعل).

أرأيتم أي إجرام ..

لا أريد أن أغرق القارئ في مئات بل آلاف النصوص المحرفة في التوراة والتلمود والتي حولتهم بحق من عباد لله إلى عبدة للشيطان .. ولكن باختصار شديد تأمرهم التوراة المحرفة -وحاش لله أن تأمرهم التوراة الحقيقية بذلك- بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال والبهائم في المدن القريبة .. أما في البلاد البعيدة فتأمرهم بقتل الجميع دون استثناء ولا تمييز بين رجل وامرأة وشيخ وصغير. جاء في سفر التثنية: « وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست في مدن هؤلاء الأمم هنا، أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منهم نسمة بل تُحرِّمها تحريما الحيثيين والأمويين والكنعانيين والفرزين والحوين والبؤسيين كما أمرك الرب إلهك لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطؤوا إلى الرب إلهكم.

ثم نتهم نحن بالإرهاب ويطالبنا الأمريكيون بأن نغير القرآن!

مجرمون ورب الكعبة ..

كلهم مجرمون ..

الآباء والأجداد والأبناء والأحفاد كلهم مجرمون ..

إياكم أن تتورطوا يا قراء في فرية التفرقة بين الشعب والإدارة

كلهم مجرمون ..

وعبر التاريخ كانوا دائما مجرمين كما سيقرأ القارئ بنفسه في المعلومات التالية ..

***

يقول مناحم بيجين (في كتابه الثورة):« ينبغي عليكم أيها الإسرائيليون أن لا تلينوا أبدا عندما تقتلون أعدائكم، ينبغي أن لا تأخذكم بهم رحمة حتى ندمر ما يسمى بالثقافة العربية التي سنبني على أنقاضها حضارتنا » ويقول أيضا : « الفلسطينيون مجرد صراصير يجب سحقها».

ويقول بنيامين ناتنياهو في كتابه « مكان تحت الشمس »:

«لا نؤمن بوسيلة سوى القوة والعنف والإرهاب الدموي بأبشع أشكاله من أجل تحقيق أهدافنا وأفكارنا ومعتقداتنا في أرض إسرائيل الكاملة أو في الدولة اليهودية أو في إسرائيل قوية مهيمنة على المنطقة».

***

أتأمل ردود فعل حكامنا ..

لا يختلفون عن بيجن ولا نتنياهو

لكن بيجن ونتنياهو يستحقان قدرا أكبر من الاحترام أو قدرا أقل من الازدراء .. إنهما لصان يعملان لصالح أهلهم بينما حكامنا لصوص يبيعون أمتهم وأوطانهم .. ثم يسيمون من يعترض عليهم سوء العذاب.

أصرخ مع محمد عفيفي مطر:

- إن الكلاب ملوك، والملوك دمى ..

والأرض تحت جيوش الروم تنجرف ..

إنهم يعذبونه (تعذيبا حقيقيا وسجنا حقيقيا وليس خيال شاعر) فيصرخ:

دهر من الظلمات أم هي ليلة جمعت سواد الكحل والقطران من رهج الفواجع في

الدهور ..

عيناك تحت عصابة عقدت وساخت في عظام الرأس عقدتها ..

و أنت مجندل يا آخر الأسرى ولست بمفتدى ..

فبلادك انعصفت وسيق هواؤها وترابها سبيا ..

وهذا الليل يبدأ ..

...

تحت جفنيك البلاد تكومت كرتين من لحم الصديد ..

الليل يبدأ ..

والشموس شظيّة البرق الذي يهوي على عينيك من ملكوته العالي ..

فتصرخ، لا تغاث بغير أن ينحلّ وجهك جيفة تعلو روائحها فتعرف أن هذا الليل يبدأ ..

...

هذا الليل يبدأ ..

فابتدئ موتا لحلمك وابتدع حلما لموتك ..

أيها الجسد الصبور ..

***

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب.

كان ذلك في ٢١/٨/١٩٦٩م على يد شاب مجرم اسمه مايكل روهان حرق منبر صلاح الدين بأكمله في المسجد الأقصى وحرق السطح الشرقي الجنوبي للمسجد، بلغت مساحة الجزء المحترق في المسجد ١٥٠٠ م٢ من أصل المساحة الكلية البالغة ٤٤٠٠م٢ أي ثلث مساحة المسجد الأقصى. وقد قطعت سلطات بلدية القدس الماء في نفس يوم الحريق عن المسجد الأقصى لمنع إطفاء الحريق.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب مع الاستيلاء على حائط البراق ومع زيارة المجرم شارون يوم ٢٨/٩/٢٠٠٠م للمسجد الأقصى بحجه السياحة في محاولة لجس نبض المسلمين واستكشاف ردة الفعل لديهم لتقدير هل الوقت مناسب لتنفيذ أفكاره الشيطانية لهدم المسجد الأقصى أم لا، فكان هذا الفعل هو الشرارة التي فجرت الانتفاضة المباركة الثانية والتي سميت « بانتفاضه الأقصى.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب.

مع الهجمة الاستيطانية الشرسة على أرض فلسطين واقتطاع ٨٠٪ من أراضيها لإقامة الدولة اليهودية عليها عام ١٩٤٨م وهدم ٥٠٠ قرية وتهجير أهلها منها قام اليهود بهدم الجزء الأكبر من مساجد قرى ومدن فلسطين المغتصبة عام ٤٨، وما تبقى منها حولوه إلى كنس يهودية أو حانات للخمور والرقص وغير ذلك من الأغراض المستقذرة، وبعد احتلال بقية فلسطين عام ١٩٦٧م بدأ اليهود بالاستيلاء تدريجيا على المسجد الإبراهيمي في الخليل، وكذلك الاستيلاء على الحي المجاور وإقامة مستوطنة في قلب مدينة الخليل، وتدريجياً أصبح المسجد في معظمه كنيسا يهوديا وضعوا فيه نسخاً من التوراة، ويؤدون فيه الصلاة ويقفلونه كليا في بعض الأحيان في وجه المسلمين، ولم يبق منه للمسلمين سوى مساحة صغيرة. وقد ارتكبوا فيه عام ٩٤م في صلاة الفجر من يوم الجمعة ١٥ رمضان مجزرة بشعة أثناء سجود المصلين راح ضحيتها عشرات القتلى والجرحى.

وعودة إلى ما تبقى من مساجد منطقة ٤٨ فقد تحول بعضها إلى مطاعم وحانات خمور كمسجد قيسارية ومسجد عين حوض في حيفا، وبعضها حوّله الصهاينة إلى مراقص وصالات للهو كمسجد السوق والمسجد الأحمر في مدينة صفد، وبعضها الآخر حُول إلى حظائر أبقار كمسجد حطين ومسجد عين الزيتون، كما تحوّل بعضها إلى كنس يهودية كمسجد طيرة الكرمل ومسجد النبي داود في القدس، أو إلى متحف كمسجد المجدل في عسقلان ومسجد البحر في طبريا، أو إلى ثكنة عسكرية كمسجد الطابي وغير ذلك من الأغراض والاستعمالات.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب.

تعرض القرآن الكريم الذي قال فيه الحق ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ للتمزيق على أيدي الجنود اليهود ثم استعمل لمسح البول والغائط، وقد وجدت أوراق من المصحف ملقاة على أرض الحمامات وتعلوها النجاسات في بعض المدارس التي استخدمها اليهود كمقرات للجيش أثناء الانتفاضة الأولى.

وتذكروا أن هذا تماما هو ما فعله الأمريكيون في جوانتانمو وأبي غريب .. وما فعله البريطانيون في الهند والفرنسيون في الجزائر ..

هذا ما فعله الغرب دائما.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب.

فقد قام جماعة من اليهود بطباعة أوراق رسموا فيها صورة لخنزير وكتبوا عليه محمد وألصقوها على جدران الشوارع والمنازل في الخليل عام ١٩٩٨م.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب.

فقد عمد اليهود إلى الاستيلاء على المقابر الإسلامية في القرى التي هدموها وهجروا أهلها.

وفي القدس على وجه الخصوص تم تجريفها والعبث برفات الموتى وتضم هذه المقابر التي دمرت رفات بعض الصحابة والتابعين والعلماء.

وفي القدس استمرت الحفريات تحت المسجد الأقصى المبارك تؤدي إلى تصدع خطير في الأبنية الإسلامية الملاصقة للسور الغربي.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب.

في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠ قام المجرم «هاري غولدمان» باقتحام المسجد الأقصى، وأخذ يطلق النيران بشكل عشوائي مما أدى إلى استشهاد مواطنان وجرح أكثر من ستين آخرين وبعدها ارتكبت القوات الإسرائيلية مجزرة داخل المسجد، مما أدى إلى استشهاد ٢٢ مصليا وإصابة أكثر من ٢٠٠ بجراح.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب

مع قيام شركة إسرائيلية للنبيذ بلصق صورة للقدس يتوسطها المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة على زجاجات النبيذ.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب

مع مذبحة الأقصى الثانية (انتفاضه النفق) ١٩٩٦م حيث وقعت اشتباكات عنيفة بين أبناء فلسطين المسلمين وجنود الاحتلال اليهودي في كافه أرجاء فلسطين دفاعاً عن المسجد الأقصى المبارك وقد أسفرت هذه المواجهات عن استشهاد أربعين فلسطينيا وإصابة المئات بعضهم جراحه خطيرة واستمرت هذه المواجهات ثلاثة أيام.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب

مع مذبحة المسجد الإبراهيمي ١٩٩٤م: ففي صلاة الفجر من يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤١٤هـ انطلق الرصاص كالمطر ودوّت أصوات انفجار القنابل اليدوية في المسجد الإبراهيمي والمصلون ساجدون، وحصد هذا الاعتداء اللئيم ٣٥٠ شخصاً

بين شهيد وجريح واشترك في هذا العمل الوحشي الذي لم يشهد له العالم مثيلا جنود الاحتلال وعدد من المستوطنين.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب

مع مذبحه الأقصى الثالثة ٢٠٠٠م حيث قام المجرم شارون بزيارة إلى المسجد الأقصى يوم الخميس ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠م فتصدى له الشباب المسلم وأفشلوا زيارته رغم أنه كان بحماية ٣٠٠٠ جندي إسرائيلي. وفي اليوم التالي الجمعة ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٠م قام جنود الاحتلال بفتح النيران على رؤوس المصلين قبل التسليم من صلاة الجمعة وجرت مواجهات في ساحات الأقصى بين المصلين وجنود الاحتلال أسفرت عن سبعة شهداء و٢٥٠ جريحا، ثم امتدت الاشتباكات إلى كل أرجاء فلسطين الضفة الغربية وقطاع غزه ومناطق الـ ٤٨، وقدم فيها المسلمون في الأرض المباركة مئات الشهداء وآلاف الجرحى دفاعا عن دينهم وأقصاهم.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب

مع مذبحة دير ياسين ١٩٤٨م: حيث تعرضت القرية لهجوم مسلح من عصابة الأرغون التي كان يرأسها مناحيم بيجين وعصابة شتيرن التي كان يرأسها إسحاق شامير وعصابة الهاجاناه التي كان يرأسها دافيد بن غوريون وكان ذلك يوم ١٠/ ٤/ ١٩٤٨م الساعة الثانية صباحا وقاتل أهل القرية وجرت بينهم وبين المهاجمين اشتباكات من بيت إلى بيت وقد أسفر هذا الهجوم عن ٢٥٠ قتيلا أكثرهم من النساء والأطفال والشيوخ، وقعت خلاله حوادث الاغتصاب والتمثيل وبقر بطون الحوامل وتفجير المنازل.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب

مع مذبحة كفر قاسم عام ١٩٥٦م: وكفر قاسم قرية عربية تقع غرب مدينه قلقيلية داخل الخط الأخضر، تعرضت يوم الاثنين ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦م لهجوم إرهابي من القوات الصهيونية، وكان ذلك في الخامسة مساء أثناء عودة أهل القرية من حقولهم، وقتل في هذه المجزرة ٤٩ شخصاً من أهل القرية، وقد تمت المذبحة تحت شعار (بدون عواطف الله يرحمه).

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب

مع مذبحة صبرا وشاتيلا ١٩٨٢م: وهما مخيمان فلسطينيان قرب بيروت عدد سكانهما قبل المجزرة ٩٠ ألفا تعرضا لمجزرة رهيبة يوم الخميس ١٦/ ٩/ ١٩٨٢م على

يد القوات الإسرائيلية وعملائها اللبنانيين وكانت بتخطيط من وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك ارائيل شارون وقد قتل فيها قرابة الثلاثة آلاف شخص أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب

مع السجن والتعذيب: وفي هذا الإطار بلغ عدد السجناء منذ عام ٦٧م إلى عام ٢٠٠٠ م (٨٥٠) ألف سجين، وفي العادة يقتاد المعتقل إلى السجن بطريقه مرعبة، حيث يداهم بيته في ساعة محرجة من الليل من قبل الجنود المدججين بالسلاح، فيؤخذ وتقيد يداه وتعصب عيناه ويتعرض للضرب بأعقاب البنادق ولكمات الأيدي ورفسات الأرجل، كما أنه يتعرض بعد فترة انتظار للتحقيق فإذا لم يعترف يصب عليه جميع أنواع العذاب البدني والنفسي. ومن أساليب التعذيب المتبعة الهز العنيف، وتغطية جميع الرأس بكيس نايلون، والشبح والحرمان من النوم والضرب على الجسم وخاصة الخصيتين والحبس بمكان ضيق كالخزانة، وإسماع الموسيقى الصاخبة جداً، وتعريضه للحرارة الشديدة والبرد الشديد والصدمة الكهربائية والخنق، وإطفاء السجائر في الجسم وقلع الشعر والأظافر والأسنان والسجن الانفرادي، وقد قتل تحت التعذيب في السجون الإسرائيلية ١٢٦ شخصا. والعجيب أن التعذيب في دولة الظلم والعدوان يعتبر قانونياً إذا أقرت المحكمة الإسرائيلية سنة ٩٦م قانونا يسمح بالتعذيب للحصول على المعلومات من المعتقلين. ويكدس السجناء بأعداد كبيرة في مساحات محصورة في ظروف غير صحية.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب مع الاغتيالات: إذ لم تكتف سلطات الاحتلال الإسرائيلي بالمجازر الجماعية البشعة التي نفذتها في حق الشعب الفلسطيني بل لجأت إلى أسلوب التصفية الجسدية والاغتيالات لقادة العمل الجهادي والسياسي والفكري سواء كان ذلك على أرض الوطن أو في الساحات الأخرى، وقد أنشأت إسرائيل وحدات سرية خاصة سميت بوحدات المستعربين لأن العاملين فيها يرتدون الزي العربي للتخفي والاندساس بين المواطنين العرب، ويستعمل الصهاينة كل وسيلة لتصفية النشطاء الفلسطينيين سواء كان ذلك إطلاق رصاص أو تفخيخ سيارة أو هاتف أو تلغيم طرد وغير ذلك، وغالباً ما يطاول الموت عناصر بريئة أثناء عمل فرق القتل الإسرائيلية للوصول إلى فريستها، وهذا الأسلوب قديم استخدمته إسرائيل في وقت مبكر ولكن اتسع استخدامه في الانتفاضة الأولى والثانية، وقد راح ضحيته

عدد كبير من الأشخاص منهم كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار وخليل الوزير وكمال كحيل ومحمود الخواجا ويحيى عياش وفتحي الشقاقي، وستجد قائمة في ختام البحث لعدد ممن كانوا ضحايا الاغتيالات الإسرائيلية.

تنسكب الذكرى كالرصاص المسكوب ..

أما الرصاص المسكوب فهو اسم العملية الجارية الآن في غزة .. عملية قصف شعب أعزل محاصر بأحدث الأسلحة الأمريكية.

***

ما لم يدركه الذين طمس الله على أبصارهم أن قواعد اللعبة والحساب تتغير .. وأن هجومهم وحصارهم على الصوت الإسلامي قد فقد طلسمه وسحره .. وأن تحذيراتهم من قيام العلماء بالتكفير قد انتهى أثرها .. وانتبه الناس إلى قول الإمام أبي حنيفة النعمان ط أن عدم تكفير الكافر كفر .. حتى لقد صدرت الفتوى بتكفير الحكام الذين نصروا إسرائيل على غزة ..

خطوة واحدة تبقى .. أن يتم تكفير المعين .. فتنقلب دنياهم ..

نعم .. أصدر العلماء فتوى تكفر فيها من ينصرون أعداء الله ..

ولقد طالب عدد من علماء الشريعة الإسلامية والمفكرين والدعاة الحكومات العربية والإسلامية بتوفير «جميع وسائل الدعم الممكنة» للفلسطينيين، «بما في ذلك الدعم العسكري للدفاع عن أنفسهم»، والتحرك «لكسر الحصار الظالم على غزة وفتح المعابر نهائيا».

وأكد الموقعون على البيان تأييدهم للشعب الفلسطيني ودعوتهم إياه إلى تجاوز خلافاته و«الوحدة في مواجهة العدو المجرم والصبر والثبات واللجوء إلى الله والتضرع إليه بأن يدفع هذا العدوان».

العلماء دعوا الشعوب وأحرار العالم لدعم الفلسطينيين بكل الوسائل الممكنة .

وأضاف البيان أنه «يتضح من مجريات الأحداث وما يتسرب من معلومات أن هذا العدوان الصهيوني يتم بتواطؤ إقليمي دولي يسعى لكسر إرادة المقاومة للمشروع الصهيوني الاستيطاني الاستعماري».

وحث البيان الشعوب العربية والإسلامية على «أن يقوموا بواجبهم في دعم الشعب الفلسطيني والتصدي للعدو المجرم بجميع الوسائل الممكنة دفاعا عن المقدسات والأمة والأوطان».

كما دعا من سماهم «أحرار وشعوب العالم ومؤسسات المجتمع المدني في كل مكان والمنظمات الدولية إلى القيام بواجبهم في الضغط على الكيان الصهيوني المجرم لوقف عدوانه».

نص بيان جبهة علماء الأزهر:

«الأمة الإسلامية والعرب في مقدمتها أمة عزيزة، كريمة، تأبى الضيم طبعا، ولا تستنيم للخسف خلقا ودينا، وما كان لليهود والصليبيين أن يطمعوا في عزتها على هذا الوجه الشائه لولا اطمئنان هؤلاء المجرمين إلى فاعلية القوانين الجائرة في أمتنا، وخور الساسة وسوء طوياتهم تجاهنا.

تُرى هل كانت تستطيع «إسرائيل» أو غيرها أن تقدم على هذه الجريمة الشنعاء في غزة لو أن المساجد في مصر وفي غيرها كانت على حالها الذي كانت عليه مُـذْ أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، تؤوي الغيارى، وتستجيب لنداء الحيارى، وتفتح أبوابها بحكم شرع الله للمتظاهرين المكلومين كما كانت تفعل من قبل حتى في أيام المستعمر الغشوم، بغير تجريمٍ ولا مطاردة، ولا تأثيم، كما فُعل بها اليوم من تلك الحكومات الوطنية، فوقعت الواقعة بعد أن رسخ في الضمائر واستقر في الأذهان أنَّ الجهاد والنداء له بالمساجد بعد الصلوات الجامعة جريمة من الجرائم، وإثم من الآثام، لهذا لم يجد المكلومون لفجيعتهم غير نقابة الصحفيين التي لا تزال بموقفها المشرف تقف وحيدة يتيمة حتى الآن في الميدان بعد أن غُلَّت أيادي نقابة الأطباء بما فُعِل مع مقرر لجنة الإغاثة بها مؤخرا.

أم كانت «إسرائيل» المجرمة التي تلقبت كذبا وزورا بدولة «إسرائيل» تستطيع أن تستجيب الآن لهواتف الغدر الذي جُبِل عليه اليهود، ففعلوا ما فعلوا، لولا أنها سعدت وسوعدت بتصريح صديق وحبيب المجرم بيريز الذي استخف بالأعراف المستقيمة، وبدهيات العقول الصحيحة بعد أن ربت بكلتا يديه على يد أخيه بيريز الملوثة بدماء شهداء قانا وتل الزعتر، ومرج الزهور، وبحر البقر، ثم استخف بنا الشيخ بعد أن ركع واقترب، وداور وناور فقال بعد أن ضُبِط مُتَلبِّسا إنه لم يكن يعلم أن أخاه

هو المقصود، وأنه أيضا لا يعلم أنَّ غزة محاصرة، وأن الحديث عن الحصار هو «قرف مقزز لفضيلته»- حصار إيه وقرف إيه، واحنا مالنا دا كلام سخيف [الطريق العدد٧١]، - فقدَّم بهذا الصنيع من حيث يدري أو لا يدري المسوِّغ والغطاء للجريمة الجديدة.

هل كان هؤلاء المجرمون تسوِّل لهم أنفسهم أن يقدموا على ما أجرموا لو أنهم أيقنوا أن للنظام الحاكم في مصر ديناً يوجب عليه فتحَ المعابر أمام القاصدين من أبناء غزة القائمين بشرف الجهاد وفريضته عنهم وعن الأمة إعانة وتأييدا، لا أن يغلقها في وجوههم وهم يطمعون أن يجدوا المتنفس في أحضانها، أو اللقمة السائغة ولو من فتات طعامها، وهي التي قدمت من قبل ولا تزال تقدم من عزيز دمائها وفلذات أكبادها دفاعا عن الأمة والملة.

لقد اختارت «إسرائيل» لجريمتها الجديدة وما هي بالأخيرة هذا التوقيت والمسلمون يودعون عاما هجريا ويستقبلون عاما جديدا استخفافا بالأمة الإسلامية واستهزاءً بقدرها.

إن الجبهة القائمة بالحق باسم الله وقد أنزلتها الأمة المنزلة اللائقة بها فكانت هي الرائد الذي لا يكذب أهله، لتتقدم إلى الأمة كلها بواجب النصيحة مشفوعة بهذا الرجاء على أمل أن تراجع الأمة كلها على وجه السرعة مواقفها من دينها وأعدائها قبل أن تكون فتنة عمم، فتطلب باسم جموع علماء الأزهر الشريف:

أولا: من حكومات الدول العربية والإسلامية التي لها علاقات دبلوماسية مع هؤلاء المجرمين، تطلب منها أن تحقق لنفسها أضعف الإيمان اليوم وذلك بسرعة اتخاذ الإجراءات الرسمية المعلنة وغير المعلنة بتصفية تلك العلاقات السياسية، وعدم التذرع بأية ذريعة من ذرائع الدبلوماسيات المقيتة، وقد أذن الله تعالى لنا إذا عاهدنا أنظمة معتبرة أن ننبذ إليهم عهدهم إذا أظهروا الخيانة فقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال]، فكيف إذا كان الغدر مُحققا وواقعا من كيان لا حق له في عهد ولا حظ له من اعتبار، لأنه مع ما عرف عنه من وضيع الأخلاق قد قام على أساس اعتبار الجريمة نهجا له مقدسا، إيقاد النيران هي على الدوام سبيلهم وسياستهم مع الأمم والشعوب، لهذا لم يكن لهم غير الإسلام سبيلا للمواجهة، فإنهم على الدوام ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤]، ووالله الذي لا إله سواه ليس وراء ذلك الذي نطالب به الحكومات من الإيمان حبة خردل، وإن ما دون ذلك يعده الله العزيز الحكيم مسارعة من الأنظمة في غضب الله، وهو ما تحرص عليه اليهود لتوسيع الفجوة والهوة بين الشعوب وحكوماتها، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

ثانيا: ضرورة المسارعة من الحكومات في فك القيود والأغلال التي قيدت بها أقدام شعوبها من أوضاع جائرة، وقوانين فاسدة حالت وتحول بين الأمة وبين حقها في التعبير عن مواقفها على وفق ما يفرضه عليها دينها وتطلبه كرامتها.

إنها إن فعلت تكون قد كسبت رصيدا، وأمنت غدرا، وأعدت لنفسها غدا كريما، ووفرَّت ظهرا أبيا، وإن لم تفعل اليوم قبل غد لن يكون إلا ما حذَّر الله منه من قبل، فتنة عمم يدفع بها انفجارات مكبوتة لا تبقي ولا تذر، ﴿يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا﴾.

ثالثا: ضرورة اتخاذ التدابير المناسبة لإعداد الأمة إعدادا لائقا لمواجهة المكائد التي أُعدت لها بالليل والنهار لمحو هويتنا واستئصال شأفتنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران].

رابعا: وإلى أمة الجهاد أمة المسلمين جميعا، ليس لنا ولا لكم خيار بعد اليوم ولا بديل في غير قول الله رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة].

ابدؤوا من اليوم أمركم بالاستجابة لأمر ربكم بكل ممكن ولو في الاعتكاف في المساجد الذي يحسبونه اعتصاما، لا تفكوه ولا تفارقوه حتى يستجاب لكم، ويفتح

لكم الطريق للتواصل مع ذويكم بغزة وإخوانكم على وفق ما كان من قبل، ومن يوم أن كانت غزة تحت الإدارة المصرية.

خامسا: إننا والأمة كلها لندعو أهل القانون وخبراء السياسة والقضاء إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة قانونيا لمقاضاة مجرمي الحرب من اليهود وأشياعهم ـ على وفق ما تقضي به الأعراف السياسية والقانونية المجرمة ـ لحصار الأبرياء وللقتل الجماعي، فهذه من فرائض الوقت التي لا تقبل تأخيرا، ولا تحتمل تأجيلا.

سادسا: وإلى المجاهدين والمرابطين في غزة وبقية أرض الأقصى، من قضى نحبه منهم ومن ينتظر، ثبَّت الله أقدامكم، وأدال لكم من عدونا وعدوِّكم، وإن ما أنتم فيه لهو إن شاء الله ثمن الشرف الغالي الذي لن يضيعه الله لكم، وتلك الدماء هي التي جعل الله منها ماء الحياة لمن سيأتي على أقدامكم من بعدكم حتى تسترد أمتكم عافيتها، وقد رفع الله في العالمين ذكركم، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران].

فاللهم اقبل شهداءنا، ودمِّر على أعدائنا، واهتك أستار المتآمرين، وافضح أسرار الخائنين، واربط على قلوب المرابطين، وأنر بصائر سادتنا وأئمتنا لما تحب وترضى.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم].

صدر عن الجبهة ٢٩ من ذي الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٧ من ديسمبر ٢٠٠٨م».

***

مرحى ..

فالاستيلاء على شيخ الأزهر لم يؤد إلى الاستيلاء على الأزهر

بل على العكس .. دفع جبهة علماء الأزهر إلى التصدي .. فكانوا أشد على الحكم من شيخ الأزهر حال استقامته ..

هذا الموقف من العلماء هو من أخطر التطورات في السياسة المصرية منذ عصر محمد علي .. وهو موقف له ما بعده ..

وأظن أن بعده وبعد غزة ستنهار عروش وستجتز رؤوس ...

ومن جانبه ناشد الداعية والعالم السعودي الشيخ سلمان العودة رؤساء وملوك الدول العربية والإسلامية، وبخاصة العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز والرئيس المصري حسني مبارك الوقوف بصرامة وبقوة في وجه إسرائيل ورفع الحصار عن غزة.

وفي نفس سياق الثورة المتفجرة التي تهدد باكتساح الحكام اكتساحا أصدرت جبهة علماء الأزهر فتوى شرعية أكدت فيها أن الضابط المصري الذي لقي حتفه أثناء الاشتباكات مع الفلسطينيين الفارين من قصف الطائرات في غزة ليس شهيداً، وأنه مات في طاعة غير الله لأنه لم يكن يدافع عن شرف العروبة أو عز الإسلام، أما الفلسطيني الذي يقتل في الاشتباكات فهو شهيد. وقالت الجبهة في البيان الذي تضمن فتواها: «إن الضابط راح دمه رخيصاً بسبب طاعته وتنفيذه لأوامر جائرة بعد أن رفع سلاحه في وجه شقيقه الفلسطيني الذي فر إليه، مؤكدة أن هذه الحدود هي حدود وضعها الأجانب لينفردوا بالمسلمين الواحد تلو الآخر». أما نص البيان فقد كان:

إلى الضابط المصري البائس الذي ذهب في حظٍّ سايكس بيكو وطاعة غير الله

لقد آلمنا أن يذهب مثلُكَ في طاعة غير الله بعد أن رفعت سلاحك في وجه شقيقك الفلسطيني الذي آوى إليك فرارا مما يلقى من عدوك وعدوه، على رجاء أن يجد منك ما كان يلقاه من أمثالك الغيارى على شرف العروبة وعز الإسلام فإذا بك تشهر السلاح في وجهه فتقتله وأنت له ظالم طاعة لأوامر جائرة، وتعليمات فاجرة، فرخص دمُك، لأنه كما قال رسول الله ﷺ : «**لا طاعة في المعصية**» وضاعت في الضلال حياتك، لأنك لاَعنْ عروبة كنت مدافعا، ولا لدين كنت عاملا، «**والمسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه، وعرضه، وماله**»، قتلت أخاك على حقه فذهب شهيدا، لأنَّ من قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد« ثم قُتِلْتَ أنت في غايةٍ رخيصة، هي الدفاع عن حدود وضع خطوطها الكافرون، الذين قسَّموا أرضنا بما عرف بالمجرمين سايكس بيكو، لينفردوا بنا واحدا بعد الآخر، وأرضنا في دين الله واحدة، فإذا بك تسقط فيما سقط فيه ساسة الحزب الذين حادوا الله ورسوله، فاستجاروا بأعدائهم من أوليائهم وإخوانهم، فذهبت حياتك في غير شرف، وقُتِلت قَتْلَ الصائل، فقد أخرج النسائي وأحمد بسند صحيح عن أبي هريرة قال: جاء رجل

إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إنْ عُدِيَ على مالي؟ قال: «انْشُدِ الله»، قال: فإن أَبواْ عليَّ؟ قال «انشُدِ الله»، قال: فإن أبوْا عليَّ، قال: «فانشُدِ الله»، قال: فإن أبوا عليَّ؟ قال ﷺ :« فقاتل، فإن قُتِلتَ ففي الجنة، وإن قَتَلْتَ ففي النار».

وعليه:

فإننا نُحذِّر كلَّ جنديٍّ وضابط من جنود مصر أن يخسروا شرفهم الفريد بأن يندفعوا في إطاعة الأوامر الصادرة إليهم بغير أن يعرضوها على دينهم وقلوبهم، فإنه لا طاعة في المعصية، وليست حياة واحدٍ منكم بأغلى من حياة إخوانكم المستضعفين وغير المستضعفين الفلسطينيين، والمسلمون أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم« وحتى لا تخسروا الدنيا والآخرة».

وإلى الموظفين من بعض الشيوخ الذين لا يزالون يلزمون جانب الصمت، ويخرصون خرص القبور، فرضوا لعمائمهم أن تكون على أصنام، إنَّ سِمَنَ الكيس ونُبْلَ الذّكرِ لا يجتمعان.

وإلى دهاقين السياسة في مصر وغيرها:

ما نال باذلٌ وجَهَهُ بسؤاله عِوَضاً، ولو نالَ الغِنى بسؤاله

صدر عن الجبهة في غرة المحرم ١٤٣٠هـ الموافق ٢٩ديسمبر٢٠٠٨م.

وهذه هي الفتوى المزعجة التي أتوقع أن تكون لها تداعيات هائلة بين قوى الأمن، وستحرم الحكام من سند حكمهم الوحيد ..

***

في نفس السياق أفتى العالم السعودي عائض القرني بجواز ضرب مصالح الحكومة الإسرائيلية ومؤسساتها وأشخاصها في جميع أنحاء العالم بسبب عدوانها العسكري على الفلسطينيين، في حين دعا علماء آخرون ومفكرون ودعاة الدول العربية والإسلامية إلى قطع علاقاتها بإسرائيل وتوفير الدعم العسكري للفلسطينيين في مواجهتهم للاحتلال.

وأصدر القرني فتوى تطالب المسلمين في كل ربوع الأرض بأن يستهدفوا الحكومة الإسرائيلية لأنها «أعلنت الحرب على المسلمين كافة منذ سنين طويلة». وقال في حديث للجزيرة نت : «انطلقت في فتواي من الأدلة الشرعية، ولم تكن انفعالا

عاطفيا، وإن كانت عواطفنا في أشد حالات الانفعال تألما لما يجري لإخواننا في غزة».

وأضاف أن الإسرائيليين «أعلنوا الحرب على الأمة واغتالوا الفلسطينيين في لبنان وتونس وفي دول أوروبية متعددة، واغتالوا الأطفال والنساء والشيوخ، وهم الذين جعلوا العالم كله ساحة للمعركة وانتهكوا جميع القوانين».

وتابع القرني هؤلاء «الصهاينة المجرمون انتهكوا جميع القيم الأخلاقية والقوانين السماوية والأرضية، ولم يلتزموا بشيء في تاريخهم كله، وهم بالمصطلح القانوني المعاصر مجرمو حرب ضالعون في إبادة للإنسانية، وبالتالي فلا بد أن تنهض البشرية كلها، وليس المسلمون فقط، لإيقاف هذا الإفساد والبلاء والإرهاب».

إن الطوفان قادم ..

وإن الدين يتقدم ..

والحاكمية تعود للإسلام بعد أن سلبت منه ..

***

نعم ..

الفتاوى والصحوة وفجور مواقف الحكام وخستها نقلت الناس من مستوى إلى مستوى ..

برح الخفاء ..

لست أدري كيف لا تدرك الحكومات خطورة ما يحدث ..

إنه تغيير كامل في أطراف المعادلة السياسية وهي من أخطر الثورات الثقافية في تاريخ العالم العربي والإسلامي.

لقد عاد الدين إلى المعادلة ..

وهو أمر يحاول الحكام محاربته منذ عشرات العقود .. بل منذ قرون ..

ها هم يفشلون ..

وعما قريب نراهم تقام عليهم الحدود ..

***

وقد فاجأ النائب الإسلامي الكويتي وليد الطبطبائي الحضور وكاميرات التلفزة

والإعلام التي تواجدت بكثافة برفع عقاله احتراما لرئيس الحكومة الفلسطينية المقالة إسماعيل هنية ورفعه لنعاله متوجها بالنقد لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس.

كذلك قاد عضو مجلس الشعب المصري محمد العمدة مئات من ناخبيه في مظاهرة بمدينة كوم إمبو بمحافظة أسوان في أقصى جنوب البلاد، مطلقا هتافات ضد الرئيس المصري رددها بعده بقية المحتجين.

وفي تصريح إعلامي قال العمدة : «إن الفشل الذي يعيشه العالم العربي كله فشل مصري بالدرجة الأولى وإن الأميركيين والإسرائيليين ما كانوا ليقدموا على مهاجمة أي دولة عربية لولا ثقتهم بأن مصر لن تتدخل».

كما أن انفجار المظاهرات بهذه السرعة وهذا الشمول وهذا العنف آية من آيات الصحوة يمكن لأن تتطور في أي لحظة ليكون مصير بعض الحكام كمصير شاوشيسكو وموسيليني أو على الأقل شاه إيران.

***

فتاوى الشيوخ مفاتيح تفتح أبوابا واسعة سيتغير معها مجرى الزمن ..

فتوى الشيوخ ستكشف رمادا يخفي الحق خلفه وبريقا يزين الباطل.

فتوى الشيوخ ستعيد إلى الساحة كفر العلمانية .. وكفر من لا يحكم بما أنزل الله .. وضرورة أن يحكم الإسلام ..

فتوى الشيوخ ستفتح الطريق للقضاء على الموالين لإسرائيل والغرب ..

فتوى الشيوخ ستضع النقاط على الحروف وستعيد الولاء والبراء وتعيد تحديد من هو الصديق ومن هو العدو ..

فتوى الشيوخ ستجيب عن سؤال يقول: هل إسرائيل وحدها هي المجرمة المتوحشة المتخلفة البربرية الهمجية .. أم أنها الامتداد الطبيعي للغرب المجرم المتوحش المتخلف البربري الهمجي؟ ..

***

في كتابه العالم والغرب يقول المؤرخ البريطاني الأشهر أرنولد توينبي:

«إن الشعوب غير الغربية تختلف في العنصر والدين، واللغة والحضارة. ولكنها تتفق جميعها على نقطة واحدة. إذا سألها غربي عن رأيها عن الغرب، فإنها تعطيه كلها

الجواب نفسه سواء كانت روسية أو إسلامية، أو هندية أو صينية، أو يابانية. سيقولون جميعاً إن الغرب كان أكبر مغتصب في العصور الحديثة وكل شعب من هـذه الشـعوب في إمكانه أن يستشهد بتجاربه لتبرير هذا القول»

هذه الحقيقة، هي أن كل حضارة مثل كل طريقة حياة هي كل لا يتجـزأ، أقسـامها متداخلة بعضها ببعض.

إن سر تفوق الغرب على سائر الشعوب مثلاً في الفن العسكري، ابتداء من القـرن السابع عشر، لا يكمن فقط في استخدام أسلحة غربية، وفي طريقة تـدريب الجيـوش. ولا يكمن حتى في التكنيك الذي يستخدمه المدنيون لتزويد العسكريين بالأسلحة. بل هو كامن في فكر المجتمع الغربي وروحه. وفن الحرب في الغرب ما هو في الواقـع، إلا أحد وجوه طريقة العيش الغربية. وأي مجتمع غريب يرغب في تعلم هذا الفن دون أن يحاول تبني طريقة العيش نفسها يكتب له الفشل حتماً.

ثم يطرح توينبي وكأنه - يشخص ما حاق بنا – العواقب الخطيرة للغـزو الفكـري فيقول:

« نحن هنا إزاء ظاهرة تحصـل كمـا يبـدو عـادة عنـدما يصـيب الإشـعاع الفكـري لحضارة ما جسماً اجتماعياً غريباً. إن مقاومة هـذا الجسـم الغريـب تعكـس الإشـعاع الفكري بتجزئته تماماً كما يجزئ النور المنشور الشعاع الضوئي ويعطـي ألوانـاً طيفيـة. وعلم البصريات يعلن كذلك أن بعض أجزاء الطيـف تتمتـع بقـوة أكـبر مـن غيرهـا للتسرب. والشيء ذاته يحصل مع العناصر التي تؤلف الإشعاع الفكري. لذلك عنـدما بدأ الاحتكاك بين الغرب والشرق الأقصى، نجح الإشعاع التكنيكـي في القضـاء علـى مقاومة الجسم الغريب، بينمـا العنصـر الـديني قـد عجـز. والتفـاوت في قـوة تسـرب الإشعاعات الدينية والإشعاعات التكنيكية ليست ظاهرة خاصة بتاريخ العلاقات بـين هاتين الحضارتين المعنيتين. وهكذا نكون، عن طريق الصدفة، قد اكتشفنا أحد قـوانين الإشعاع الحضاري. وعندما يتجـزأ شـعاع حضـاري مـا إلى عناصـره ـ أي التكنيـك، والدين، والسياسة، والفن، وغير ذلك ـ بمقاومة جسم اجتماعي غريب، يميل العنصـر التكنيكي إلى التسرب بسرعة أكثر وإلى مدى أبعد من العنصر الـديني. وهـذا القـانون تمكن صياغته بعبارات أكثر شمولاً. ويمكننا القول إن قوة التسرب في عنصر حضاري هي على العموم متناسبة عكساً مع الأهمية الحضارية لهذا العنصـر. فـالمجتمع المهـاجم يظهر مقاومة تجاه عنصر ثانوي أقل بكثير من تلك التي يواجهه بها عنصراً رئيسياً بالغ

الأهمية، وذلك لأن العنصر الثانوي لا يحدث اختلالاً بالغ العنف والألم في طريقة الحياة التقليدية. هذا التصنيف في العناصر الذي يتم تلقائياً في حضارة إشعاعية هو بكل تأكيد قاعدة مكدّرة في لعبة العلاقات الحضارية. ولكن هذا التشجيع الممنوح إلى ما هو ثانوي، ليس، مع ذلك، أسوأ في هذه اللعبة، إذ إن سلسلة الانعكاسات التي هي جوهر هذه اللعبة نفسها تهدد بالتسمم وجود المجتمع الذي تتسرب إليه عناصر منعزلة من الإشعاع الحضاري الأصلي.

وكي نفهم أكثر هذا التسلسل، يمكننا أن نستخدم أمثلة مأخوذة من علمي الفيزياء والطب. منذ أن تمكن الإنسان من تحليل الذرة تعلمنا على حسابنا بأن الأجزاء التي تؤلف ذرات جسم ما غير مؤذٍ في حد ذاته تنقطع عن كونها غير مؤذية، وتصبح بالغة الأذى والخطر، عندما تكون منفصلة عن المجموع المنضد الذي تشكله الذرة. وتعلمنا كذلك ـ ليس على حسابنا هذه المرة بل على حساب الشعوب البدائية التي كانت فيما مضى معزولة ـ أن مرضاً ما طفيفاً، بالنسبة لنا، لأننا نملك اليوم مناعة ضده، قد يصبح فتاكاً بالنسبة لسكان جزر المحيط الهادي الذين كانوا، حتى الآن في منحى منه، إذا تعرضوا له بسبب قدوم الأوروبيين الذين يحملون جرثومته إلى بلادهم.

ونتيجة لذلك يمكن القول إن أي عنصر حضاري منعزل منفصل يمكنه، كالأمراض المعدية السارية، أو ككهرب منفصل عن الذرة، أن يصبح فتاكاً عندما يكون منفصلاً عن النظام الذي كان جزءاً منه حتى الآن، خاصة إذا ترك المجال أمامه حراً في وسط جديد. أما في إطاره الأصلي فإن هذا العنصر الحضاري أو تلك الجرثومة أو ذاك الكهرب لا يستطيع أن يحدث أضراراً لأنه يكون جزءاً من كل، ولكل منها مكانه المحدد، وهي متوازية فيما بينها. وإذا انفصل عن إطاره الأصلي العنصر الحضاري أو الجرثومي أو الكهرب بقيت طبيعته على ذاتها. ولكن هذه الطبيعة نفسها سيكون لها الآن أثر فهناك عوضاً عن الأثر السلبي غير المؤذي. وما يشفي هذا قد يقتل ذاك.

إن توينبي وليس أسامة بن لادن ولا أيمن الظواهري ولا علماء السلفية هم الذين يحذروننا من الانهيار المصاحب للغزو الفكري .. إنه يقول ما يقوله كل مسلم منذ نزل الوحي على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى الآن.

ثم يتناول توينبي مشكلة أخرى ليفضح حماقتنا عندما تبنينا فكرة القطرية ثم القومية العربية. يقول توينبي:

إن فكرة الدولة القومية لم تكن جزءاً من النظام الاجتماعي السائد في هذه البلدان

بل كانت فكرة أجنبية، ولم تستورد اختيارياً لأنها توافق بصورة فريدة الظروف المحلية للعالم غير الغربي، بل لأن القوة السياسية للغرب كانت قد أسبغت على مؤسساته هالة باهرة وجاذبية لا تقاوم في نظر غير الغربيين، الأمر الذي كان في الأساس قائماً على الوهم والخرافة.

وهذا المبدأ، مبدأ الدولة القومية كان له نتائج وخيمة حتى في إنجلترا وفرنسا وسائر بلدان أوروبا الغربية، مع أنه لم يكن بضاعة مستوردة من الخارج أُدخلت إلى البلاد بصورة اصطناعية بل نبع تلقائياً من أراضيها. ولكن هذه النتائج الوخيمة لا تعتبر شيئاً إزاء الضرر الذي أحدثه هذا المبدأ نفسه عندما صدّر إلى بلدان أخرى.

لقد أصبح من السهل علينا الآن أن نفهم لماذا كانت للمبدأ نفسه نتائج متناقضة في وسطين اجتماعيين مختلفين. والسبب الذي يفسر لماذا لم يحدث مبدأ الدولة القومية إتلافاً في أوروبا الغربية، يفسر كذلك لماذا ولد هذا المبدأ هنا. والسبب هو أن هذا المبدأ في أوروبا الغربية يتجاوب مع العلاقات المحلية الناجمة عن تقسيم اللغات وخطوط الحدود السياسية. ففي أوروبا الغربية تتجمع الشعوب التي تتكلم اللغات نفسها على العموم في بلد واحد وتشكل كتلة متراصة متجانسة، مفصولة عن باقي الدوائر اللغوية المجاورة بحدود لغوية واضحة تماماً. وعندما يكون الأمر كذلك ويرسم توزيع اللغات نوعاً من الفسيفساء على الخريطة، تكون الحدود اللغوية قاعدة صالحة لوضع الحدود السياسية، وهكذا نلاحظ بأن الدولة القومية هي الحصيلة الطبيعية للبيئة الاجتماعية. ودائماً تقريباً تطابق أراضي دول أوروبا الغربية إلى حد بعيد التقسيم اللغوي المتجانس، وفي أكثر الأحيان، كانت هذه المطابقة غير إرادية، وشعوب أوروبا الغربية لا تشعر مطلقاً بأن حدودها السياسية قامت على أساس حدودها اللغوية، وبسبب ذلك، لاقت القومية على العموم نجاحاً في أوروبا الغربية، مهدها، والأقليات اللغوية التي وجدت نفسها وراء الحدود السياسية الخاصة بها أظهرت في أكثر الأحيان الولاء للنظام السياسي الذي وجدت في ظله وعاملها كأنها من بنيه. وبقاء هذه الأقليات اللغوية في قلب الدولة القومية حيث تتكلم الأكثرية اللغة القومية فهو حادث تاريخي لا يتحمل مسؤولية أحد، والجميع يجدونه طبيعياً للغاية.

بقي علينا الآن أن ندقق فيما حصل عندما انتشر هذا المبدأ، مبدأ القومية المولود في أوروبا الغربية، نتيجة طبيعية للجغرافية اللغوية، في بلدان يختلف فيها التقسيم اللغوي عن التقسيم السياسي.

يا للفضيحة ..

يا للغباء .. يا لخيانة النخبة ..

كانت القومية في أوروبا تقسيما للأرض لتتوافق مع لغة كل مجموعة من السكان.

أما في العالم العربي فقد كانت تقسيما لبلاد تتكلم لغة واحدة ..

ولكي يقفز حداثيونا الخونة على هذه النقطة راحوا يشجعون اللهجات العامية كي تتوافق مع الحدود المصطنعة .. حدود سايكس بيكو .. فكانوا كالذي يبتر قدميه كي تتوافق مع طول فراشه!

أرأيتم خيانة أكثر أم خيبة أكبر وهل تندهشون لما وصلنا إليه من ضياع وهوان يجعل أمة المليار عاجزة عن مواجهة عملية الرصاص المسكوب.

كان الغزو الفكري هدما لصرح .. وكان التقسيم هدما لصرح آخر ..

وقد دفع ذلك وهذا بالأمة للانهيار .. فلم يعد لديها ما تدفع به الهجوم الكاسح للغرب سوى أن ترد عليه بحذاء على وجه بوش.

إن توينبي أيضا يضع شروط المعادلة .. إما أن نكون كفارا أو نصارى كي نستفيد من التغريب-كما فعل أتاتورك- وإما أن نهلك ..

يقول توينبي:

«والحقيقة أن كل حضارة تاريخية تشكل كلاً عضوياً، أجزاؤه متداخلة بطريقة فيما لو فصل أد هذه الأجزاء عن المجموع وأخرج إطارها الأصلي تعذر عليها أن يبقى على حالته الأصلية.

ولهذا السبب نقول: «ما يشفي هذا، يقتل ذاك»، «شيء ما يخلف شيئاً آخر» أي أننا إذا فصلنا عنصراً ما من مجموعته الحضارية، وأدخلناه في مجتمع أجنبي فهذا العنصر المفصول سيكون قادراً فيما بعد على جر باقي عناصر مجموعته إليه، وهكذا تسعى المجموعة المفككة كي تعيد تكوين نفسها في هذا الوسط الجديد، حيث ثبت أحد العناصر جذوره .. »

من كتاب الغرب والعالم-أرنولد توينبي- المعربان نجدة هاجر وسعيد الغز

***

نعم .. ابتكرت الأمة العاجزة ردها الخاص على كبيرهم بحذاء على وجهه مدركة

أن حذاء على وجه بوش سيصيب فيما يصيب أم رأس إسرائيل وحكامنا جميعا ..

عندما سمعت الخبر ثم رأيت الحذاء منطلقا كقذيفة وقودها الغضب، امتلأت عيناي بالدموع، وتلاطمت في داخل نفسي أمواج مشاعر، راحت تصطخب وتتصادم كالجبال لحظة الزلازل والبراكين، حين تحركها الحمم المصهورة في القلب والضغط الهائل الذي تنصهر الحمم في أتونه ..

نعم ..

هذه اللحظة العبقرية .. لحظة الحذاء كانت تتجاوز الإطار المادي للحدث إلى آفاق الرمز الرحبة لتلخص-كما يلخص العلم وطنا- عمر بوش كله .. ليس كفرد بل كمنهج لنفسه ولقومه .. وأن ذلك كله لا يستحق إلا الضرب بالحذاء ..

نعم، يمثل العلم بمساحته بالغة الضآلة وطنا شاسعا .. وتمثل ضربة الحذاء الموجهة إلى بوش رأي المستضعفين في الأرض في الطواغيت. فكأن الحذاء نطق: ربما تستطيعون قتل المستضعفين لكنهم لن يستسلموا أبدا .. وسوف ينتصرون في النهاية. إنهم يضربونكم اليوم بالأحذية وغدا يضربونكم بالقنابل والصواريخ.

لخص الحذاء كبرياءنا وغضبنا وعجزنا وقدرتنا في الوقت نفسه على أن نغزل للمقاومة طرقا جديدة من خيوط المستحيل ..

ثمة إحساس بالفرح .. وثمة غضب هائل مكتوم يجد متنفسا يستطيع أن ينفث فيه بعض ضغطه .. وثمة حزن مكنون في القلب الذي يأبى البكاء قبل أن يأخذ ثأره أو بعض ثأره ..

هل كان الحذاء بعض ثأر أجاز لبعض الحمم المحبوسة أن تخرج ولبعض الدمع المحبوس أن يهطل.

ضربة حذاء ..

ليتها كانت قنبلة نووية ..

ليته كان طوفانا يغرق فلا يذر شيئا ..

ليته كان ما أهلك عاد وثمود ..

لكن شيئا خير من لا شيء ..

***

ضربة حذاء ..

عجزت عن مثلها كروش وعروش وجيوش وصحفيون وكتاب ومنظرون ..

كانت تلك الضربة كقطرة ماء سلسبيل تنسكب في حلق أحرقه العطش فتقدم له بعض العزاء لكنها لا تمنحه الارتواء بقدر ما تزيد من إحساسه بالعطش ..

يتداعى الماضي داخلي، وتنسكب الذكريات بطعم ملح الدموع ..

يتداعى الماضي .. أرى منتظر الزيدي جنديا في جيش هارون الرشيد يضرب بالحذاء نقفور كلب الروم .. و .. وبوش كلب الغرب ..

يتداعى الماضي .. وأتداعى تحت وطأة حكام هم السبب في هزائمنا وذلنا .. وأتداعى بين أمة أعجب لها كيف استمرأت كل هذا الذل والخنوع والخضوع ..

رحت أستعيد مقطوعة من الشعر العربي القديم تقول:

وحكام رجوناهم دروعا فكانوها ولكن للأعادي

وخلتهموا سهاما صائبات فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادي

وقالوا قد سعينا كل سعى لقد صدقوا ولكن في فسادي

***

ومقطوعة أخرى ينزف فيها الشاعر:

جعلتكم درعا حصينا لتمنعوا سهام العدا عنى فكنتم نصالها

وكنت أرجو عند كل ملمة تخص يميني أن تكونوا شمالها

دعوا قصة الأعداء عنى بمعزل وخلوا العدى ترمى علىّ نبالها

إذا لم تقو نفسي أن تخلص نفسها فكونوا سكوتا لا عليها ولا لها

***

هل تعرفون لماذا فعل منتظر الزيدي ما فعل؟! ..

الغالبية العظمي من العالم العربي والإسلامي سعدت جدا بالحادثة لكن كتاب المارينز شبعوا صراخا ولطما كأنما أصابهم الحذاء في مقتل ..

تقول صحيفة 'صاندي تايمز: إن ما دفع الزيدي للقيام بما قام به هو غضبه على ما شاهده أثناء تغطيته لأخبار الحرب حيث أن جنديا أمريكا استخدم نسخة من القرآن الكريم للتصويب. ففي أيار (مايو) الماضي أرسل الزيدي تقريرا من الرضوانية، غرب بغداد حيث أظهر فيه نسخة من الكتاب الكريم مليئة بالحروق بفعل الرصاص. ونقلت عن عائلته قوله : إنه كان يتحدث دائما عن الحادث.

هل تعرفون لماذا فعل منتظر الزيدي ما فعل؟! ..

قال شقيقه : إن قصة الفتاة عبير من المحمودية جعلته يبكي، عندما قام خمسة جنود باغتصاب الفتاة عبير الجنابي التي لم يكن عمرها يتجاوز الرابعة عشرة عام ٢٠٠٦ ولم يعتذر الأمريكيون عن الجريمة.

يقول أحد جيران منزل عبير: إنه في العاشر من شهر آذار (مارس)، «داهمت قوة أمريكية مؤلفة من خمسة عشر إلى عشرين عنصرا، منزل السيد قاسم حمزة الجنابي في المحمودية، وهو قريب إلى دارنا»، ويضيف «كانوا قد جاءوا من أجل عبير، فلم يكن هناك من شيء قد حصل في المنطقة من أجل تلك المداهمة، كانت أمها تخشى عليها من هؤلاء الجنود، سيطرتهم كانت تبعد نحو ١٥ مترا من منزل عبير، عيونهم كانت تراقبها كلما دخلت أو خرجت من منزلها، كانت الفتاة رحمها الله جميلة، وعائلتها عائلة كريمة، ومثل هذه الأشياء كانت أكثر ما يخيفها».

عبير، وبحسب روايات جيرانها في المحمودية كانت جميلة، وعيون الجنود الأمريكان الشرهة كانت تتابعها، كلما دخلت أو خرجت، وكانت تشكو لأمها تلك المضايقات، وشعرت الأم بالخطر على ابنتها، فطلبت من أحد الجيران، أن يبيتها عندهم كل يوم، من أجل تجنب أي مداهمة ليلية قد تقوم بها تلك القوات.

ويؤكد الجيران، أن الطفلة بدأت تنام بصحبة بنات أحد الجيران، ولكنه وبعد ليلة واحدة، قضتها خارج منزلها فقط، لم يمهلها الجنود الأمريكان أكثر من ذلك، وبدلا من أن يداهموا المنزل ليلا، داهموه في وضح النهار، واقترفوا جريمتهم.

يقول أحد الجيران، إن الجنود الأمريكان داهموا منزل قاسم الجنابي، وهو يعمل حارسا في مخازن البطاطا الحكومية في المحمودية، وله أربعة أبناء، عبير من مواليد ١٩٩١، وأحمد من مواليد ١٩٩٦، ومحمد من مواليد ١٩٩٨، وهديل من مواليد ١٩٩٩.

ويضيف الجار الذي طلب عدم الإشارة إلى اسمه، خشية ملاحقة الأمـريكيين لـه: «في الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم، داهمت تلك القوات منزل الشهيد قاسـم، حيث قاموا باحتجازه وزوجته وابنتهم هديل، في أحـد غـرف المنـزل، وأطلقـوا أربـع رصاصات عليهم، مما أدى إلى وفاتهم على الفور، بعد ذلـك قـاموا بسـحب عـبير إلى غرفة مجاورة، وقاموا بنزع ثيابها بالقوة، بعد أن ضربوها على رأسها، ثم تناوب أربعـة منهم على اغتصابها، مما أدى إلى إصابتها بحالة إغماء شـديد ونزيـف، وهـو مـا أثبتـه الطب الشرعي أثناء تشريح الجثة، وليقوم بعدها الجنود بحرق الجثة، مـن أجـل إخفـاء آثار الجريمة».

الجيران الذين هرعوا إلى منزل قاسم المجـاور، فوجـؤوا بـالقوات الأمريكيـة وهـي تقص روايتها المختلقة، بأن مجاميع مسلحة من القاعدة، قامت بحرق عائلة شيعية، مـع علم الجميع أن العائلة سنية معروفة لأهل المنطقة. وجاءت قوات من الحرس الـوطني العراقي إلى الموقع، واستمعوا لشرح من القوات الأمريكية حـول وجـود عناصـر مـن القاعدة قامت بحرق عائلة شيعية.

وفي المساء قامت تلك القوات، بنقل الجثث الأربعـة إلى إحـدى القواعـد القريبـة، قبل أن يتم تسليم الجثث إلى مستشفى المحمودية في اليوم الثـاني، ومـن ثـم إلى أقـارب الضحايا، ليدفنوا في إحدى المقابر القريبة من المحمودية، وكادت أن تدفن معهم واحدة من أشد قصص الإجرام التي ارتكبتها القوات الأمريكية.

وعلى الرغم من تحذيرات الجنود الأمريكيين، جيران الضحايا مـن التحـدث عمـا حصل أو ما جرى، فقد حاول عدد منهم الاتصال بوسائل الإعـلام المحليـة والدوليـة من أجل كشف تفاصيل الجريمة، لكن أحدا لم يبال كما يؤكدون.

قبر الشهيدة عبير أصبح مصدرًا لشحذ همم الرجال بمختلف أعمارهم، ونقل عن حـارس المقـبرة الحـاج أبـو محمـد قولـه: 'إن هنـاك شـبابًا يـأتون إلى المقـبرة ويبكـون [ويقرؤون الفاتحة] عند قبر عبير ثـم يـذهبون ولا يعـودون إلا وهـم محمولـون علـى الأكتاف بعد أيام من زيارتهم، وإنني وبعد دقائق من وصولهم يتـبين لـي أنهـم نفـذوا عمليات استشهادية ضد قوات الاحـتلال، حيـث تـأتي جثـثهم إمـا متفسـخة بفعـل الـتفجير الاستشـهادي أو قـد أصـيبت برصاصـات قاتلـة خـلال تصـديهم لقـوات الاحتلال، وأعتقد أن قبر عبير أصبح أخطر من السلاح النووي على الأمريكيين'.

وأوضح جار عبير الحاج أبو عمر الجنابي لمراسلنا قـائلاً: «إن منـزل عـبير مـا زال على حاله يحكي جريمة اقترفها أبناء القردة الخنازير، ولسان حال المنزل لنفسـه: يـا دار ما حلت بك الأيام ضامتك والأيام ليست تضام».

***

هل علمتم ما الذي أغضب منتظر الزيدي ؟.

هل علمت أيها الديوث الذي يستنكر فعله ؟.

لم يكن إجرام أفراد ..

كان إجرام أمة ..

إجرام أمة ينطبق على إسرائيل كما ينطبق على أمريكا ..

إن من يقرأ التفاصيل سيكتشف على الفور أنهم يفسدون في الأرض منذ عهـدهم الأول حين بدؤوا بقتل الأنبياء حتى عهد بوش وأولمرت حين خططوا لقتل أولياء الله كالشيخ أحمد ياسين والشيخ أسامة بن لادن رضي الله عنهما .. فنجحوا وفشلوا .. ..

المجازر نفس المجازر والأداء نفس الأداء ..

في ظل أحقاد الصليب دشنوا موقعا إباحيـا ينشـر صـوراً تصـف اغتصـاب جنـود أمريكا للمسلمات العراقيات

استمراراً للحملة الصليبية التي تقودهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ضـد العـالم الإسلامي، ورغم انتهـاء الأعمـال العسـكرية في العـراق وبعـد الخـراب الـذي لحـق بعاصمة الخلافة الإسلامية السابقة، نشرت صحيفة 'بوسطن جلوبـال' تقريـرا تضـمن معلومات سرية حول ضلوع بعـض قيـادات وزارة الـدفاع الأمريكيـة 'البنتـاجون' في إنشاء موقع إباحي على شـبكة 'الإنترنـت' يعـرض قصصـاً تحكـي اعتـداءات الجنـود الأمريكيين على نساء العراق، ونشر الموقع صوراً لنسـاء يرتـدين الـزي العربـي أثنـاء اغتصابهن من قبل جنود أمريكيين وبريطانيين.

وقال الموقع إنه حصل على هذه الصور من جنود الجيش الأمريكـي الـذين قـاموا بتصوير زملائهم وهم يعتدون على المسلمات في العراق.

وتصف الصحيفة محتويات الموقع قائلة إنـه في صـفحة البدايـة توجـد عبـارة فجـة بارزة تصف نساء وفتيات العراق بأقبح الأوصاف، ثم رسالة تدعو متصـفحي الموقـع

لرؤية جنود قوات التحالف بملابسهم العسكرية وهم يغتصبون مسلمات العراق ومرفقة مع الرسالة صورة امرأة بملابس سوداء يحاول أحد الجنود تجريدها من ملابسها عنوة، وصورة أخرى لثلاثة جنود يتناوبون الاعتداء على فتاة عراقية.

وفي صفحة أخرى من الموقع يتم عرض عدة صور لجنود أمريكا وهم يغتصبون المسلمات العراقيات أمام أعين أطفالهن وأزواجهن في المنازل وصور أخرى لرجال عراقيين يرفعون أيديهم في استسلام تحت تهديد السلاح الأمريكي.

ثم ينتقل الموقع لعرض مشهد آخر لنساء عراقيات يتعرضن للاغتصاب في نقاط التفتيش التي أقامتها القوات الأمريكية.

وأشارت الصحيفة إلى أن الموقع قد وضع صورة في أعلى الصفحة الرئيسية يظهر فيها المتحدث باسم قوات الاحتلال بملامح غاضبة مع بعض العبارات يعبر فيها عن صدمته مما يفعله الجنود الأمريكيون ويتوعد بأنهم سوف يلقون العقاب على ما اقترفوه. ثم فجأة تتحول هذه الصورة الغاضبة إلى صورة مبتسمة متهكمة لنفس الشخص مع كتابة عبارة 'دعهم يلهون .. دعهم يستمتعون' ...

يروي الكاتب لورن ساندر العديد من قصص النساء العراقيات اللواتي تعرضن للاغتصاب، وأفردت جريدة (روبنز بنورث) الأمريكية قصة اغتصاب ٥ جنود أمريكيين لفتاة عراقية، وروى الكاتب الأمريكي، ديفيد كول، عملية اغتصاب بشعة قام بها أربعة من الجنود الأمريكيين ضد أسرة عراقية، وروى الأمريكي وليام بود، في صحيفة (ويست بومفريت) الأمريكية، تفاصيل جرائم بشعة ارتكبها جنود الاحتلال تحت عنوان: «الاغتصاب الديمقراطي»، جاء فيها: إن بوش ترك لجنوده أن يفعلوا ما يحلو لهم مع ضحايا سجنه الكبير في العراق. ترك المجندين كول وديفيد يغتصبان نساء عراقيات بلغ عددهن ٢٦ فتاة وضحية .. يتميزان بالعدوانية الشديدة ضد العرب ويتميزان بالهمجية وعدم الرحمة. قبل أن يقدما على جريمتهما يختطفان ضحيتهما ويجردانها من ملابسها، ثم يقومان بتصويرها وإرسال صورها إلى أصدقائهم في أمريكا للاستمتاع بها. وثمة رسالة تتضمن صورة لجندي أمريكي وهو يشير بعلامة النصر ويقف بجوار طفلين عراقيين يحمل أحدهما وهو مبتسم، لوحة مكتوبة بخط اليد تقول باللغة الإنجليزية (لقد قتل الجندي الواقف بجواري والدي واغتصب أختي). ولقد أكد الفريق الميداني الخاص بـ«مركز بغداد لحقوق الإنسان» أن قوات الاحتلال انتهكت

أعراض ١٤٩ امرأة عراقية داخل مساجد الفلوجة. هذا ما يحدث في الشوارع والمساجد، وللقارئ أن يتصور ماذا يحدث داخل السجون .. فمن عدد يفوق ألفاً وثلاثمائة سجينة عراقية توجد مئات النسوة اللائي لا ذنب لهن غير أن أزواجهن أو إخوانهن أو آباءهن يبحث عنهم الاحتلال بأي تهمة.

في السجون تتعرى دعاوى تحرير المرأة وتذبح شعارات حقوق الإنسان.

ينكشف العفن المعتق في معيّ الحضارة الغربية منذ أكثر من ألف عام ثم تأتي الذئاب والكلاب الجرباء لتسويقه لدينا .. ومع ذلك لم نتهم المسيحية ..

السجينات كن يعبرن أمام خيمة الرجال وكن يتوسلن إلى السجناء من الرجال أن يجدوا طريقة لقتلهن لإنقاذهن من العار.

خرج الجناة على مقتضى آداب المهنة ومع ذلك لم يشمئز منهم حافظ الميرازي ولم يبرر فعلهم رد فعل منتظر الزيدي عند إبراهيم عيسى.

قالت إحدى السجينات، تخاطب العراقيين: الجنود الأمريكيون وهم يشربون الخمر أمامنا وينتهكون أعراضكم كالحيوانات ويسرحون ويمرحون مع اللاتي هانت عليهن أعراضهن. أعراضنا هتكت، وملابسنا تمزقت، وبطوننا جاعت، دموعنا جارية، ولكن من ينصرنا أقول لكم اتقوا الله في أرحامكم فقد امتلأت البطون من أولاد الزنى.

- وتقول أخرى في رسالة لها: والله لم تمضِ ليلة علينا ونحن في السجن إلا وانقض علينا أحد الخنازير بشهوة جامحة مزقت أجسادنا، ونحن الذين لم تفض بكارتنا خشية من الله، فاتقوا الله، اقتلونا معهم. لقد اغتصبوني في يوم واحد أكثر من ٩ مرات. معي الآن ١٣ فتاة كلهن غير متزوجات يتم اغتصابهن تحت مسمع ومرأى الجميع. انتحرت إحداهن بعد اغتصابها بوحشية، حيث ضربها جندي بعد أن اغتصبها على صدرها وفخذها، وعذبها تعذيبًا لا يصدق، فأخذت تضرب رأسها بالجدار إلى أن ماتت. وهذه المرأة هي أخت لأحد رجال المقاومة في منطقة أبو غريب والذي فشلت قوات الاحتلال في اعتقاله.

***

هل هالك أيها القارئ ما سمعت؟ ..

هل تمزق ضميرك قبل أن يتمزق صمتك؟! ..

دعني إذن أرفه عنك بقصة يختلط فيها الجنس بالدم ..

ودعني قبلها أذكرك بشيء بالغ الخطورة يحدث في أرجاء كثيرة من عالمنا العربي، حيث تحول بعض الشرطة وأعضاء الحزب إلى مجرمين عتاة يطلبون من الناس الإتاوات كي لا يعتقلوا .. أو يطلبون من أهلهم ثمن استصدار قرار بالإفراج عنهم .

حدث هذا مع عدد لا يمكن حصره منهم العراقية: هدى العزاوي ٣٩ عاما (من عائلة ميسورة)، واحدة من العديدات من النساء اللاتي حبسن في السجن العراقي سيئ الصيت، أبو غريب. وبعد إطلاق سراحها تروي قصة عذابها إلى لوك هاردينج (الجاريان).

بدأت الحكاية حين تلقت هدى العزاوي تهديدا من أحد العراقيين المتعاونين مع القوات الأمريكية «مدام هدى ادفعي لي ١٠ آلاف دولار أمريكي، وإذا لم تدفعي فأنني سوف أكتب تقريرا للأمريكان عنك وعن عائلتك وأقول بأنكم تعملون مع المقاومة»، وأنه سوف يقدمه إلى القوات الأمريكية التي سوف تقوم باعتقالها.

رفضت هدي الدفع لأنها أدركت أن الاستجابة للابتزاز ستحرض المجرم على مزيد من الابتزاز.

بعد فترة قصيرة قام الأمريكان باعتقال أخ آخر للسيدة هدى تلاه أخوه الأكبر وهو أياد البالغ من العمر ٤٤ عاما، وعند هذا الحد قررت السيدة هدى مواجهة الأمريكان مباشرة، وتوجهت إلى قاعدة القوات الأمريكية في الأعظمية. تقول هدى أن الكابتن الأمريكي طلب منها العودة ومعها أخويها الآخرين، ثم بعد ذلك سوف نتكلم. وفي عشية عيد ميلاد السيد المسيح ، عادت هدى ومعها أخويها علي ومعتز، «ولقد انتظرت أربع ساعات قبل أن يستجوبني الكابتن، وبعد عشر دقائق ابلغني بأنني رهن الاعتقال! ». « قيدوا يدي إلى الخلف، وعصبوا عيني بواسطة قطعة قماش، وربطوني في سيارة هامفي وأخذوني إلى مكان داخل القصر. ثم رموني في غرفة يوجد فيها كرسي خشبي واحد، وكانت غرفة باردة جدا ، وبعد خمسة ساعات جلبوا أختي. أنا لم أكن أرى شيئا ولكن استطعت تمييزها من صراخها (...) تركوني على هذا الكرسي طوال الليل، وفي اليوم الثاني أخذوني إلى غرفة تسمى من قبل المحتجزين بـ (غرفة التعذيب). وصاح بنا الضابط »إذا لم تعترفوا سوف نعذبكم، لذا عليكم الاعتراف». كانت يداي مقيدتان، وخلعوا حذائي وأوقفوني في الوحل، ووجهوا وجهي نحو الحائط. وكنت أسمع رجالا ونساء يتصارخون ويبكون بشدة (...) استطعت تمييز

بكاء أخي معتز، أردت فقط أعرف ماذا كان يجري هناك، وحاولت أن أزيل العصابة عن عيوني وعندما فعلت ذلك أغمي علي».

كان أخوها معتز قد اغتصب بطريقة وحشية وهمجية.

ثم جاء دورها في الاستجواب.

«العميل العراقي وضابط أمريكي كانا معا في تلك الغرفة. وبدأ العميل العراقي يتكلم وقال: «أنت تمولين إخوانك لضرب الأمريكان». وبما إنني أتكلم قليلا من الإنكليزية، فقد أجبت عليه فقلت: إنه كاذب، ثم صفعني الضابط الأمريكي على كلتا وجنتي، وسقطت أرضا من شدة الضربة. (...) وبعد ذلك أرجعوني إلى الزنزانة التي لم تكن مسقفة، والسماء كانت تمطر بشدة. في منتصف الليل رموا تحت أقدام أختي شيئا ما تبين انه أخي أياد. وكان ينزف من قدميه وركبتيه ووجهه، وسألت أختي: «تأكدي إن كان لا يزال يتنفس» ، ثم ردت أختي: «لا! لا شيء» ، وبدأت أبكي، وفي اليوم التالي أخذوا جثته بعيدا».

وبعد ذلك أصدر الجيش الأمريكي شهادة وفاة اطلعت عليها صحيفة الجارديان تعزو سبب الوفاة إلى سكتة قلبية أو بسبب مرض غير معروف. الطبيب الأمريكي الذي وقع شهادة الوفاة لم يكتب اسمه وكان توقيعه مشوها. الجثة أعيدت إلى العائلة بعد مضي أربعة أشهر، في الثالث من نيسان، بعد افتضاح قصة سجن أبو غريب.

«ولكوني أتكلم قليلا من الإنكليزية فقد سمح لي بالعمل على جمع القمامة، ولم يكن هناك أبدا طعام كاف، وفي أحد الأيام سقطت امرأة مسنة من الجوع، وقد كان الأمريكان يأكلون الكثير من الطعام، ويتركون الباقي؛ لذلك كنت أجمع ما تبقى من الفضلات وأعطيه إلى تلك المرأة المسنه. وفي احد الأيام شاهدوني أقوم بذلك، فرموني في زنزانة انفرادية عرضها متر واحد. ثم بدؤوا يرشون الماء البارد علي لمدة أربعة ساعات.

***

كشف تقرير أعده الجنرال الأمريكي أنطونيو ثاغوبا وآخر أعده سيمون هيرش ونشرته مجلة نيويورك عن الجرائم التي يرتكبها الأمريكيون مثل كسر الأضواء الكيماوية وسكب السائل على المعتقلين وسكب المياه الباردة والساخنة على المعتقلين بعد تعريتهم وممارسة اللواط فيهم وإجبارهم على تمثيل مظاهر جنسية ضد بعضهم

البعض وإجبارهم على ممارسة العادة السرية وتعرية المعتقلين وإجبارهم على النوم فوق بعض وإدخال أضواء كيماوية في دبرهم وإبقائهم عراة لعدة أيام وضربهم بمقابض المكانس والكراسي وإجبارهم على التعري ولبس ملابس نسائية داخلية ربط رقاب المعتقلين وهم عراة بحبل وجرهم وهم مقيدين وحرمانهم من النوم واستخدام الكلاب العسكرية لترويعهم وعضهم واغتصاب النساء المعتقلات وسكب سوائل فسفورية على المحتجزين وضرب المحتجزين بالكراسي والمطارق اليدوية والسماح للحرس بغرز المدى في الجراح الجديدة نتيجة التعذيب وضرب السجناء بجدران السجن وانتهاك عرض المساجين بكافة الطرق لاسيما إدخال عصي المقشات في دبر المعتقلين وربط الأماكن الحساسة للمعتقلين بالأسلاك الكهربائي والتهديد بتشغيلها.

لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية بحق هي رائدة تضييع حقوق الإنسان في العالم وكانت المثل الأدنى والأخس والأسفل الذي سارت على نهجه الدول الأخرى.

لقد طالبت منظمات حقوق الإنسان الأمريكية بمحاسبة المجرمين مثل رامسفيلد وجورج تينت وسانشيز والجنرال ميلر والتحقيق معهم بموجب مبدأ المسؤولية القيادية، لكن الذي حدث هو ترقيتهم وتلميعهم (تماما كما يحدث في بلادنا مع فؤاد علام وأشباهه). لم تستجب راعية العالم الحر، لكنها شددت من قبضتها لمنع المزيد من فضح الجرائم، ابتداء من منع استعمال الهاتف المحمول ذي كاميرات التصوير إلى التهديد بقصف الفضائيات التي تنشر الفضائح، إلى ابتكار طرق تضلل العدالة وتعجزها عن التصرف كاستخدام الطائرات كمراكز تحقيق مع المعتقلين حيث لا يوجد أحد يطبّق عليهم أي قانون وهم في السماء ولا أحد يراقبهم، وكتسليم المعتقلين إلى مخابرات في دول العالم الثالث حيث يتم تعذيبهم دون أن يعلم أحد بمكان وجودهم، واستئجار المرتزقة والتعاقد مع شركات أمنية خاصّة من خارج الجيش مقابل أموال طائلة مما يبعد المسؤولية عن أي قيادي في الجيش الأمريكي ويتيح الفرصة أمام هؤلاء المرتزقة استخدام كافة أنواع التعذيب دون حسيب ورقيب، فهم يكادون يكونون حسب ما قاله تقرير «هيومن رايتس ووتش» الأخير بمأمن تام من أي مساءلة أو عقاب على أفعالهم لأن شروط عملهم مع الجيش الأمريكي تمنحهم الحصانة من المقاضاة أمام المحاكم وهم لا يخضعون لتسلسل القيادة العسكرية وبالتالي لا تجوز محاكمتهم أمام المحاكم العسكرية ولا الأمريكية. لجأت راعية العالم الحر التي

يسعى الليبراليون العرب إلى أن نتعلم منها أيضا إلى اختطاف المعتقلين وإخفائهم عن الأنظار واستخدام أسلوب «الإغراق بالماء» وحبس الأطفال واعتقالهم وأهاليهم وهدم بيوتهم وتقليع أشجارهم ومزروعاتهم لإجبار المطلوب على تقديم نفسه والاستسلام.

***

هل أستطيع أيها القارئ أن أنقل إليك شهادتين عن مجندين أمريكيين؟

يقول الأوّل: رأيت زملائي وقد أجبروا محتجزين عراقيين على التعري وغطّوا رؤوسهم وأجبروا أحدهم على الاستمناء والآخر على فتح فمه ثمّ قالوا لي : «هل ترى ماذا تفعل هذه الحيوانات عندما نتركها لبضع دقائق؟!».

أما الثاني فقد قال: لقد تعرّض أحد المعتقلين المصنف على أنه خطير جدا إلى ضرب مبرح على أيدي رجال الاستخبارات وقد أدى ذلك إلى موته وبدلا من التعريف به وإعطائه رقم السجين تمّ وضعه في كيس مليء بالثلج ثمّ أخذوا يلتقطون الصور معه!!

***

ألا يجرح دينك وكرامتك أيها القارئ أن تعلم أن ضباط الموساد مع إخوانهم من الشياطين الأمريكيين حاولوا كسر إرادة أسير سوداني في غوانتانامو من خلال إلباسه العلم الإسرائيلي عنوة فيما قاموا بربط أسرى آخرين بأيديهم وأرجلهم حتى غرقوا ببولهم وبرازهم طيلة ١٨ إلى ٢٤ ساعة.

***

كيف أنقل إلى القارئ بعض ما حدث .. وكيف أنبهه إلى أن الصور التي التقطها الجنود لبعضهم البعض قد أظهرت انّهم قاموا بهذه الجرائم الدنيئة بكل فرح وسرور وغبطة.

هذا هو العالم الحر الذي يعايروننا به ويطلبون منا أن نكون مثله.

هذه هي قيمهم ومثلهم العليا ..

هذا هو توقيرهم للكبير وعطفهم على الصغير واحترامهم للجميع ..

ها هي ذي نفوسهم المريضة ..

تظهر الصور بعض الجنود الأمريكيين واقفين مبتسمين أمام الكاميرا وهم يضحكون بعد أن كوّموا السجناء العراقيين عراة على شكل هرم وإرغامهم على ممارسة الشذوذ والأفعال المشينة وبدا المجرمون بتوثيقهم لانتهاكاتهم لا يخافون من أي استجواب أو محاسبة أو قانون فهم القانون وهم العالم ودولتهم القائدة!!. إضافة إلى صور تظهر مجندة تقف والسيجارة تتدلى من شفتيها وترفع علامة النصر وتشير باليد الأخرى إلى موقع حسّاس لمعتقل عراقي عار تماما ورأسه مغطى بكيس، وصورة أخرى تظهر فيها المجندة إلى جانب ثلاث معتقلين يغطون عوراتهم بأيديهم وصورة أخرى تظهر فيه المجندة «انجلاند» ويدها بيد «غرانر» يرفعان أيديهما بإشارة النصر أمام سبعة معتقلين عراقيين عراة مكوميين فوق بعضهم البعض بينما يضحك الجنود عليهم وصور أخرى كثيرة وما خفي أعظم .. (بتصرف كثير واختصار عن علي حسين باكير) ..

***

ألا يشفع ذلك كله لمنتظر الزيدي أن يخالف قليلا أصول الضيافة وقواعد الإيتيكيت؟!

هل يجب عليّ –كي أقنعكم– أن أحكي لكم عن الشيخ الذي ذهبت إليه قناة الجزيرة تسأله بعيد خروجه من المعتقل .. تلعثم الرجل .. ثم أجهش بالبكاء صارخا:

لقد اغتصبوني ..

ألا يشفع ذلك عنكم يا كلاب .. يا خنازير؟! ..

***

هل ذكر عن المسلمين قط أنهم لاطوا بقسيس أو هتكوا عرض راهب؟؟ ..

لقد حدث ذلك لشيوخنا في العراق ..

يقول ستيفن مايلز، من جامعة مينسوتا، في دورية لانست الطبية الشهيرة، إن التقارير المؤكدة أو الموثقة بشأن الانتهاكات في العراق وأفغانستان تشمل الضرب والحرق والصدمات والتعليق من الأطراف، والحرمان من الأوكسجين والتهديدات ضد المعتقلين وذويهم والإذلال الجنسي.

كانت مهمة المجندات كما ذكرت مفكرة الإسلام : أن يجعلن المعتقلين ينهارون

استعداداً للاستجواب. وكانت مهمة الشرطة العسكرية جعلهم متيقظين وتحويل الأمر إلى جحيم حتى يتكلموا.

ولقد نشرت صحيفة لوس أنجليس تايمز الأمريكية تقريرا يتضمن وسائل التعـذيب الذي تقوم به الشرطة العسكرية ما يلي:

١. اللكم، الصفع والركل والدوس على الأقدام العارية.

٢. تصوير السجناء والسجينات عراة. (بالكاميرا وبالفيديو أيضاً).

٣. صف المعتقلين في أوضاع جنسية مختلفة وتصويرهم.

٤. إجبار المعتقلين على خلع ملابسهم وتركهم عراة لأيام.

٥. إجبار المعتقلين الذكور علي ارتداء ملابس النساء الداخلية. (وتـركهم داخـل زنازينهم وهم عرايا كما ذكرت (صحيفة تايمز).

٦. إجبار الذكور على اللعب بأعضائهم التناسلية وتصويرهم في تلك الحالة.

٧. ترتيب المعتقلين على شكل كومة وهم عراة ومن ثم القفز عليهم.

٨. وضع المعتقل وهو عار على صندوق يوزع فيه الجـيش وجبـات طعـام جـاهزة للأكل، ومن ثم ربط عضوه التناسلي وأصابعه بأسلاك كهربائية جاهزة للصعق.

٩. كتابة عبارة «أنا سفاح» أو «أنا مغتصب» على قدم المعتقل.

١٠. ربط سلسلة عنق للكلاب في عنق معتقل وتصويره مع مجندة.

١١. أحد أعضاء الشرطة العسكرية، قام بقتل معتقل.

١٢. استخدام كلاب الحراسة التابعة للشرطة العسكرية لترويع وإخافة المعتقلين.

١٣. تصوير جثث عراقيين ماتوا في المعتقل.

وأشار التقرير إلى وسائل أخرى، مثل سكب مادة فوسفورية على المعتقلين وأحياناً الماء البارد على أجسـادهم العاريـة، تهديـدهم بالمسدسـات، تهديـدهم بالاغتصـاب، ممارسة اللواط مع معتقل باستخدام عصاة مكنسة.

أفاد بعض المعتقلين، في فترات اعتقالهم، أنهم تعرضوا للضرب بوحشية والاعتداء الجنسـي، وعلقـوا بـالمقلوب، وحرمـوا مـن المـاء والنـوم، ولم يسـمح لهـم باسـتعمال المراحيض، وتعرضوا للترهيب بواسطة الكلاب. ويفيد أحد المعـتقلين أنـه أجـبر مـع

غيره من المعتقلين على الاصطفاف أمام فرقة إعـدام وهميـة راح الجنـود الأمريكيـون يضحكون حيال طريقة انهيار أعصابهم قبل إعدامهم الوهمي.

حدث هذا كله من مسيحيين فلم نتهم المسيحية بالإرهاب ولا المسيحيين بالهمجيـة والتخلف ..

نعم .. لم نتهم المسيحية – رغم ما يفعله بنا أتباعها- سموا ونبلا وترفعـا عـن الألم وإدراكا أن وازرة لا تزر وزر أخرى ..

لم نتهمها رغم أن كل بلايانا من أتباعهـا .. وكـل كوارثنـا مـن أبنائهـا .. وليسـوا أتباعها ولا أبناءها بل أتباع الشيطان وعبيده.

لكن ما يؤلم أن يخرج من بيننا كلب أجرب لينبح مشيدا بالديموقراطية الأمريكية في العراق!!

***

لم نعتبر المسيحيين مسؤولين عما يحـدث لأبنائنـا وإخوتنـا في جوانتـانمو .. حيـث يقيدون الأسري بـلا سـبب ولا جريـرة، يقيـدونهم بالسلاسـل ويتركـونهم يتبولـون ويتبرزون على أنفسهم. ثم يلفون الأسير المسلم في العلم إسرائيلي .. أحـد المعـتقلين شوهد جالساً على أرض غرفة الاستجواب وقد لف حوله العلم الإسرائيلي.

لم نهاجمهم بما فعل السفهاء الذين كانوا يمنعون سـيارات الإسـعاف عـن الجرحـى، كانوا يتركونهم ينزفون حتى الموت، يقول جندي أمريكي:

«إن العراقيين شاهدونا ونحن نهين أمواتهم طوال الوقت. كنا نتحلق حول جثـثهم المتفحمة نمثل بها، ونركلها خارج السيارات ونضع سـجائر في أفـواههم. كمـا رأيـت مركبات تدوسهم. وكان عملنا تفتيش جيـوب العـراقيين القتلـى لنجمـع معلومـات. ولكني كنت أشاهد المارينز وهم يسرقون السلاسل الذهبية والساعات والمحافظ المليئـة بالنقود.

ويصورون عراقياً تم قتله وهو يقود سيارته، والجنود يتلاعبـون بيـده تـارة وبرأسـه تارة أخرى، بينما أحدهم يشد جسده ويهزه بقـوة، في الوقـت الـذي يـرد عليـه آخـر قائلاً: «اجعله يحني رأسه ويقول .. هالو». وهو ما علـق عليـه فرانـك روديجـر، أحـد الضباط بقوله : إن هذا يظهر انحطاط الأخلاق وإهانـة الكرامـة الإنسـانية وانتهاكهـا.

مضيفاً أن المرء لابد له أن يؤكد أن هذا يعد نتيجة طبيعية للثقافة الأمريكية التي تقوم علي التفوق علي الثقافات الأخرى، وبأن الأمريكيين يستطيعون أن يفعلوا أي شيء يريدونه بالآخرين. ولقد صوَّر جنود أمريكيون مشاهد القتل والجثث المتفحمة في العراق وحولوها إلى فيلم بعد إضافة موسيقي تصويرية. كانوا يدوسون على رؤوس الجثث ويلتقطون الصور أمامها. قتلوا الجرحى في المساجد. ولقد نقلت شبكة سي إن إن الإخبارية الأمريكية القول: إن بوش اطلع بنفسه على عشرات الصور الملونة التي تصور سلوكاً جنسياً فاضحاً للجنود الأمريكيين ضد المعتقلين العراقيين. وأوضحت المصادر أنه توجد حوالي ألف صورة، من بينها ٢٠٠ إلى ٣٠٠ صورة عن انتهاكات الجنود الأمريكيين ضد المعتقلين العراقيين، مسجلة على عدة أقراص ليزر، والباقي صور لمواقع مختلفة بالعراق.

***

في بحث مستفيض مدعم بأكثر من مائة وخمسين مرجعا يؤكد الكاتب حسن خليل أبو غريب في مجلة منبر الوطن (١٩/ ٧/ ٢٠٠٥) ما سبق ويروى ما هو آت:

يروي الكاتب لورن ساندر العديد من قصص النساء العراقيات اللواتي تعرضن للاغتصاب، وأفردت جريدة (روبنز بنورث) الأمريكية قصة اغتصاب ٥ جنود أمريكيين لفتاة عراقية، وروى الكاتب الأمريكي، ديفيد كول، عملية اغتصاب بشعة قام بها أربعة من الجنود الأمريكيين ضد أسرة عراقية، وروى الأمريكي وليام بود، في صحيفة (ويست بومفريت) الأمريكية، تفاصيل جرائم بشعة ارتكبها جنود الاحتلال تحت عنوان: «الاغتصاب الديمقراطي»، جاء فيها: إن بوش ترك لجنوده أن يفعلوا ما يحلو لهم مع ضحايا سجنه الكبير في العراق. ترك المجندين كول وديفيد يغتصبان نساء عراقيات بلغ عددهن ٢٦ فتاة وضحية .. يتميزان بالعدوانية الشديدة ضد العرب ويتميزان بالهمجية وعدم الرحمة. قبل أن يقدما على جريمتهما يختطفان ضحيتهما ويجردانها من ملابسها، ثم يقومان بتصويرها وإرسال صورها إلى أصدقائهم في أمريكا للاستمتاع بها. وثمة رسالة تتضمن صورة لجندي أمريكي وهو يشير بعلامة النصر ويقف بجوار طفلين عراقيين يحمل أحدهما وهو مبتسم، لوحة مكتوبة بخط اليد تقول باللغة الإنجليزية (لقد قتل الجندي الواقف بجواري والدي واغتصب أختي). ولقد أكد الفريق الميداني الخاص بـ«مركز بغداد لحقوق الإنسان» أن قوات الاحتلال انتهكت أعراض ١٤٩ امرأة عراقية داخل مساجد الفلوجة. هذا ما يحدث في الشوارع

والمساجد، وللقارئ أن يتصور ماذا يحدث داخل السجون فمن عدد يفوق ألفاً وثلاثمائة سجينة عراقية توجد مئات النسوة اللائي لا ذنب لهن غير أن أزواجهن أو إخوانهن أو آباءهن يبحث عنهم الاحتلال بأي تهمة.

ولم نتهم المسيحية ولا المسيحيين حتى عندما اغتصبوا الأطفال

ففي مؤتمر عقده أحد أكبر اتحادات الحقوق المدنية الأمريكية ويدعى «إيه. سي. إل يو» في واشنطن بتاريخ ١٧حزيران/ يونيو، قال الصحفي الأمريكي المعروف سيمور هيرش : إن لديه وثائق تثبت أن حراس سجن أبو غريب اعتدوا جنسياً على أطفال عراقيين كانوا معتقلين في ذلك السجن.

ولقد اغتصبوا الرجال أيضا، لكنهم كانوا يرفضون الاعتراف بما لاقوه على أيدي الأمريكيين، وذلك حفاظاً على كرامتهم وكرامة أسرهم. لهذا تندر الشهادات التي تدعِّم هذه التهمة.

في ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٥ أوردت شبكة البصرة شهادة هدى فوزي سالم من معسكر الصقلاوية، وهو أحد معسكرات اللاجئين المحيطة بالفلوجة، عمرها ١٧ عاماً، وأفادت: حوصر خمسة من أفراد عائلتنا بينهم جارنا البالغ من العمر٥٥ عاماً داخل البيت، وفي ٩/ ١١ حضر المارينز إلى بيتنا، فخرج أبي وجارنا لمقابلتهم، في ذلك الأثناء أسرعت إلى المطبخ للبحث عن غطاء رأسي (الذي أنقذ حياتي). وما أن فتح والديّ الباب حتى أطلق الجنود النار عليهما فقتلوهما. دخلوا إلى المنزل وأمسكوا بأختي الكبيرة، وقتلوها، لم يروني، وخرجوا، بعد أن كسروا الأثاث وسرقوا نقود والدي من جيبه. مكثت هدى وأخيها ثلاثة أيام متواصلة في البيت بين جثث العائلة رغم قلة الماء والغذاء. وفي الأخير حاولا الهرب من المدينة خوفا من عودة الجنود ثانية إلى البيت. فاعترض طريقهما أحد القناصة فأصيبت هدى في رجلها. أما أخيها فقد أصيب في ظهره ومات على الفور.

حدث هذا كله من مسيحيين فلم نتهم المسيحية بالإرهاب ولا المسيحيين بالهمجية والتخلف .. ..

لم نتهمها رغم أن كل بلايانا من أتباعها .. وكل كوارثنا من أبنائها .. وليسوا أتباعها ولا أبناءها بل أتباع الشيطان وعبيده.

***

والآن دعونا نشهد ما قاله الشيخ عبدالكريم عبدالرزاق إمام وخطيب جامع عمر المختار في العراق في برنامج الاتجاه المعاكس يوم ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٥. والشيخ عبدالكريم من كبار علماء بغداد .. وهو صاحب أشهر صورة في سجن أبي غريب .. صورة المصلوب المقنع والمغطى بغطاء مخروطي أسود تبرز من خلاله أسلاك الكهرباء. ولقد ذهب إلى البرنامج بينما مازال يعالج من آثار التعذيب.

يتحدث الشيخ الجليل عن المجاهدين والجهاد .. ويستغيث بحاكم يغيث كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يغيث ..

فيا عمر الفاروق هل لك عودة فإن جيوش الروم والفرس وأذنابهم تنهى وتأمر

ثم يصف الشيخ الجليل تجليات الحضارة الغربية في أبي غريب:

«في سجون الداخلية العراقية هناك قطع للرؤوس وشواء للأجساد وقلع للعيون والأظافر، وهناك قطع الرؤوس، هناك شواء للأجساد، هناك قلع للعيون، هناك قلع للأظافر (...) هناك جريمة كبرى، هناك فضيحة كبرى شاهدت فصول لها كثيرا في العراق (...) أنا كنت في زنزانتين، زنزانة الأمريكان الفجرة الكفرة وزنزانة الفرس الصفويين ورأيت من العذاب ما لا يراه أحد، لا في محاكم التفتيش ولا في غيرها، عندما كنت عند الأميركان في الشعبة الخامسة في الكاظمية والله كنت في زنزانة استمع إلى فتاة عراقية تقول والله أنا عذراء والله أنا بكر والله أنا شريفة وتنادي بالله ثم نادت وا محمداه وا نبياه وا إسلاماه وعند زنازين الفرس الصفويين علقونا وهذه رجلي أستطيع أن أريها للمشاهدين وللمسلمين كيف ألقوا حامض الكبريتيك علينا، سلطوا الكهرباء، قلعوا الأظافر، كنت أشم رائحة الشواء وكان الواحد يوصي الآخر اصبر فإن موعدنا الجنة، فيدخل منهم .. من أراذل القوم يقول أما تريد أن تتغدى مع النبي؟ سوف نجعلك تتغدى مع النبي مباشرة، سوف نضربك طلقة برأسك فتذهب شهيدا، مو تحب الشهادة أنت؟ أنت مو تريد الشهادة؟ وهكذا أخي هناك جريمة وأنا أنادي أمة الإسلام الآن والله سوف يجمعنا الله غدا يوم القيامة على ما يحدث في العراق وعلى الجرائم التي في العراق ..

يبدأ الشيخ الجليل في عرض صور العذاب الفظيعة المروعة لكنه سرعان ما يستدرك فيطلب من المشاهدين إبعاد أطفالهم كي لا تروعهم الصور (...) هذه صورة من ملايين الصور، حُرقت .. هذه من منطقة الحرية ونعرفهم، هؤلاء يصلّون

أحيانا في جامعي، ناس مسالمين، يعيشون مع السنّة والشيعة، جاءت مغاوير الداخلية أخذتهم وأحرقتهم حرقا .. يعني ولم تُفعَل هذه الجريمة في محاكم التفتيش وسوف آتي لك بجرائم أخرى، هنا ثقب بالدريل ومَن أراد أن يعرف ما هي الدريل فليتعرف على هذه الصورة؟ (...) هذه ثَقب الأرجل والأيدي بالدريل (المثقاب الكهربائي)، ثم تأتي إلى صور أخرى، هذا الإنسان ثقب جسمه بالدريل في شهداء المدائن .. قبل أن يموت .. (...) دمروا العراقيين، حرقوا المنطقة الغربية بجميعها، قتلوا أبنائنا، قتلوا نساءنا، يصرخ الشيخ الجليل وأصرخ معه:

– قريبا سوف يصبح العيد عيدين وأنا أقول للعراقيين مَن لم يستطع أن يضحي في يوم الأضحى فليأخذ جنديا أميركي يضحي به ويُجزَي إن شاء الله.

ويواصل الشيخ الجليل (..) كنت معتقلا وعُذِبت ورأيت دماء .. وشممت رائحة الشواء وهذا الشيخ فقط قال : اللهم سدد رمي المجاهدين، هذا الشيخ ثقب وجهه فقط قال : اللهم سدد رمي المجاهدين، قُتل هذا شيخ بسبعة أطفال قُتل .. لأنه قال : اللهم سدد رمي المجاهدين، هذا ثقب وجهه بالدريل وقالوا ألا تريد أن تأكل مع محمد؟ اذهب الآن، اسمعوا يا أمة الإسلام، اسمعوا ما هذا السكوت، ماذا تقول لله وتقولون لله ولرسوله؟

***

إليك عني أيها القارئ ..

لم نتهم المسيحية ولا اليهود بما نشرته صحيفة (ديلي ستار) الملحقة بـ (الهيرالد تريبيون) فقد أمدت إسرائيل الأمريكيين بآليات ونظم تعذيب لانتزاع الاعترافات من أسرى ومعتقلي السجون العراقية حتى بات العسكريون الأمريكيون يستمعون بعناية فائقة إلى خبراء إسرائيليين للتزود بخبراتهم في التعامل مع المقاومة الفلسطينية واللبنانية .. وعملاً بمبدأ أن الفعالية في انتزاع الاعترافات ينبغي أن تكون لها الأسبقية على احترام مقتضيات الديمقراطية وحقوق الإنسان فقد أقيمت تدريبات مشتركة أمريكية إسرائيلية في صحراء النقب.

***

لم نتهمهم .. وكان الأوقع أن نتهمهم .. لأنهم جميعا مجرمون .. لا فرق بين شعب وأمة وإرادة وجيش .. لكننا .. لأننا خير أمة أخرجت للناس فإن الاتهام عندنا فردي

والعقوبات الجماعية محرمة .. هكذا يقول لنا الإسلام.

لم نتهم المسيحية ولا اليهود بما حدث عندما ثار الجزائريون أثناء الحرب العالمية الثانية مطالبين بحريتهم، فما كان من البوليس الفرنسي إلا أن قصف المتظاهرين بمدافع الميدان التي تستخدم في تحطيم الحصون، كان القصف وحشيا، وكان ذلك في الثامن من مايو سنة ١٩٤٥، فأعلنت الأحكام العرفية على أثر ذلك، وأقبل الطراد ديجواى – تراون« ليواصل المذبحة فأمطر مدينة خزاطة» وابلاً من قنابله الثقيلة، وقامت قوات الجيش بالحملات التأديبية، وشنق الوطنيون من غير محاكمة، كان عدد القتلى من العرب كما قيل أولاً بصفة رسمية إنه ١٥٠٠، غير أن الجيش أعلن أنه يتراوح بين ٦٠٠٠ و٨٠٠٠. ثم جاءت إحصاءات أخرى تقول إن العدد الصحيح هو: عشرون ألفا، وبعد إعادة النظر في حقائق الأمور تبين أن العدد الصحيح هو ٤٠٠٠٠ قتيل

أربعون ألف قتيل يحصدون هكذا بين عشية وضحاها!!!

أربعون ألفا .. .. ..

ولم نتحدث عن وحشية المسيحية أو المسيحيين ..

بعد المذبحة .. ذهب المبشرون كي ينصروا اليتامى من أبناء الشهداء .. تماماً كما حدث لأبناء وبنات مسلمي البوسنة والهرسك – وليقولوا لهم وهم يحشرونهم في إحدى الملاجئ المسيحية: الله محبة!!!« وعلى الأرض السلام!!!» وللناس المسرة!!!».

***

في مايو ١٩٤٥م: قصف الطيران الأمريكي مدينة (درسدن) الألمانية رغم أن الزحف الروسي كان قد تجاوزها ولم تعد لهذا السبب تشكل هدفاً عسكرياً، وقد أدى القصف إلى قتل ١٥٠ ألف شخص مدني، كما تخرب ٦٠٪ من أبنيتها.

وفي أغسطس ١٩٤٥م: أمر الرئيس الأمريكي (ترومان) بإلقاء قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما اليابانية التي أودت بحياة (٧٨١٥٠) شخصاً، إضافة لعشرات المشوهين.

وفي ٩أغسطس ١٩٤٥م: أمر الرئيس الأمريكي (ترومان) بإلقاء القنبلة الذرية الثانية على مدينة (ناكازاكي) اليابانية فحصدت (٧٣٨٨٤) قتيلاً، و(٦٠,٠٠٠)

جريح مع إبادة كاملة لكل حيوان وحشرة ونبات.

وفي عام ١٩٤٩م أشعلت الولايات المتحدة حرباً أهلية في اليونان ذهب ضحيتها ١٥٤ ألف شخص، وأودع حوالي ٤٠ ألف إنسان في السجون، و٦ آلاف أعدموا بموجب أحكام عسكرية. وقد اعترف السفير الأمريكي الأسبق في اليونان (ماكويغ) بأن جميع الأعمال التكنيكية والتأديبية الكبيرة التي قامت بها الحكومة العسكرية في اليونان في الفترة ما بين عام ١٩٤٧ – ١٩٤٩م كانت مصدّقة ومهيأة من واشنطن مباشرة.

وفي ٩ أغسطس ١٩٥٣م: نفذت وكالة المخابرات المركزية انقلاباً ضد حكومة مصدق الوطنية في إيران. قام بالتخطيط والتنفيذ (كيم روزفلت) حفيد (تيودور روزفلت) رئيس الولايات المتحدة.

وفي عام ١٩٦٨م: دبرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية انقلاباً عسكرياً يقوده سوهارتو ضد رئيس إندونيسيا (سوكارنو) الذي قاد البلاد نحو التحرير من اليابانيين ومن ثم الهولنديين. وقد تبع هذا الانقلاب حفلات إعدام راح ضحيتها مليون شخص.

كما أشعلت الحروب التي راح ضحيتها الملايين في لاوس كمبوديا فيتنام.

في عام ١٩٦٩م: قتل (كولبي) كبير ممثلي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في فيتنام شخصياً، وفق برنامج فينيكس (أي التصفية الجسدية)، ١٨٠٠ شخص شهرياً في فيتنام الجنوبية، وبلغ مجموع ما قتله ٤٠ ألف شخص.

فهل أدرك الديوثون حجم غضبنا وحجم غضب منتظر الزيدي؟ ولماذا ذهب دون إذنهم ليرجم رأس الشيطان بحذائه حيث لم يراع مقتضيات الضيافة وأصول الإيتيكيت؟ ...

هل يعلم الديوثون أي مخالفة لآداب المهنة وخروج على مقتضيات الواجب الوظيفي حدثت في (سربرنيتشا) و(بيهاتش) التي نقصُ بعض ما حدث فيها، الاثنتان من عشرات المدن البوسنوية التي تم فيها طبقاً لبعض الإحصائيات قتل وتعذيب وحرق ما يزيد عن٣٠٠ ألف مسلم أغلبهم من النساء والأطفال، منهم ٧٠ ألف قضوا نحبهم في مجازر جماعية و٥٠ ألف معاق وما يزيد عن ١٢٠ ألف مفقود، كما تم تدمير أكثر من ٨٠٠ مسجداً من أصل ١٥٠٠ مسجد، وطرد جماعي قسري لما يزيد

عن مليوني مواطن- هم تقريباً جملة من بقي حياً من سكان هذه الدولة المسلمة- بلا مأوى ولا طعام ولا خيام، واغتصاب ما يزيد عن ٧٥ ألف جندي داخل ما يقرب من عشرين معسكراً لأكثر من ٧٠٠ ألف طفلة وسيدة، زرعت أرحام المئات منهن بأجنة ذئاب وكلاب بشرية تنتسب إلى تلك الحضارة الزائفة الفاجرة التي لا تعرف الرحمة ولا تمت للإنسانية ولا للقيم والمبادئ النبيلة بأدنى صلة، والغريب في الأمر أن عمليات الاغتصاب غالباً ما كانت تتم علانية وعلى مرأى ومسمع من الجميع بل وأمام الآباء والأزواج في كثير من الأحياء، وكان جزاء من يتحرك لإنقاذ أي منهن وابلاً من الرصاص يخترق رأسه ويسقط بعدها صريعاً مضرجاً في دمه.

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف ..

أورد تقرير (شفارتز) عضو الحزب الديمقراطي المسيحي وعضو البرلمان الألماني الذي ورد في إحدى نشرات منظمة البر الدولية تحت عنوان : (رأيت بعيني) وفيه يقول: «رأيت طفلاً لا يتجاوز عمره الثلاثة أشهر مقطوع الأذنين مجدوع الأنف، رأيت صور الحبالى وقد بقرت بطونهن ومُثل بأجنتهن، رأيت صور الشيوخ والرجال وقد ذبحوا من الوريد إلى الوريد، رأيت الكثيرات ممن هتكت أعراضهن ومنهن من تحمل العار ولم يبق لولادته سوى أسابيع، رأيت صوراً لم أرها على أية شاشات تليفزيونية غربية أو شرقية، وأتحدى إن كانت عند هؤلاء الجرأة والشجاعة لبثها».

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف ..

كان رواد الحضارة والتحرير والتنوير من أشاوس الصرب يقطعون- حين قتلهم المسلم البوسنوي- إصبعين فقط من أصابع يده ويتركون الثلاثة الباقية علامة التثليث .. وكانوا يبالغون في تعذيب حفظة القرآن وأئمة تلك المساجد ويذبحونهم في أغلب الأحيان على مرأى ومسمع ويمثلون بجثثهم ..

كان دعاة تحرير المرأة يقومون بإجبار امرأة مسلمة على شرب دم ابنها الصغير بعد قتله أمامها .. ويضعون الأطفال المسلمين في فرّامات اللحم وخلاطات الأسمنت ومطاحن الأعلاف .. ويقومون بدفنهم أحياء وأحياناً بسحب دمائهم حتى الموت لنقلها لجنود الصرب ..

كانوا يقتلون الأسرى والمستسلمين بالآلاف (أصرخ: لماذا استسلموا؟ لماذا لم يقاتلوا فيَقتلون ويُقتلون؟) كانوا يفرضون حظر التجول حتى يتضور الأطفال جوعا،

ثم يعطون مهلة قصيرة للناس كي يحصلوا على ما يسد رمق الجوعى .. وبمجرد أن يملأ الناس الشوارع كانوا يطلقون عليهم الرصاص. كانوا يلبسون الأسرى نفس لبسهم ليكونوا دروعاً بشرية في مرمى نيران الحرس الدفاعي المسلم .. ولا وهم يقومون في يوم واحد بقتل ألف مسلم ثم يتبعون ذلك بفقء أعينهم وبرسم الصلبان على جثثهم بالخناجر ثم بتقطيع آذانهم وأنوفهم ويتركونهم بعد ذلك نهباً للحيوانات تلغ في دمائهم .. ولا هم يقومون بحصد ٢٠ ألف مسلم في ٣١/ ١٠/ ٩٢ خارج (يابيتش) والاستمتاع بقتلهم بعد حصارهم- حسب إذاعة لندن الذي وصفت هذا العمل بأنه انتهاك خطير لحقوق الإنسان .. ولاهم يقومون بشوي طفل رضيع على النار أمام أبيه تماماً كما يشوى اللحم، ويأمرون الأب تحت تهديد الرصاص أن يأكل من لحم فلذة كبده ليطلقوا عليه الرصاص بعد ذلك.

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف ..

بقرت بطون النساء المسلمات بعد اغتصابهن وبعد أن خطت ورسمت على أجسادهن الصلبان .. ونساء أخريات قتلن بعد أن استؤصلت أرحامهن لا لشيء إلا لأنهن كن في الدورة الشهرية إبان فترة الغزو .. كان الأسرى يجبرون على خلع ملابسهم الداخلية والكشف عن أعضاء الذكورة لديهم، فإذا وجدوا أنه مسلم مختون قطعوا أعضاءه التناسلية ثم قاموا بذبحه وإلقائه في الماء المغلي وشيه كالذبائح ..

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف

يصرخ د/ ربيع كما يصرخ أحمد منصور في قناة الجزيرة: أين حقوق الإنسان من اتخاذ أطفال دروع بشرية يضعونها على فوهات الدبابات ومن قتل جرحي وطردهم أحيانا وتدمير مراكز طبية وأخذ كل ما تبقى من أجهزة طبية من داخل المستشفيات بعد الاعتداء على الأطباء لمنع معالجة الجرحى وقصداً لإفناء من لم يفن من رصاصات القناصة وقنابل الفوسفور وقذائف الطائرات ونيران الدبابات والمدرعات التي لا تبقي ولا تذر وتدمر البيوت على ما ومن فيها؟ أين حقوق الإنسان من هذه الانتهاكات التي نسمع عنها مما يجري في الهند وبورما وبلغاريا وكشمير والفلبين وغيرها ضد كل ما هو إسلامي؟ وفي أي نظام أو أية شريعة يُمنع المعتدى عليه من الدفاع عن نفسه ويحظر عليه السلاح بل ويطلب منه تسليم بنادقه المتهالكة التي بقيت مع بعض أفراده في حين يتمتع المعتدي بدباباته وطائراته وصواريخه وكامل عتاده يقتل ويهلك ويدمر؟

أين ذلك النظام الدولي الجديد الذي يدعي القوامة على العالم إلا أن يكون هذا النظام أقيم خصيصاً لمواجهة الإسلام والمسلمين؟.

حدث هذا كله فلم نتهم المسيحيين ولا المسيحية بالتوحش والتخلف والإرهاب ..

حدث فلم نعلن الحرب على العالم .. حاولنا فقط أن ندافع عن أنفسنا .. وفشلنا .. لأن الغرب – المسيحي – كان قد جاء بمجموعة من القوادين والنخاسين وجعلهم ملوكا علينا .. فأذلونا ..

لم نتهم الجمع بل حددنا التهمة بمن يرتكبها فقط ..

لأننا خير أمة أخرجت للناس لم ننسب الفعل للدين ولم نقتل لمجرد الاشتباه كما يفعل وحوش يدعون انتماءهم زورا إلى عبدالله المسيح عيسى ابن مريم.

أساءوا إلينا فرددنا على إساءاتهم بالإحسان

***

إنني أريد أن أؤكد أنه إذا ما عزت التفاصيل .. أو غمضت الوسائل فإن المنطقي أن ما حدث في العراق يحدث في فلسطين في مصر في الجزيرة في المغرب .. فالخلفية واحدة .. والكفر ملة واحدة ..

***

سامي الحاج مصور يعمل لدي قناة الجزيرة، وقد اعتُقل على الحدود الباكستانية الأفغانية بينما كان متوجها إلى مدينة قندهار ضمن فريق القناة، في ذلك اليوم من ذلك العام انتهت الرحلة بسامي الحاج في معتقلات تشامان وكويتا وبغرام وأخيرا في غوانتانامو، التهمة؟ لا تهم محددة حتى يوم الإفراج عنه سوى معلومات متضاربة ومشوهة يطلقها الأميركيون كما يُفعل مع أغلب معتقلي غوانتانامو، أما عن حق سامي الحاج في محاكمة عادلة فيظل بعد ألف وأربعمائة وستين يوما من اعتقاله معلقا حتى إشعار آخر.

ووفقا لما نشرته صحيفة الغارديان اللندنية في ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٥، عرض المحققون على سامي الحاج الحصول على الجنسية الأمريكية مقابل أن يصبح جاسوسا. وحسب الوثائق التي اطلعت عليها الصحيفة، صرّح الحاج: «قالوا لي إذا تعاونت معنا فسنعلمك الصحافة، وسنقدم لك فيزا لتعيش في أي مكان من اختيارك. سنمنحك

الجنسية الأمريكية، وسنوفر لـك الحمايـة، وسـنعطيك أمـوالا .. سنسـاعدك علـى أن تكتب كتابا وسننشره لك. وهذا سيدفع القاعدة للاتصال بك والتعاون معك. »

جملة اعتراضية: هل يتذكر القارئ ما كتبته في مقال قديم أن أجهزة الأمن المصـرية تجند كتابا وصحافيين بنفس الطريقة .. والكفر ملة واحدة! ..

يتابع المحامي البريطاني الأميركي كلايف ستافور سميث ملف مصور قنـاة الجزيـرة سامي الحاج الذي تعتقله واشنطن منذ أكثر من ثـلاث سـنوات في غوانتانـامو. يقـول سميث إن الأميركيين لم يوجهوا اتهامات محددة لسامي لكنهم يستعملونه كورقة ضـد قناة الجزيرة.

يقرر المحامي: على المستوي التقني ليست هناك تهم ضده. لم توجـه لـه رسميـا أيـة تهمة حول أية جريمة، لكنه متهم بكونه أحد «المقاتلين الأعداء» وهو توصيف في غايـة السخافة يلصقه الأميركيون بمن يشاؤون. ليس هناك مطلقا أية وقـائع. (...) أحـترم سامي لأنه رفض الافتراء ضد زملائه رغم الضغوط الأميركيـة (...) خضـع سـامي للاستجواب بطريقة عنيفة ١٣٠ مرة. الهدف من ذلك كان هـو جعلـه يتحـول لمخـبر ضد قناة الجزيرة. كان الجيش الأميركي يريـد منـه أن يقـول إن الجزيـرة هـي «جبهـة» لتنظيم القاعدة وإن القاعدة تمولها. لقد رفض الحاج أن يقول ذلك لأنه غـير صـحيح. كشف له الجيش الأميركي أن الأميركيين يتنصتون على هواتف صحفيي القناة (كـانوا يتنصتون على مكالمات سامي مع زوجته لما كان في مهمة إعلامية).

كان الأميركيون يريدون بالأخص من سامي أن يكون مخـبرا ضـد الصـحفي أحمـد منصور، ويقولون إن منصور عميل للقاعدة. لكن سامي رفض بقـوة أن يقـوم بـذلك لأن تلك التهم كما يقول هي بكل بساطة غير صحيحة. (...) سامي يوظف لتمرير رسالة إلى الجزيرة مفادها أن أميركا ورغم أنها تدعي دعم حرية التعبير، تريـد إغـلاق تلك القناة أو إجبارهـا علـى ممارسـة الرقابـة علـى نفسـها لكـي تتوافـق مـع الرؤيـة الأميركية.

***

يكتب سامي الحاج رسالة طويلة- تنشرها قناة الجزيرة- يشرح فيهـا مـا يحـدث في أوكار الشياطين في أنحاء العالم فكأنما القرصان بوش يقول لكل معتقل سياسـي: أينمـا تكون فسـوف يأتيـك مـني العـذاب .. يقـول سـامي الحـاج عـبر رحلتـه الطويلـة في

معتقلات أسماؤها شتى لكنها تعبد ذات الشيطان:

«كوكبة من جميع أنحاء البسيطة قاسمها المشترك «الإسلام» يؤتى بهم من كل حدب وصوب، بأيدٍ قد أوثقت بالأغلال وأرجل مثقلة بالقيود ورؤوس مختفية داخل أكياس سوداء إلى هذا المكان المجهول. أبواب تفتح ونزول إلى أمتار عدة تحت الأرض في زنزانة صخرية الجدران حجمها لا يزيد عن المترين طولا ومتر عرضا، خالية تماما. وقبل أن يوصد الباب، تجرد من جميع ملابسك ثم ينظر إلى درجة اشتباهك، فإن كنت مشتبها به في الارتباط بأي منظمة «إرهابية» تربط يدك اليمنى على الجدار بحيث لا تستطيع الوقوف ولا الجلوس، وإن كنت مشتبها به في العضوية تعلق من يديك على السقف بحيث لا تلامس رجلاك الأرض، أما إذا كنت مشتبها به قياديا في منظمة إرهابية فتعلق في السقف من رجليك وتظل تسبح في الهواء. وتصل درجة حرارة الزنزانة إلى ما تحت الصفر في الشتاء، أما في الصيف فهي جحيم لا يطاق. أما الطعام فحسب درجة الاشتباه، فالمشتبه به العادي له وجبة كل ثلاثة أيام عبارة عن قبضة من الأرز نصف مستوي (النضج) مخلوط بنصف قبضة من التراب وملعقة من الفاصولياء السوداء، بالإضافة إلى قارورة من الماء الآسن الذي لا تستطيع أن تتجرعه إلا بعد إغلاق أنفك تماما. ولا تسأل عن مكان قضاء الحاجة فحسبك زنزانتك فهي كلها مكان لقضاء الحاجة. وبالنسبة للزمن فكل أيامك ظلام لا تعرف ليلا من نهار ولا تحلم بالنوم فأصوات الموسيقى الصاخبة وأصوات الحيوانات يخالطها أنين وآهات بني الإنسان نزلاء المكان. وبين الحين والحين والفينة والأخرى يدخل عليك الزوار خفافيش الليل أبطال من الملاكمين، وفي بعض الأحيان أصحاب الأحزمة السوداء في التايكواندو والكاراتيه، وفي زيارة أخرى المصارعين أو جلادون كرام. وتظل على هذا الحال شهرا .. شهرين .. ثلاثة .. والبعض يمكث سنين طوال، وفي بعض الأحيان يأخذونك في نزهة خارجية في غرفة ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار، ويجلسونك على كرسي شبيه بكرسي طبيب الأسنان وأمامك عصي بجميع الأحجام، وبجانبك الأيمن كماشات لقلع الأظافر، وعلى جانبك الآخر مطارق ومسامير ومناشير، ومن تحتك حديقة حيوان بدءا بالقطط والفئران مرورا بالكلاب والعقارب والأفاعي العظام، ومن فوقك أسلاك كهربائية مختلفة العيارات. وعدد الزيارات حسب درجة الاشتباه، فالمشتبه به العادي مرة في كل أسبوع وفي جدولك زيارات إلى «المراوش» والمسابح. أما المراوش فيوضع الإنسان تحت أنبوب قطره لا يقل عن خمسة بوصات ثم يصب

عليه الماء حسب الموسم، فإن كان شتاء فالماء على درجة قبل التجمد، وإن كان صيفا فعلى درجة قبل التبخر، أما الأحواض فمستنقعات من الأوساخ.

***

نعود إلى سامي الحاج .. ولندعه يواصل:

وبالنسبة للتحقيق .. وما أدراك ما التحقيق! أبطاله عرب شداد يتحدثون جميع اللهجات وخاصة المصرية والأردنية والعراقية. وفي هذا المكان فقط ترى الضوء إذ تسلط عليك إضاءة لا تقل قوتها عن ألف واط فأكثر. وبالتأكيد لن تر شيئا ولن تستطيع أن تفتح عينيك وستظل مغمض العينين من تلقاء نفسك حتى تلبس الكيس الأسود بعد نهاية الجولة. وعن الإكرام في الاستقبال وأثناء التحقيق فحدث ولا حرج .. بصقة .. صفعة .. ركلة .. لكمة .. صعقة كهربائية .. ضرب على أماكن حساسة وغير ذلك حتى نهاية الجولة .. وقبل الخروج إلى زنزانتك تعطر ببول معتق وتدهن بمخلفات الإنسان والحيوان. أما نزلاء هذا المكان فهم كثيرون لا يحصون .. ولكن من الذين خرجوا أحياء بقدرة إلهية ولم يلقوا حتفهم بأزمات قلبية –كما يدعي الأميركان– عمير اليمني وعبدالله الليبي وأيوب اليمني ورفيق الجزائري وبشير الصنعاني ويونس وهائل الذي فقد إحدى خصيتيه جراء الضرب والضغط عليها. »

«ثم يطير طائرنا ثانية من هذا الظلام ليحلق قهرا ويحط في منطقة تحيط بها الجبال تدعى «بغرام» التي لا تبعد عن هذا المكان سوى كيلومترات ليجد أناسا أخلاطا من نساء ورجال، شيب وأطفال. فلقد شوهدت امرأة باكستانية في إحدى الزنازين الانفرادية مصابة بحالة هستيرية من شدة ما ذاقت من أصناف الأذى وألوان العذاب، وأطفال يبكون من هول ما يرون وشباب يضربون حتى الموت، وما أكثر الذين أعلنت رسميا وفاتهم إثر أزمة قلبية مزعومة، وما خفي أعظم. »

«وبعدها يطير طائرنا مرة أخرى ليهبط بقندهار، وبالتحديد في مطارها حيث معتقل مكافحة الإرهاب. وداخل إحدى الخيم هذا فهد الشريف من آل البيت وسكان مكة المكرمة يوضع في خيمة انفرادية وتوجه له تهمة التخطيط لعمليات الحادي عشر من سبتمبر. وعندما ينكر ذلك يعلق من يديه مدة سبعة أيام مجردا من الملابس سوى سرواله القصير في البرد القارص دون طعام أو شراب، حتى يغمى عليه بعد ستة أيام فينزلونه ويطعم وجبة واحدة في اليوم مدة أسبوع آخر، وهو مجرد

من ملابسه. ثم يدخل عليه المحقق فينكر التهمة فيدخل عليه آنذاك أربعة مصارعين من الجنود ويمسكونه بحيث لا يستطيع تحريك ساكن، وتدخل عليه عاهرة من العاهرات الأميركيات فتفعل ما يفعل الرجل بزوجته بحضور المحقق، ثم يبدأ الجميع بالضحك والسخرية. وعندما تقضي العاهرة حاجتها منه يهدد بتكرار هذا الفعل يوميا إذا لم يعترف، ثم يترك مرميا في خيمته عاريا خائفا محطما، ويعاوده المحقق كل يوم بالتهديد تارة وبالضرب تارة وبالشتم تارة أخرى، والاستهزاء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي، ولقد قال له بالحرف الواحد: «في هذه الحرب سوف ينتصر الصليب».

***

نعود إلى سامي الحاج ..

نعود إليه ليحدثنا عن جوانتانمو ..:

في خليج غوانتانامو «غولاغ المعاصر» حيث حديقة الحيوانات البشرية في حمامات انفرادية. يذهب بنا سامي الحاج إلى غرف التحقيق مباشرة ليقرأ على أحد الأبواب لافتة كبيرة مكتوبا عليها باللغة العربية «جهنم». وتلك هي الغرفة التي خصصت لطالب العلم وحافظ كتاب الله «فاروق المكي» يتجرع فيها أشد أنواع التعذيب الجسدي والنفسي .. تسهير وموسيقى صاخبة .. إضاءة قوية .. برد قارس .. استهزاء بالإسلام بل بالقرآن، فمرة يوضع تحت رجل المحقق، وأخرى يرمى على الأرض .. ثم إغراء المومسات.

***

نعود إلى سامي الحاج ..

نعود إليه في غرفة مجاورة ليجد فيها عبدالهادي الشارخ وهو شاب لم يتجاوز العشرين من العمر .. تسهير ثم صخب موسيقى ثم عاهرة تمسح على صدره «كريم» يثير الشهوة ثم تجلس على فخذيه وتخرج أصواتا في محاولة منها لتحريك غريزته، فيأبى الله له الخذلان ويظل صامدا صمود الرجال وراسخا رسوخ القمم الرواسي، فيجنّ جنون المحقق فيأتي بالقرآن الكريم ويرميه على الأرض ثم يطأه برجله القذرة، فيظل عبدالهادي على ما هو عليه فيزداد غضب المحقق ويأتي بعلم إسرائيل ويلفه على رأسه، وكل هذا وهو مكبل بقيود في يديه وموثق بالسلاسل والأغلال في رجليه على

أرضية الغرفة.

***

في غرفة أخرى، هذا يعقوب السوري تدخل عليه المحققة وهو مقيد بالسلاسل وتتعرى أمامه، وعندما يخفض بصره تخرج قطعة من القطن وتأخذ من دم حيضها القذر وتمسح به وجه يعقوب المستنير بكلام الله عز وجل الذي يحويه صدره ويحفظه عن ظهر قلب. ويبقى على هذه الحال ساعات طوالا. وفي غرفة مجاورة يأمر المحقق المعتقل «محمد رجب» بالسجود له فيأبى السجود لغير رب الأرض والسموات، ويرفض أن يستكين لأمر مخلوق في الخضوع له، فيذيقه العذاب. ثم في غرفة أخرى، يدخل جندي وجندية على معاذ السيد فيتعريان أمامه ثم يمارسان الرذيلة ويجتهدان في إثارة غريزته، فيناجي ربه فيستجيب له ويحصنه حتى يعود إلى زنزانته من جديد.

***

نعود إلى سامي الحاج ..

لكنه يودعنا بعد أن يجهز على البقية الباقية من إحساسنا إن كان عندنا إحساس يتجاوز ذلك الإحساس الذي يدفعنا للمظاهرات ..

يقول سامي الحاج:

واعلم أيها القارئ والمستمع الكريم أن هناك الكثير من القصص والحقائق أبشع وأفظع مما ذكرناه، ارتأيت أن أبقيها طي الكتمان حتى لا تخدش مسامعكم ولا تقسي قلوبكم، ولا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم.

سامي الحاج- معتقل غوانتانامو بكوبا في ٨ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٥ المصدر: الجزيرة.

***

هل تعلمون ماذا حدث لسامي الحاج بعد ذلك يا قراء ..

يقول محاميه:

لقد عانى سامي أسوأ أنواع التعذيب عندما اعتقل ونقل إلى أفغانستان. كما عانى في غوانتانامو وبشكل خاص لكونه احتج على تدنيس القرآن الكريم.

ويواصل المحامي:

لقد تعرض للضرب مرارا واعتدي عليه جنسيا ..

فهل سمعتم؟ هل قرأتم؟ هل وعيتم؟ هل فهمتم؟ ..

لقد هتكوا عرضه ..

هتكوا عرضه يا قراء ..

هتكوا عرضه ..

لا ..

لا والله ..

بل سلم عرضه ..

سلم عرضه ..

أحصن عرضه ..

وهتكت أعراضنا نحن .. يا قراء ..

***

هل تريدون المزيد كي تعلموا لماذا فعل منتظر الزيدي ما فعل؟ ..

***

هل عرف الديوث لماذا رجم منتظر رأس الشيطان بالحذاء؟ ..

أتداعى ..

يتداعى الماضي كانهيارات جبلية وتنهار صخور الذكريات لتسحق وتجرح وتكسر وتدمي .. وتدفن تحت الأنقاض ..

تتجسد الحادثة المروعة التي نشرتها الصحف منذ أعوام طويلة ثم نسيها الناس .. لكنني لم أنسها قط .. لأنها تتجدد داخلي كل يوم .. كانت قد أصبحت رمزا يجسد واقعنا.

تتلخص الحادثة في أن ثمة أب جاهل مجرم أراد أن يعاقب طفله فقيد معصميه وشد الوثاق حتى انقطع سريان الدم عن يدي الطفل، كان الطفل يصرخ ويتوسل، ولكن الأب الجبار الطاغية الطاغوت لم يدرك مدى الكارثة التي توشك أن تحيق بابنه، وحتى الأم لم تدرك، لم تتدخل لحمايته، لم تنجد، لم توقف الكارثة، وأخيرا، بعد أن هزت الصرخات السمع الأصم بدأ الأب يدرك الكارثة ففك وثاق ابنه لكن بعد

فوات الأوان، ولم يكن ثمة مفر بعد المحاولات المضنية في المستشفى، من بتر يدي الطفل المسكين، وغرق الأب في ذهوله أمام ابنه الذي راح يتوسل إليه في براءة دامية، ليقر أنه يعترف بالخطأ، وأنه لن يعود إليه أبدا، وأنه بعد اعترافه ذاك، وبعد توبته النصوح تلك، يلتمس العفو من أبيه، ويستمطر الرحمة، وأنه يرجوه، بعد المواثيق الغليظة أنه لن يعود إلى الخطأ أبدا أن يعيد إليه يديه المبتورتين ..

لم يطق الأب، ذهب إلى منزله في الطابق العاشر، وقفز من الشرفة، فمات ..

***

يا ولاة أمورنا أعيدوا إلى الأمة التي طالما شددتم عليها الوثاق أيديها المبتورة. أعيدوها. أعيدوا إلينا قوتنا المهدرة، عقولنا المخدرة، ووعينا المفقود، أعيدوا للإنسان كرامته، أعيدوا للأمة روحا سلبتموها .. وحرية قايضتم عليها باستمراركم ..

***

نتكلم عن السفسطة لا عن الدين فنتساءل أيهما الأول: البيضة أم الدجاجة ..

وبنفس المنهج نتساءل: أيهما السبب فيما صرنا إليه: أمة خانعة ذليلة أم حكام خونة وحكومات عميلة ؟.

وبنفس المنهج أتساءل: هل عداوة الغرب لنا هي عداوة التدين المنحرف المحرّف للإيمان؟

أم هو إجرام متأصل فيهم وما بدا من عدائهم للإسلام ليس إلا جزءا من حضارتهم الإجرامية وعدائهم للبشر أجمعين .. إلا أنفسهم .. بل حتى أنفسهم! ..

***

كدت أحلق في عنان السماء فرحا بضربة الحذاء الذي أبى أن يصافح وجه المسيخ الدجال لكنني ما لبثت حتى سقطت في مهاوي الألم ..

لقد قام البطل الشجاع- منتظر الزيدي- جزاه الله خيرا بأقصى ما يمكن أن يقوم به رجل .. قام به ليحيي معنى قديما كدنا ننساه بل كدنا نقلب معناه .. المعنى القديم الذي يصف رجلا مثله بأنه رجل بأمة .. قام بأقصى ما يستطيع ..

جزاه الله خيرا ..

تصرف هو نيابة عن الأمة كلها ..

الآن تتصرف الأمة كلها كأنها رجل واحد عاجز ذليل ..

هل قلت: كأنها رجل ..

لا والله فما فيها من صفات الرجل شيء ..

هل هذا هو قصارى جهد الأمة ..

لكم هي محزنة تلك الفرحة العارمة التي غمرت قلوب الناس لضرب الطاغوت المجرم بالحذاء ..

نعم .. محزنة فرحة الناس بضربة الحذاء ..

محزنة .. كحزن فرح أهل الشهيد بالعثور على الأشلاء! ..

محزنة .. كفرح مليونير .. بل ملياردير فقد كل شيء حتى أمسى على شفا الموت جوعا وعطشا فوجد فجأة ما يقيم أوده ففرح به .. فكم هي محزنة فرحته ..

من أجل ذلك اصطخبت المشاعر في قلبي .. ما بين ألم دامغ وفرح دامع .. فخر وخزي ..

نشوة لإهانة الطاغوت .. وعذاب لا يوصف .. لأننا ندرك أن منتظر الزيدي فضح عجزنا جميعا .. وأن حكامنا ونخبتنا ليسوا أقل استحقاقا لمهانة ضرب الحذاء من بوش.

عزت عليّ نفسي يا قراء ..

عزّت عليّ أمتي ..

عز عليّ ديني

عزّ عليّ تاريخي ..

وعزّت عليّ: لا إله إلا الله محمد رسول الله ..

كيف احتملنا ولماذا احتملنا ..

كيف صبرنا ولماذا صبرنا .. كيف عجزنا ولماذا عجزنا هذا العجز كله حتى حملناه للبطل الشهيد الحي منتظر الزيدي فحاول أن يأخذ بثأر أمة ..

رفض منتظر الزيدي أن تكون مأساة الأمة مأساة لاجئين متسولين أو متوسلين ..

رفض أن تكون مأساة الأمة استجداء للعطف وللرحمة لا طلبا للحق وللعدل ..

أبى الرجل أن ينظر إلى العدوان على العراق كمأساة إنسانية يستجدي بها عطف العالم ويتسول شفقته ..

أدرك منتظر أننا الأعز .. وأنهم الأذل ..

استنكر أن يفعل ما يفعله قطعان حكامنا .. عصابات حكامنا .. من أن يكون أقصى ما يسمحون به فتح حساب للصدقة .. وحتى حسابات الصدقة راح المجرمون الأذلاء المهانون الحائضون يطاردونها .. يا له من ألم .. يا له من خزي .. يا له من عار .. ليس على مستوى الحكام فقط .. بل على مستوى النخب أيضا .. إبان معركة بغداد الأخيرة فتحت نقابة باب التطوع للجهاد .. كان المشرف قوميا .. بعدها بشهور كانت أجهزة الأمن تلقي القبض على المتطوعين بنفس ترتيب أسمائهم .. كان المشرف عينا للأمن .. وكان الأمن عينا للسي آي إيه .. يا له من ألم وخزي وعار وحكومة من حكوماتنا تطارد جامعي التبرعات لغزة وتلقي القبض عليهم .. كانت الحكومة عينا للموساد ..

تذرف العينان سيلا من الدموع ..

عين تبكي العراق ..

وعين تبكي فلسطين ..

أما القلب فقد أصبحت دماؤه دموعا ودموعه دما ..

ذلك أن ما حدث لفلسطين هو ما يحدث للعراق .. وما حدث للعراق هو ما يحدث في فلسطين ..

هل كان الحكام الخونة هم السبب أم كان المقذوف بالحذاء أم أن العلاقة بينهم كانت هي نفس العلاقة بين الدجاجة والبيضة ؟. هذا من ذاك وذاك من تلك ..

***

يتداعى الماضي ..

انظر إلى خارطة العراق ..

حتى الحرب العالمية الأولى كان العراق والكويت يشكلان جزءاً من الإمبراطورية العثمانية. كانت الكويت بمساحتها الصغيرة البالغة حوالي ٠٠٠ ، ١٠ ميل مربع تابعة لولاية البصرة .. وفي خضم الحرب التي قاتل فيها الأتراك إلى جانب الألمان اعترفت

لندن بإمارة الكويت وبحدودها واستقلالها عن الإمبراطورية العثمانية. ورفض العراقيون ذلك فالواقع أن الكيان العراقي كان كياناً مصطنعاً كالكويت وكحدود الدول في المنطقة. ففي أعقاب اتفاقية سايكس بيكو التي قسمت الغنائم من الدولة العثمانية بين بريطانيا وفرنسا جرى إنشاء العراق من ثلاث ولايات من ولايات الدولة العثمانية وهي بغداد والبصرة والموصل. وقد لخص أحدهم هذا الوضع تلخيصا رائعا بقوله: « لقد كان العراق من صنع تشرتشل الذي خطرت له فكرة جنونية وهي الجمع بين حقلي نفط متباعدين وهما كركوك والموصل وذلك بدمج ثلاث فئات من الناس وهي: الأكراد والسنة والشيعة. »

***

أي خطأ رهيب قادتنا إليه القومية فكرست أقصى جهودنا وأمانينا لاستعادة تقسيم سايكس بيكو ولتحقيق نبوءات وأحلام تشرشل؟! ..

بدلا من أن نسعى إلى وحدة العالم الإسلامي أو حتى العربي فإننا نسعى إلى تكريس التقسيم ..

علمانيونا من حكام ونخبة لا يعرفون غير سايكس بيكو أملا حدودا ..

فهل هؤلاء أقل استحقاقا لضرب الحذاء من جورج بوش؟! ..

***

يعترض حزب أمريكا وإسرائيل من كتاب المارينز على ضرب بوش بالحذاء وينتقدون خروج منتظر الزيدي على السلوك المهني للصحافي جاهلين متجاهلين المجزرة التي يفرضها الغرب علينا .. مقتلة لا يخفيها .. يعترف هو بها ولكن ذلك الحزب الشيطاني ينكرها! .. .. يتجاهلون قاتلهم الله أن المجزرة الدائرة في غزة ليست فعلا إسرائيليا فقط .. بل هو فعل همجي بربري وحشي دور أمريكا فيه أكبر من دور إسرائيل .. وكذلك دور أوروبا الغربية .. ولا ننكر تواطؤ الخونة: حكامنا ونخبتنا وبعض شيوخنا.

نعم، بلغت استهانتهم بنا أنهم هناك في واشنطن ولندن وتل أبيب لا يخفون عنا أنباء المجزرة التي أعدوها لنا، وأنهم يفرقون قطيعنا، لأنهم يعلمون أنه حين تتفرق الغنم تقودها العنزة الجرباء، لا يخفون عنا مصير قطيعنا المندفع نحو المجزرة وهو فرح بها نشوان، الذين يحرصون على إخفاء الحقيقة عنا هم جل حكامنا، وتلك الحثالة من

المثقفين التي تدعى الاستنارة، حزب أمريكا وإسرائيل، وهذه الحثالة بذاتها التي تهاجم الآن المجاهدين في غزة وبالأمس منتظر الزيدي وتدين فعله العبقري، أما الأعداء فيناقشون خططهم ضدنا في دراساتهم علنا وقد أمنوا أن الجسد الميت لا يتحرك، يقيده حكامه ويخدعه مثقفوه كي يسلموه للذبح، منذ عام ١٩٨٢ اعترفت مجلة المواجهة (كيفونيم) في القدس العدد ١٤- فبراير ١٩٨٢- ص ٤٩ وما بعدها بالمؤامرة (هل يمكن تسمية الخطة المعلنة مؤامرة؟!) وفضحت ما يحدث للعراق اليوم فلماذا نكذبها يا كلاب النار فيما ذكرته عما سيحدث لمصر غدا، تقول المجلة بالحرف:« لقد غدت مصر، باعتبارها كيانا مركزيا، مجرد جثة هامدة، لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار المواجهات التي تزداد حدة بين المسلمين والمسيحيين، وينبغي أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة (...) وبمجرد أن تتفكك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية فسوف تتفكك بالمثل بلدان أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد، ومن ثم فإن تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر، بالإضافة إلى كيانات إقليمية أصغر وأقل أهمية، من شأنه أن يفتح الباب لتطور تاريخي لا مناص من تحقيقه على المدى البعيد (...) وبالرغم مما يبدو في الظاهر، فإن المشكلات في الجبهة الغربية أقل من مثيلتها في الجبهة الشرقية، ولعل تجزئة لبنان إلى خمسة دويلات بمثابة نموذج لما سيحدث في العالم العربي بأسره، وينبغي أن يكون تقسيم العراق وسوريا إلى مناطق منفصلة على أساس عرقي أو ديني أحد الأهداف الأساسية لإسرائيل على المدى البعيد. والخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف هي تحطيم القدرة العسكرية لهذين البلدين. (...). أما العراق، ذلك البلد الغنى بموارده النفطية، فهو يقع على خط المواجهة مع إسرائيل، ويعد تفكيكه أمرا مهما بالنسبة إسرائيل، بل إنه أكثر أهمية من تفكيك سوريا، لأن العراق يمثل على المدى القريب أخطر تهديد لإسرائيل. »

***

انتهى حديث المجلة الإسرائيلية الذي أود أن أصفع به الوجوه الشائهة من كتاب وحكام المارينز .. وأصفع به الذين يتحدثون عن السلام والوئام والتحضر ويسخرون من حماس وصواريخها العبثية أو من منتظر الزيدي ..

أصفع به أولئك الذين يتحدثون عن قتل المدنيين وآداب المهنة! ..

***

يقول الأستاذ الدكتور حسن نافعة: لا أظن أنى أبالغ إذا قلت إنه يصعب على المرء أن يعثر في أي صفحة من صفحات التاريخ المعروف للشعوب على حدث فردى وعفوي يماثل هذا الحدث في قدرته على تجسيد مشاعر وطن، ومشاعر أمة، بل مشاعر كل إنسان شريف في العالم، قد تمنى كل واحد من هؤلاء لو أتيح له أن يشارك بنفسه في تلك اليد المباركة التي التقطت فردتي الحذاء وقذفتهما في وجه حاكم ليس سوى مجرم حرب حتى لو كان بدرجة رئيس الدولة الأعظم في عالمنا المعاصر. - المصري اليوم ٢٣-١٢

***

تتداعى الذكرى ..

تشتعل الذكرى ..

تنزف الذكرى ..

اقرؤوا التاريخ ..

شاهدوا ما يحدث لغزة اليوم فهو الذي حدث للقدس أمس الأول ولبغداد بالأمس وسيحدث للقاهرة والرياض غدا.

اقرؤوا ما حدث لأي بلد عربي لتعرفوا ما سيحدث للبلاد الأخرى ..

اقرؤوا علي سبيل المثال ذلك السجل المروع للذكرى والألم الذي يرويه لنا كتاب: «التنكيل بالعراق: العقوبات والقانون والعدالة» لمؤلف إنجليزي هو جيف سيمونز... وكما هو واضح فهو ليس عربيا وليس مسلما ... وعلى الرغم من ذلك فهو أكثر فهما وضميرا من كل نخبتنا الرسمية ..

اقرؤوا هذا الكتاب لتدركوا أي نوع من الإجرام والوحشية يدمغ هذا الغرب الذي يدافع عنه ليبراليونا وعلمانيونا ويسمونه بالتحضر ويصموننا بالتخلف والهمجية والتوحش ..

إهداء الكتاب يقول: « إلى المليون طفل عراقي الذين قتلتهم الحرب البيولوجية الأمريكية في عقد التسعينيات، وإلى مئات الآلاف الآخرين الذين سيلحقون بهم في الأشهر والسنوات القادمة » ...و على الغلاف الخلفي للكتاب يقول نعوم تشومسكى: « ... التنكيل بالعراق سجل حافل بالجرائم الرهيبة المستمرة، يصدم

القارئ، ومن شأنه أن يُشعرنا جميعا بالعار .. »

ويقول النائب البريطاني تونى بن: « إنه سجل متّقد بالغضب، وأكاديمي موثّق في آن معا» ..

ويقول رامسي كلارك: «...إن مبادئ القانون والعدالة تدين بقوة هذه العقوبات وتعتبرها إجرامية» ..

ويقول هوك ستيفنز: « ... وصف مدمر... لقد نجح المؤلف من خلال وثائقه الوفيرة وبسطها بأسلوب ساخط لاذع في تسليط ضوء قوى على أكثر جرائم الإبادة الجماعية وحشية في القرن العشرين .. »

لقد حاولوا غوايتنا باختزال الأمر في أخطاء صدام وضرورة عقابه أو عزله ولكن إخوتنا في البشرية وفي العروبة وفي الدين هم الذين يعانون ... حتى أن استشهد صدام حسين ..

لم تكن الصواريخ والقنابل وأسلحة الدمار الشامل موجهة إلى صدام حسين بل إلى مليوني عراقي قتلتهم الحرب البيولوجية الأمريكية كما يذكر ذلك الكتاب المروع الذي يسجل أيضا أن « مئات الآلاف يرغمون على شرب مياه ملوثة بالمجاري، ويتحدث الكتاب أيضا عن نساء صامتات يحملن أطفالهن المحتضرين، عن آلاف الأطفال المصابين بأمراض لا شفاء منها، وعن الأطفال الرضع المرضى ذوى البطون المنتفخة، وعن الأطفال الذين يصابون بالعمى بسبب نقص الإنسولين، وعن الملايين المحرومين من الغذاء والدواء، ويتساءل الكتاب: لكن ما هو الرد؟ إنه الافتقار إلى الفهم وعدم الاستيعاب ورفض التصديق أو الإحساس بما يجرى، إنه ما يسميه علماء النفس بتحويل الذنب، إذا كان الناس يعانون فهذا ليس ذنبنا وليس ذنبي، ولابد أن هناك شخصا آخر يتحمل المسؤولية، ولنعتمد على الدعاية الإعلامية لتدلنا عليه!. »

أجل ..

يعتمدون على الدعاية الإعلامية

دعايتنا أيضا خادمة لدعايتهم ..

على رؤساء التحرير والصحافيين ..

رؤساء تحريرنا!!

على الكتاب ..

كتابنا!! ..

على المتحدث الرسمي.. والشيخ الرسمي وأقباط المهجر.. وكلهم عبدة شيطان ..

يعتمدون على الفضائحيات من إذاعات مرئية ومسموعة ..

يصرخ مؤلف الكتاب: « إنني أشعر بالعار المتسم بالعجز إزاء ما حكمت به حكومتي والمتواطؤون معها في الإبادة الجماعية، أولئك المشلولون نفسيا، ومن ينقلون الشعور بالذنب .. »

يورد الكتاب من شهادات كتاب أجانب يصفون ما حدث للعراق .. يقولون ما لم يجرؤ عميان البصيرة من نخبنا السفيهة الخائنة قوله ...

يقول ديتر هانوش الموظف بالأمم المتحدة: « إن شحة الغذاء المخيفة تسبب أضرارا لا يمكن معالجتها لجيل كامل من الأطفال العراقيين ... بعد ٢٤ عاما من العمل في الميدان، ولا سيما في أفريقيا ابتداء من بيافرا لم أكن أعتقد أن أي شيء يمكن أن يصعقني، غير أن هذا لا يمكن مقارنته بأسوأ السيناريوهات التي شاهدتها...»

جريج لاموت صحفي بريطاني يحكى:« إنه أبشع شيء رأته عيناي في حياتي، الجثث في كل مكان، وأشلاء الجثث في كل مكان. »

مراسل مجلة نيوزويك الأمريكية يحكى: «مررنا بجنود موتى راقدين، وكانوا بلا علامة عليهم، ووجدنا آخرين بتروا بترا شديدا، ساقان في سروالهما على بعد ٥٠ ياردة من نصف الجسم الأعلى .. »

يسجل تقرير للأمم المتحدة:« ... يتناول عدد كبير من الأطفال العراقيين حاليا كمية من الغذاء تقل عما يتناوله السكان في الأقطار التي تحل بها الكوارث .. »

صحفي بريطاني آخر علق قائلا: « كانت الحرب نووية بكل معنى الكلمة، جرى تزويد جنود البحرية والأسطول الأمريكي بأسلحة نووية تكتيكية، والأسلحة المطورة أحدثت دمارا يشبه الدمار نووي، استخدمت أمريكا متفجرات الوقود الهواء المسماة Blu-82 وهو سلاح زنته ١٥٠٠٠ رطل وقادر على إحداث انفجارات ذات دمار نووي حارق لكل شيء في مساحة تبلغ مئات الياردات الأبشع قنابل اليورانيوم المستنزف التي جرى استخدامها لأول مرة، وهى أرخص وأحط طريقة للتخلص من

نفايات المفاعلات والمحطات النووية، الدبابات الأمريكية أطلقت ستة آلاف قذيفة يورانيوم، والطائرات أطلقت عشرات الآلاف، وتقرير سرى لهيئة الطاقة الذرية البريطانية يقدر ما خلفته قوات التحالف في ميادين الحرب بما لا يقل عن أربعين طنا من اليورانيوم الناضب، أضف ما جرى من تدمير المفاعل النووي العراقي ومحطات الطاقة ومصانع الكيماويات، وهكذا توالت كوارث الحرب الأكثر تسميما في التاريخ، وتقدر مصادر غربية أن هناك ٨٠٠ طن من غبار وذرات اليورانيوم الناضب سوف تستمر في الهبوب على شبه الجزيرة العربية لمدى طويل جدا، فقد تم تلويث الهواء والتربة والأنهار بكميات مفزعة من الإشعاع المسبب للسرطان، والكارثة مستمرة لآلاف السنوات القادمة، الأطفال يلعبون ببراءة بدمى مصنوعة من قذائف اليورانيوم، والنتيجة موت بطئ ومؤكد، مكتب السكان الأمريكي يقول أن عمر العراقيين هبط ٢٠ سنة للرجال و١١ سنة للنساء، ونصف مليون حالة وفاة بالقتل الإشعاعي في العاجل والآجل، سبقت حرب الإبادة المحرقة وتلتها واستمرت حتى الآن في حصار غير مسبوق ولا ملحوق في وحشيته .. »

لا تثريب على أمريكا في الخروج على التقاليد المهنية للقتلة والمجرمين .. لكن التثريب كله على منتظر الزيدي لأنه خرج على مقتضى الآداب المهنية للصحافيين!! .

ولم يكن ذلك كله موجها لصدام الذي استخدم كذريعة فقد استمر بعد استشهاده في العراق كما حدث واستمر بدونه في فلسطين ..

نعم لم يكن أبدا موجها إلى صدام ولا حتى إلى شعب العراق كشعب معزول عمن حوله، ذلك أنه مستهدف لأنه جزء من الأمة العربية والإسلامية وأن الإسلام هو المستهدف بالحصار والإذلال والتخريب والدمار...

يقول جيف سيمونز: « إن الولايات المتحدة هي المهندس الواعي لعملية الإبادة هذه التي تستمر منذ أعوام، ويعمل المسؤولون الأمريكيون عن قصد وبتصميم قاس وفظ على منع الإعانة عن شعب يعانى الجوع والمرض، ولا تنفي واشنطن هذه الحقائق البشعة .. »

***

كان الإسلام هو المقصود ..

منذ نزل الوحي على محمد ﷺ كان الإسلام هو المقصود ..

منذ عرض كلب الروم قيصر على سيدنا معاوية أن يساعده على حرب سيدنا على رضي الله عنهما كان الإسلام هو المقصود ..

تذكر كارين آرمسترونج في كتابها «محمد» أن المرجعيات الكنسية في العصور الوسطى أمرت بمنع المسيحيين من إقامة أية صلات مع جيرانهم من المسلمين. وصدرت تشريعات كنسية خاصة في المجلسين البابويين اللذين عقدا عامي ١١٧٩ و١٢١٥ إذ قضت تلك التشريعات بفرض عقوبات تتمثل في الطرد من الكنيسة، وما يترتب على ذلك من مصادرة الممتلكات، على كل مسيحي يقبل الخدمة في منازل المسلمين، أو رعاية أطفالهم أو الاتجار معهم أو حتى مشاركتهم طعامهم. وفي عام ١٢٢٧ أضاف البابا غريغوريوس التاسع المراسيم التالية: يجب على المسلمين أن يرتدوا ملابس مميزة لهم، ويجب ألا يظهروا في الشوارع أثناء الأعياد المسيحية أو أن يتولوا مناصب في البلدان المسيحية، كما منع المؤذن من إيذاء أسماع المسيحيين بدعوة المسلمين إلى إقامة الصلاة بالأسلوب المعتاد (لاحظوا يا قراء أن نخبتنا المثقفة الخائنة تطلب ذلك .. ليس في البلاد المسيحية بل في بلادنا الإسلامية ولا يجرؤ كلب منهم أن يتحدث عن أجراس الكنائس رغم أن القيادات العميلة للخمسة في المائة من المسيحيين يريدون أن يبنوا إلى جوار كل مسجد كنيسة في عملية استقواء خسيسة).

تواصل كارين آرمسترونج فتتحدث عن إعلان البابا كليمنت الخامسة (١٣٠٥-١٣١٤) أن وجود مسلم على الأرض المسيحية يعتبر إهانة لله، وكان المسيحيون قد شرعوا قبل ذلك في التصدي لتلك الظاهرة التي اعتبروها مخزية، فقام ملك فرنسا شارل آنشو عام ١٣٠١ بإبادة من بقى من المسلمين الصقليين ومن أبناء جنوب إيطاليا في «محمية» لوسيرا، وكان وصفها بأنها «وكر الوباء ... متوهجة التلوث ... مصدر الطاعون العضال والجراثيم القذرة في أبوليا». وفي عام ١٤٩٢ سقطت آخر قلعة إسلامية في أوربا، عندما قام فرديناند وإيزابيلا بفتح غرناطة، إذ دقت أجراس الكنائس في شتى أرجاء أوربا ابتهاجا بالنصر المسيحي على الكفار. ولم تمض سنوات معدودة حتى كان ما يقرب من ثلاثين مليونا هم مسلمو إسبانيا يواجهون الاختيار بين الاسترقاق والبيع كعبيد في العالم الجديد أو التحول إلى اعتناق المسيحية، ولم تلبث محاكم التفتيش أن قامت باضطهادهم هم وذريتهم على مدى ٣٠٠ سنة.

***

ويتحدثون عن الحرية الدينية وحقوق الإنسان .. ويتحدثون عن الحضارة والتفوق .. ويتحدثون عن الرقة والتسامح .. ويتحدثون عن ماض يفخرون به وأولى لهم أن يتبرؤوا منه ..

***

كانت الحرب دائما على الإسلام ..

وما تزال كارين آرمسترونج مصدرنا (ص٦٨) حين تورد وجهة نظر كونور كروز أوبريان، الذي يعتبر أي احترام للإسلام بمثابة خيانة ثقافية. إذ كتب يقول إن المجتمع الإسلامي يبدو باعثا على النفور العميق ... وأن المجتمع العربي مريض، ولقد ظل في مرضه ردحا طويلا من الزمن. ففي القرن الماضي كتب المفكر العربي (هكذا في الأصل !!) جمال الدين الأفغاني يقول : (إن كل مسلم مريض، وعلاجه الوحيد في القرآن). ولكن المرض يتفاقم، للأسف، كلما ازدادت جرعة الدواء».

***

كانت المعركة دائما معركة الإيمان والكفر، معركة الصليبية ضد الإسلام، لكن الحكام الخونة، وصلوا إلى نوع من الاتفاق والتوافق مع الغرب الصليبي، أن يكون ثمن استمرارهم في الحكم هو مواجهة الإسلام وهزيمته نيابة عنهم.

أما النخبة المثقفة، فقد دأبت على السخرية دائما ممن يقولون أن المعركة هي الحرب على الإسلام. وتجاهل هؤلاء السفهاء دائما مؤسسة التضليل الغربية، بل كانوا أدواته وطابوره الخامس، ومن أجل ذلك، تجاهلوه وأنكروه على الدوام .. ودأبوا على السخرية من كل من يحاول أن يقاوم أو يعارض كمنتظر الزيدي .. كما دأبوا على خذلان كل حركة مقاومة كما فعلوا مع المقاومة في العراق ولبنان وفلسطين ..

ودأبوا على الادعاء والكذب .. والحديث عن قتل الأطفال والمدنيين دون أن يختلج لهم ضمير يعترف بأن الغرب هو القاتل والأطفال أبناؤنا ..

تنحدر الذكرى كالسيل ..

إن الأمر لا يتعلق بكارثة بداية الحرب الصليبية الجديدة: المجد للعذراء (١٩٩١) وثعلب الصحراء (١٩٩٨) .. ولا بغزو العراق بعد ذلك .. الأمر يتعلق بمعركة مستمرة ليس منذ ألف وخمسمائة عام فقط بل قبلها بألفي عام حينما بدؤوا في

استعمار المنطقة بلدا بعد بلد، والحمقى والخونة فينا يحاولون غسل مخ الأمة، وإبعادها عن إدراك أنها معركة واحدة فيها ألف موقعة، وبغداد وغزة والشيشان وكشمير وأفغانستان آخر مواقعها ولن تكون الأخيرة، تتشرذم الأمة وتهلك دفاعا عن حدود هم الذين رسموها تحت قيادة حكام يعترف ريتشارد (نيكسون) – قلب الأسد !! أنهم وكلاؤهم في حكم بلادنا...

تتشرذم الأمة ويقف بعض نخبتنا العميلة منددا بمنتظر الزيدي وكأن الحذاء الذي أطلقه على مجرم الحرب بوش قد أصاب أم رأس أبيهم!.

***

كانت وما تزال حربا على الإسلام ..

في بحث للأستاذ الدكتور أكرم ضياء العمري (الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة - كلية الدعوة) يذكر أنه منذ مائة وخمسين سنة وحتى الوقت الحاضر يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام وتعقد مئات المؤتمرات الإقليمية وبعض هذه المؤتمرات مثل مؤتمر أوكسفورد ضم قرابة تسعمائة عالم، لكن حداثيينا ومستنيرينا يتجاهلون كل ذلك، كما يتجاهلون الجهد الفكري المقاوم الذي يواجه حملات التضليل تلك كمثل الدكتور محمد محمد حسين والدكتور زغلول النجار والدكتور عبدالودود شلبي والدكتور محمد عمارة والدكتور جابر قميحة والدكتورة زينب عبدالعزيز .. وعشرات ومئات يفرض على أسمائهم التعتيم أو التشهير.

خطاب المستشرقين لم يكن موجهاً ابتداءً لناطقي العربية أو اللغات الشرقية وإلا لكانت الكتابة باللغة العربية، بل كان موجهاً لأوروبا، أن هذه هي صورة الإسلام فلا تتحولوا إليه، وإذا كانت هذه هي صورة المسلمين فلا تلومونا إذا اقتحمنا ديارهم، ولا تلومونا إذا استنزفنا خيراتهم، ولا تلومونا إذا تعصبنا ضدهم، لأن هؤلاء القوم يتسمون بخصائص عقلية وجنسية وثقافية لا تمكنهم من النهوض بأنفسهم، وهم بحاجة إلى عوننا والدور الذي سنقوم به والذي سنحدثه إنما هو لصالح الحضارة الإنسانية. هذا الخطاب الذي وجهه الغرب إلى نفسه خوفا من إغراء الإسلام ومن دخول النصارى فيه أفواجا تكفلت نخبتنا النجسة بنقله إلى الأمة لإخراج المسلمين من الإسلام أفواجا .. واعتبروا هذا المنهج الكافر علامة الحضارة والاستنارة.

***

كانت حربا على الإسلام ..

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة:٨].

صدقت يا عظيم يا الله ..

لم يرقبوا فينا إلا ولا ذمة ..

وليس من أمامنا من خيار سوى أن تكون ناصيتنا بأيدينا على الإسلام ولا شيء سواه بحضارة الإسلام ولا شيء سواها ..

ليس أمامنا من سبيل سوى المواجهة في الداخل والخارج ..

مسلحة أو غير مسلحة ..

***

نعم ..

كانت حربا على الإسلام تهرب منها حكامنا كما يتهرب أب ديوث حقير مجرم من الدفاع عن عرض بناته .. ولا يكتفي بذلك بل يعرضهن للبيع وللإيجار ..

تنحدر الذكرى كالسيل ..

ليس إجرامهم إجرام أفراد، وبقية الأمة صالحة ..

إجرامهم إجرام أمة ..

إجرام شعوب ..

إجرام فكر وفلسفة ومنهج ..

إجرام تحريف الدين ..

نعم .. ليس بوش سوى نسخة من بوهيمند وليس أرناط سوى نسخة من بلير ..

أولئك الوحوش ..

أكلة لحوم البشر ..

ثم إن إجرامهم قديم قديم قديم ..

تنحدر الذكرى ..

يوردها موسى الزعبي في كتابه: « كي لا ننسى التاريخ لأن التاريخ لا ينسى»

كان ذلك منذ ألف عام إلا قليلا: عام ١٠٩٨ م .. وكان أجداد بوش الوثني عابد الشيطان يقودون معاركهم ضدنا تحت راية الصليب ..

وكان ثمة كاتب ضاع اسمه يصرخ:

«لا أدري إذا كان هذا مرتعا للحيوانات المتوحشة أم بيتي، مسقط رأسي؟»

كانت هذه الصرخة الحزينة الصادرة عن كاتب مجهول من معرة النعمان، ليست صورة بسيطة من الإنشاء، بل صرخة من الأعماق تصور فعلا تلك الأعمال الوحشية إلى اقترفها أولئك الصليبيون، في المجزرة التي يجب أن لا تنسى على مر التاريخ. والتي حدثت في نهاية عام (١٠٩٨).

كان سكان معرة النعمان يعيشون وادعين داخل سورها الدائري حتى وصول الصليبيين الذين كانوا يغيرون على القرى المجاورة للمعرة أثناء حصارهم لإنطاكية بهدف السلب والنهب والقتل والعربدة. تملؤهم روح الحقد والوحشية، فكانوا ينقضون على كل شيء كالوحوش الضارية، لا يرحمون شيخا أو طفلا أو امرأة أو حتى دابة. ووصلت جموعهم المتوحشة إلى المعرة وبدؤوا بحصارها في منتصف شهر نوفمبر تشرين الثاني من عام (١٠٩٨). ووقع غالبية سكان المدينة الآمنة في مصيدة أولئك الغزاة المتوحشين، وتعهد الصليبيون أن حياة سكان المدينة ستكون في أمان إذا ما استسلمت دون قتال، وصدق المساكين وعود أولئك المتوحشين، فتجمعت العائلات في البيوت والأقبية طوال الليل. ووصل الصليبيون عند الفجر، وبدأت المجزرة الرهيبة، لقد قتلوا كل من صادفهم من أطفال ونساء ورجال. وقيل أن عدد القتلى تجاوز المائة ألف كما ذكر ابن الأثير. ومع ذلك ليس المهم عدد الضحايا، بل تلك الصورة الوحشية التي يسجلها أولئك الغزاة الذين ادعوا أنهم ذاهبون للحج وحاربوا باسم المسيح. وقد وصف أحد الغزاة بعض المشاهد بقوله: «إن جماعاتنا كانوا يغلون الكفار الراشدين (يقصد المسلمين) في القدور، وكانوا يثبتون الأطفال على أسياخ لشيهم ويجري التهامهم مشويين »

هذه الاعترافات جاءت على لسان مؤرخهم راؤول دوكاين. كان هنالك جماعات من الصليبيين، إن لم يكونوا جميعا، قد تحولت إلى وحوش مفترسة مثل جماعات التافور الذين تدفقوا على أرياف المعرة صائحين بأعلى أصواتهم، إنهم يريدون قضم لحم العرب المسلمين وكانوا يتجمعون حول النار مساء من أجل التهام فرائسهم وهم

يشوونها على تلك النيران.

يا قراء ..

أنا لا أقرأ لكم خبرا ورد في قناة الجزيرة الآن بل في كتاب يحكي تاريخا حدث منذ ألف عام .. فهل هناك أي فرق ؟.

يا قراء ..

بعد كل هذا يشيعون أن الإسلام قد انتشر بالسيف ويتحدثون عن وحشيتنا وفظائعنا ..

يرتكب المجرمون أبشع عملية تلفيق في التاريخ ليلبسوا الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق ..

تنحدر الذكرى:

تنحدر الذكرى .. أكاد أجد ريح شواء أهل معرة النعمان فتغيم بالدموع عيناي وأقول لنفسي لعلهم من حرقهم النابالم ويلوح لمخيلتي صفوف جنود المصريين الناجية من الشي بالنابالم عائدة في سيناء في صيف ٦٧، يقتلهم الحر والجوع والعطش حفاة عراة، لم نكتشف يا إخوتنا الراحلين إلا بعد ثلاثين عاما أنهم دفنوكم أحياء وقتلوا الأسرى مقيدين.

قتلتكم إسرائيل المتحضرة أيها الوحوش! ..

***

العقلية النفعية الأمريكية نجحت في ابتكار دجاج كالدود لا يتحرك .. دجاج بلا عظام ولا أجنحة ولا أرجل ولا ريش .. دجاج يدخر كل إمكانياته لتكوين لحم لا طعم له إلا بالبهارات التي تخفي طعمه ..

تذكرت هذا وأنا ألاحظ نجاح نفس العقلية الأمريكية البراجماتية في ابتكار كتّاب محليين كالدود .. كتاب ادخروا كل إمكانياتهم للكذب الأسود الذي لا تخفيه إلا بهارات الإغراق بالأكاذيب والإعلام .. كتاب مقززون .. وكان هؤلاء هم الذين أدانوا منتظر الزيدي وسخروا من جهاد غزة وحكموا – بقلوب عمياء- بأن هزيمتها كاسحة .. وكانوا هم الذين يهاجمون العرب البدو الأشرار بحجة أنهم يقتلون الأطفال ويقومون بالعمليات الاستشهادية التي يقتل فيها أبرياء! ..

كتاب يكذبون بصفاقة وهم يعلمون أنهم يكـذبون .. كتـاب انتظمـوا في المؤسسـة التي اعترفت أمريكا بإنشائها: مؤسسة التضليل الإعلامي .. انتظموا فيها كالطفيليـات والديدان ..

ديدان نجسة مقززة ..

***

هل جنت أمريكا فجأة؟! ..

هل تغير الغرب فجأة؟ ..

أعني هل كانت أمريكا –أو الغرب- عاقلة ثم أصابتها اللوثة فجأة؟!

هل كانت مؤمنة بالديموقراطية وحقوق الإنسان ثم تحولت إلى الإجـرام لسـبب أو لآخر؟ كانفرادها بقطبية العالم مثلا؟

أم أن الإجرام متأصل فيها .. فيها كأمة وليس كقادة ..

كشعب وليس كأفراد ..

كفلسفة وليس كانحراف ..

كمنهج حياة وليس كشذوذ عن منهج الحياة ..

إجرام كليّ شامل لا يردعه قلب يقول إني أخاف الله ..

إجرام ليس له مرجعية إلا نفسه ..

إجرام شيطاني .. وإن لبس أحيانا زورا وبهتانا مسـوح موسـى أو عيسـى عليهمـا السلام ..

لنقرأ أي فصل من فصول التاريخ الغربي لنعـرف الإجابـة .. بدايـة مـن الرومـان والإغريق وحتى جوانتانمو وأبي غريب.

لنقرأ مذابح الرومان (اقرأها الأمريكان أو الصليبيين أو الغـربيين أو الإسـرائيليين أو أجهـزة الأمـن في عالمنـا العربـي والإسـلامي) .. لنقـرأ تلـك المـذابح البشـعة .. وديموقراطية أثينا الظالمة .. واعتبار العبيد حيوانات- بمنطق وتبريـر أرسـطو - الأمـم الأخرى .. أو لنقرأ ما فعلوه في الحروب الصـليبية .. وفي الاسـتعمار .. وفي الحـربين العـالميتين .. وفي هيروشـيما ونجـازاكي .. في حـرب الأفيـون .. في الهنـد .. في العـالم

العربي والإسلامي ..

لنقرأ على سبيل المثال كتاب «المسيحية والسيف»- وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الأسبان- رواية شاهد عيان- تأليف المطران بورتولومي دي لاس كازاس- ترجمة سميرة عزمي الزين- منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ..

ليسمح لي القارئ أن أستعرض هذا الكتاب بشيء من التفصيل .. لأنه كتاب نادر في بابه .. فمؤلفه رجل أبيض .. ثم إنه شاهد عيان يكتب عما رآه .. ثم إنه رجل دين مسيحي شذ عن بقية القساوسة بموقفه المنصف .. ثم إن كتابه بعد هذا كله قد وجد سبيله إلى النشر. ولكن الأهم من ذلك كله .. ليس هو ما كتبه المؤلف .. بل هو ما لم يكتبه!! .. لقد تواكب أمران في نفس الوقت .. ثانيهما هو ما تحدث عنه الكاتب من تنكيل بالهنود الحمر .. أما الذي لم يتحدث عنه الكاتب رغم أنه عايشه وعاصره كما عاصر وعايش ما حدث للهنود الحمر .. الذي لم يتحدث عنه القسيس الكاتب هو ما حدث لثلاثين مليون مسلم -كما يرِدُ في مقدمة الكتاب نفسه- وأظن أنه أشد وأقسى مما حدث للهنود الحمر. ترى هل صمت عنهم لأنهم مسلمون؟. هل رأى أنهم أقل درجة من الهنود الحمر ولذلك لا يستحقون أن يتعاطف معهم؟ أم رآهم يمثلون خطورة على المسيحية لا يمثلها الهنود الحمر ولذلك بارك استئصالهم.

ما نريد أن نقوله في هذا الأمر .. هو أن هناك تعتيما هائلا على ما حدث لملايين المسلمين في الأندلس وتعتيما هائلا على أنهم كانوا الضحايا الرئيسيين لمحاكم التفتيش .. كما أن هناك تعتيما هائلا على تفاصيل ما حدث للهنود الحمر وحقيقة أعداد من قتلوا- يرى مؤلف كتاب المسيحية والسيف أنهم كانوا أكثر من مليار من البشر- وتصل درجة هذا التعتيم أن كاتبا أعرفه حاول تقصي الأمر وهو في الولايات المتحدة الأمريكية فإذا بنصيحة عالية المستوى توجه إليه: هذا موضوع يُقتل من يحاول الخوض فيه.

ثمة جانب هام جدا في الكتاب أيضا .. لقد كان هذا الكاهن المبشر هو الوحيد الذي اعترض على تلك الوحشية .. وكان اعتراضه ذلك محل استهجان وسخرية من زملائه رجال الدين المبشرين!!. رافعي لواء المسيحية.

ليسمح لي القارئ إذن أن أستعرض هذا الكتاب الذي قرأته بدموعي .. لبشاعة

ما فيه من ناحية ولأنني كنت أتخيل عربيا مسلما مكان الهندي الأحمر .. ولم يكن ذلك خيالا .. لقد كان هو الواقع.

***

يقول المؤرخ الفرنسي الشهير « مارسيل باتييوذ » أن مؤلف هذا الكتاب «برتولومي دي لاس كازاس» أهم شخصية في تاريخ القارة الأميركية بعد مكتشفها «كريستوفر كولومبوس». فلولا هذا المطران الكاهن الثائر على مسيحية عصره وما ارتكبته من فظائع ومذابح في القارة الأميركية لضاع جزء كبير من تاريخ البشرية. فإذا كان كولومبوس قد اكتشف لنا القارة فإن برتولومي هو الشاهد الوحيد الباقي على أنه كانت في هذه القارة عشرات الملايين من البشر الذين أفناهم الغزاة بوحشية لا يستطيع أن يقف أمامها إلا مستنكرا لها.

ولد «برتولومي دي لاس كازاس» ١٤٧٤ في قشتالة الإسبانية من إمارة اشتهرت بالتجارة البحرية. وكان والده قد رافق « كولومبوس» في رحلته الثانية إلى العالم الجديد عام ١٤٩٣، أي في السنة التالية لسقوط غرناطة وسقوط الأقنعة عن وجه الملوك الأسبان والكنيسة الغربية.

يصرخ الكاتب:

« كانوا –يقصد المسيحيين البيض – يسمون المجازر «عقابا وتأديبا» لبسط الهيبة وترويع الناس. كانت هذه سياسة الاجتياح المسيحي: أول ما يفعلونه عندما يدخلون قرية أو مدينة هو ارتكاب مجزرة مخيفة فيها .. مجزرة ترتجف منها أوصال هذه النعاج المرهفة « .. وكان يشكو ويتألم من القتلة الطغاة ومن التبشير والمبشرين. وإنه كثيرا ما كان يصف لك القاتل والمبشر في مشهد واحد فلا تعرف ممن تحزن: أمن مشهد القاتل وهو يذبح ضحيته أو يحرقها أو يطعمها للكلاب، أم من مشهد المبشر الذي تراه خائفا من أن تلفظ الضحية أنفاسها قبل أن يتكرم عليها بالعماد، فيركض إليها لاهثا لينصِّرها بعد أن نضج جسدها بالنار أو اغتسلت بدمها، أو التهمت الكلاب نصف أعضائها وأحشائها.

وقد نقل إلينا هذا الكاهن صورا ساخرة عن طريقة التبشير حين كانت الحملة تصل إلى المدن والقرى الهندية بعد منتصف الليل، وكانت تعلن على الهنود باللغة الإسبانية التي لا يفهمها أحد:

« يا سكان القرية (أو المدينة) إننا نعلمكم بوجود إله، ووجود « بابا» ووجود ملك قشتالة سيد هذه الأراضي، فاخرجوا وأعلنوا الطاعة، وإلا فإننا سنحاربكم ونقتلكم».

وكان الفجر ينبلج عن حمام الدم للضحايا البريئة. كانوا ينصبون المشانق في مجموعات. كل مجموعة ثلاثة عشر مشنوقا ..

فهل تعلمون لماذا كانت المشانق ثلاثة عشر في كل مجموعة؟ ..

السبب من أغرب ما يكون:

لقد كانوا ينصبون المشانق في مجموعات كل مجموعة ثلاثة عشر مشنقة من أجل تكريم وتبجيل السيد المسيح وحوارييه الاثني عشر!! ..

ألم أقل لكم أن الإجرام متأصل فيهم ؟.

ألم أقل لكم أنها أمة مجرمة ؟.

كانوا يتفننون ويبدعون ويتسلون بعذاب البشر وقتلهم. كانوا يجرون الرضيع من بين يدي أمه ويلوحون به في الهواء، ثم يخبطون رأسه بالصخر أو بجذع شجرة أو يقذفون به إلى أبعد ما يستطيعون. وإذا جاعت كلابهم قطعوا لها أطراف أول طفل هندي يجدونه، ورموه إلى أشداقها ثم يتبعونها بباقي الجسد. وإن المرء لا يستطيع أن يصدق أن هؤلاء المسيحيين الذين جاؤوا إلى العالم الجديد ليبشروا بدين «المحبة » كما يزعمون كانوا يقتلون الطفل ويشوونه من أجل أن يأكلوا لحم كفيه وقدميه قائلين: إنها أشهى لحم الإنسان.

لم يكونوا يقتلون بل يتلذذون بالقتل، ولم يكونوا يعذبون ويبطشون بل كانوا يتمتعون ويطربون لمشهد العذاب والبطش. ولقد اخترعوا في فن التعذيب ما يضاهي اختراعاتهم في فنون القتل.

يقول ناشر الكتاب في مقدمته: رأى « لاس كازاس » كل ذلك بعينيه، وأرسل الرسائل المتعددة إلى ملك أسبانيا يستعطفه ويسترحمه ويطالبه بوقف عذاب هؤلاء البشر. وكانت آذان الملك الأسباني لا تسمع إلا رنين الذهب. لقد كانت جرائم عسكره ورهبانه في داخل بلاده لا تقل فظاعة عن جرائم عسكره ورهبانه في العالم الجديد ؟ كان جنوده باسم الدين المسيحي الذي يبرأ منه المسيح عليه السلام، يسفكون دم الأندلسيين الذين ألقوا سلاحهم وتجردوا من وسائل الدفاع عن حياتهم

وحرمانهم. وكان تنكيلهم بهم لا يقل وحشية عن تنكيلهم بهنود العالم الجديد. لقد ظلوا يسومون المسلمين أنواع التعذيب والتنكيل والقهر والفتك طوال مائة سنة فلم يبق من الملايين الثلاثين مسلم واحد. كما ساموا الهنود تعذيبا وفتكا واستأصلوهم من الوجود. كانت محاكم التفتيش التي تطارد المسلمين وتفتك بهم ورجال التبشير الذين يطاردون الهنود ويفتكون بهم من طينة واحدة تدل على ما وصلت إليه قلوب أولئك المزعومين على المسيح عليه السلام من غلظة. وواضح من وصف المؤلف أن الهنود الذين أبادهم الأسبان كانوا من أكثر شعوب ذلك الزمان براءة وطيبة وقد كان هذا مقتلهم. فكلما سمعوا بوصول الأسبان إليهم خرجوا إليهم مرحبين يحملون إليهم الهدايا. وكان الأسبان دائما يأخذون منهم الهدايا ويقتلونهم على الفور أو يدعونهم إلى سفنهم ليبحروا بهم ويبيعوهم. وكان هذا «السيناريو يتكرر في معظم القرى والمدن الهندية ».

ويواصل الناشر:

«إن أحدا لا يعلم كم عدد الهنود الذين أبادهم الغزاة الأسبان. ثمة من يقول إنهم مائتا مليون، ومنهم من يقول إنهم أكثر. أما لاس كازاس فيقدر أنهم مليار من البشر. ومهما كان الرقم فقد كانت تنبض بحياتهم قارة أكبر من أوروبا بسبعة عشر مرة، وها قد صاروا الآن أثرا بعد عين.»

يتحدث الكاتب الكاهن عن الجرائم التي عايشها ..

إحدى المستعمرات كان اسمها الجزيرة الأسبانية ..

كانت الفظائع التي ارتكبت فيها شديدة فلم تبق سوى مائتي هندي من أصل ثلاثة ملايين.

وطوال أربعين سنة أبيد – في تلك المنطقة– أكثر من اثني عشر مليونا من الرجال والنساء والأطفال ظلما وعدوانا جراء طغيان المسيحيين وأعمالهم الجهنمية.

يواصل الكاهن:

هذا رقم مؤكد على الرغم من أنني أعتقد، مطمئنا إلى اعتقادي أن عدد الضحايا يتجاوز خمسة عشر مليونا.

قتل المسيحيون كل هذه الأنفس البهية وفتكوا كل ذلك الفتك باسم الدين ليحصلوا على الذهب ويكتنزوا الثروات ويصلوا إلى مراكز أكبر من أشخاصهم. إن

جشعهم وتطاول شهواتهم الجامحة أودى بهم إلى احتقار هذه الشعوب المتواضعة الحالمة الودودة ونهب ثروات هذه الأراضي الخصبة البهيجة. يقول الكاهن: (إني أقول الحقيقة لأني شاهدتها بأم عيني). كان المسيحيون ينظرون إلى الهنود الحمر لا كما ينظرون إلى الحيوانات (ويا ليتهم اعتبروهم حيوانات) بل أقل قدرا من الدواب وأحط شأنا من الروث. ثمة حقيقة مؤكدة أجمع عليها الأسبان بطغاتهم ومجرميهم وهي أن الهنود في كل تلك البلاد لم يمسوا مسيحيا بسوء. أما المسيحيون فعاقبوهم بمذابح لم تعرف في تاريخ الشعوب. كانوا يدخلون على القرى فلا يتركون طفلا أو حاملا أو امرأة تلد إلا ويبقرون بطونهم ويقطعون أوصالهم كما يقطعون الخراف في الحظيرة. وكانوا يراهنون على من يشق رجلا بطعنة سكين، أو يقطع رأسه أو يدلق أحشاءه بضربة سيف. كانوا ينتزعون الرضع من أمهاتهم ويمسكونهم من أقدامهم ويرطمون رؤوسهم بالصخور، أو يلقون بهم في الأنهار ضاحكين ساخرين. وحين يسقط في الماء يقولون: عجبا إنه يختلج. كانوا يسفدون الطفل وأمه بالسيف (كما تسفد قطع اللحم بالسفود)، وينصبون مشانق طويلة ينظمونها مجموعة مجموعة، كل مجموعة ثلاثة عشر مشنوقا، ثم يشعلون النار ويحرقونهم أحياء. وهناك من كان يربط الأجساد بالقش اليابس ويشعل فيها النار: هكذا أحرقوا الهنود الحمر وهم أحياء. كانت فنون التعذيب لديهم أنواعا منوعة.

أما أسياد الهنود ونبلاؤهم فكانوا يقتلون بأن تصنع لهم مشواة من القضبان يضعون فوقها المذراة « ثم يربط هؤلاء المساكين بها، وتوقد تحتهم نار هادئة من أجل أن يحتضروا ببطء وسط العذاب والألم والأنين. ولقد شاهدت مرة أربعة من هؤلاء الأسياد فوق المشواة. وبما أنهم يصرخون صراخا شديدا أزعج مفوض الشرطة الإسبانية الذي كان نائما فقد وضعوا في حلوقهم قطعا من الخشب أخرستهم ثم أضرموا النار الهادئة من تحتهم. رأيت ذلك بنفسي، ورأيت فظائع ارتكبها المسيحيون أبشع منها. أما الذين هربوا إلى الغابات وذرى الجبال بعيدا عن هذه الوحوش البشرية الضارية فقد روض لهم المسيحيون كلابا سلوقية شرسة لحقت بهم، وكانت كلما رأت واحدا منهم انقضت عليه ومزقته وافترسته كما تفترس الخنزير. وحين كان الهنود يقتلون مسيحيا دفاعا عن أنفسهم كان المسيحيون يبيدون مائة منهم لأنهم يعتقدون أن حياة المسيحي بحياة مائة هندي أحمر. وأما الأطفال فكانوا يضمونهم بالرماح من ظهورهم أويقعدونهم أرضا ويقطعون سيقانهم.

يواصل الكاهن:

في مملكة هيفواي التي كانت تحكمها ملكة عجوز شنقها الأسبان حين جاؤوا إليها وأحرقوا حاشية بلاطها وهم أحياء ولقد فظعوا في التعذيب والفتك. ورأيت ذلك بعيني. إنني عاجز عن أن أصف كل ما شاهدت، فلا الورق ولا الزمان بكافيين لسرد هذه الوحشية كلها. غير أني أريد هنا أن أعترف بثقة مطلقة بأن الهنود لم يكونوا مسئولين عن هذه الحروب، وإنهم كانوا أكثر طيبة ومسالمة من رهبان الأديرة، فلم يرتكبوا ذنبا واحدا مع المسيحيين، بل إنهم برغم كل فظاعات المسيحيين بهم لم يعرفوا الحقد أو الضغينة أو الانتقام. وتم إفناء رجال القبيلة لم يبق فيها إلا بعض النساء والأطفال. حينذاك قرر المسيحيون أن يقتسموهم بحجة أنهم سيهدونهم إلى الدين الكاثوليكي. بذلك ملك هؤلاء الأجلاف الأفظاظ رقاب هذه الأنفس البريئة، فكانوا يسوقونهم إلى العمل طوال النهار ويمنعون عنهم الطعام بل كانوا يرمون إليهم الأعشاب بحجة أنهم ليسوا بشرا بل حيوانات. وشيئا فشيئا مات الأطفال، وماتت النساء في الحقول والمزارع. بذلك أخليت الجزيرة من أهلها في غضون سنوات، وحل محلهم هؤلاء الأفظاظ الغلاظ الذين أصم الله قلوبهم وعقولهم. وفي ذات مرة لم يكن عند زعيم القبيلة ذهب ليعطيه لهم فحكموا عليه بالإعدام الفوري شنقا. وقال له أحد الرهبان أن عليه أن يغتنم الوقت القصير قبل موته ليؤمن بالمسيح، لأن إيمانه سوف يدخله الجنة، وإلا فسيكون مصيره إلى النار. وسأل زعيم القبيلة الراهب: هل هنالك مسيحيون في الجنة ؟ قال الراهب: معظمهم هناك. عندها قال الزعيم الهندي من غير تردد: إني أفضل دخول النار من أن ألتقي بكم في الجنة. أرسلني إلى النار.

وذات مرة لم يستطع الهنود بذر القمح الكافي فشح الموسم ولم يتوفر الخبز الكافي للمسيحيين، فنهبوا كل مؤونة الهنود، ومات أكثر من ثلاثين ألفا من الأطفال والنساء والشيوخ جوعا. كان المسيحي يستولي على أرض الهندي ويأكل ثمارها ويستخدم أصحابها ويسترقهم. أما الطفل الهندي فيصبح عبدا بمجرد أن يقف على قدميه.

وانتشرت تجارة الرقيق في هذه المقاطعة. وقد أمر الحاكم الطاغية كل زعيم هندي بأن يؤمن له خمسين هنديا في كل شهر لاسترقاقهم. وكان جنوده يذهبون إلى هذا الزعيم في آخر الشهر فإذا لم يجدوا العدد الكافي رموا بالزعيم إلى كلابهم. وقد اضطر هؤلاء إلى تجميع الرقيق من قبائلهم فإذا كان للأسرة أربعة أطفال ضحت باثنين » وإذا كان لها طفلان ضحت بواحد.

والواقع أن تفسير بعض هذه الأعمال الوحشية مستحيل مهما بذلت له من جهل وصرفت له من وقت لكني سوف أتحدث عن ذلك في المقاطع اللاحقة مقسما أني لا أذكر إلا معشار معشار معشار ما جرى.

ثم يتحدث الكاتب في فصل آخر عن قبطان مجرم:

« .. ولقد قتل هذا القبطان المجرم هو وأخوه أكثر من أربعة ملايين نسمة بين عام ١٥٢٤ و١٥٤٠. وإنهم ما زالوا يقتلون الأحياء الباقين. ولسوف يستمرون في القتل. واليكم واحدة من فظائعه: مرة كان هذا القبطان متوجها إلى الحرب بجيش من عشرة آلاف أو عشرين ألفا. وكان معه عدد كبير من الهنود الذين ساقهم (عبيدا) بعد تعذيبهم. وكان القبطان لا يقدم لرجاله الطعام، لكنه سمح لهم بأن يأكلوا الهنود الذين معهم أو الذين يلتقطونهم أثناء الغارات على المدن والقرى. هكذا صار معسكره أشبه بمسلخ يتراكم فيه لحم البشر. كان الرجال يقتلون الأطفال ويشوونهم. وكانوا يقتلون الإنسان من أجل أن يأكلوا لحم كفيه وقدميه قائلين إنها أشهى لحم الإنسان. وحين عرف سكان المناطق القريبة بهذه الأعمال البهيمية أصيبوا بالهلع ولم يعرفوا أين يختبؤون. وقتل هذا الطاغية من الهنود عددا كبيرا بطريقة أخرى. كان يحمل عليهم قطع الخشب الكبيرة ليبني منها السفن. كانوا يحملونها مسافة تبلغ » ١٣٠ فرسخا. كما كان يحمل عليهم قطع المدفعية الثقيلة فكانوا يموتون على الطرقات. وكان يملأ السفن بالهنود الذين يموتون جوعا وعطشا. والحق أقول إنني إن وصفت كل فظائع هذا الطاغية لأرعبت العالم. لقد شيد هذا الطاغية أسطولين أحرق بهما كل هذه الأراضي وكأن السماء كانت تمطر نارا، كم ترك من أيتام وكم سرق أطفالا من أهلهم وكم حرم رجالا من زوجاتهم، ونساء من أزواجهن. وآه كم ارتكب جنوده الزنا والفسق والدعارة والعنف. كم استعبد بشرا وكم أهرق دما وأسال دموعا».

ولن يصدق أحد كل ما جرى من وحشية وجور في « يوكاتان ». واني لا أذكر هنا إلا النزر من الحوادث. كان المسيحيون المجرمون يطاردون الهنود بكلابهم الوحشية، لا فرق بين رجل أو امرأة أو طفل. كانت هنالك هندية مريضة سمعت نباح الكلاب الوحشية وأدركت أنها لن تنجو من هذه الكلاب التي ستلتهمها هي ورضيعها، فشنقت نفسها وربطت رضيعها بأحد أقدامها، غير أن الكلاب كانت أسرع منها فما لبثت أن أدركتها ومزقت رضيعها. وقد توصل راهب إلى تعميده قبل أن يلفظ الروح !

وقبل أن يغادر الأسبان هذه المملكة سأل أحدهم طفلا (ابن زعيم قرية) أن يأتي

معه لمطاردة الهنود. ورفض الطفل، فقال له الأسباني هيا معي وإلا فإني سوف أقطع أذنيك، وظل الطفل يرفض. عندها استل الأسباني خنجره وقطع أذنيه واحدة بعد الأخرى. وبما أن الصبي ظل مصرا على أن يبقى في قريته فقد جدع له الأسباني أيضا أنفه وهو يضحك كأنه يقص له شعرة من رأسه. وقد تبجح هذا الأسباني أمام أحد الرهبان بكل وقاحة وقال إنه حبّل عددا كبيرا من النساء ليبيع أطفالهم ويصنع بذلك ثروة.

وذات يوم خرج أحدنا لصيد الغزلان والأرانب ومعه كلابه السلوقية لكنه لم يصطد شيئا، وبدا له أن كلابه جائعة فسرق طفلا من أمه فقطع أطرافه وأعطى كل كلب حصته. وحين التهمت الكلاب تلك القطع رمى لها بالجسد الصغير لكي تلتهمه. ذلك هو بطش المسيحيين في تلك المناطق وتلك هي فظائعهم.

يصرخ الراهب في رسالة يوجهها للأمير .. رسالة يمكن لأي واحد منا أن يوجهها الآن لأوباما شاكيا حكامنا ونخبتنا .. آكلى لحوم البشر .. وناهبي ثرواتهم ومزوري أصواتهم وخائني قضاياهم .. يقول الراهب:

« لسوف نرى جلالتكم رأي العين أن من يحكمون هنا يستحقون ان تنزع السلطة منهم لكي ترتاح البلاد من آلامها. أما إذا طال الأمر فإن داءها سيصبح عضالا. لسوف ترى جلالتكم رأي العين أن الشياطين هي التي تحكم هنا وليس المسيحيين. إن الخارجين على قانون الله والملك هم الذين يمثلونكم هنا. والحق أقول يا قيصرنا أن أكبر عائق للسلام مع الهنود وأمام معرفتهم ديننا هو وحشية المسيحيين وقسوتهم على هؤلاء المسالمين. لقد صار الهنود يجمحون ويجنون كلما ذكرت أمامهم كلمة «المسيحي»، وصاروا ينادوننا باسم الشياطين. ولا شك في أنهم على حق لأن الأعمال التي يرتكبها المسيحيون ليست بأعمال مسيحيين ولا أفعال بشر وهبهم الله العقل. إنها فعل الشياطين واني أكرر وأقول إني لا أروي إلانزرا يسيرا من الآثام والشناعات التي ارتكبناها في هذه الأوقات.

لقد ساق الطغاة الظالمون إلى إحدى الجزر أكثر من مليوني هندي بريء أعزل، التقطوهم على طول ذلك الساحل الذي كان يعج بالبشر. ولقد مات المليونان كلهم بالتعذيب الذي لاقوه أثناء عملهم في المناجم. وإني لأذكر هنا العدد الهائل من الأهالي الذين قتلهم المسيحيون على الساحل. إنه لمشهد تنفطر له القلوب حين ترى هذا الساحل الذي كان سعيدا وقد تحول إلى فيافي مقفرة.

إني أعلن حقيقة لا ريب فيها حين أقول أن كل سفينة من سفننا كانت تنقل هنودا لبيعهم ترمي في البحر بثلث حمولتها على أقل تقدير، قبل أن تصل إلى مرساها. كان المسيحيون يرمون إلى البحر كل هندي ضعيف أو مريض. وكان الهنود يحتضرون في السفن لأن رجالنا كانوا يرفضون إطعامهم والإنفاق عليهم. أما الطعام فكانوا لا يحملون منه إلا ما يكفيهم هم فقط. ولذلك لم يكن يصل من الهنود إلى المرافئ إلا القلة القليلة التي استطاعت أن تصبر على الجوع والعطش. وقد أخبرني أحد هؤلاء الطغاة أنه أبحر مرة من « لوكا يس» إلى هذه الجزيرة دون أن يستعين بخريطة أو بوصلة. كان يقتفي جثث الهنود التي ألقيت بكثرة على طول الطريق بين «لوكا يس » وبين الجزيرة، أي على مسافة ٧٠ فرسخا.

***

ما أريد أن أقوله أن الغربيين عموما قد بنوا رفاهيتهم على دماء ومعاناة مئات الملايين. لقد قاموا بدور المحتلين واللصوص وقطاع الطرق، والأنكى، أنهم كانوا يستعملون آلتهم الإعلامية الجبارة ليثبتوا العكس، مطبقين المثل العربي: رمتني بدائها وانسلت ..

يضيف منير العكش الباحث في علوم الإنسانيات: «أن الإمبراطورية الأمريكية قامت على الدماء وبنيت على جماجم البشر، فقد أبادت هذه الإمبراطورية الدموية ١١٢ مليون إنسان (...) ووصفت أمريكا هذه الإبادات بأنها أضرار هامشية لنشر الحضارة (تماما كما قالت مادلين أولبرايت أن مصرع نصف مليون طفل عراقي هو أمر مبرر ومقبول) .. أما تفاصيل الحرب الجرثومية القذرة فقد أوردها الكاتب الأمريكي هنري دوبينز في كتابه «أرقامهم التي هزلت» في الجزء الخاص بأنواع الحروب الجرثومية التي أبيد بها الهنود الحمر بـ ٤١ حرباً بالجدري، و٤ بالطاعون، ١٧ بالحصبة، و١٠ بالأنفلونزا، و٢٥ بالسل والديفتريا والتيفوس والكوليرا، وقد كان لهذه الحروب الجرثومية آثاراً وبائية شاملة اجتاحت المنطقة من فلوريدا في الجنوب الشرقي إلى أرغون في الشمال الغربي، بل إن جماعات وشعوب وصلتها الأوبئة أبيدت بها قبل أن ترى وجه الإنسان الأمريكي الأبيض.

ووصل الأمر إلى تباهي الأمريكان بهذه الوحشية والدموية فها هو وليم برادفورد حاكم مستعمرة بليتموت يقول: «إن نشر هذه الأوبئة بين الهنود عمل يدخل السرور والبهجة على قلب الله، ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض

والموت، وهكذا يموت ٩٥٠ هندي من كل ألف، وينتن بعضهم فـوق الأرض دون أن يجد من يدفنه إنه على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته».

شن اللصوص البيض حملة إبادة شاملة على أصحاب البلاد الأصليين، تماما كما يفعل اليهود في فلسطين، ولولا اختلاف الزمن لأبادوا الفلسطينيين جميعا.

لم يكن الأمر حكرا على جزء مجرم في السلطة الحاكمة بل كـان الجميـع مجـرمين .. حتى أبطالهم مثل جورج واشنطن الذي أصدر أوامره للجنود بأن يحيلوا مساكن هنود الأوروكو إلى خراب ومحوها من على وجه الأرض، ولذلك أطلق هنود السينيكا على أبي الجمهورية الأمريكية «جورج واشنطن» اسم «هـدام المـدن» فبموجـب أوامـره تم تدمير ٢٨ مدينة من أصل ٣٠ مدينة كاملـة لهنـود السـينيكا وحـدهم مـن الـبحيرات الكبرى شمالاً وحتى نهر الموهوك وفي فترة قياسية لا تزيـد عـن خمـس سـنوات. أمـا توماس جيفرسون الملقب برسول الحرية الأمريكية وكاتب وثيقة استقلالها، أمـر وزيـر دفاعه بأن يواجه الهنود الذين يواجهون التوسع الأمريكي بالبلطـة وأن لا يضـع هـذه البلطة حتى يفنيهم فقال له: «نعم إنهم قد يقتلون أفراداً منَّا، ولكننا سـنفنيهم ونمحـو آثارهم من الأرض».

وببطاطين ومناديل تم تلويثها في مستشفى الجدري انتشر الوباء بين أربعـة شـعوب هندية (الأوتاوا – ينيغو – والمايامى الينى – ونايبه) وأتى علـى أكثـر مـن مائـة ألـف طفل وشيخ وامرأة وشاب.

تصوروا يا قراء .. هؤلاء الوحوش اتهموا الهنود بالوحشية ..

وهؤلاء الإرهابيون يتهموننا بالإرهاب.

لقد ارتكب الإنسان الأمريكي والإنجليزي الأبيض جريمة سلخ فروة الرأس في كل حروبه ضد الهندي وذلك على النقيض مما تروج له هوليود والرسميون والإعلاميـون وأكاديميو التاريخ المنتصر، فقد رصدت السلطات الاستعمارية مكافأة لمن يقتـل هنـدياً ويأتي برأسه، ثم اكتفت بعد ذلك بسلخ فروة الرأس (...) حتى أن المغـامر «لـويس وتزل» يـروى أن غنيمتـه مـن فـرو رؤوس الهنـود لا تقـل عـن ٤٠ فـروة في الطلعـة الواحدة، ويعتبر «وتزل» من أبطال التاريخ الأمريكي وما يعرف بعمالقة الثغور!!.

تذكروا أن الفرنسيين كانوا يفعلون نفس الشيء في الجزائر.

وبدءاً من «وتزل» صار قطع رأس الهندي وسلخ فروة رأسه من الرياضـات المحببـة

في أمريكا، بل إن كثيراً منهم يتباهى بأن ملابسه وأحذيته مصنوعة من جلود الهنود، وكانت تنظم حفلات خاصة يدعى إليها علية القوم لمشاهدة هذا العمل المثير – سلخ فروة رأس الهندي – حتى أن الكولونيل جورج روجرز كلارك في حفلة أقامها لسلخ فروة رأس ١٦ هندي طلب من الجزارين أن يتمهلوا في الأداء وأن يعطوا كل تفصيل تشريحي حقه لتستمتع الحامية بالمشاهد وما يزال كلارك إلى الآن رمزاً وطنياً أمريكياً وبطلاً تاريخياً وما يزال من ملهمي القوات الخاصة في الجيش الأمريكي.

ومع تأسيس الجيش الأمريكي أصبح السلخ والتمثيل بالجثث تقليداً مؤسساتياً رسمياً فعند استعراض الجنود أمام وليم هاريسون – الرئيس الأمريكي فيما بعد – بعد انتصار ١٨١١م على الهنود استعرضوا التمثيل بالضحايا ثم جاء الدور على الزعيم الهندي «تيكوميسه» وهنا تزاحم صيادو الهنود والتذكارات على انتهاب ما يستطيعون سلخه من جلد هذا الزعيم الهندي أو فروة رأسه، ويروي جون سغدن في كتابه عن «تيكوميسه» كيف شَرَطَ الجنود المنتشون سلخ جلد الزعيم الهندي من ظهره حتى فخذه.

وكان الرئيس أندريه جاكسون الذي صورته في ورقة العشرين دولار من عشاق التمثيل بالجثث وكان يأمر بحساب عدد قتلاه بإحصاء أنوفهم المجدوعة وآذانهم المصلومة، وقد رعى بنفسه حفلة التمثيل بالجثث لـ ٨٠٠ هندي يتقدمهم الزعيم «مسكوجي»، وقام بهذه المذبحة القائد الأمريكي جون شفنغنتون وهو من أعظم أبطال التاريخ الأمريكي وهناك الآن أكثر من مدينة وموقع تاريخي تخليداً لذكره ولشعاره الشهير «اقتلوا الهنود واسلخوا جلودهم، لا تتركوا صغيراً أو كبيراً، فالقمل لا يفقس إلا من بيوض القمل».

بل إن الأمر وصل كما يقول الجندي الأمريكي «أشبري» إلى حد التمثيل بفروج النساء ويتباهى الرجل بكثرة فروج النساء التي تزين قبعته وكان البعض يعلقها على عيدان أمام منزله.

ثم اكتشف أحد صيادي الهنود إمكانية استخدام الأعضاء الذكرية للهنود كأكياس للتبغ، ثم تطورت الفكرة المثيرة من هواية فردية للصيادين إلى صناعة رائجة وصار الناس يتهادونه في الأعياد والمناسبات، ولم تدم هذه الصناعة طويلاً بسبب قلة عدد الهنود حيث وصلوا في عام ١٩٠٠م إلى ربع مليون فقط).

***

لن نتوقف كثيرا عند ما حدث للمسلمين في الأندلس، لكننا نشير في عجالة إلى أن المنهج واحد والإجرام واحد منذ عهد الرومان وحتى مجزرة غزة.

في الأندلس .. يكفي أن نشير إلى وصف الكاردينال ريشليو: ورئيس وزراء فرنسا في عهد لويس الثالث عشر عمل إسبانيا في إبادة العنصر العربي الإسلامي في الأندلس، وطرد جميع من تبقى منهم فيها عامي ١٦٠٩ و١٦١٠ م بأنه (أكثر ما عرفه التاريخ في جميع عصوره من أعمال القسوة والبربرية والجرأة).

والكاردينال ريشليو عاصر آخر فصل من فصول مأساة العرب ومحنتهم في الأندلس وعرف ما رافق عملية إخراجهم من اسبانيا من مآس لا يمكن أن يعبر عنها وصف.

يقول الدكتور أسعد حومد في كتابه محنة العرب في الأندلس –المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ط٢: «لقد غزت قبائل البرابرة أوروبا، وحطمت الإمبراطورية الرومانية وأغرقت أوروبا في بحر من الدماء. وغزت قبائل التتر بلاد اواسط آسيا وغربيها وهدمت مدناً وقتلت ملايين البشر، ولكن جميع ذلك لا يمكن أن يقاس في نظرنا بما ارتكبه الأسبان بحق العرب في الأندلس .. »

ويضيف: «واستمر الاضطهاد متواصلا بدون هوادة أو تراخ مدة مئة وعشرين عاما، لم يتركوا خلالها صنفا من أصناف العذاب والتنكيل والنصب والاستغلال إلا وصبوه على هذا الشعب المنكود الحظ. وكان من نتيجة ذلك كله أنه لم يبق في الأندلس كلها أحد من العرب في أواخر عام ١٦١٠ مح أن المؤرخين كانوا يقدرون عدد سكان الأندلس في عهد المنصورين آبي عامر (حوالى سنة ١٠٠٠م) بما يقارب الثلاثين مليونًا من الناس السعداء. »

***

لن أطيل كثيرا، لكنني أطلب من كل جاهل أو خائن يزعم اضطهاد المسلمين للأقليات أن يقرأ المرسومات البابوية بحق المسلمين في الأندلس ليقرأ ما لا يتصوره حتى أكثر الناس تشاؤما. إنه في كلمة واحدة إجرام شيطاني يدفعنا لأن نقول ما قاله الهندي الأحمر: إذا كان مثل هذا البابا وأتباعه في الجنة – حاش لله- فمرحبا بالنار!!

***

بعد خمسمائة عام من الاستئصال والترويع نشرت صحيفة الشرق الأوسط في ٢٤

ديسمبر ٢٠٠٨ العدد ١٠٩٨٤ أن الدراسة الجينية أثبتت أن ٣٠٪ من الأسبان الحاليين (المسيحيين) يعودون إلى أصول سامية أو أمازيجية (وهي مسلمة في الغالب رغم محاولة البحث إعطاء نصيب أوفي لليهود عندما اعتبر كل الساميين يهودا، كان ذلك أمرا مضحكا لن نتوقف عنده، لكننا نتوقف عند أمر أهم، وهو أولئك الذين تم تنصيرهم من الأسبان الذين لم تختلط دماؤهم بالعرب أو البربر أو اليهود!.

ثم أذكر .. أنه بعد خمسمائة عام عندما أرادت أمريكا أن تخدع المسلمين بإغرائهم بحل القضية الفلسطينية فقد كان ترتيبها الشيطاني أن تعقد هذه المباحثات في أسبانيا- مدريد – في الذكرى الخمسمائة لهزيمة العرب في الأندلس.

***

نعود إلى الأحداث المروعة التي يرويها لنا كتاب التنكيل بالعراق .. استبدل فلسطين أو معرة النعمان أو الجزائر أو تونس أو ليبيا أو مصر أو .. أو .. أو .. بالعراق ستجد أن ما حدث منذ ألف عام هو ما يحدث اليوم .. وستجد أن ما حدث لهذه هو ما حدث لتلك .. يقول جيف سيمونز وهو يصف ما حدث في العراق:

...« ...ذكرى المحرقة لا تبارح الخيال، جدة عراقية تحكى لحظة موت حفيدها من الجوع وتحت القصف المنهمر، تقول الجدة: لم يكن هناك ماء ولا حليب ولا غذاء، ولا بشر، وكان هذا الجحيم يتدفق من السماء، همس راضي بشفتيه اليابستين: جدتي، توفي في حضني، تطلعت إلى السماء ولم أشاهد شيئا، لم أشاهد وميض القنابل أو الطلقات أو الركام، الحمد لله فقد أصبحت عمياء».

***

هل يريد القارئ فسحة من الوقت ليبكي؟! .. كان هذا هو العراق الإرهابي صاحب أسلحة الدمار الشامل .. وكانت تلك هي أميركا .. سيدة العالم الحر ..

كثيرون ذهبوا إلى الهول الأعظم، النائب البريطاني العمالي جورج جالوي يحكى عن الظروف التي تثير شفقة من قد قلبه من حجر: نساء تجرى لهن عمليات الولادة القيصرية دون تخدير .. و .. و ..

النائب العمالي تام داليل يقول: إن عقوبات الأمم المتحدة كانت تقتل أكثر من ألفي شخص كل أسبوع، وكاترين كاسي الأمريكية تخبرنا عن أم شابة واقفة تنظر إلى طفلها الراقد دون حراك، وهو أضعف من أن يفعل شيئا سوى البكاء، وقد انتفخ

بطنه وأصبح بحجم بطيخة كبيرة: كان طفلا عمره أربعة أشهر، كان يموت بسبب الجوع، إنه واحد من ملايين ماتوا ».

الممنوعات التي فرضتها الأمم المتحدة (وليست سوى أمريكا والغرب المتوحش) طويلة طويلة بلا نهاية، بين الممنوعات كتب مدرسية، ودفاتر، والورق وأقلام الرصاص، وحليب الأطفال ومعجون الأسنان، وفرش الأسنان، ومواد تعقيم المياه، والشاش الطبي، والمحاقن الطبية وأدوية القلب والصرع والسرطان، وأفلام الأشعة، والضمادات والقفازات الجراحية، وماسكات واسطوانات الأكسيجين وسيارات الإسعاف ومناخل تنقية الدقيق، وجميع مواد البناء والصفائح الفولاذية، وجميع معدات معامل النسيج، وأسباب المنع مضحكة مبكية، مرة دفع العراق ١٥٠ ألف دولار لاستيراد ١٥٠ ألف زجاجة حبوب أنجيسيد لمعالجة الذبحة الصدرية، ورفضت بريطانيا شحن الدواء إلى العراق، والحجة أنه يحتوى على ثالث نترات الجليسرين وقد يستخدمها العراق في صنع القنابل!!، وغالبا لا توجد أي أسباب سوى الرغبة في التنكيل ..

تنحدر الذكرى كالسيل ..

لقد كان ما حدث في مخبأ العامرية مجدا للشيطان وأي مجد ...

هاجمت طائرة أمريكية من نوع الشبح ملجأ العامرية بصاروخ موجه بالليزر: «...محدثا فتحة في السطح والسقف وانفجر في مستشفي الملجأ، وبعد أربع دقائق وجه صاروخ آخر غبر الفتحة نفسها التي أحدثها الصاروخ الأول، وأغلق انفجار الصاروخ الثاني الأبواب الفولاذية التي يبلغ وزنها ستة أطنان وسمكها نصف متر، وأحرق مئات عدة من الأشخاص، في الطابق الأعلى تبخر كثيرون منهم بالحرارة، التي بلغت درجتها آلافا عدة والمتولدة من الانفجار، وكان مصير مئات عدة من الأشخاص الغليان حتى الموت في مياه المراجل الضخمة المدمرة في الانفجار، لا يُعرف على وجه التأكيد عدد المدنيين الذين قُتلوا في ملجأ العامرية في تلك الليلة، كان السجل المدونة به أسماء الأشخاص الذين احتموا بالملجأ قد أودع في الملجأ نفسه ولم يعد له أثر، ولكن من المعروف أنه قبل تلك الليلة، كان ١٥٠٠ شخص يوقعون عند دخول الملجأ كل ليلة، وعُثر بعد المجزرة على أحد عشر شخصا قُذف بهم خارج الملجأ، وبعد ساعات عدة مرعبة استُخرجت من البناية البقايا السوداء المشوهة

لأربعمائة وثلاثة أشخاص، وقدر أن مئات عدة من الأشخاص قد احترقوا وتبخروا ولم تعد ثمة وسيلة لتحديد هويتهم أو حتى عددهم، ووصف شهود منهم تام دالى، العضو العمالي في البرلمان البريطاني آثار النساء والأطفال المتفحمة على جدران الملجأ، تفحمت طبعات أقدام وأيد صغيرة على الجدران والسقوف وانطبعت على جدران الطابق الأسفل عند علامة الماء في الخزانات المتفجرة آثار اللحم البشرى على ارتفاع خمسة أقدام...»

يقول جيف سيمونز: إننا في حاجة إلى استذكار المادة ٥٢ (البروتوكول ١) من ملحق ١٩٧٧ لميثاق جينيف ١٩٤٩:

١-لا تكون الأهداف المدنية أهداف هجوم أو انتقام.

٢ -تقتصر الهجمات على الأهداف العسكرية وحدها

٣ -في حالة الشك إن كان الهدف مخصص عادة للأغراض المدنية يستعمل في الخدمة الفعالة للعمل العسكري، ينبغي الافتراض أنه لا يستعمل على ذلك النحو ..

وكان اللاجؤون إلى مخبأ العامرية هم الإرهابيون .. وكان القتلة المجرمون هم رعاة العالم المتحضر ودعاة حقوق الإنسان ..

***

كانوا مدنيين .. ولكن الديدان القذرة لا تذكرهم أبدا ..

وكانوا أطفالا .. ولكن لا بواكي لهم ..

يقول جيف سيمونز: « ... لا تنفي واشنطن هذه الحقائق البشعة، فقد كانت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية حاليا، مستعدة لأن تؤكد علنا أن قتل نصف مليون عراقي كان عملا مبررا. أما المماطلة في استعمال حق النقض في لجنة العقوبات، ومضايقة العاملين في مجال الإعانات والمساعدات، والتهديد بفرض غرامات تصل إلى مليون دولار، والسجن ١٢ سنة للمواطنين الأمريكيين الذين يحملون الأدوية واللعب إلى الأطفال الرضع فهي بعض الأساليب التي أقرتها الحكومة الأمريكية المصممة على تنفيذ الإبادة البطيئة بحق شعب كامل، المسنون والمرضى والنساء الحوامل النحيلات والأطفال والرضع الذين يعانون نقصا خطيرا في الوزن، والذين لا أمل لهم في البقاء، والضعفاء كلهم وعددهم بالملايين، هم الذين تستهدفهم واشنطن بالإبادة، في الوقت

نفسه يبتسم كلينتون وأولبرايت وآخرون ابتسامة العلاقات العامة ويتحدثون عن حقوق الإنسان .. (...) إن السياسة الأمريكية الهادفة إلى الإبادة البطيئة والمتعمدة لشعب العراق لها المواصفات التي حددها ميثاق الأمم المتحدة للإبادة الجماعية، وكيف أن الإساءة الأمريكية لا تقتصر على العراق وحده .. » ..

هل كان الكاتب يقصد بجملته الأخيرة كارثة أكبر تلوث إشعاعي يخيم في أجواء العراق الآن وأنه سينتقل بالرياح إلى الخليج كله وإلى المملكة العربية السعودية، وأنه سيظل موجودا لآلاف الأعوام القادمة مصحوبا بمضاعفاته المميتة على حرثهم ونسلهم ؟ ..

هل كان الكتاب الأشاوس الذين يكتبون في صحفنا الكبرى صما أو بكما أو عميا أو لا يفقهون؟ ..

لم يفزع منهم واحد فقط لتلك الكارثة الرهيبة المروعة...

ماذا يمكن أن أقول لهؤلاء سوى أن أواصل الصراخ:

أين نعالك يا منتظر الزيدي كي تصفع وجوههم الصفيقة ؟.

لكن ..

كل النعال لا تكفي...

***

تنحدر الذكرى كالسيل ..

كان الحصار على العراق والقصف المنظم قد أهلك كل شيء لم يبق إلا بقايا جسد يحتضر .. ثم حانت النهاية ..

أتذكر يوم سقوط بغداد ..

كانت الشهور السابقة على السقوط ألما لا يوصف .. حين بدت الكارثة كأنما هي قدر مقدور لا يمكن دفعه .. وما كانت قدرا بل كانت حماقة وخيانة أودت بنا إلى الهاوية .. ولو أن مصر والسعودية فقط أخلصتا في مقاومة العدوان الفاجر لما حدث هذا العدوان ..

كانت الشهور السابقة على السقوط ألما لا يوصف ..

أما أيام السقوط نفسها فقد كانت محنة لا تطاق .. وكان من أسوأ ما فيها

اضطراري للقاء الناس .. واضطراري للتماسك أمامهم .. وكنت أتحين الفرص لأهرب منهم حتى أخلو بنفسي كي أبكي وأنتحب.

***

ثم تستكثرون أن يضرب منتظر بوش بالحذاء ..

والله الذي لا إله إلا هو لو كان قد قذفه بقنبلة نووية لكان هذا مبررا .. وكان العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم ..

أقسم .. أننا سنثأر ذات يوم .. ولن يكون ثأرنا بالأحذية ..

ولولا أن الإسلام يكبح غضبي ويحدد مجال انتقامي ومداه لأقسمت أن نمثل بكم ونفعل فيكم الأفاعيل ..

***

تنحدر الذكرى كالسيل ..

يقول أحمد منصور في كتابه « معركة الفلّوجة»:

كان عدد القتلى والجرحى في ارتفاع مستمر ولم يكن الناس يجدون مكاناً لإسعافهم (...) بدأ الأمريكيون يفقدون صوابهم جراء الضربات المتتالية التي يتعرضون لها من قبل رجال المقاومة في الفلوجة وما حولها، فأصبحوا يردون علي هذه الهجمات بالقصف بجنون وفي كل اتجاه، فكثر الضحايا من المدنيين، ووقعت في تلك الليلة مذبحة مؤلمة ذهب ضحيتها عائلة من ستة وعشرين فرداً لم ينج منهم سوي رجل واحد وطفل رضيع. وصل حسين دلي إلى البيت أثناء إخراج الجثث من تحت الأنقاض وقام بتصوير الحادث بالكامل، وقمنا بعد التأكد من كل المعلومات ببث الخبر بداية كخبر عاجل في نشرة أخبار حصاد اليوم في الحادية عشرة ليلاً، وشاركت في بث مباشر في تلك النشرة. وكان الغذاء قد بدأ ينفد في مدينة الفلوجة كما أصبحت هناك أزمة بنزين، وكذلك قمنا بتوجيه نداء وصلنا من الدكتور رافع العيساوي بدعوة أهل الفلوجة للتبرع بالدم حيث إن عدد الجرحى في ازدياد، كما أن الإمكانات الطبية بها عجز كبير، وأصبح هناك مشكلة أخري هي مشكلة دفن الموتى. كانت القوات الأمريكية تقوم بالقصف العشوائي الذي كانت تقوم به القوت الأمريكية لكل ما يتحرك علي الأرض في ذلك اليوم، وقمنا ببث الصور إلى الدوحة وطلبنا من الزملاء

تنبيه المشاهدين بأن الصور فيها مناظر مؤلمة، حيث كانت أشلاء الأطفال والنساء ممزقة ومبعثرة وملطخة بالدماء والتراب.

كان يوم الجمعة الدامي التاسع من نيسان (إبريل) ٢٠٠٤ من أكثر الأيام دموية وألماً في حياة أطفال الفلوجة، كانت الصورة الأولي التي آلمتني هي صور الأطفال الصغار الذين خرجوا مع عائلاتهم في جموع كبيرة يرفعون الأعلام البيضاء يطلبون الأمن والأمان ليخرجوا من المدينة عبر صحراء النعيمية، ثم رأيت أشلاء بعضهم بعد ذلك وقد جاءت بها سيارات الإسعاف إلى المستشفى بعدما قصفتهم الطائرات الأمريكية وهم يحاولون عبور الطريق المكشوف سيراً علي الأقدام لكن الموت الذي هربوا منه عاجلهم. أما الصورة الأكثر ألماً والتي مزقتني فقد كانت لعائلة تتكون من جدة عجوز مسنة ومعها زوجة ابنها وأحفادها، كانت تقف علي جانب الطريق في الزحام تبحث عن سيارة تنقلها وأحفادها إلى خارج المدينة، لكن كل السيارات كانت ممتلئة والزحام علي أشده ولا يقوي علي الحصول علي مكان في سيارة من تلك السيارات المكشوفة النقل ونصف النقل إلا الأقوياء من الناس، والمرأة كانت هرمة، طلبت من ليث –المصور– أن يقوم بتصوير تلك العائلة، لكن ليثاً لم يقم بتصويرهم فحسب بل تعاطف معهم، وحينما جاءت سيارة نقل وتزاحم عليها الناس رق قلبه فقام بمساعدة هذه العجوز وأحفادها حتى تركب علي ظهر سيارة النقل مع عشرات من النساء والأطفال والعجائز الذين كانوا يفرون من الموت، وانطلقت السيارة مع عشرات السيارات الأخرى في اتجاه النعيمية للخروج من دائرة الموت في الفلوجة، لكن صورة هذه المرأة التي ترك كل يوم عاشته في الحياة أثراً علي وجهها لم أنسه. انشغلت بعد ذلك في الأهوال التي كانت تحيط بي لكني بعد ما يقرب من ساعتين رأيت سيارة ميكروباص سوداء لا زلت أذكر لونها جاءت مسرعة إلى المستشفى وكنت وقتها علي الهواء مباشرة مع الجزيرة ولكن عبر الهاتف، لأننا لم نكن قد تمكنا من تشغيل جهاز البث بعد، وكنت أصف للمشاهدين عبر الهاتف بعضاً مما يدور حولنا من أهوال، وحينما جاءت هذه السيارة مسرعة أدركت أن فيها بعض المصابين، فناديت ليثاً أن يأتي مسرعاً لتصوير من فيها، وقمت أنا بفتح الباب الأوسط للسيارة الميكروباص بمجرد وقوفها حتى يقوم ليث بالتصوير قبل أن يزدحم الناس وأنا أتوقع أنها كانت تحمل بعض الجرحى؛ لكني صرخت من هول ما رأيت يا الله .. .. يا الله ... رحمتك يا الله، لقد كانت جثة المرأة العجوز وأحفادها الصغار أشلاء متكدسة فوق

بعضها داخل السيارة، إنها العجوز .. .. إنها هي التي ساعدها ليث قبل ساعتين حتى تهرب من الموت مع أحفادها، لكن الموت كان بانتظارهم هناك عند مخرج المدينة، فقد قصفتهم الطائرات الأمريكية عند مخرج النعيمية، لكن وجه واحدة من الأطفال كان مغطي بعضه بالدماء الممزوج بالتراب جعلني أصرخ وأبكي كما أبكي الآن وأنا أسطر هذه السطور ألماً من هذه الصورة المؤلمة والمرعبة التي أجدها دائماً في مخيلتي، وأبكي كلما تذكرتها. تجمع الناس ومن هول ما رأوا أخذوا يهتفون بعبارات سمعها الجميع عبر شاشة الجزيرة علي الهواء مباشرة من خلال الهاتف الذي كان في يدي لا إله إلا الله .. .. أمريكا عدو الله. وكان معي الزميل محمد كريشان علي الهاتف الذي سمعته وأنا أشأهد شريط البث بعد ذلك، وهو يقول لي: هل تسمعني يا أحمد ؟ ثم علَّق: يبدو أن أحمد ترك الميكروفون للمتظاهرين حوله.

لقد كنت أبكي من هول ما رأيت وما كنت أريد أن يسمع أحد صوتي، لم أحتمل المشهد الذي كان مؤلماً لا سيما الأطفال وأشلاءهم الممزقة، وأتحدى أن يحتمل أي شخص لديه ذرَّة من الإنسانية أن يري مثل ذاك المشهد ولا يبكي، بل رأيت بعض الرجال ممن ساعدوا في إنزال الجثث من السيارة يصرخون من الألم.

كنت أريد أن ألملم شتات نفسي سريعاً حيث كنت علي الهواء، فقد كان المشهد مريعاً وبشعاً ومخيفاً ومؤلماً، لا سيما وأن أغلب الضحايا كانوا من الأطفال.

***

ثم تأتي كلاب جهنم عبيد الشيطان عملاء أمريكا ليتهمونا نحن العرب البدو المسلمين بالوحشية والهمجية وقتل المدنيين الأبرياء والنساء والأطفال ويتعامون عما يحدث لنا- وآخره في غزة- ويدينون منتظر الزيدي لأنه خالف قواعد المهنة ..

***

في كتابه: «ماذا يريد العم سام» يشرح لنا الكاتب اليهودي الأمريكي المنصف جزءا من الصورة.

في هذا الكتاب البالغ الأهمية الذي عربه الأستاذ عادل المعلم وقدم له الأستاذ محمد حسنين هيكل يواصل تشومسكى فضح الساسة الأمريكية وفضح مبرراتها للقسوة السادية في معاملة الحركات الوطنية:

« الفكرة هي سحق الوطنية التي تدعو للاستقلال، والتي قد تجلب الديموقراطية

الحقيقية. ليس هناك استثناء من القاعدة، فلا يهم إن كانت الدولة غير مهمة ولا غنية ولا قوية، بل إن الدولة الفقيرة الضعيفة هي الخطر الأعظم، خذ على سبيل المثال لاوس في الستينيات، ربما كانت أفقر دولة في العالم (...) ولكن ما أن شرع البعض في إصلاح اجتماعي على كيفية شديدة التواضع، حتى قصفتهم واشنطن بسيل متدفق من القنابل في سرية تامة، مسحتهم من مجال العمليات، ولم يكن لهم أدنى علاقة بالحرب التي أشعلتها أمريكا في فيتنام .. (..) هناك سبب وراء ذلك، فكلما ازداد فقر وضعف الدولة، زاد خطرها كمثل (...) يصدق هذا على الهند الصينية (...) فخوفهم الحقيقي كان نجاح شعوب الهند الصينية في تحقيق استقلالهم وتأمين اقتصادهم وعدالتهم، فحينئذ سيقول شعب تايلاند: ولماذا لا نستطيع نحن ذلك؟ ومن ثم نسمع ماليزيا تقول: ونحن أيضا، ومن بعدها إندونيسيا. ومن ثم تخسر الولايات المتحدة مجالها العظيم (...) إن تفاحة واحدة فاسدة قد تفسد الصندوق كله، إذن فخطر الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي قد ينتشر في العالم كله... .. »

***

تنحدر الذكرى كالسيل ..

بحر البقر ومذبحة الإسماعيلية ومحمد الدرة وإيمان حجو وهدى غالية وأطفال الفلوجة .. ونصف مليون طفل عراقي ترى وزيرة الخارجية الأمريكية أن ذبحهم مبرر ومقبول .. و .. و .. و .. ثم يتهموننا بقتل الأطفال ..

***

تنحدر الذكرى .. قارعة ١٩٤٨ .. النصر المزعوم عام ٥٦ الذي أسفر زعمنا أنه نصر –عندما صدقنا أكاذيبنا– إلى الهزيمة الساحقة عام ٦٧ ..

والأسرى .. يا أحبابنا الراحلين يا شهداءنا يا قضايانا يا أوطاننا يا قوميتنا يا هويتنا يا تاريخنا يا أرضنا السليبة يا هزائمنا يا أبطالنا يا أعمارا تنقضي دون بصيص أمل يا لوحدنا يا لضيعتنا ...

ينكمش الوطن العربي فيصبح في حجم مخبأ العامرية، أو يتمدد مخبأ العامرية فيفرش مساحة الوطن، وينطلق صاروخ أمريكي من أرض عربية فتتناثر أشلاء، شلو منها يتشكل على هيئة مظفر النواب فأراه يهتف: «بغداد عروس عروبتكم»، والمذيع في التليفزيون ما يزال يقرأ أقوال الصحف، فيتبارى كتابنا في حث العراق وغزة

والباكستان للانصياع لقرارات الأمم المتحدة فيصرخ مظفر النواب: «أبناء القحبة هـل تسكت مغتصبة»، وأرى بغداد محاصرة كغزة وغزة محاصرة كبغداد فيصرخ مظفر فيمن يحاصرون إخوتنا: «أبناء القحبة» .. وأراهـم يسـمحون للبهـائي أن يحـج إلى بيـت الله الحرام ويمنعون المـؤمنين والمجاهـدين فيصـرخ مظفـر: «أبنـاء القحبـة» .. وأرى أناسـا يهاجمون منتظر الزيدي فيلتفت إليهم مظفر النواب قائلا: «أبناء القحبة» فأسـائله: أمـا زالت القدس هي العروس، فتتدفق الكلمات من فيـه دمـا، القـدس بـالأمس واليـوم بغداد، وغدا دمشق والقاهرة وطرابلس والخرطوم وطهران ..

أبناء الـ (قحـــ...) أعيدوا إلى الأمة أيديها المبتورة ...

عذرا يا قارئى، فما أنـا والله ببـذيء، لكـنني أعـترف بـين يـديك، المبتـورتين، أن أفحش كلمات السباب وأشدها بذاءة، تتلبد تلبد الغيوم داخلي، وأريد أن ألهب بها - بصوت الرعد- أولئك الذين أوصلونا إلى ما صرنا إليه ..

أصرخ مع مظفر النواب وأنوح:

من باع فلسطين سوى أعدائك يا وطني؟

من باع فلسطين وأثرى بالله؟!

سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام ومائدة الدول الكبرى ..

فإذا جن الليل ..

تطق الأبواب بأن القدس عروس عروبتكم ..

أقول لنفسي ارفع اسم فلسطين وضع اسم أي بلد عربـي، ولـن يختلـف الأمـر .. أواصل التفتت مع الشاعر:

القدس (بغداد) (غزة) عروس عروبتكم ..

فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها ..

ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب .. لصرخات بكارتها ..

وسحبتم كل خناجركم وتنافختم شرفا ..

وصرختم فيها أن تسكت صونا للعرض .. فما أشرفكم ..

أولاد القحبة هل تسكت مغتصبة ..

أولاد القحبة .. لست خجولا حين أصارحكم بحقيقتكم ..
إن حظيرة خنزير أطهر من أطهركم ..
أقيئ لهذا الأسلوب الفج ..
أعترف الآن أمام الصحراء .. بأني مبتذل وبذيء وحزين ..
كهزيمتكم يا شرفاءً مهزومين ..
ويا حكاما مهزومين .. ويا جمهورا مهزوما ...
ما أوسخنا ما أوسخنا ما أوسخنا ...
ما أوسخنا ونكابر...ما أوسخنا ... لا أستثني أحدا ...
يا جمهورا في الليل يداوم في قبو مؤسسة الحزن ..
سنصبح نحن يهود التاريخ .. ونعوي في الصحراء بلا مأوى ...
هل وطن تحكمه الأفخاذ الملكية .. ؟! هذا وطن أم مبغي .. ؟!
هل أرض هذى الكرة الأرضية أم وكر ذئاب ؟!
ماذا يدعى استمناء الوضع العربي أمام مشاريع السلم ؟!
أصرخ فيكم: أصرخ أين شهامتكم ..
إن كنتم عربا .. بشرا... حيوانات .... فالذئبة حتى الذئبة تحرس نطفتها .. !
والكلبة تحرس نطفتها .. !! والنملة تعتز بثقب الأرض .. !!!
أما أنتم: فبغداد عروس عروبتكم ..
فلماذا أدخلتم كل السيلانات إلى حجرتها ..
ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب .. لصرخات بكارتها ..
وصرختم فيها أن تسكت صونا للعرض ..
فأي قرون أنتم ..
أولاد قراد الخيل كفاكم صخبا ..
خلّوها دامية في الشمس بلا قابلة ..
ستشد ضفائرها وتقيئ الحمل عليكم ..

ستقيء الحمل على عزتكم ..

ستقيء الحمل على أصوات إذاعتكم ..

ستقيء الحمل عليكم بيتا بيتا ..

وستغرز إصبعها في أعينكم ..

أنتم مغتصبيّ ..

حملتم أسلحة تطلق للخلف ..

وثرثرتم ورقصتم كالدببة ..

كوني عاقرًا يا أم الشهداء من الآن فهذا الحمل من الأعداء ..

دميم ومخيف ..

لن تتلقح تلك الأرض بغير اللغة العربية ..

يا أمراء الغزو فموتوا ..

سيكون خرابا ..

سيكون خرابا ..

سيكون خرابا ..

هذى الأمة لا بد لها أن تأخذ درسا في التخريب ..

فخر وانبهار ..
وخزي وعار..

هل كان يمكنني أن أفعل شيئا آخر سوى أن أجهش في البكاء على الفور .. ؟؟ فأترك الصديق الذي نقل إليّ الخبر مندهشا ومحرجا في الوقت ذاته .. ولأقضي أنا بعد ذلك اليوم كله متحاشيا الناس فقد كان كل ما ألقاه ومن ألقاه ينكأ الجرح في قلبي فتمتلئ بالدموع عيناي ..

كان الصديق قد نقل إليّ ذلك الخبر الذي أذاعته قناة الجزيرة مرة واحدة دون أن تجرؤ على إعادة إذاعته .. فربما لو أذاعته مرة أخرى لقصفها قائد جند الشيطان – مجرم الحرب – بوش بالصواريخ ..

***

هل كان يمكنني أن أفعل شيئا آخر بعد ذلك المشهد .. .. لم أر المشهد بنفسي .. فكثيرا ما أتجنب رؤية المشاهد الأليمة فلم يعد في القلب متسع لمزيد ألم .. لكنني كنت قد استمعت لتوى من ذلك الصديق إلى ما حدث مع الشهيد محمد..

***

في واقعة الشهيد محمد يعيد التاريخ نفسه بصورة لا تقل جلالا أبدا .. يعيد واقعة أسماء بنت أبى بكر مع عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما ..

هل أسيء الأدب حين أقول أن واقعة الشهيد محمد وأمه أم نضال فرحات قد تفوق الواقعة الأولى؟! على الأقل كان لديهم من الإيمان ومن السمو الجماعي والاجتماعي العام أيامها ما يشكل وقودا دافعا .. أما نحن فليس لدينا شيء .. ما حدث مع الشهيد محمد هو أنهم التقطوا له فيلم فيديو وهو يتلو وصيته الأخيرة .. وهذا حدث من قبل كثيرا حتى تعودت القلوب العمياء الصماء الجرداء القاحلة عليه .. الجديد في المشهد .. ما أذابني وصهرني وروعني وأبهرني .. أنه في هذا الشريط .. تظهر إلى جواره: أمه .. نعم .. أمه ..

هل يمكن أن يكون هذا المشهد قد تكرر في التاريخ قبل ذلك .. وهل يمكن أن يتكرر.. ؟؟ ..

***

كيف ..

كيف يا أختاه فعلتيها ..

أي نبل .. أي سمو .. أي رفعة .. أي فداء .. أي عظمة .. أي تضحية .. بل أي إيمان بأن ما عند الله خير وأبقي ..

أي مستوى يمكن للكائن البشرى أن يصل إليه ..

***

كيف كنت يا أختاه .. ؟؟

كيف كنت وأنت تضمينه إلى صدرك الضمة الأخيرة .. تدركين أنه بعد قليل قد لا يتبقى منه شلو تتعرفين به عليه ..

كيف كنت وأنت تقبلين جبينه قبلة تعلمين أنها القبلة الأخيرة ..

كيف وجف قلبك .. وكيف اختلجت مشاعرك ..

وعندما غادرك وأنت تعلمين أنك لن تلقيه بعد هذه اللحظة في هذه الدنيا أبدا .. كيف كنت ..

كيف كنت؟! .. كيف انتظرت دوى الانفجار .. ؟! ..

كيف مرت الساعات بل الدقائق بل الثواني ..

أم أنه ليس من حقي أن أسأل هذا السؤال فليس لأمثالنا أن يفهموا مثلك .. وما تمثلينه .. وما يمكن أن يدور في نفس أبية شامخة مثلك .. نحن المدنسون بحكامنا .. المقيدون بعجزنا .. المسربلون بخزينا والغارقون في بحر من العار ..

***

هل كان يمكنني أن أفعل شيئا آخر ..

هل كان لي – على سبيل المثال – أن أخفي عنكم يا قراء دموعي تلك؟! ..

أن أستخفي منكم خجلا ..

بل أولى لكم فأولى .. ثم أولى لكم فأولى أن تخجلوا أنتم لأنكم لا تبكون .. فإذا بكيتم أولى بكم أن تخجلوا لأن الدموع لم تكن دما ..

***

هل كان يمكنني أن أفعل شيئا آخر .. أن أحتفظ – على سبيل المثال – بسمت الكاتب الوقور .. الذي يدعى الحكمة فيستخلص العبرة وينطلق ليحلل وينظر وكأنه

يملك بين يديه ميزان الصواب والخطأ والحق والباطل ..

كاتب وقور؟! ..

ما من أحد منا كاتب وما من أحد منا وقور وإنما نقف على أعتابك يا أم البطل الشهيد كي ننبهر وكي نتعلم .. وما أقل من يتعلم ..

كاتب وقور ..

وهل تبقى منا كتّاب؟ وهل تبقى لدينا وقار ؟. وما من أحد منا إلا وقد أجرى حساباته كي يتعايش مع نظم حكم خائنة وعميلة .. فخان الأكثرون وهانوا وباعوا ونافسوا الحكام في كل ذلك .. وراح الباقون – مثلى – يجترون العار والعجز في صمت مخزي ..

أنت يا أم الشهيد لم تستسلمي للصمت ولا للخزي ولا للعجز ولا للعار ..

فعلمينا يا أم الشهيد كيف فعلتيها وإن كنت أشك أننا يمكن أن نتعلم نفس شكى في أن تنبت الأرض الخراب اليباب مهما هطل عليها المطر ..

نحن الفخورون بسلامة أبناء لا يصيبهم خدش ولا يفقدون حتى قلامة ظفر ..

نحن الفخورون بسلامة أبناء نرى أن مقتضيات سلامتهم لا تأتى إلا بمحو هويتهم ..

نحن الصامتون حتى على ذلك النداء العاجز الصارخ الذي انطلق من فلسطيننا الحبيبة أمس الأول والمرأة تصرخ مستنجدة بالعالم الداعر أن يرسل طبيبا يخترق حصار الدبابات الإسرائيلية كي ينقذ أمها من الغيبوبة .. أما بالأمس .. فقد كانت المرأة تواصل الاستنجاد بذات العالم الداعر .. لا لكي يرسل طبيبا .. بل « حانوتيا » يدفن الأم .. كانت الأم قد ماتت .. وكان الشرف فينا يموت .. وكانت قنواتنا الفضائية تهزل وتدعر ..

فلنهنأ ونحن نخب في عار النجاة الدنيء ..

فليهنأ أيضا الكتاب الكذابون والصحف العميلة والحكام الخونة أما ذو الدين والكرامة والنخوة فليجرع غصص الهزيمة والعار ..

ولتهنأ أيضا تيك الداعرات اللائى يدعين ريادة حرية المرأة فلا يتنادين إلا بالحفاظ على بظر وغلفة، ولا يفهمن من الحرية إلا حرية العهر ..

فلتهنأ الداعرات اللائى لم يفهمن ولن يفهمن أبدا أنه لم يكن لأم نضال فرحات أن

تضحى هذه التضحية لولا عهرهن وعهر مجتمعاتهن وحكومات تتستر عليهن لأنها مثلهن .. وأن أم نضال فرحات هي الأخرى امرأة كان عليهن لو احتفظن من الشرف بمثقال حبة خردل أن يدافعن عنها ..

***

يا أم نضال فرحات .. أقسم أنك قد آمنت وأوفيت ..

أقسم أنك لمعة نور وسنا برق من ذلك الذي انفجر في غزوة الخندق فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم مصارع كسرى وقيصر ..

أقسم أن امرأة مثلك لو أقسمت على الله لأبرها ..

أقسم أن شعبا تنتمين إليه لا يمكن أن ينهزم ..

أقسم أنك في الدنيا من يمسح عنا أمام التاريخ بعض عارنا ..

وأن عملك يوم القيامة كفيل بالشفاعة لجيل ..

أقسم أنك أعدت إلينا إيمان الصحابيات الأوليات ..

تماما كما أعاد أسامة بن لادن عصر الصحابة والتابعين ..

فخبرينا يا سيدة نساء أهل الأرض الأولى:

كيف نتعلم منك ؟

لكن ..

أنى لنا ؟. أنى لنا .. أنى لنا ؟.

***

يا سيدة نساء أهل الأرض الآن:

أعطيتنا الفخر والانبهار ..

حتى لو كنا غارقين في بحور العجز والعار

مذبحة غزة

كيف أكتب؟ ولماذا أكتب؟ ولمن أكتب؟

مذبحة غزة :
إذا مـــات دحـــلان ..
فكلـــهم دحـــلان !

مرة أخرى ينفجر القلب بالألم .. ..

تتهاطل الأسئلة كتلك الصواريخ الساقطة على أهلنا في فلسطين:

كيف أكتب؟ ..

كيف أكتب؟ وقد استحال الدم حبرا والحبر دما ..

كيف أكتب والنيران التي تشتعل في أجساد أبنائي في فلسطين تسري في عروقي وتجري في دمي وتحرق قلبي ..

ولماذا أكتب؟

وهل أفلحت كل الكتابات في إسقاط صاروخ أو الحماية من رصاصة أو إطفاء حريق ..

ولمن أكتب؟

لحكام خانوا وهانوا وباعوا ..

لا .. كلمات الخيانة والبيع والهوان لم تعد تصلح ..

وليس ثمة مناص من أن ننحت من اللغة كلمات جديدة ليس لها مثيل لتصف جرائم خسيسة ليس لها مثيل ..

ذلك أن جرائم حكامنا جرائم مركبة

أما نخبتنا السائدة المتحالفة مع السلطة فأشبه ببغي لا تمارس البغاء من أجل الحصول على الثمن بل لتنشر الإيدز بين الأمة لتفقدها مناعتها.

وبالفعل والواقع.. فإن نخبتنا المثقفة الرسمية لا تنشر بين الأمة إلا الإيدز الفكري .

لمن أكتب؟

للأمة العاجزة المستباحة المشلولة التي فهمت وأدركت لكنها عجزت عن المواجهة لأنها عجزت عن دفع تكلفة هذه المواجهة. للأمة التي حرصت على الحياة فلم تنل إلا الذل والهوان والعار والموت ..

الأمة التي لم تدافع عن نفسها كما ينبغي لها أن تدافع .. وما منعها عن ذلك الدفاع جبن أو ضعف أو خور .. ولكن منعتها نخبة مثقفة مزيفة ليست سوى نخبة من أحط العملاء وكهنة لا علماء .. باعوا الآخرة واشتروا الدنيا .. بل كانوا أحط وأخس ..

فقد باعوا الآخرة لدنيا غيرهم .. وما منعتها إلا ببلبلة الفكر وتحريم الحلال وتحليل الحرام .. وبإقصاء الجهاد بعد أن سموه-عليهم اللعنة- إرهابا ..

كيف أكتب؟ ولماذا أكتب؟ ولمن أكتب؟

هل أكتب لكي أستدر عطف القراء على الدم المسفوك والأشلاء الممزقة والعرض المغتصب والمال المنتهب والمساكن المهدمة؟

هل أكتب لكي تسيل عبرات وتتصاعد آهات وتحرق الجوف زفرات ثم أؤوب قانعا وقد ظننت أنني أديت واجبي.

هل أستفز إنسانية القارئ ليرحم ويعطف ويتمزق قلبه من الحزن والأسى؟ ..

لكنني لا أشعر بذلك كله .. وما أشعر إلا بغضب جائح هائج مائج يزلزل كياني .. فقضية فلسطين ليست قضية إنسانية نتصدق فيها على من ذل ونعزي فيمن مات .. قضية فلسطين هي قضيتنا المحورية التي إن لم نقم بها فليست لنا قضية أخرى .. قضية فلسطين هي قضية لا إله إلا الله محمد رسول الله .. قضية فلسطين تكاد أن تكون الفيصل بين الإيمان والكفر فإن لم يكن الكفر فما هو أشد منه وهو النفاق فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار .. قضية فلسطين هي قضية الكرامة والوجود .. قضية فلسطين هي قضية التاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد .. قضية فلسطين هي قضية التواصل .. تواصلنا مع الشهداء عبر القرون ومع الفاروق ووديعته ومع دين محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه.

ليست القضية قضية إنسانية ولا قضية لاجئين .. ولا حتى قضية فلسطين إنما هي قضية الإسلام والمسلمين .. قضية الجهاد: ذروة سنام الإسلام ..

***

تتوالي الصور على شاشات التلفاز وعلى الشبكة العنكبوتية ..

وأقرأ كلمات الرثاء التي تدلل على وحشية العدو المجرم بدليل قتله للأطفال والنساء فيشتد بي الغضب.

فهل دم الرجال أقل حرمة؟ أم أن قتل المدنيين هو المستهجن أما قتل المجاهدين فمسموح به .. أم أن حرمة دم المجاهد في المقام الأول وإن تساوى الدم كله ..

تتوالى الصور وتبدو بعض التعليقات كأنها تستجدي الرحمة ولكنني أريد لهذه

الصور أن تشعل في نفوسنا نارا لا يخبو أوارها إلا بعد أن تعود فلسطين .. فلسطين كلها عربية ..

تتوالى الصور .. حيث يبدو أن الجيش المجرم لإسرائيل المجرمة هو المعتدي .. وذلك شرَك خداعي وقعنا فيه .. فالجيش المجرم هو جيش الغرب الصليبي الصهيوني كله .. هو جيش الحروب الصليبية وجيش الروم وجيش هرقل .. وذلك ما غفلت عنه الأمة الإسلامية فكان عليها أن تخسر كل حروبها منذ جهلت هذه الحقيقة.

تتوالى الصور، أرى الأشلاء والدم والجروح، أرى الموت، وأسمع صرخة زوجة ولوعة أم وأنين طفل، وأبكي، فما أنا رغم الغضب إلا إنسان يحس ويتألم ... ويبكي .

أرى وجه محمود الزهار يقبل جبين ابن شهيد ..

وليس أي ابن وليس أي جبين ..

كان جبين شهيد .. ولم يكن الشهيد الأول ..

كان الثاني من أبنائه الشهداء ..

كان بين ١٨ شهيدا معظمهم من القسام و٤٥ جريحاً ..

كان ذلك في ١٥ / ٠١ / ٢٠٠٨ حيث تقدمت قوات صهيونية خاصة، مصحوبة بعشرات الآليات والجرافات وبدعم مروحي للطائرات الحربية، وتوغلت في حي الزيتون شرق قطاع غزة صباح ذلك اليوم، وقامت بإطلاق النار وصواريخ من طراز «أرض أرض» على المناطق الفلسطينية شرق قطاع غزة. فتصدى لهم الأبطال بسلاحهم المتواضع، لتغتالهم قوات الاحتلال الصهيوني في مذبحة واحدة ثم بدأت بإطلاق النار بصورة مباشرة على سيارات الإسعاف الفلسطينية التي تحاول إنقاذ الجرحى ونقل جثامين الشهداء. وكان من بين الشهداء حسام الزهار، نجل القيادي في حركة المقاومة الإسلامية «حماس» محمود الزهار

وفي رد فعله على استشهاد ابنه أكد الدكتور محمود الزهار، القيادي البارز في حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، على أنه لا فرق بين شهيد ارتقى وآخر، فكلهم فداء للوطن، مؤكداً أن دماء ابنه حسام الذي ارتقى شهيداً صباح اليوم الثلاثاء (١٥/ ١) في قصف صهيوني «فداء للوطن ولفلسطين وللأقصى».

يومها رأيته على شاشة التلفاز ..

رأيت الألم كما لم أر الألم أبدا ..

ورأيت الشجاعة كما لم أر الشجاعة أبدا ..

ورأيت الإيمان يشع نورا وأمانا واطمئنانا ..

ورأيت الإصرار والصبر ..

ورأيت في عينيه هو بنفسه عيني شهيد ..

ولست أدري حتى الآن .. إذا ما كان إجهاشي بالبكاء ساعتها تعبيرا عن التأثر والانفعال أم عن الإعجاب والانبهار ..

***

ينفجر الألم ..

أبصق في وجه عالم يدعى الحرية والديمقراطية وحماية حقوق الإنسان .. عالم وحشي رمانا بدائه وانسل .. وأتذكر ديننا فأشعر –رغم طوفان الألم والأحزان– بالفخر.

أبصق في وجه كل دحلان بين حكامنا .. وجلهم دحلان ..

تتوالى الصور والأصوات أتذكر أبنائي وبناتي في فلسطين الذين يراسلونني ..

أتذكرهم جميعا ..

أتذكر على سبيل المثال رائد الفلسطيني الذي راح يبثني هموم وطنه–وطني– وأنا أكثر عجزا عن مساعدته من عجزه عن مساعدتي .. إنه يستطيع أن يمنحني القدوة والمثل فماذا يمكن أن أمنحه .. ؟! وهل هناك فرق بين الطواغيت هناك والطواغيت هنا .. بين العسس هناك والعسس هنا .. ؟!

أتذكر غريبة المنفي .. هكذا عرفتني بنفسها تعريفا لا يمكن أن أنساه أبدا: «أبوي لا ينسيان مهما مرت من دهور» .. قالت لي أن أباها «اسمه النكبة وأمها اسمها النكسة» ..

لا تقري عينا يا غريبة المنفي .. ستظلين غريبة فأخوالك وأعمامك لا يقلون خزيا ولا عارا ولا سوءا عمن أعطونا النكبة والنكسة ..

أتأمل الملامح عبر شاشات التلفاز .. هل ما يزال قرائي أحياء؟! هل ما يزال رائد

حيا؟ هل ما زالت غريبة المنفي تعيش؟ .. أحدّ بصري عبر الشاشات لكن كيف أميز بين الدم المسفوك إن كان لقارئ أم كان لغير قارئ .. وكيف أميز الشلو الممزق من الشلو الممزق .. كيف أميز عبر الشاشات جثة متفحمة من أخرى .. وكيف أعرف ملامح مزقتها قنبلة أو شوهها صاروخ أو سحقها مبنى منهار ..

ثم ..

هل هناك فارق بين رائد وبين أي فتى فلسطيني؟ أو بين غريبة وأي فتاة فلسطينية؟.

***

تتوالى الصور والأصوات .. أصرخ: هل حكامنا بشر لهم قلوب تنبض أم جمادات قدّ قلبها من الصخر. لكن الأمر لا يتعلق برقة القلب ولا بغلظته .. وإنما بانعدام الأخلاق والوطنية والدين .. فأنا لا أتصور كيف يمكن أن يكون هناك بشر يشارك في حصار الفلسطينيين فيمنع عنهم الطعام والشراب والدواء ومستلزمات الحياة الرئيسية .. هل قلت: لا يمكن أن يكون هناك بشر؟ .. لا والله .. ولا الحيوانات تفعل ذلك .. أما النخبة الفاجرة فهي تزين ذلك وتروج له وتدافع عنه .. أما أنا فلا يغادرني الإحساس الذي كتبت عنه قبل ذلك كثيرا .. الإحساس الذي يسيطر عليّ فأصرخ:

أعتذر إليك يا حبة القلب يا فلسطين .. أعتذر .. فأنا غير قادر على كتابة كلمة واحدة تشيد ببطولتك الفذة التي لم يشهد لها التاريخ كله مثيلا .. ما من شعب فعل ما فعله شعبك .. وما من أطفال في كل العالم عبر كل التاريخ فعلوا ما فعله أطفالك .. وما من آباء ضحوا كما ضحى الآباء فيك .. وما من أمهات زغردن لعرس الشهيد من أبنائهن كما زغرد نساؤك .. وما من مكان في العالم استشهد فيه من أبناء الحكام من استشهد من أبناء حكامك .. ولقد رصدت وكالة «قدس برس» أسماء أكثر من ٤٥ شهيداً من أبناء قادة «حماس»، استشهدوا خلال العقدين الماضيين من عمر الحركة، سواء خلال الانتفاضة الشعبية السابقة أو انتفاضة الأقصى الحالية. وحسب الإحصائية الخاصة بوكالة «قدس برس»؛ فإنّ بعض هؤلاء الأبناء استشهدوا وآباؤهم، وهم أبناء القادة من الصف الأول والثاني والثالث في حركة «حماس». وعلى سبيل المثال فقد استشهد نجلا الدكتور محمود الزهار: خالد وحسام، أما الدكتور نزار ريان فقد استُشهد نجله إبراهيم، والشيخ محمد طه: استشهد نجله ياسر وزوجته وطفلته،

والشيخ عبدالفتاح دخان: استشهد نجلاه طارق وزيد، الشيخ حماد الحسنات: استشهد نجله ياسر، والشيخ أحمد نمر حمدان: استشهد نجله حسام، الشيخ إبراهيم تمراز: استشهد نجله صهيب، والدكتور مروان أبو راس: استشهد نجله عاصم، والدكتور إبراهيم اليازوري: استشهد نجله مؤمن، والشهيد عدنان الغول: استشهد نجلاه بلال ومحمد، والشهيد صلاح شحادة: استشهد وزوجته وإحدى بناته، والدكتور خليل الحية: استشهد نجله حمزة، والنائب «أم نضال» فرحات: استشهد أنجالها نضال ومحمد ورواد. والدكتور علي الشريف: استشهد نجله علاء، والشيخ أحمد الجعبري: استشهد نجله محمد وشقيقاه حسن وفتحي، والشيخ حسين أبو كويك: استشهدت زوجته بشرى وأطفاله براء وعزيز ومحمد، والشيخ منصور أبو حميد: استشهد نجله أحمد، والمهندس عيسى النشار: استشهد نجله علي، والشيخ نبيل النتشة: استشهد نجله باسل، والشهيد الدكتور نبيل أبو سلمية: استشهد في قصف منزله هو وزوجته سلوى وأطفاله يحيى ونصر الله وسمية ونسمة وهدى وآية. والشيخ عبدالعزيز الكجك: استُشهد نجله ناصر، والشيخ أبو بلال الجعابير: استشهد نجله مصعب، والشيخ جهاد أبو دية: استشهد نجله محمد، والشيخ عصام جودة: استشهد نجله محمد، الشيخ إبراهيم صلاح: استشهدت طفلته إيناس.

ليلاحظ القارئ أننا نتحدث عن الشهداء من أبناء كبار المسئولين .. فهم هناك .. في فلسطين الحبيبة .. لا يورثون الرئاسة المغصوبة ولا المال المنهوب ولا الرشوة ولا الخيانة ولا العمالة ولا موالاة الأعداء .. لا يورثون أيا من ذلك .. بل يورثون الشهادة.

***

أكلم نفسي كثيرا عن فلسطين .. لكن يخجلني أن أتحدث إليها ..

أعجز حتى عن التحية .. كما أعجز عن النصيحة .. فالنصيحة من مثلنا لمثلهم فضيحة ..

تتوالى أمامي سلاسل الشهداء .. سلاسل من نور ..

أري على رأس الشهداء الشيخ أحمد ياسين ..

يوم استشهاده حاولت أن أكتب عنه .. وكنت عاجزا عن الكتابة.

كان الخونة كدحلان هم الذين أرشدوا اليهود إليه ليغتالوه، وهو الأمر الذي فعلوه

بعد ذلك مع الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي الذي فجر في قلبي ذات الألم ..

كان دحلان وراء كل كارثة .. كان هو قائد فرق الموت لاغتيال الشهداء ..

ولم يكن دحلان مجرد خائن فلسطيني .. بل كان النموذج الشامل .. وكان كل حاكم عربي هو في الواقع دحلان مهما تنكروا خلف الأقنعة. لذلك أقول لإخوتنا في فلسطين: لا تطيعوهم .. ولا تلقوا إلينا بالا ولا تطيعونا.

لا تطيعونا يا أهل فلسطين إذن ولا تطيعوهم فجلهم كذلك البهائي الذي أغلى ما فيه حذاؤه.

لن أتوقف أبدا عن المقارنة بين البطل إسماعيل هنية جالسا على رصيف -جائعا مع شعبه المحاصر- هو أعلى من كل العروش والآخر الذي نشرت وكالات الأنباء عنه أنه يفضل الأحذية من نوع «موكاسين» التي تنتجها شركة «فابي» الفاخرة والذي يكلف الزوج الواحد فيها ٢٠ ألف يورو, وبذلك يشترك مع العديد من رؤساء الدول الفاخرة في ارتداء هذه الأحذية.

لا تصدقونا فجل حكامنا من نوعه، وكمثله أثمن ما فيهم أحذيتهم.

نعم .. جل حكامنا مثله ومثل الخائن العميل دحلان ..

نعم .. عباس ودحلان هم نماذج حكامنا فلا سبيل لالتقاء هنية معهم ..

***

يحتاج الحديث عن دحلان لبعض التفاصيل .. لأنه ربي على عين الصهاينة والصليبيين وهو نموذج نمطي بين حكامنا .. نموذج فاعل وحاضر ورئيسي لأنه عميل وجاسوس أمريكي وإسرائيلي .. ولنتناول أولا الفضيحة الأخيرة التي انفجرت والتي يكشفها تقرير أمريكي يقول : أن إدارة بوش سعت لحرب أهلية في غزة بالتعاون مع دحلان لإسقاط حماس، وأن تكاليف الخطة قدرت بـ ١,٢٧ مليار دولار كما ذكرت صحيفة القدس العربي في عددها ٥-٣-٢٠٠٨. والأمر لم يكن أقوالا مرسلة بل كشف مسؤولون أمريكيون ووثائق سرية رسمية أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش سعت لتمويل حرب أهلية في غزة بواسطة محمد دحلان، مستشار الرئيس الفلسطيني للأمن القومي، تنتهي بتقويض سلطات حماس. وطبقا للقدس العربي فقد أوردت مجلة فانيتي فير الأمريكية في عددها الذي سيصدر في شهر نيسان (أبريل)

المقبل، أنها حصلت علي وثائق سرية يعـزز مضـمونها مصـادر في الولايـات المتحـدة والأراضي الفلسطينية تكشف مبادرة سرية صـادق عليهـا بـوش وعهـد بتطبيقهـا إلى وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس ونائب مستشار الأمن القومي إليوت أبرامز.

وأوضحت المجلة أن هـذه الخطـة الأمريكيـة السـرية هـدفت لإثـارة حـرب أهليـة فلسطينية. وأعدت للقوات التي يقودها دحلان، وتسليحها بأسلحة جديدة مـن أجـل إزاحة الحكومة المنتخبة ديمقراطياً التي تقودها حماس، من السلطة.

وكان مخطط إدارة الرئيس جورج بوش يهـدف إلى إلغـاء نتـائج انتخابـات كـانون الثاني (يناير) ٢٠٠٦ التي فازت بها حماس بأغلبية المقاعد في البرلمان الفلسطيني، وهـو الفوز الذي امتعضت منه الإدارة الأمريكية.

***

هذه هو مبلغ الديموقراطية الأمريكية ومآلها ومنتهاها ..

وهذه هي شرعية البهائي الحذاء ..

هذه هي الليبرالية والحداثة والشفافية ونهاية التاريخ ..

لكن .. فلنواصل ما ستنشره مجلة «فانيتي» في عددها الذي لم يصدر بعد .. فموعده الشهر القادم ..

***

قالت المجلة : إن هذه الخطة السرية أدت لعكس غرضها، وأسفرت عن تراجع أكبر للسياسة الخارجية الأمريكية في عهد بوش، فبدلاً من إقصاء الأعداء من السلطة، فـإن مقاتلي فتح المدعومين من الولايات المتحـدة أتـاحوا لحمـاس، بشـكل غـير مقصـود، السيطرة على غزة بشكل كامل.

وفي هذا الإطار اتهم المستشار السابق لنائـب الـرئيس الأمريكـي لشـؤون الشـرق الأوسط ديفيد وارمسر الذي استقال من منصبه في يوليو (تموز) ٢٠٠٧ بعد شهر مـن سيطرة حماس علي غزة، اتهم الإدارة الأمريكية بأنها كانت تنخرط في حرب قـذرة في إطار جهودها لتأمين النصر لديكتاتورية يقودها عباس.

***

نعم ..

حرب قذرة ..

نرددها مع المسؤول الأمريكي .. لكننا نضيف أن صفة القذارة تلحق بكل من أدان حماس وأيد البهائي والجاسوس والعميل ..

كل حاكم عربي عادى حماس لم يعاد فصيلا سياسيا وإنما عادى الدين والأمة والدولة والشعب والحق والعدل ..

ولكن ..

لنعد إلى وارسمر الذي يرى أن حماس لم تكن تنوي السيطرة علي غزة حتى أجبرتها فتح علي ذلك. وأردف يبدو لي أن ما حصل لم يكن انقلاباً من قبل حماس وإنما انقلاب من قبل فتح جري إحباطه قبل حصوله.

وفي هذا السياق نقلت المجلة عن مسؤول في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) قوله كل واحد ألقي باللوم علي غيره (بعد فوز حماس)، مضيفاً جلسنا في البنتاغون نتساءل: من الغبي الذي أوصي بذلك؟.

وأشارت المجلة إلى أن واشنطن تصرفت بقلق ورعب، حين بدأ عباس المحادثات مع حماس علي أمل إنشاء حكومة وحدة وطنية.

وبدأت الإدارة الأمريكية تعد من وقتها خطة بديلة لإزاحة حماس من السلطة بالتعاون مع دحلان ولو عن طريق الحرب الأهلية. كان دحلان يسبق عباس في سلم الخيانة وكان بوش يسميه «رجلنا» ..

وبدأ القائد الأمريكي كيث دايتون الذي عينه بوش في عام ٢٠٠٥ للتنسيق الأمني في الأراضي الفلسطينية لقاءاته مع دحلان في القدس ورام الله. وتوافق الرجلان علي العمل علي خطة أمنية تبدأ بتوحيد الأجهزة تحت قيادة دحلان، الذي عينه عباس ـ بالتزامن مع ذلك ـ مستشاره للأمن القومي.

ورفض الكونغرس بداية تمويل هذه العملية خوفاً علي أمن إسرائيل، فطلبت الولايات المتحدة من مصر والأردن والإمارات دعم الأجهزة تدريباً وعتاداً.

وحسب مجلة «فانيتي فير» فإن كوندوليزا رايس لعبت دورا مهما في محاولة إقناع مصر والأردن والسعودية والإمارات بتمويل وتدريب مسلحي حركة فتح، وكان من

المفترض أن تنقل الأموال إلى حسابات بنكية تخضع لمراقبة الرئيس عباس. وأكد مسؤولون إسرائيليون من بينهم الوزير بنيامين بن أليعازر أن مصر بعثت بأسلحة لتنظيم فتح في غزة في شهر كانون الأول (ديسمبر). ٢٠٠٦

وحسب مذكرة من وزارة الخارجية الأمريكية فإن تكاليف الخطة (رواتب المسلحين والتدريبات والأسلحة) قدرت بـ ١,٢٧ مليار دولار علي مدي خمس سنوات.

***

هذه هي حكاية الشرعية بين هنية وعباس يا عبيد أمريكا ويا عبيد عبيد أمريكا ..

هذه هي حكاية الشرعية المدعاة ..

وها هو ذا دحلان .. النموذج النمطي لكل حاكم عربي ..

وككل حكامنا فإنه قد بنى كل مرحلة من مراحل عمره على كذبةٍ وادعاء .. وكانت الخيانة تتبع كل علاقة له .. ثم أصبحت الآن تصاحبها وتسبقها!! .. ادعى النضال منذ نعومة أظفاره وادعى الاعتقال لفترة طويلة ولم يكن الأمر كذلك بل كانت بعثات داخلية للدراسة في أوكار المخابرات .. وادعى مساعدة أبو جهاد خليل الوزير في توجيه الانتفاضة .. في حين أن كل فترة من هذه الفترات اكتنفها غموض فوضّحتها وقائع سردها أكثر من طرف ..

بدت عداوة دحلان للإسلام منذ شبابه المبكر، وعندما التحق بحركة فتح فقد ادعى أنه كان مؤسس الشبيبة الفتحاوية أثناء دراسته الجامعية. وقد فنّد أحد مؤسسي الشبيبة الفتحاوية هذا الادعاء، بأن الشبيبة تأسست في الضفة الغربية وليس في قطاع غزة!! بعدها تولى الموساد تلميعه بمساعدة «أبو رامي مسؤول المخابرات»

ولقد أقر أحد مسؤولي الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) السابقين ((ويتلي برونر)) أنه تم تجنيد دحلان في تونس في الثمانينيات، وتمّت تزكيته وتسميته مع الرجوب ليكوّنا سوياً القوة الضاربة المستقبلية بعد اتفاقات أوسلو حين تسلّم مهمة قيادة جهاز الأمن الوقائي، وكيف كان وفياً بطريقة خرافية للاتفاقات الأمنية، فتعاون مع الصهاينة من أجل الفتك بالمقاومة عبر التنسيق المذهل مع الأجهزة الأمنية الصهيونية التي رفعته إلى أعلى المراتب في سلطة الحكم الذاتي. من قائد لجهاز الأمن الوقائي – حيث شكّل فرقة الموت التي قتلت عشرات الأبرياء واعتقلت المقاومين ـ إلى مستشار عرفات للشؤون الأمنية إلى وزير للداخلية ..

ولقد صرح دحلان أخيرا عند كشف أحد مؤامراته لاغتيال إسماعيل هنية ـ: إن هذه المحاولة «شرف لا أدعيه».

إن النموذج النمطي لدحلان أنه لص كالآخرين .. فقد ولد محمد يوسف دحلان في العام ١٩٦١ لأسرة فقيرة في مخيم خان يونس ونشأته في مناخ العوز لينتهي الأمر الآن بتملّكه لفندق فخم في غزة هو فندق الواحة على شاطئ غزة، وهو الفندق المصنف كواحد من أفخم مجموعة فنادق الخمس نجوم في الشرق الأوسط. وقد استغرب أهل غزة مِن ذاك الذي كان فقيراً بالأمس القريب يتملّك فندقاً تكلفته مئات ملايين من الدولارات، ولكن جهاز الأمن الوقائي كان كفيلاً بإسكات وتعذيب كل من يهمس بكلمة عن هذا (الإصلاحي) الجديد.

لم تنته الحكاية عند هذا الحدّ بل تفجّرت بشكل كبير عندما كشفت صحيفة ((هآرتس)) العبرية في العام ١٩٩٧ النقاب عن الحسابات السرية لرجال السلطة الفلسطينية في بنوك إسرائيلية ودولية، وكانت ثروة دحلان في البنوك الإسرائيلية فقط ٥٣ مليون دولار. كان ذلك منذ أحد عشر عاما .. ويبدو أن الصليبيين والصهاينة قد تستروا على أرقام ثروته بعد ذلك، تلك الثروة التي من المحتمل أنها تجاوز المليارات (متوسط ثروة العميل العربي الخائن: أربعون مليار دولار مهربة إلى الخارج).

كان دحلان- كما يقول موقع أخبارنا- يثير الاشمئزاز بكثرة تملقه للرئيس عرفات، لكنه سرعان ما انقلب عليه، متغافلاً عن التصاريح السابقة في تمجيد (الرمز)، مستشعراً أن الانتقادات الإسرائيلية والأميركية ضد عرفات فرصة لا تُعوّض للانقلاب الذي طالما حلم به وخطّط له في لقاءاته الأمنية المتكرّرة مع القادة الإسرائيليين. وفي ١٣/ ٧/ ٢٠٠٣ وجّه محمد دحلان رسالة إلى شاؤول موفاز يقول فيها : «إن السيد عرفات أصبح يَعد أيامه الأخيرة، ولكن دعونا نذيبه على طريقتنا وليس على طريقتكم، وتأكدوا أيضاً أن ما قطعته على نفسي أمام الرئيس بوش من وعود فإنني مستعد لأدفع حياتي ثمناً لها))».

كان هذا اعترافا منه بالقتل والاغتيال الذي لم يكف عنه منذ أيام تونس ..

وكان الخائن يرى أن حركة حماس سوف تقف حجر عثرة في وجه مشاريعه وطموحاته إلى السلطة، وكان يتأهب دائماً للانقضاض على الحركة. وكثيراً ما حاول تفكيك هياكلها وأطرها التنظيمية والاعتداء على أعضائها وتعذيب وسجن عناصرها

وقادتها، حتى تجرأ على وضع الشيخ الشهيد أحمد ياسين في الإقامة الجبرية، بعد مصادرة الحواسيب والبرامج والملفات من مكتبه.

هذا عدا عن منع العمل الخيري في غزة وإقفال المؤسسات الخيرية، ضمن سياسة «تجفيف الينابيع» الأمريكية ضد الحركة.

لقد كان الخائن قاسما مشتركا في اغتيالات الشهداء ابتداء من شبهات تونس حتى يقين غزة حين طرح شارون قتل القادة السياسيين لفصائل المقاومة الفلسطينية وسمّى: عبدالعزيز الرنتيسي وعبدالله الشامي ومحمود الزهار وإسماعيل هنية ومحمد الهندي ونافذ عزام وجميل المجدلاوي. واعترض أبو مازن على ذلك، إلا أن دحلان طلب مساعدة الإسرائيليين له عبر اغتيال القادة. وقال: (إذا كان لا بد لكم من مساعدتنا ميدانياً، فأنا أؤيد قتل الرنتيسي والشامي، لأن هؤلاء إن قُتلوا فسنُحدث إرباكاً وفراغاً كبيراً في صفوف حماس والجهاد الإسلامي، لأن هؤلاء هم القادة الفعليين.

ومما يذكر عن الخائن في محادثة هاتفية مع الصحافي جهاد الخازن نشرها في الصفحة الأخيرة «عيون وآذان» في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢، أنه مستعد لإرسال عشرة رجال لقتل الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي ومن ثم يقوم باعتقالهم.

وقد أكد الخازن في رد آخر في الصفحة نفسها في تموز/ يوليو ٢٠٠٤ هذه المحادثة، وأن دحلان هدّد فعلاً بقتل الرنتيسي، وأنه رآه في القاهرة بعد النشر وعاتبه على ما نشر، فردّ يومها الخازن عليه مذكراً إياه أنه نشر نصف ما قاله ذلك اليوم.

مع وصول دحلان إلى قيادة جهاز الأمن الوقائي تمّ اقتحام ومداهمة مئات المنازل الفلسطينية، من قبل عناصر الأمن الوقائي واعتقال الشباب الذين يشتبه بانتمائهم إلى حماس، المشهد أسوأ مما كان يقوم به جيش الاحتلال الصهيوني.

ولم يتوقف المشهد الدحلاني عند هذا الأمر بل تمّ إطلاق النار على الكثير من المقاومين، وأصيب العشرات منهم بجراح، ولاقى من في السجون الأمرّين من التعذيب، فكل ما مارسه زبانية العدو الصهيوني طبّقه عناصر دحلان على أبناء حماس، وتمّ تعليق الشباب لساعات طويلة ووضع الأكياس العفنة في رؤوسهم وتوجيه الألفاظ البذيئة لهم، والاعتداء عليهم بالضرب المبرح، وتقييدهم من اليدين والرجلين، والضرب في مناطق حساسة من الجسم، ونتفت لحاهم، وأصيب عدد من الشباب بحالة صمّ مؤقتة نتيجة وضعه في زنزانة مع فتح مسجل يبث أغاني أجنبية

بصوت عال جداً، ولوحق كبار القادة وتعرّضوا للإهانة أمثال الدكتور محمود الزهار والشيخ أحمد بحر، ولقي الدكتور الشهيد إبراهيم المقادمة العذاب الشديد بأساليب حقيرة.

أما المؤسسات الإسلامية فكان لها نصيب كبير من الملاحقة، حيث تم اقتحام عشرات المؤسسات وفتشت مقراتها بدقة وصودرت وثائقها وملفاتها واعتقل قادتها وموظفوها وأغلقت بقرار السلطة.

ومنع الخطباء والعلماء والدعاة المسلمين الذين يشتبه أنهم مقربون من حركة حماس من الخطابة وإلقاء الدروس في المساجد، وعينت وزارة الأوقاف بالتنسيق مع أجهزة الأمن خاصة الأمن الوقائي عناصر موالين لها سواء في الخطابة أو الإمامة أو رعاية المساجد، وجدد رجال دحلان التدقيق في الموظفين الحكوميين ومعرفة ميولهم السياسية وتمّ فصل العديد منهم الذين اشتبه أن فكرهم قريب من حماس، وشدد في التوظيف ألا يكون المتقدم لأي وظيفة من حماس!!.

لم يخف دحلان علاقاته مع الإسرائيليين فهذا ما تقتضيه «المصلحة الوطنية»، وبرز واضحاً مدى ثقة الإسرائيليين به، وتحت التعذيب الشديد لأعضاء في كتائب القسام أبطل دحلان عملية كبيرة داخل الكيان الصهيوني وتحديداً في شركة «سيلكوم» اللاسلكية وأخبر جهاز المخابرات الصهيوني عن مكان حقيبة للمتفجرات، وفي مرحلة أخرى اعتقل عدداً من المجاهدين خلال توجههم لتنفيذ عمليات استشهادية، وبفعل التعذيب الشديد أيضاً تمكن من الحصول على معلومات حول مكان رفات الجنديين الصهيونيين إيلان سعدون وآفي سبورتس الذين خطفتهما وقتلتهما حماس نهاية الثمانينات.

وشكل دحلان- كما يقول موقع أخبارنا- فرقة للقتل ضمت عناصر شابة لا تدرك حقيقة ما ترتكبه بحق شعبها، بدأت بقتل هشام مكي رئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني جهاراً في وضح النهار لأسباب متعددة، وكانت يده المسلطة على رقاب الناس في الردع والإرهاب، وأصبح اسم فرقة الموت يتردد في كل شارع من غزة في محاولة لتخويف الناس.

ومع أواخر التسعينيات بدأ دحلان خطوات متقدمة للاتجاه إلى العمل السياسي وأوعز إلى زوجته لتصبح سيدة مجتمع بإنشاء جمعية أطلق عليها اسم «المركز الفلسطيني

للتواصل الإنساني»، وأنشأ مع مجموعته نفسها مركزاً للدراسات «ناشد» ترأّسه خالد اليازجي الذي عيّنه فيما بعد مسؤول العلاقات الخارجية في وزارة الداخلية.

ويتصرف دحلان حالياً على أنه الرئيس القادم حتى ولو على قطاع غزة، ومن مشاهد ذلك السيارة الفارهة المضادة للرصاص، والفيلا المقابلة لفيلا أبو مازن قرب شاطئ البحر التي استأجرها له الأمريكان، ويرسلون له الدولارات عبر شحنات بريدية مباشرة دون وسيط بنكي حتى لا تظهر في حساباته ويغدق بها على محاسيبه وأعوانه، وحوّل الفيلا إلى أكثر من وزارة بل مركزاً رئيسياً لتحركاته ونشاطاته وتحظى الفيلا بحراسة أمنية مشددة، وبدأ يسوق نفسه بين العشائر والعائلات ويزورها في المناسبات المختلفة، ويعقد لقاءات شعبية، وينادي بالإصلاح.

***

هذا هو دحلان الذي يفضله حكامنا –مع صاحب الحذاء- عن جميع أهلنا الفلسطينيين ..

إنه أخوهم .. وهم لا يختلفون عنه إلا في المجالات الأوسع التي تمكنهم من مزيد من القهر ومزيد من النهب ومزيد من الإغضاء مقابل مزيد من الخيانة ..

فلتعلمي يا أمة: أن كل من يعترف بأنه على علاقة خاصة بأمريكا ليس سوى دحلان .. وكل مسلم على علاقة بإسرائيل هو دحلان .. وكل من تؤيده أمريكا هو دحلان.

***

انتهت المساحة المخصصة للمقال ولم أكد أقولُ شيئا ..

لكنني أعتمد على فطنة القارئ وذكائه واهتمامه وسعيه إلى أن يكمل بنفسه ما لم تتسع له المساحة ..

أن يكون فاعلا في هذه الدنيا ..

كما أريد قبل أن أنتهي أن أؤكد أن طريقا يتنكر الجهاد هو طريق الهزيمة والفشل ..

الجهاد بمعناه الشامل .. وأولها القتال في سبيل

وطريقا لا يعرف قيمة الإيمان هو طريق خسارة الدنيا وخزي الآخرة ..

أما ما يصيبنا من الألم فلولا أن الله سبحانه قد من عليّ بإيمان يفهم حكمة

الابتلاءات ويتحمل الرزايا لما استطعت الاستمرار!! ..

لكنني الآن – في مثل عمري- أنظر إلى كل شيء مبهورا ببدائع صنعته وعجائب حكمته .. مدركا أن لا شيء يجري خارج إطار مشيته فيمنحني ذلك الشعور عزاء أبديا على الخطوب وصبرا سرمديا على النوائب.

واثقا من النصر لكن بعد أن نؤدي واجبنا في الجهاد وثمن لا إله إلا الله

***

حاشية : فهمي هويدي

صالحني الكاتب الكبير فهمي هويدي بدموعه النبيلة ..

كانوا يتحدثون في الندوة عن المدى الذي بلغته خسة بعضنا في تشويه الفلسطينيين..

وعندما بدأ الكاتب الكبير في الحديث لم يحتمل ولم يستطع الاستمرار فانخرط في البكاء لأكثر من دقيقتين على منصَّة الندوة.

ثم إن مقالاته في الفترة الأخيرة كانت حائط صد يدفع عن إخوتنا سهام الشياطين .. وكانت – كعادته- ذكية شجاعة منصفة شاملة.

ترى ..

هل تنبه الكاتب الكبير أخيرا إلى أنه لا توجد حلول وسط بيننا وبين الصليبيين والصهاينة .. وأنه شتان ما بين الحلول الوسط .. والوسطية ..

تحية من الأعماق لكاتب كبير رجاّع للحق وإن لم يعترف بالخطأ .. !!

رسالة إلى الأمة.. وإلى مؤتمر القمة :

القدس عروس عروبتكم

نعم ..

القدس عروس عروبتكم ..

القدس في القلب قبل القاهرة ودمشق وبغداد والرياض ..

عروس عروبتنا ..

عروس ديننا ..

أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال..

أستميح القارئ عذرا إذ لم أتعود أن أكتب في خضم هذا الغضب الهادر كالأعاصير الثائر كبراكين النار والجحيم والغارات على إخوتنا العزل في فلسطين، تعودت أن أجتر الألم، أن أعاشره طويلا طويلا فلا أكتب عن الحدث عند وقوعه ...

أجلس أمام شاشة التلفاز وقد غرقت في عار العجز ..

أعترف لقرائى إنني عاجز وحزين حزين حزين حزين ..

هل أكتب لهم عن محمد الدرة .. أم عن انتهاك الأقصى .. أم عن قصف الفلسطينيين وهم عزل .. أم عن عالم عربي جلله عار العجز ..

هل أنشد المراثى في الطفل الشهيد .. أم في الأقصى .. أم في فلسطين .. أم فينا .. وفيكم .. يا عرب ويا مسلمون ..

هل لطوفان دموعى أو دموعكم يا قراء أن يغسل الدم الذي تفجر من دماء الشهيد الطفل محمد جمال الدرة وهو أعزل يطلب الأمان ويصرخ بخنازير جهنم وقردتها من بنى إسرائيل ألا يطلقوا الرصاص .. لكنهم يطلقونه لترتفع روح الشهيد وليتجسد الرمز حقيقة .. فأرى شعوب العالم العربي كله ذلك الطفل الأعزل الشهيد .. يطلق الكلاب عليهم الرصاص فيموتون كما ماتت البراءة، ويغتال قوم محمد كما اغتيل محمد ..

هل يمكن أن يمحو الزمن مهما طال ذلك الشرخ الذي مزق القلب مع صرخة صوت أبيه المشروخ إذ يهتف: الولد مات .. مات الولد .. وكأنه يحذرهم .. وكأنهم يمكن أن يتوقفوا عن إطلاق الرصاص لو شكوا أن «الولد» سيموت .. وكأنهم لا يقصدون ذلك قصدا ..

هل يمكن أن يمحو الزمن مهما طال ألم عجزنا .. وعجز ألمنا .. وعار عجزنا ..

حين جلسنا أمام شاشات التلفاز نرقب قصف إخوتنا في فلسطين بالدبابات والطائرات وما من دولة عربية واحدة قادرة على نجدة ملهوف أو إغاثة مستغيث ..

صرخت .. ماذا يفعل ولاة أمورنا منذ أكثر من خمسين عاما ..

ماذا يفعلون؟ ..

إن لم يكن الواجب الأول لولى الأمر أن يعد أمته ليوم كريهة كهذا فلماذا يبقى دقيقة واحدة ؟.

إن لم يكن الواجب الأول لولى الأمر أن يحدد من هو عدو بلاده الاستراتيجي فيعد له من القوة ومن رباط الخيل ما يرهبه به .. فلماذا يبقى ؟. بل لماذا لا يحاكم؟! ..

هل فوجئتم يا جلالة الجلالات ويا فخامة الفخامات بوجود إسرائيل بينكم؟.

هل بات كل واحد منكم بالأمس خالي البال .. ثم استيقظ في الصباح ليجد أن البحر قد انشق عن إسرائيل حيث لم تتسع ساعات الليل القصير لاتخاذ العدة؟ ..

ثم تدّعون الحكمة .. !! ..

لا والله .. هو الجبن لا الحكمة ..

هو الوهن ..

هذا هو ما ألقى في قلوبنا مهابة أعدائنا وفي قلوب أعدائنا الاستهانة بنا ..

قلت لنفسي: بعض ولاة أمورنا مستعربون .. مستعربون كتلك الفرق العسكرية من اليهود التي يدربها الإسرائيليون فتتزيّى بالزي الفلسطيني .. لتتسلل إليهم ولتختلط بهم وتصيب منهم ما لا يستطيع الجيش الإسرائيلي نفسه أن يصيبه ..

نعم .. مستعربون .. وكلاء واشنطن في «حكم » بلادنا وشعوبنا ..

هل قلت: « حكم» ؟ ..

لا .. بل في «ترويض» بلادنا وشعوبنا ..

نعم .. على الضوء الباهر لروح الشهداء تجلت الحقيقة مرة .. فبعض ولاة أمورنا شارون آخر .. شارون يلبس جلبابا .. أو يصبغ لحية أو يمسك مسبحة .. يتخفى خلف قناع .. كي يطلق علينا الرصاص ذات يوم - بل كل يوم - ونحن ضعاف عزل .. مختبؤون خلف البراميل نناشده ألا يطلق علينا الرصاص ..

نعم .. شارون .. شارون الثاني وشارون الثالث وشارون العاشر وشارون الثالث والعشرون ..

كيف أستطيع يا قراء أن أنقل لكم ما بقلبي؟ ..

كيف تعبر الحروف الخرساء عن الدم والذل والقهر والانسحاق ..

هل أجرؤ على الادعاء بأن حرفي الدال والميم اللذين يكونان كلمة « دم» تصفان حقا نزيف الدم من محمد الدرة الذي جسد ويجسد دماء كل الشهداء .. لا نزيف واحد حُرْمته عند الله أكبر من حرمة الكعبة .. بل نزيف مئات الألوف .. ونزيف وطن ..

هل أستطيع الادعاء بأن حرفي الذال واللام المشددة يعبران حقا ويترجمان تلك الأحاسيس المبهظة التي تجيش بها مشاعرنا ..

وهذه القذائف التي تشاهدونها على شاشة التلفاز تشق أجواز الفضاء .. كيف أنقل لكم صورة لحظة انفجارها، لحظة الهدم والدم والألم والانفجار والذل والقهر والانكسار، ولحظة العناق الدامي بين شظية من شظاياها وقلب من قلوب ضحاياها ..

وهذه السفينة الأنيقة تتبختر أمام شواطئ غزة فتروح وتجيء وكأنها في نزهة أو استعراض .. لكن فجأة ينطلق منها الجحيم ..

وذلك الصوت المشروخ الصارخ: «الولد مات .. مات الولد» هل أستطيع أن أنقله لكم دون أن تتبدل الحروف على لساني: « الوطن مات .. مات الوطن» .. أو «مات العرب» ..

كيف أستطيع أن أنقل لكم يا قراء ما يمور بقلبي .. وقلبي كالتنور ؟.

كيف ؟. كيف ؟ كيف ؟ كيف .. ؟ ..

هل أستطيع أن أبلل صفحات تلك الصحيفة بالدم كي تتخضب يدا القارئ به إذ يقرأ، ليفهم ويحس ويعي ويعايش أي نوع فظيع من القهر والعذاب يعانيه إخوتنا في فلسطين.

هل أستطيع أن أدس بين الصفحات أشلاء بشرية، لأيد مقطوعة، وعيون مفقوءة، وبطون مبقورة، وقلوب مسحوقة، وأكباد مهترئة، وجماجم منفجرة، كي يحس القارئ ويعي ويعايش ما يحدث لإخوتنا في فلسطين؟!.

وهل أستطيع أن أستعمل بدلا من الحبر الذي دنسته أقلام كثيرة دم الشهداء- رغم أنوفهم - والذي يسفكه المجرم الجبار كلينتون وتابعه باراك ؟.

هل أستطيع أن أشعل صفحات هذه الصحيفة بين يدى القارئ، ليحس بما يحس به فلسطيني ينفجر في جسده الرصاص المتفجر ؟.

هل أستطيع أن أبث في الكلمات رائحة لحم بشرى مشوي كي يشم القارئ رائحة لحم إخوته في نابلس والخليل ورام الله والقدس يشوى على نيران محرقة إسرائيل ؟.

هل أستطيع أن أصوغ من تلك الحمم المنصهرة المنثالة من داخلى تمثالا يحرق لامسه ويعمى الناظر إليه، أو أن أرسم بألوانها الدامية لوحة تتحرك فيها الجمادات وتصرخ ؟.

هل أستطيع أن أجعل صفحات هذه الصحيفة تنفجر بين يدى القارئ، أو تنوح وتلطم؟

هل أستطيع أن أبث الروح في تلك الحروف المتراصة الميتة فتنفجر بالحياة من الألم فتنقل للقارئ في نفس اللحظة التي يقرأ فيها صرخة فلسطيني يموت، أو نواح أم ينزف ابنها بين يديها ولا تجد ما تعالجه به بعد أن منع المجرم الأمريكي الإسرائيلي عنها كل وسائل الإنقاذ، أو صرخة ابن كانت يده في يد أبيه فتسقط قنبلة فتبقى اليد ويختفي الأب، صرخة تلاشى منها كل أمل في معونة شقيق، وانهدمت فيها إرادة الأمة لا بفعل أعدائها بل بقهر حكامها، هل أستطيع أن أنقل لكم ياقراء تلك الصرخة من داخل فلسطين، أو صرخاتنا نحن من خارجها ..

هل يمكن أن أنقل إلى القارئ صوت صرخة مسجد يحرق أو مدينة تغتصب أو وطن يُذبح ...حين يصرخ الرمل والنهر والشجر والحجر...

هل يمكن أن يسمع القارئ وعيناه تجريان على هذه السطور صوت انفجار قنبلة أو انهيار أمل، صوت عظام ١٥٠٠٠ طفل فلسطيني وهى تتهشم بأمر السفاح رابين، وهل يمكن أن يسمع صوت المفاصل وهى تنخلع، والشظايا وهى تشق طريقها بين اللحم والعظم، والنفوس وهى تنكسر، وكرامة الوطن وهى تُذبح؟ ..

هل يمكن أن يرى القارئ ولو لثانية واحدة مشهد الخنزير شارون وهو يمتهن كرامة مليار من البشر بل البشرية كلها إذ يدنس أقصانا الأسير ؟.

هل يمكن أن يرى القارئ ذلك وأن يخصف على مشهد العار في خياله الدامي

صفحات هذا الصحيفة .. هل يمكن .... هل يمكن .... وهل تغنى هذه الدموع التي يذرفها القارئ الآن وهو يقرأ، وهل تجدى في إطفاء النار المشتعلة في ضحية واحدة من ضحايا القصف الوحشي المجنون الذي ستتعرض له أيها القارئ بنفسك بالتأكيد له غدا أو بعد غد ...

هل أنجح في أن أجعل القارئ يحس بثوان فقط من الانسحاق الذي يعانيه الآن في نفس هذه اللحظة واحد من آلاف الضحايا في فلسطين، ثوان فقط، هل يمكن أن أنقل إلى القارئ شيئا من مشاعر اللهفة المحمومة والأمل اليائس المفعم بالازدراء وخيبة الأمل الذي يعتمل في نفس رجل أو طفل أو امرأة هناك وقد هاجمه وحش مجنون فينتظر من إخوته في الدين واللغة والمصير أن يهرعوا إليه لينقذوه .. إن لم يكن بسبب العقيدة فمن أجل الأخوة المشتركة والمصير المشترك ... فما يحدث لفلسطين اليوم سوف يحدث لنا غدا...

سيحدث لنا .. لنا جميعا ..

فلماذا تراجعت يا مصر عن موقفك المشرف برفض رغبات العلج الأمريكي كلينتون لعقد قمة معه، وهى رغبة شيطانية خبيثة شريرة لا يهدف منها إلا إجهاض احتمال ولو ضئيل لمؤتمر القمة العربي الذي سيعقد في الأسبوع القادم. ليس إجهاض مؤتمر القمة فقط .. بل إجهاض الغضب الإسلامي الذي يتأجج الآن في العالم الإسلامي كله ..

لماذا تراجعت يا مصر، وطالبت بنفسك بعقد مؤتمر مع العلوج من أمريكا وإسرائيل كنت بنفسك التي رفضتيه، مستعيدة خيالات شرف ضاع منا منذ ربع قرن لم نقل فيها لأمريكا «لا» أبدا ..

لا تقولي لي أن قلبك اهتز مع إخوتك في فلسطين .. وإلا لاهتز أيضا مع خمسين ألف معتقل من الإسلاميين في سجونك ..

لماذا تطوعت يا دول البترول لطمأنة العالم أن العرب لن يقطعوا البترول دعما لإخوتهم في فلسطين؟، لماذا تطوعتم بذلك عندما انتشرت الشائعات بأن سعر البرميل سيصل إلى مائة دولار إن فعلتم .. وارتجف العالم رعبا لكنكم تطوعتم فطمأنتموه ..

لماذا ؟

كانت الانتفاضة الشريفة المباركة قد أوشكت على تعديل مسارنا من تطبيع وضيع

إلى مواجهة شاملة للغرب .. لأمريكا .. وهى مواجهة نستطيع -والله- الانتصار فيها .. لولا طيش أحلام صغيرة تستهتر بصالح الأمة كلها مقابل الاستمرار في الحكم والاستقرار في الرزوح على قلب الأمة.

يقول المعلقون السياسيون : أن المجرم باراك في أزمة .. لأنه لو فشل في فرض الاستسلام الذي يسمونه السلام فسوف يفقد مستقبله السياسي كله ..

وذلك قد يكون صحيحا بالنسبة لباراك .. لكنه مؤكد بالنسبة لعدد كبير من حكام العالم العربي .. خاصة أولئك الذين طالما خدعونا بأن الاستسلام سلام .. مستقبلهم السياسي الآن في خطر .. وهم لا يهتمون بانتفاضة شعبنا في فلسطين .. ولا بمشاعر أمتهم .. إنهم لا يدافعون عن الدين ولا عن العرب ولا عن فلسطين ولا حتى عن أوطانهم .. إنهم يدافعون فقط عن مستقبلهم السياسي .. ذلك المستقبل الذي يستميتون في الدفاع عنه ولا يفكرون - رغم أن بعضهم بلغ أرذل العمر - في شيء سواه .. فذلك المستقبل السياسي جاهز للوراثة .. ذلك ما يهتمون به .. وذلك ما تجرى المناورات الآن حوله .. إجهاضا لمؤتمر القمة ..

نعم .. البعض لا يفكر كيف يمكن أن يمد يد العون لأمته في هذا المؤتمر .. بل يفكر .. كيف يمكن - رغم كل هذا اللهيب في قلب الأمة - أن يقنع الغرب أنه ما يزال هو القادر على قمع الأمة، وترويضها، كي لا تخرج من حظيرة التبعية ..

نعم ..

جاءت الانتفاضة كالضوء الكاشف لتستر عورات سترت نفسها بالكذب والتزوير عشرين عاما وثلاثين عاما .. ونصف قرن ..

جاءت الانتفاضة لتكشف للجميع ما طالما قلناه .. أن الحل السلمى ليس حلا سلميا بل استسلاما .. وبطبيعة الأمور .. فسوف يوجد من خُدع وسوف يوجد من خَدع .. سوف يوجد الأبله الذي صدّق دعاوى السلام لفرط سذاجته .. وسوف يوجد الخائن الذي زين السلام لأمته كنخاس يغرى بالخرز الملون من يهدف إلى أسرهم لبيعهم عبيدا .. ليحصل على الثمن من أعداء الله والأمة ..

جاءت الانتفاضة لتميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود ..

جاءت .. ولن تكون الأمور بعدها كما كانت قبلها أبدا ..

سوف تهتز عروش وسوف تطير رؤوس .. أرجو من الله أن يكون أولها .. رأس

.. شارون .. وباراك ..

يا معشر الحكام .. أطيعونا ولو مرة ثم خالفونا العمر كله ..

يا معشر الحكام .. يا من انخدعتم بالسلام ..

أهذا هو السلام الذي تدعوننا إليه ؟.

أنحن الظلاميون حقا وأنتم المستنيرون ؟

أنحن الإرهابيون المتخلفون بينما أنتم وهم المتحضرون ؟

فلتأتوا بشهدائكم إذن ...

أما أنا فإنى آتيكم بشهدائنا:

– فلسطين: ٢٦١٠٠٠ شهيد و١٨٦٠٠٠ جريح و١٦١٠٠٠ معوق وهجرة مليونين تحولوا إلى خمسة ملايين لاجئ.

–لبنان: ٩٠٠٠٠ شهيد و١١٥٠٠٠ جريح و٩٦٢٧٠ معوق.

–مصر ٣٩٠٠٠ شهيد و٧٣٠٠٠ جريح و٦١٠٠٠ معوق.

الأرقام الباقية غير دقيقة أو غير متاحة لكنها تشير إلى ثلاثين ألف شهيد سوري وخمسة آلاف أردني، ويحصر أنتوني كوردستان إجمالي الخسائر البشرية المباشرة في الحرب العربية الإسرائيلية–متجاهلا الشهداء الفلسطينيين– فيبلغ عددهم ١٨٤٢٤٩ شهيدا منهم ٧٤٥٣٣ من العسكريين و١٠٩٥١٦ من المدنيين.

١٠٩٥١٦ شهيد مدنى يا صناع السلام لم يأبه لهم عالمكم المتحضر الذي ينقلب الآن من أجل ثلاثة من الإسرائيليين قتلوا وهم يتسللون لنشر الدمار وثلاثة آخرين أسروا.

لقد كانت جريمة من الخبير الغربي الشهير « كوردستان » الذي أورد هذه الأرقام أن يتجاهل دماء ٢٦١٠٠٠ شهيدا فلسطينيا لكنها إن حدثت منا تكون أكثر من جريمة ..

أكثر من أربعمائة ألف شهيد مدنى (فالأرقام السابقة تعود إلى بداية التسعينيات من القرن العشرين) هم ضحايانا المباشرون بسبب إسرائيل التي ينشد البعض منكم سلاما معها ..

هذه الأرقام رغم فداحتها يمكن أن تتضاعف لو أضفنا إليها ضحايا الفتن التي

أشعلتها إسرائيل في عالمنا العربي ..

ثم إن هذه الأضعاف المضاعفة يمكن أن تتضاعف مرة أخرى إذا أضفنا ضحايا أمريكا في عالمنا العربي والإسلامي ..

يا معشر الحكام .. هل سننتظركم طويلا قبل أن تقتنعوا أن أمريكا وإسرائيل والشيطان هم في الحقيقة ثلاثة أوجه لنفس الشيء .. نعم .. عقيدة تثليث سياسي أدعوكم للإيمان بها ..

يا معشر الحكام .. نحن – الأمة – لم نقصر معكم .. لم نقصر في حشد كل قوانا وبذل كل دمائنا كي نواجه عدونا ونعلي كلمة الله .. وراجعوا مرة أخرى قوائم شهدائنا وضحايانا ..

يا معشر الحكام نحن لم نبخل بشيء كي تقودونا إلى نصر طالما وعدتمونا به وأمرتمونا أن نحتمل القهر والطغيان والجبروت، وأن نخرس أصواتنا فلا صوت يجوز له أن يعلو على صوت المعركة ..

يا معشر الحكام نحن – الأمة – لم نبخل بشيء ..

إن بعض تقارير المخابرات الأمريكية تقدر ثمن السلاح الذي استوردته دول البترول العربية فقط منذ بداية الصراع العربي الإسرائيلي بألف مليار دولار بينما لا يتجاوز ما استوردته إسرائيل خلال نفس المدة ثلاثين مليارا وهو رقم يقل عما استوردته سوريا ومصر والعراق كل على حده، وأن حجم الإنفاق العسكري السنوي في الخليج وحده يقارب ثلاثة أضعاف حجم الإنفاق العسكري في إسرائيل طوال حياتها. وفي عقد الثمانينات استهلكت الدول الرئيسية في الشرق الأوسط ٤٠٪ من مبيعات السلاح في العالم مقابل ١٠ ٪ لحلف الناتو و١١ ٪ لحلف وارسو (طبقا لإحصائيات وكالة مراقبة التسلح ونزع السلاح:ACDA !!).

لم نبخل بشيء .. ومع ذلك تركتمونا نجلس أمام شاشات التلفاز طوال الأسابيع الماضية نغرق في عار العجز والخسة وإخوتنا في فلسطين يقتلون ومسجدنا الأقصى يدنس وما من أحد منكم بادر لنجدة أمته ودينه ..

بل لقد وَضَعنا باراك في المكان الذي أحب أن يرانا فيه تماما تماما .. وضع العاجز المستغيث الضعيف الجبان ..

هل حدث ذلك لأننا نفتقد السلاح الذي نواجه به .. كلا .. ألف كلا ..

إن لـدى العـرب ١٧٠١٦ دبابـة مقابـل ٦٦٠٠ دبابـة لـدى إسـرائيل، ولـديهم ٢٠٧٧١مدرعة مقابل ١٢٠٠٠ لـدى إسرائيل ولـديهم٧٠٤٦ قطعـة مدفعيـة ميـدان مقابل ١٥٠٠ لدى إسرائيل ولـديهم ١٠٨٢٣ صـاروخا مضـادا للـدبابات، ولـديهم ٣٠٠صاروخ أرض-أرض مقابل ١٠٠ قاذف لإسرائيل ولديهم ٢٩٣٧طـائرة مقاتلـة مقابل٨٧٩ لإسرائيل، ولديهم ٤٠٠هليوكبتر هجومية مسـلحة مقابـل ٧٥ لإسـرائيل، ولـديهم ٢٩٧ سـفينة قتـال رئيسـية مقابـل ٥٨ لإسـرائيل ولـديهم ٧٩٢٣هـاون مقابل١٢٠٠ لإسرائيل.

أما تعداد الجيوش العربيـة فيبلـغ في أقـل تقديراتـه:٢٦٨٧٠٠٠ مقابـل ٧٨٦٠٠٠ لإسرائيل، وتعداد الأمة العربية أكثر من أربعين ضعف إسرائيل.

تخافون من القنبلة النووية الإسرائيلية .. ؟ لماذا لم تصنعوها؟! ..

الباكستان، التي لا تملك عشر معشار ما نملك، أقسمت لتأكلن العشب كي تستطيع الاستجابة للتهديد الهندي، ولم تترك لها مضمار السلاح التقليدي ولا السلاح النـووي فاستجابت كما ينبغي أن يستجيب بشر يعي ويحس.

الهند، التي كانت أقصى أمانيها - كما قال نهـرو لعبدالناصـر في بدايـة السـتينيات مدللا على حجم الصعوبات التي يواجهونها هناك - كانـت أقصـى أمانيهـا أن تصـل بعد خطط للتنمية تستمر عشرين عاما إلى مستوى مصر آنذاك، والهنـد أيضـا لا تملـك معشار ما نملك ولكنها استجابت - ولو بالباطل - لما رأته تحديا.

لا ثروتهم أكثر ولا علماؤهم أمهر ولا تقدمهم الحضاري أكثر ولا شعوبهم أرقى. وكل مقارنة بيننا وبينهم تميل فيه كفة الميزان ناحيتنا إلا في وجود إرادة وزعامة وقيـادة ونظرة استراتيجية حقيقية ..

نحن لا نطالب الآن بحرب نكصتم عن الإعداد لهـا .. لكـن هـل يعجـز كـل هـذا السلاح في أيديكم عن مجرد الصمود أو الردع؟ ..

هل يعجز عن إقنـاع إسـرائيل أنهـا حتـى لـو انتصـرت في حـرب فسـوف تكـون خسـائرها فادحـة؟ هـل يعجـز عـن تحمـل الخسـائر مـع مـد الفلسـطينيين بالسـلاح والصواريخ كي يحطموا الآلة العسكرية الإسرائيلية من داخلها ..

يقول الشيخ حسن نصر الله : أننا لو اتبعنا هذه الخطة لحققنا انتصارا حاسما علـى إسرائيل خلال أعوام قليلة ..

لكنه الوهن .. حب الدنيا وكراهية الموت ..

ليست الحكمة لكنه الجبن .. عدم الرغبة في الانصراف عن متع الدنيا ونشواتها الحرام .. ذلك أن خطة كهذه ستشغل من يطبقها من الحكام أعواما وأعواما في الجهاد .. فكيف يصبر وكيف يستمر .. نعم كيف يستمر وهو ما تعود أن يستمر إلا لأن أعداء الله والأمة يريدون له أن يستمر ..

ليست الحكمة بل الجبن ..

فيم كان السلاح الذي استوردتموه إذن، فيم كان إهدار الاقتصاد والسياسة والاجتماع من أجل القوة، ولماذا وصلنا يا ولاة أمورنا إلى كل هذا العجز.

« العجز المطلق والهزيمة العربية الشاملة الكاملة|» كما وصفها بن جوريون ..

العجز المطلق رغم أن تعداد العرب خمسين ضعف إسرائيل وتعداد المسلمين خمسة أضعاف العرب، وميزانيتنا في التسليح أربعون ضعفا وجيوشنا وسلاحنا أربعة أمثال ثم نعجز هذا العجز المطلق؟!.

يا معشر الحكام: العواصم تصرخ، والمدائن تصرخ، والحناجر والقلوب تصرخ، وثأر الله يستصرخنا ألا نصمت.

نحن لن نطالبكم الآن بحرب عجزتم عن الاستعداد لها رغم أننا – نحن الأمة – لم نبخل بشيء من تكاليفها .. أخذتم التكاليف أضعافا مضاعفة وأهدرتموها ..

لا نطالبكم الآن بحرب .. بل بتصحيح المسار .. بالحد الأدنى من الكرامة .. وسوف نعوض – نحن الأمة– قصوركم وعجزكم بشهدائنا ..

في البداية كانت الأسلحة الفاسدة .. والآن: الضمائر فاسدة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

حد أدنى يا معشر الحكام وإلا انفجرت الأمة ..

الكل يصرخ إذ يرقب وينتظر قرار قمتكم:

مؤتمر قمة لا يخطو ولو بعض خطوة نحو الوحدة وتنسيق الخطى ليته ما انعقد.

مؤتمر قمة لا يجمد قرارات التطبيع – حتى نتمالك قوانا فننتقل من التجميد إلى ما سواه – ليته ما انعقد.

مؤتمر قمة لا يواجه صلف مجلس الهلاك والعدوان والفجور – لا مجلس الأمن –

ليته ما انعقد.

مؤتمر قمة لا يثأر ولا يرد على فجور دول وعهر أنظمة استمرأت بالمعايير المزدوجة أن تذل كبرياءنا، فيصل بهم الأمر إلى تجاهل حقائق دامغة عن ترسانة نووية في نحورنا، واختلاق مجرم عن سلاح كيماوى هنا وصاروخ هناك، ليته ما انعقد.

يا معشر الحكام .. أطيعونى ولو مرة ثم خالفونى العمر كله ..

لن تتغير نتائج مؤتمراتكم ما لم تغيروا الواقع الرزي الذي وصلنا إليه .. لن نتحاسب الآن ما الذي ومن الذي أوصلنا إليه .. لكن شراذم الدول التي رسمت حدودها قوى الاستعمار لا يمكن أن تسفر إلا عن مؤتمرات فاشلة مهينة كمؤتمراتكم .. غيروا الواقع على الأرض .. حسنا .. لا ليس حسنا .. كل حاكم فرح مسرور بقطعة أرض يحكمها ويظن نفسه حاكما حقيقيا والمنجّم الذي عين خفيرا على دولة .. سوف نتغاضى عن كل ذلك .. رغم أنه أساس بلائنا .. دعوا كل ذلك كما هو .. لكن اتفقوا على توحيد الجيش والسياسة الخارجية وليفعل بعد ذلك كل منكم ما يشاء ..

برح الخفاء .. فلا أحد يرفض هذا إلا إذا كان مصرا على بيع أمته للأعداء ..

يا معشر الحكام لقد بلغ من فداحة ما وصلنا إليه أن كاتبا سياسيا في حجم محمد حسنين هيكل كتب ذات مرة أن قرارات أحد مؤتمرات القمة صيغت في واشنطن وما كان عليكم إلا التوقيع .. كان هذا فظيعا .. لكن الأفظع منه أن الناس قد صدقوا ما قيل ..

فهل تسمحون لي يا معشر الحكام أن أصوغ لكم من قلب الأمة الذي يتأجج بالنار والمذلة والانكسار والغضب قرارات مؤتمركم الجديد .. فالأمة لم تعد تحتمل خيبات أخرى ..

ها أنذا أصوغه لكم: مؤتمر القمة: جلالة الملك.. رئيس الجمهورية:

مادة ١ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بإلغاء قرارات مؤتمر القمة السابق باعتبار السلام خيار العرب الاستراتيجي الوحيد، فالقرآن أخبرنا بغير ذلك .. كما أن السياسة والتاريخ والجغرافيا كلها تستنكره، ويرتبط بهذه المادة ما يترتب عليها من مقاطعة إسرائيل وسحب السفراء وإلغاء الاعتراف وتحويل الهدف الاستراتيجي من إزالة عدوان ٦٧ إلى إزالة عدوان ٤٨ .. فلا وجود لإسرائيل بيننا.

مادة ٢ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بأن يمتنع أي ملك أو رئيس عن أن يكون مورد السلاح لجيش بلاده .. فلقد ترتب على ذلك هذا الوضع البائس الذي نجد أنفسنا الآن فيه.

مادة ٣ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بأن تكف الجيوش عن أن تكون مهمتها الوحيدة حماية الحكام، فذلك يعنى أن كل ما أنفق عليها لم يهدف إلا للحفاظ على أمن بضع عشرات على حساب أمن الأمة كلها، كما أنه يشكل من الناحية الأخرى استنزافا لموارد الأمة لا يمكن في ظله للأمة أن تنهض على أي مستوى اقتصادي أو صناعي أو زراعي أو اجتماعي أو تقاني (تكنولوجي).

مادة ٤ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بإسناد قيادة الجيوش العربية بعد توحيدها إلى الفريق سعد الدين الشاذلي أو اللواء محمد بلال الذي رفض قيادة القوات المصرية في حفر الباطن.

مادة ٥ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بإصدار قوانين محاكمة الحكام حين يخرجون عن إجماع أمتهم، أو يعجزون عن الوفاء بما عاهدوا الأمة عليه ووعدوها به .. وحين يخونون ..

مادة ٦ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بتكليف القوات المسلحة وهيئة الطاقة الذرية بالتعاون مع جميع الدول العربية والإسلامية بالبدء فورا في تصنيع السلاح الذرى مادامت إسرائيل ترفض التنازل عنه.

مادة ٧ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بزيادة عدد الجيش وقوته ليقوم بوظيفته في الاستجابة للتحديات التي يواجهها والقيام بواجباته في حماية أمننا القومي، وفي منع مزيد من التقسيم لبلادنا.

مادة ٨ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بتطبيق قانون من أين لك هذا، على الحاكم والمحكوم، وأبنائهم.

مادة ٩ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بإعادة الدين إلى مكانه ومرجعيته والأخلاق إلى عرشها الذي أُطيح بها من عليه، وأن تكون هي النبراس الذي يشحذ عزيمة الأمة، ويقودها لدخول القرن الحادي والعشرين.

مادة ١٠ – قرار رئاسي (مرسوم ملكي) بتشكيل لجنة من حكماء الأمة تكون مهمتها تقليد إسرائيل، وتقوم هذه اللجنة بوضع خطة تفصيلية تدريجية شاملة لتوحيد

العالم العربي والإسلامي بعد خمسين عاما أو حتى بعد مائة عام. ويتفق جميع الفخامات والجلالات أن توصيات هذه اللجنة ملزمة للجميع.

مادة ١١– قرار رئاسي (مرسوم ملكي):دون انتظار لقرارات اللجنة السابقة، تعلن جميع الدول العربية والإسلامية إنهاء الحظر على أي بلد عربي أو إسلامي وفرضه على إسرائيل .. ومد إخوتنا الفلسطينيين بجميع ما يحتاجون إليه من مال وسلاح.

مادة ١٢– التوقف عن تقديم الإسلاميين كقرابين للصنم الإسرائيلي أو الأمريكي، وثمن للاستمرار في الحكم، واعتبار جريمة محاربة الإسلام أو الجرأة على الذات الإلهية جريمة خيانة عظمى أيا كان من يرتكبها .. وينطوي ذلك على قرار من مؤتمر القمة بالإفراج عن عشرات الألوف من الإسلاميين التي قامت السلطات المحلية في كل بلد بالتعاون مع أجهزة الغرب المختلفة في تلفيق التهم لهم.

مادة ١٣ – ينفذ هذا المرسوم بمسودته ودون انتظار لعرضه على مجالس جل انتخاباتها مزورة.

نسخة إلى كل ملك أو رئيس..

فتفضل يا مولاي ووقع!!.

ما لَنا وفلسطين [1]

(١) نشرت بالعديد من المواقع الإليكترونية وبعض الصحف العربية عام ٢٠٠١.

من المؤكد إنني لم أمت قبل ذلك أبدا .. فما هي إلا ميتة واحدة نبعث بعدها فلا نموت أبدا .. لم أمت .. ولست أدرى حتى الآن كيف تكون قسوة الموت.

وبالرغم من ذلك فيخيل إليّ أن وقع تلك العبارة التي سمعتها لا يقل قسوة عن الموت.

من المؤكد إنني لم أصب قبل الآن بنزيف في المخ.

ولا اخترقت حشايا فؤادي شظية مزقته.

وبالرغم من ذلك فيخيل إليّ أن ما عانيته من ألم تلك العبارة ليس أقل ..

كالطعنة الغادرة جاءت العبارة ..

« ووجه بيريز حديثه إلى الفلسطينيين معلقا على قرارات مؤتمر القمة العربي الأخير قائلا: انفضوا أيديكم من العرب .. واعلموا أن الإسرائيليين أقرب إليكم منهم .. لا يوجد لكم أصدقاء في المنطقة كلها سوى الإسرائيليين»

***

لا أريد أن أعلق الآن يا قراء على أحداث مؤتمر القمة ..

لكنني أقول لكم أن العار الذي يجللني – ويجللكم أنتم أيضا يا قراء- قد منعني من الصراخ عندما سمعت عبارة ذلك الشيطان لأقول له: أنت كاذب ..

هل يجرؤ منكم أنتم أحد يا قراء أن يقولها له؟ ..

نكأوا الجرح الذي لم يندمل .. وانصب ذوب الرصاص المنصهر على القلب مع تدافع الذكرى تدافع حمم بركان ثار ..

كان ذلك بعد هزيمة ٦٧ .. كانوا في غزة .. كان أعداء الله اليهود (فهكذا سماهم القرآن) – ولا أقول الصهاينة –قد انفردوا بإخوتنا الفلسطينيين .. وراحوا يسومونهم سوء العذاب ولا أحد في عالمنا العربي المترامي الأطراف يتحرك.

وانطلقت مظاهرة حاشدة تهتف بهتاف واحد:

- يا وحدنا

الآن أيضا: يا وحدكم

***

وكالسيل .. عندما يجد مجراه مسدودا بالعوائق فإنه يهدر كالطوفان في أماكن أخرى .. أماكن شاذة لم يكن له أن يصل إليها وليصبح سر الحياة سبب فنائها.

وهكذا .. عندما منعتنى العوائق من التعليق على مؤتمر القمة وجدت الطوفان يفور كنزيف في القلب

- ما لنا وفلسطين .. ما لنا وفلسطين .. ما لنا وفلسطين؟

***

لا .. لم أجنّ بعد يا قراء وإن كان كل ما حولنا يدفع للجنون ..

لكن .. لماذا ندين مؤتمر القمة؟

لماذا نغضب منه كل هذا الغضب وتصيبنا قراراته بكل هذه الحسرات وخيبات الأمل ..؟

لماذا نكلف الأشياء ضد طباعها ولماذا نتطلب في الماء جذوة نار ..؟

ولماذا نزرع الشوك ونحزن عندما لا يثمر فاكهة وأبا؟

***

ما هي المرجعية التي نحاسب عليها مؤتمر القمة لنحدد إن كان قد أخطأ أم أصاب؟

ما هو نموذج الإجابات الصحيحة التي نراجع عليها قراراته لنعلم إن كان قد نجح أم رسب؟

هل هي مرجعية الدولة القُطْرية؟ أم مرجعية القومية العربية ؟ أم مرجعية الإسلام والخلافة؟؟

فإن كانت مرجعيتنا هي الدولة القطرية الوطنية فما لنا وفلسطين؟

إن كانت مصر أولا وأخيرا فلماذا لا تكون العراق أيضا أولا وأخيرا والكويت أيضا بل وإسرائيل؟

إن كانت خطوط الخرائط في أطالس الجغرافيا هي المرجعية فلماذا نلوم من تباعدت خطوطهم؟

إن العروبة لا قيمة لها بدون محتواها الإسلامي الذي يعطيها قيمتها ومعناها ومحتواها ..

فإن نزعنا الإسلام من الصراع فإننا ننزع العروبة أيضا.

فإن أفرغنا مشكلتنا مع اليهود من الإسلام والعروبة معا فماذا يبقى؟

تبقى مشكلة الفلسطينيين مع اليهود وهى مشكلة لا ناقة لنا فيها ولا جمل .. وليس مطروحا أبدا أن نحارب من أجلها بنفس الدرجة التي تعفي كوستاريكا من الحرب إلى جوار الفلسطينيين ..

نعم .. إن كانت مرجعيتنا هي الدولة القطرية الوطنية فإن الوشائج التي تربطنا بالفلسطينيين لا تفرض علينا سوى إبداء نوع من التعاطف ربما يقل عما نبديه الآن ..

نوع التعاطف الذي نبديه مع شيلي أو نيكاراجوا أو التبت أو زنوج جنوب أفريقيا قبل الاستقلال ..

(دعونا الآن من أن مرجعيتنا دون الدولة القطرية بكثير .. بل دون الدولة القَبَلِيّة أيضا .. فقد تدهورت الأمور في كثير من بلادنا لتصبح مرجعية النخبة الحاكمة هي مرجعية العصابات واللصوص).

***

فإن كانت مرجعيتنا هي القومية العربية (بعد أن نفرغها من روحها الإسلامي لتصبح هيكلا محنطا لا يصلح إلا لمتاحف التاريخ) فلماذا نندهش عندما تسقط دعاوانا ودعاوى القومية في الدنيا كلها تسقط أو سقطت تحت معاول محو التمايز وطمس الهوية إضافة إلى القصور الكامن في الفكرة

لماذا لا نصدق طه حسين وسلامة موسى وأحمد لطفي السيد وعلى عبدالرازق وموجات الحداثة التي تلطمنا لنقتنع أن ما يربط مصر – على سبيل المثال بالغرب أكثر مما يربطها بالشرق؟

ما هو الإجبار الذي يدفع أي دولة عربية على الاحتفاظ بهويتها العربية وتحمل أعباء التزاماتها؟

أليس واردا – ليس على سبيل المثال ولا الخيال .. بل على سبيل الواقع- أن دولة أو دولا ترى في القومية العربية رداء تمزق وبلى وأكل الدهر عليه وشرب وبال .. وأن الأفضل لها أن تلجأ إلى قومية أخرى أو أن تخلع رداء القومية كلية لتلحق بالعولمة في نظامها الجديد.

بل أليس واردا – ليس على سبيل المثال ولا الخيال .. بل على سبيل الواقع الذي يحدث الآن – أن دولة عربية أو دولا ترى في إسرائيل صديقا وفي بعض العرب عدوا؟

لماذا نتعسف فنلبس الدول القُطْرية ثوب القومية الذي بلى وضاق. لماذا نرغم هذه الدولة أو تلك على اعتناق رؤانا ؟. ولماذا لا نتركها على اقتناعها بأن مصلحتها في العلاقة مع أمريكا وإسرائيل ولو ضد العرب؟

ما هي المرجعية؟

هل هناك مرجعية غيبية للقومية العربية ترغم الجميع على الالتحاف بها والتسربل بغطائها؟

في ظل رؤى نخبنا فقد سلبنا الإسلام غيبيته .. وأصبح الحديث عن الغيب تخلفا ورجعية وظلامية وإرهابا

هل نمنح تلك القوة الغيبية للعروبة دون الإسلام؟

هل نقدس المدنس وندنس المقدس؟

وهل الرؤية القومية إجبار أم اختيار؟

فإن كانت إجبارا فما هي دوافعه؟

هل هي اللغة؟

سنترك اللغة لنتحدث لغة أخرى

هل هو العرق؟

أنسابنا مختلطة وعروقنا شتى

هل هو التاريخ؟

فلماذا إذن نشوه تاريخنا ونعتمد رؤى أعدائنا فيه؟

هل هو الجوار؟

..

..

إسرائيل جار

وبالنسبة لدول المغرب ففرنسا جار .. وبالنسبة للمشرق فالهندوس جار .. وبالنسبة للشمال فالأرثوذكس جار .. وبالنسبة للجنوب فالوثنيون جار

وإن كان من حقنا أن نقطع أوصال الإسلام لنشكل من أشلائه ما شاء لنا الهوى فلماذا نصادر على أي دولة أن تفعل نفس الشيء بالقومية فتفسرها بما شاء لها هواها .. حتى لو كان التفسير مسخا شائها يمثل النقيض على طول الخط.

ولماذا نعتب على واحد منهم صرح عن رأيه في أن يذهب المسجد الأقصى «في ستين داهية!!» .. أستغفر الله العظيم .. عليه وزر ما قال لكنني لا أملك إلا تقريظ جهره بالفحشاء التي يمارسها الآخرون في الخفاء وربما أكثر

لكن .. لماذا لا تكون القومية العربية هي التي تذهب «في ستين داهية؟

نعم .. إن كانت القومية العربية اختيارا فلماذا نلوم من يختار سواها؟

***

في كتاب: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: الدكتور جمال عبد الهادى وآخرون – دار الوفاء- المنصورة-مصر، يقول المؤلفون:

لقد عقد اليهود مؤتمرهم في عام ١٨٩٧ في مدينة بال بسويسرا بناء على طلب تيودور هرتزل النمساوى اليهودي. وكانت القرارات ومنها إنشاء دولة يهودية في فلسطين تجمع شتات اليهود من أنحاء العالم .. وقد عرض هرتزل على السلطان عبدالحميد الثاني أن يصدر فرمانا بالسماح لليهود الأجانب بالهجرة إلى فلسطين، والتوطن فيها، وأن يدفع، اليهود عند صدور الفرمان مبلغا كبيرا من المال، ثم يقومون بعد ذلك بدفع جزية سنوية للدولة. وجاء الرد على لسان السلطان عبدالحميد: انصحوا هرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من فلسطين فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي. لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم. وإذا مزقت إمبراطوريتي يوما فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن. أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدنى لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي. وهذا أمر لا يكون. إنني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة). وجاء اليوم الذي

يتخذ فيه الخونة قرارا بعزل السلطان عبدالحميد الثاني عن العرش وقد حمل إليه قرار العزل وفد من ثلاثة أعضاء كان أحدهم يهوديا اسمه (قره صو) أفندي الذي يكن العداوة والبغضاء للسلطان، لأن الأخير كان قد طرده من قصره حين حاول التأثير عليه لقبول تهجير اليهود إلى فلسين وتوطينهم فيها.

نعم .. خلع سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين أحد أبناء اليهود الذين حرم عليهم فلسطين

***

إنني أدرك أن الدولة العثمانية لم تكن في بعض أحوالها – وليس كلها – إلا صورة مشوهة للخلافة .. ومع ذلك فإن هذه الصورة المشوهة استطاعت الحفاظ على فلسطين ليضيعها بعد ذلك صناديد القومية العربية بصورتها الأصيلة .. وبلا ثمن

***

في الكتاب القيم: مفهوم الدولة: عبدالله العروي: المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء يقول المؤلف:

« تعاقبت على الرقعة الجغرافية التي تكوّن اليوم الوطن العربي دول متعددة، تختلف الواحدة عن الأخرى إما بالانتماء المذهبي أو القبلي أو العرقي. فنقول الدولة العربية، الدولة الفاطمية، دولة الخوارج، دولة الملثمين ... إلخ. تعني الكلمة هنا الجماعة المستقلة بالسلطة المستأثرة بالخيرات وتعني في نفس الوقت الامتداد الزمني لتلك الاستفادة. لنرتفع إلى مستوى التجريد، فنتكلم عن الدولة إطلاقا، أي عن الشكل العام لتنظيم السلطة العليا في جميع الدول المذكورة. تنتفي الصفات العرضية، المذهبية والقبلية والجنسية، باستثناء صفة واحدة هي الصفة الإسلامية.

***

ألا ترون يا قراء أننا في أقطارنا الآن قد استبعدنا الأصيل واستبقينا العارض؟

فلماذا نلوم على مؤتمر القمة إذن .. ومالنا وفلسطين؟

***

في إيجاز معجز وإعجاز مذهل يتحدث ابن خلدون عن ثلاثة أنماط من الحكم:

– النوع الأول: الملك الطبيعي وهو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة

- النوع الثاني: الملك السياسي وهو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار. ثم يعود ابن خلدون ليقسم هذا النوع من الحكم إلى قسمين: نوع يهدف إلى مراعاة الصالح على العموم ونوع ثان يهدف إلى مصلحة السلطان فقط.

- النوع الثالث: الخلافة وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به

***

النوع الأول : الذي ذكره ابن خلدون هو السائد في جل العالم الإسلامي، حكم القهر والتسلط والجبروت والهوى، فما أضيعنا إذن إذا حكمنا بمرجعية هذا الحكم على قرارات مؤتمر القمة، وما أضيعنا إذا طلبنا ممن كانت مرجعيته تلك أن يناصر فلسطين أو العراق أو السودان أو الشيشان !! هذا الصنف لن يناصر إلا نفسه، ومواجهته بالمنطق تسفيه للمنطق لأن الهوى لا المنطق مبدؤه ومنتهاه

النوع الثاني بقسميه: الذي يهدف إلى مصلحة الدولة والذي يهدف إلى مصلحة الحاكم فقط، وهو أيضا لا يصلح لإدانة قرارات مؤتمر القمة، إن قريشا أدرى بشعابها، وكذلك مصر والعراق والمغرب والكويت، وليس ثمة مرجعية مجردة يمكن أن نقيس عليها، ولا أن ندين هذه الدولة أو تلك إن اختارت مصالحها مع أمريكا وإسرائيل ضد العرب والمسلمين.

النوع الثالث: هو المهجور، هو الذي لا يكف ولاة أمورنا عن إقناعنا أنه هو الإرهاب والظلامية والتحجر والجمود والقرون الوسطى ومحاكم التفتيش. وليس صدفة بالطبع، أن هذا النوع من الحكم هو الذي يمكننا من أن نحاسب ولاة أمورنا، وهو الذي لا نستطيع معه أبدا أن نقول: ما لنا وفلسطين، ففلسطين الأرض ليست وطنا، ولا مصر ولا السودان ولا الشيشان ولا الكويت ولا العراق، الإسلام هو الوطن، وعلى كل مسلم أن يدافع عنه، بنفس المسؤولية ونفس الحمية ونفس الإثم إن لم يفعل.

***

يوضح الدكتور عبدالله العروي أن ما يفصل الملك عن الخلافة ليس تطبيق الشرع بل الهدف المتوخى من ذلك التطبيق. قد يجدد حاكم ما معالم الشرع لأسباب سياسية عقلية، ليحفظ الأمن ويشجع على العمل والإنتاج، وبالتالي ليزيد في عمر دولته، في حين أن الخلافة هي تطبيق الشرع لتحقيق مقاصده وليست تلك المقاصد إلا مكارم الأخلاق. لا يكفي أن نقول: هدف الشرع هو المصلحة، حتى لو فهمنا منها مصلحة العموم، أي زيادة الخيرات وتقدم العلوم واستدامة السلم والأمن. يقول ابن رشد، الفقيه المالكي: إن الشرع أعلى من الناموس العقلي، ويصرح ابن خلدون: « وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضا لأنه نظر بغير نور الله .. لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيّب عنهم من أمور آخرتهم.) يعني هذا الكلام وهو كلام الفقهاء جميعا أن الدولة السلطانية التي تطبق الشرع حرفيا ليست خلافة لأنها تهدف من وراء ذلك التطبيق إلى الراحة والاستقرار، أي إلى غاية دنيوية أما الخلافة فهي الحكم الذي يهدف من وراء المصلحة الدنيوية المحققة إلى مقصد الشريعة. إلى ما يسميه الفقهاء وغيرهم مكارم الأخلاق لا يكون الحكم خلافة إلا إذا نظر إلى ذاته كأداة في خدمة هدف أعلى، لا تكون الدولة خلافة إلا إذا جاوزت أهدافها الذاتية. عندئذ قد يكون الجهاد علامة على ذلك التجاوز وقد لا يكون. إذا كان الهدف منه هو التوسع فهو داخل في سياسة الدولة لا أكثر ولا أقل وإذا كان الهدف منه هو إعلاء كلمة الله فقد يدل على إحياء الخلافة، بشرط أن تكون كلمة الله هي العليا في الداخل قبل التوجه إلى الخارج.

***

نعم المرجعية هنا هي الإسلام...

إجبار على المسلم لا اختيار...

ففي اللحظة التي يقر فيها أنه مسلم تنعقد مسؤوليات الإسلام عليه

ومنها أن الإسلام - لا خطوط الخرائط في أطالس الجغرافيا – هو الوطن

وبذلك يكون الدفاع عن فلسطين ليس تضامنا مع شقيق أو قريب .. بل هو دفاع عن النفس نخاطر بآخرتنا إن لم نبذل غاية الجهد فيه.

أما هؤلاء – الطابور الخامس – الذين يلتحفون بعباءة الإسلام دون أن يلتزموا بأوامره وينتهوا بنواهيه فليسوا سوى عملاء للشيطان والأعداء يريدون أن يفسدوا

علينا ديننا ودنيانا.

فهل تدرك أيها القارئ الآن سر رعبهم من إثارة قضية التكفير؟

فللإسلام مرجعيته وأعمدته وأركانه فمن خرج عليها فقد خرج عن الإسلام .. فماذا يرعبهم من ذلك إلا رعب جاسوس يحمل جواز سفر مزور من اكتشاف التزوير .. جاسوس ما دخل إلا ليخرب ويهدم.

في حوار مع المستشار طارق البشرى كان أحد اليساريين يحاول حصاره بذلك النوع العفن من الأسئلة الذي تمرسوا عليه، كان يحاول أن يبتز منه رفضا مطلقا للتكفير .. وأجاب المستشار الكبير قائلا: لو أن ماركسيا جاء إليك ليقول أنه كف عن الإيمان بالمادية الجدلية .. هل ستواصل اعتباره ماركسيا أم تقرر أنه كفر بالماركسية؟! .. سوف تقول بالطبع – وهذا حقك – أنه كفر بأمر معلوم من الماركسية بالضرورة ولذلك فقد كفر بالماركسية. ورد المستشار السؤال بسؤال ..

– لماذا تحرمون المسلمين من هذا الحق؟

***

ليس ثمة أمل ولا حل إلا بحكم إسلامي ..

هو الأرقى والأفضل والأعظم..

حكم الخلافة..

بمثل هذا الحكم نستطيع أن نقوّم اعوجاج ولاة أمورنا بأقلامنا وبسيوفنا إن لزم الأمر .. بمثل هذا الحكم نستطيع أن نرد على بيريز قولته .. وبمثله ليس لنا أبدا أن نقول: ما لنا وفلسطين؟..

***

ولقد صدقت يا سيدي ومولاي وحبيبي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ..

ولقد صدقتم يا صحابته ..

لا يصلح آخر هذه الأمر إلا بما صلح به أوله.

حيّ على الجهاد

لم تدرك القطار ..

لم تلحق به ..

فاتك ..

لا تخدع نفسك ..

لا تتوهم أن القطار أخلف وعده فلم يأت، أو أنه لم يمر أو أنه تأخر ..

لا تخدع نفسك ولا تتوهم ..

كل ما حدث أنه فاتك .. وأنه فاتك أنت وحدك .. حتى لو كان قد فات الملايين معك والملايين قبلك والملايين بعدك فلن يغني هذا عنك شيئا .. ولن يحمل أي نوع من العزاء أو التخفيف أو المعذرة .. فكأنه لم يفت سواك .. وكأن أحدا لم يعجز عن إدراكه غيرك ..

فاتك القطار .. فتوهم كما شئت .. وانزع مراسيك من شواطئ الأمان وأبحر في بحور الشيطان وأزعم حتى أن القطار لم يوجد قط وأنه على ذلك فلم يفتك أي شيء ..

أزعم ذلك ..

لكن اعلم أنه موجود .. وأنك أنت الذي ابتعدت ..

ابتعدت يا مسكين ..

ابتعدت يا مجنون .. فمن المستحيل أن يبتعد عاقل يعرف عواقب الابتعاد.

ابتعدت ..

وكلما ثقل عليك الذنب أنكرت مسؤوليتك ..

أنكرتها بالإنكار وبالاستهتار وبالغيبوبة ..

فإن لم تبلغ بك الضلالة حد الإنكار رحت تلقي الحمل من على كاهلك إلى كاهل سواك ..

أو رحت تخفف من وزرك متسائلا عن عجز من أدركوا القطار وضعفهم .. وعدم قدرتهم على التغيير ..

***

أسوأ من هذا الذي ذكرت ذلكم الذي ركب القطار ثم نزل منه في أي محطة بعد أن رسب في امتحان الفتنة فلم يستطع المواصلة .. وكأنما توقع المسكين أن تنتهي كل الخطوب وأن تزول كل الهموم بمجرد ركوبه القطار ..

***

هل رأيتم مجنونا يركب قطارا ثم يطالب بأن يغير القطار خط سيره؟ ..

وهل رأيتم هالكا يعترض على نقطة البداية ونقطة النهاية في مسير القطار؟

وهل رأيتم أحمق يظن أنه إذ يركب القطار لا يركبه لمصالحه بل لمصالح القطار نفسه؟!.

وكأنك يا مسكين كنت أنت الذي سيقود القطار أو سيهديه السبيل لو أدركته.

وكأنك يا مسكين ساهمت أو شاركت في تعبيد الطريق أو مد الخطوط أو تحديد محطات الطريق أو بدايته أو غايته.

***

يا مسكين يا مسكين يا مسكين ..

يا مسكين ..

أنت تركب القطار لأنك لو لم تركبه ضعت ..

تدركه لأنك لو لم تدركه هلكت ..

تركبه من أجل نفسك لا من أجل أي شيء آخر ..

يا مسكين أنت تحاسب على القطار أدركته أم لم تدركه، وهل حاولت أم لم تحاول؟ وكيف كان سلوكك فيه عندما أدركته؟ وهل هربت ؟.

فلماذا تترك يا مسكين كل ما ستُسأل فيه لتَسأل عن كل ما لم تُسأل فيه؟.

***

ولو أن القطار كان يمر مرة واحدة في العمر لتدركه أو لا تدركه لقدّم هذا إليك يا مسكين نوعا من العزاء أشبه بذلك العزاء الذي يشعر به من ابتاع ورقة لليانصيب فلم تفز ..

لكن قطارنا هذا يا مسكين لا يكف عن المرور ..

لا يكف أبدا .. أبدا .. أبدا ..

وذلك يحرمك يا مسكين من مثقال ذرة عزاء حين يحين الحساب ..

***

لست أظن أنني بحاجة لأن أفك طلاسم رمز عما كتبت .. إذ أنني حين كتبت ما كتبت إنما قصدت إلى حياتنا الإنسانية كلها ثم إلى الجهاد على وجه الخصوص.

أردت أن أقول لكم يا ناس .. وخاصة لأولئك المتسائلين عن جدوى المقاومة مع هذا الفارق الهائل في موازين القوة ...

أردت أن أقول لك أنك لا تجاهد كي تنتصر حماس أو نستعيد القدس أو أن نحرر بغداد .. أو .. أو .. أو ..

أنت لا تجاهد من أجل أي من ذلك .. وما تجاهد يا مسكين إلا من أجل نفسك ..

***

نعم ..

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت].

نعم ..

هل تريدون يا قراء دليلا أعظم من هذا ..

والله غني عن جهادك ..

أم تظن يا مسكين أن الله سبحانه وتعالى يحتاج منك رصاصة تطلقها أو دبابة تفجرها، وهو الذي بما بين الكاف والنون يُهلك كلَّ شيء فلا يبقى إلا وجهه.

***

نعم ..

تجاهد لنفسك ..

وهنا جوهر الإيمان المعجز .. وهنا جوهر أننا خير أمة أخرجت للناس إذا ما التزمنا ديننا ..

***

يا مسكين ..

لو أنك ستجاهد في الصباح لتعود إلى بيتك في المساء لتجد كيسا من الذهب في انتظارك ثمن جهادك لسبقك الكافر إلى الجهاد ..

ولكن جوهر المؤمن المعجز هو الإيمان بالغيب ..

هو الإيمان بأن لحيظة من هذا الغيب تعدل الدنيا وما فيها بل تزيد ..

هذا الإيمان الذي يدفع جائعا عاريا في الشيشان يواجه قوة هي ثاني قوة في العالم وهو على يقين من النصر .. نصر الدنيا أو الآخرة .. ولن يتحدد قدر مثوبته بكون الشيشان عادت إلى المسلمين أم لم تعد .. بل يحدد هذا القدر تضحيته بكل ما يملك وبكل ما يمكن أن يملك في سبيل مرضاة الله .. ومرضاة الله هذه هي التي تحدد قدر ثوابه ..

ومن أجل هذا الثواب وتلك المرضاة يجاهد كل مجاهد ..

يجاهد لنفسه ..

ويدرك القطار طلبا للنجاة دون وهم أنه سيغير خط سيره .. !!

***

نعم ..

فليجاهد من يجاهد لنفسه فالله غني عن العالمين ..

فليجاهد الجهاد الشامل الكامل .. جهاد أن قضية كل يوم هي قضية حياة أو موت ..

فلنواجه الأمريكان والإسرائيليين الذي اعتدوا علينا وأخرجونا من ديارنا ولنقتلهم أيما ثقفناهم ..

فلنواجههم المواجهة الشاملة .. لا في ميدان المعارك فقط – وهو الأهم بلا جدال – بل في كل ميدان آخر ..

و إنني أناشد القارئ أن يتنبه للفارق في المعنى لأن مثقفينا الخونة يدلسون على الأمة أحيانا بكلام مثل هذا لتثبيطهم عن الجهاد العسكري وعن قتل الأعداء .. لكنني أقصد العكس تماما .. أقصد أن المواجهة والقتال لا ينبغي لها أن تقتصر على من يقذفني بالصواريخ ويقصفني بالطائرات .. بل يجب أن تمتد لتطول من يحاصرني فيمنع

الغذاء عن أهلي وأطفالي .. ويجب أن تمتد أيضا لتنال ممن يريدون طمس هويتنا وتغيير مناهجنا لتغيير ديننا.

***

ماذا تفعل لو جاء قاطع طريق مجرم ليمنع الطعام والشراب عن أبنائك؟ ...

دعنا الآن من أنك لو قُتلتَ دفاعا عن أهل بيتك فإنك شهيد، ودعنا من أنه عار الدنيا وخزي الآخرة إن لم تدافع، ودعنا من أنه لا سبيل إلى النجاة سوى أن يعلم عدوك أنك ستقاتله دفاعا عن بيتك وأهلك قتال القاتل أو المقتول.

دعنا الآن من ذلك، لا إهمالا لشأنه، وإنما لأن كل ذلك بديهيات أيا كان فعلنا ورد فعلنا.

***

والآن ..

ماذا تفعل لو جاء قاطع طريق مجرم كافر كالمسيخ الدجال ليمنع عن أبنائك وأهلك ما هو أعز وأغلى وأهم من الطعام والشراب؟

***

للجسد غذاؤه الذي يموت إن لم يمدّ به ..

وللروح نفس الشيء ..

فماذا تفعل إذا جاء هذا المجرم الكافر الجبار ليمنع نور الله وهداه عن روحك وروح أهل بيتك ..

ماذا تفعل إن جاء ليفرض عليك هذا الشيطان دينا اسمه الإسلام، دين تمت صناعته في المخابرات الأمريكية وفي دهاليز الكنائس وأقبية المعابد، وفي مكاتب مفكرينا وصحفيينا. دين غير دين الإسلام الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والكفر ملة واحدة، لأن ذلك هو نفس المنهج الذي أضافوا به قرى لا علاقة لها بالقدس إلى القدس، وسموها القدس، ثم يعرضون الآن على الفلسطينيين أن يأخذوا القدس المزيفة هذه عاصمة للـ٩٪ من مساحة فلسطين التي يعرضونها علينا في مشروع الدولتين.

***

ماذا تفعل إلا أن تبدأ الجهاد الأكبر على الفور .. الجهاد الأكبر بمعني قتال العدو الغاصب وقتله أينما ثقفته لكل من يستطيع ذلك، فذلك هو الجهاد الأكبر وليس ذلك الذي روج له العلمانيون الكفار بترديد حديث موضوع يقول: « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ويعني الحديث الموضوع بالجهاد الأكبر جهاد النفس. وهذا الحديث موضوع لا أصل له، مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث موضوع ولم يقله لا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من الصحابة، إنما نقل على لسان واحد من التابعين اسمه إبراهيم بن أبي عبلة والكلام غلط. وما قصدوا بوضع وإشاعة وترديد وتكرار هذا الحديث إلا التقليل من شأن القتال لمصلحة الكفار والمنافقين. لقد تسللوا إلينا، حتى إلى التفسير والحديث، وانظر مثلا إلى آية ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ حيث أضيف إليها كلمة شر لتصبح عند العوام «وكفي الله المؤمنين شر القتال» وما تمت هذه الإضافة إلا ليلقوا في رُوعِ الأمة أن كل القتال شر. وفي نفس هذا الاتجاه، اتجاه إلغاء الجهاد من قاموس الأمة، ترى من يواجهك وكأنما ألزمك الحجة: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ وقد قدم التفسير الجاهل لها معنى يحضّ على عدم الجهاد بينما تفسير الآية الحقيقي يقول – كما يخبرنا الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري أن الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الإنفاق على الجهاد في سبيل الله.

***

نعم .. الجهاد هو قتال العدو .. وهو مصطلح شرعي، مثل الصلاة والصوم، مثل الزكاة مثل الحج، مصطلح له معنى محدد حدده الشارع، لا يجوز التلاعب فيه أبدا. فالجهاد هو القتال في سبيل الله، فإذا جاء من يسميه إرهابا فأولى به أن يسمي الصلاة لهوا ولعبا والصوم إضرابا عن الطعام والحج سياحة .. وأولى به أن يخرج من الإسلام كله .. وأن يملك قدرا من الشجاعة – أو الوقاحة – يجعله يعترف أنه ارتد عن الإسلام، وأنه ملحد أو يهودي أو نصراني.

نعم .. الجهاد هو قتال أعداء الله ..

منظومة الإسلام كاملة وذروة سنامها الجهاد.

وليس ثمة سبيل آخر إلى نجاتنا ..

***

بعض الحمقى، والمنافقين، والخونة يثبط الخارجين للجهاد في سبيل الله بحجة افتقاد أية موازين القوة، ويا ليتهم كانوا يعنون ما يقولونه فعلا، ويا ليت موقفهم كان خطأ فاجعا في التقدير .. فالأخطر أنهم كأي جاسوس تنحصر أكبر مهامه في أن يخدع البلد الضحية كي لا يدرك أبدا دلائل ما يحاك له. وهم كالزوجة الخائنة، تظل مصرة على الإنكار طول الوقت.

***

أما عن اختلال موازين القوى فلم تكن لبنان أو الصومال أقوى من أمريكا ولا كان حزب الله أقوى من إسرائيل ولا كان المجاهدون الأفغان أقوى من الاتحاد السوفييتي السابق. ولمن لا يفهمون موازين الإيمان، ولا ما يضيفه، نتحدث إليهم بما يفهمون، ذلك أن أعداء الله يحاربون كلصوص، يريدون المزيد من متاع الحياة الدنيا، لذلك يعتبرون أن الحد الفاصل بينهم وبين عدوانهم هو احتمال الموت، ولو أنهم لم يأمنوا على حياتهم ما واصلوا عدوانهم، ثم إننا لن نحاربهم دبابة لدبابة ومدفعا لمدفع وطائرة لطائرة، بل سنقاتلهم قتال الحريص على الموت حرصهم على الحياة .. ولو أن الأمة أجمعت أمرها على مواجهة هؤلاء الطواغيت .. وأن يستشهد منا مليون مسلم مقابل كل عشرة آلاف صليبي أو إسرائيلي لولى أعداء الله هاربين.

***

لكن هل معنى ذلك أن القتال هو الصورة الوحيدة للجهاد؟ ..

لا ..

فالمسلم المحاصر مكلف الآن بأن يقوم لا بواجبه فقط، الواجب الذي درج المسلم العادي على القيام به طيلة خمسة عشر قرنا، بل أن يقوم بأضعاف هذا الواجب، إذ عليه أن يقوم بواجب الفرد وواجب الأسرة وواجب المدرسة وواجب الشارع وواجب التلفاز وواجب الصحافة والتلفاز ووسائل الإعلام وواجب مواجهة النخبة الخائنة التي لا تكف عن خداعه وتزييف وعيه. ومكلف أيضا بأن يحاول أن يقيم من الدين ما لا يقوم إلا بولي الأمر .. المسلم ..

لقد هدموا دولة الإسلام ثم مزقوا أمة الإسلام ثم هاهم الآن أولئك يتسللون – بمساعدة حكامنا ونخبنا – إلى لبنة المجتمع الأولى، إلى الأسرة، إلى الأب والأمة والإخوة .. ومن هنا يصبح فرض العين على كل راع – وكل راع مسؤول عن رعيته– أن يقوم

لا بالدور الذي كان يجب أن يقوم به كـل هـؤلاء فقـط، بـل أن يقـوم أيضـا بمواجهـة الدور العكسي الذي يقومون به الآن.

***

نعم ..

لقد نجح الصليبيون واليهـود في الاسـتقطاب، وفـرض الكفايـة الـذي تخلـى عنـه الحاكم والنخبة والدولة، أصبح فرض عين على المسلمين جميعـا، وأول هـذا الفـرض هو الحفاظ على العقيـدة في قلـوب أبنائنـا كـي نعيـنهم علـى الثبـات حتـى يـأتي الله بالفرج!.

لقد توقفت المدارس عن تعليم الدين والتاريخ الإسلامي، فليكن كل أب وكـل أم مدرسة لتعليم الدين، فليعلم الأخ الأكبر إخوته الأصغر، وليعلم الصـديق أصـدقاءه. إنهم يحاولون محو القرآن من قلوبنا ومسخه في وعينا، لـذلك فـإن حفـظ القـرآن الآن جهاد قبل أن يكون عبادة. يجب أن يتصرف كل واحد منا كما يتصرف الطفـل الـذي يعوله أبوه فلا يفكر في أمور المعاش حتى يموت أبوه فجـأة، فتتحـول المسـؤولية كلـها إليه وينتقل العبء ليستقر على كاهله.

نعم ..

لقد ترك معظمنا القرآن لأنه واثق طول الوقت أن هناك غيره من يقوم بأمره.

الآن .. على كل واحد منا أن يقوم بأمر القرآن كما لو كان لا يوجد في الدنيا مـن يقوم بأمره سواه ..

إنهم يشرعون الآن في محو عقيدة المسلمين بعد محـو دولـتهم، علينـا إذن أن نجاهـد بالحفاظ على عقيدتنا.

إنهم يشرعون الآن مع عملائهم الفسقة بيننا في تحقير شعائر الإسلام، فلنعظم نحن شرائعنا .. وذلك جهاد ..

إنهم يستبعدون تماما أهمية الحلال والحرام والمعروف والمنكر، ليس حتـى لصـالح الصواب والخطأ وسيادة القانون، لا .. فتخطيط جبـابرة الخـارج وخونـة الـداخل ألا يكون هنـاك حـلال ولا حـرام ولا صـواب ولا خطـأ ولا قـانون علـى الإطـلاق .. التخطيط ليس أن تعيش شـعوبنا العـزلاء المهزومـة المحاصـرة وفـق منطـق آخـر غـير

الإسلام، بل أن تعيش بلا منطق على الإطلاق .. لتسير نحوا لهاوية ..

يجب أن نرسخ بيننا الفكرة الصحيحة التي ترى أن التشرذم الحالي للمسلمين هو محنة عارضة، ومصيبة طارئة، سبق أن تعرض الكيان الإسلامي لها ثم عبرها وتغلب عليها ونجا منها، وأن الاستسلام للهزيمة خطأ وفقدان الثقة في المستقبل إثم. ! .. بل وعلينا أن ندرك أن أفضل ألف عام في تاريخ البشرية كانت تلك التي ساد المسلمون فيها العالم.

التجمع على الصلوات الخمس الآن جهاد ..

الاهتمام بأمر المسلمين ليس مجرد جهاد بل إن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

***

الخطة الخبيثة الشيطانية التي يساعد عليها ولاة أمورنا هي تجفيف المنابع، وإلغاء التعليم الديني في المدارس والجامعات، ومسخه وتشويهه في المعاهد الدينية، ثم قيام الفسقة والكفرة بالهجوم على بقايا الدين الضامر الذابل المشوه المنقوص في قلوب الناس متخذين مما يدعون زورا أنه وسائل الإعلام والثقافة منصات قصف وهجوم. حيث تقوم هذه بمواجهة أمة شُوِّه علمها الديني ومسخ، بشبهات لا يوجد بين الناس من لديه العلم الكافي لدحضها، ويأمل عبدة الشيطان وأتباعه من ذلك أن يوجهوا إلى الدين ضربة قاضية لا تقوم له بعدها قائمة.

إن مواجهة هذا كله جهاد، وتعويض ما تقوم به السلطة الباطشة الفاسقة من تجفيف لمنابع الدين جهاد.

إن الاهتمام بلغة العرب جهاد ..

وتعليم الشعوب الإسلامية غير العربية لغة القرآن جهاد.

أليس مهينا أن العربي عندما يسافر يتعلم لغة الأجانب الذين يسافر إليهم، فإذا جاء هؤلاء الأجانب إلى بلاد العرب اضطر العربي إلى تعلم لغتهم بعد أن أفقد ولاته لغة القرآن عزها ومجدها؟ بل أليس مخزيا أن الخدم في كل بلاد الدنيا يتعلمون لغة سادتهم، إلا في بلاد العرب، حيث يتعلم العرب لغة خدمهم .. !!؟

***

التفوق العلمي جهاد، ومكارم الأخلاق جهاد، والانتصار للحق جهاد، والصبر جهاد، ومواجهة الموظف الصغير لرئيسه الظالم جهاد، وعصيان ولي الأمر الذي يأمر بما يغضب الله جهاد.

***

كل هذه ومئات وآلاف غيرها كانت ضروبا من جهاد العامة ..

أما جهاد الخاصة فإن الأمة تحتاج إلى علماء يستشهدون بقول الحق أمام سلاطين الجور والفسق والتحالف مع الأعداء .. فهذه الدماء هي الشرارة التي ستشعل نيرانا تحرق طواغيت الكفر إن شاء الله.

مرارة الندم ..!!

التغيير لن يبدأ إلا بتغيير الحكام ..

وهم لن يسلّموا إلا بالقوة ..

لماذا تخافين الموت يا أمة؟!

ما أشد مرارة الندم الذي يعتريني عندما أكتشف في نهايات العمر أنني لم أختر الاختيار الصحيح .. وأنه كان عليّ أن أستشهد مع الشهيد العظيم سيد قطب .. فإن كان الأمر قد فاتني عام ١٩٦٦ فقد كان يمكنني أن أنال شرفه مرة أخرى مع الشهيد العظيم الشيخ أحمد ياسين عام ٢٠٠٤ ..

ما أشد مرارة الندم حين أدرك أنه وقد فاتني هذا وذاك فإنني لم أشرف بالجهاد مع شيخنا العظيم أسامة بن لادن وأيمن الظواهري ورفاقهما ولو لأمسح عن أقدامهم غبارا عفرها وهم يجاهدون في سبيل الله ..

***

طوال الأسابيع الأخيرة أحاول أن أكتب فيسحقني أن كل ما كتبته طوال عمري لا يساوى رصاصة يطلقها مجاهد لتمزق قلب شيطان أمريكي أو إسرائيلي نجس .. بل إنها لا تساوي مجرد حجر يقذفه طفل فلسطيني ..

وعندما استشهد حبيبي وسيدي الشيخ أحمد ياسين .. حاولت أن أكتب عنه ..

كان كساكن قصر ..

ليس مجرد ساكن ..

بل ملك حقيقي ..

ليس كالدّعار والأطفال والدمى الذين فرضوهم علينا وسموهم ملوكا ورؤساء وأمراء ..

ملك حقيقي ليس كمثل ملك وقصر منيف ليس كمثله قصر ..

وعندما فكرت أن أكتب بدت كلماتي كمتسول أشعث أغبر معفر الوجه ممزق الثياب حافي القدمين .. وبدا منظر ذلك المتسول وهو يحوم حول القصر مستهجنا ومريبا ..

صرخت في المتسول:

- ابتعد يا صعلوك عن قصور الملوك .. ابتعد .. فلو أنك أطلقت ذات يوم رصاصة أو قذفت بحجر لكان ذلك أجدى من كل ما كتبت ولكان جواز مرورك .. ولسمح لك بالدخول للتهنئة لا للعزاء ..

وعجزت عن الكتابة ..

وجاءتني رسالة ابني الفلسطيني ..

هل قلت ابني؟؟!! ..

يا لوقاحة الصعلوك ..

هل أجرؤ على أن أطلق على أي فلسطيني كلمة « ابني»؟! ..

لكنه هو الذي ناداني في رسالته بـ:«أبي» ..

هل كان عليّ أن أصارحه أنني لا أملك الشرف الذي يبيح لي أن أقبل نداءه لي بيا أبي؟!!

هل كان عليّ أن أصارحه بأنني أبو الفشل والعجز والإحباط واليأس والمواقف الخاطئة والانخداع والقصور، العجز لا عن أن أكون شهيدا كالشهيد أحمد ياسين أو الشهيد سيد قطب .. ولا عن أن أكون مجاهدا في جيش المجاهد العظيم أسامة بن لادن رضي الله عنه .. بل العجز عن أن أطلق رصاصة أو أن أقذف حجرا .. ولو أنني فعلت فربما حق لي أن أكون أبا لذلك الفلسطيني الغالي الذي كتب في رسالته:

رسالة من فلسطين الذبيحة

السيد الكريم والدكتور الفاضل والأب الغالي /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي الدكتور سامحني أبي الغالي على تكرار مراسلاتي لك ، لكن يشهد الله أنني لا أفعل ذلك إلا ثقة وحبا فيك ولك.

ولا ألجأ إلى ذلك إلا عندما تضيق بي الدنيا وتظلم أمام ناظري.

سيدي الدكتور الفاضل / الآن وقد حدث ما كنا نتوقعه - في رسالتي الأخيرة إليك- نعم فقد قتل الشيخ الياسين أملنا بعد الله جل في علاه في هذه الدنيا، الآن وقد أصبحنا كالأيتام على موائد اللئام، الآن وقد شعرنا أننا نجتث من الأرض، والآن ونحن نبكي

شيخنا دما وألما وحسرا ت، ولا نبكي عليه لأنه قد فاز بإذن الله، ومات ميتة ولا أروع، ميتة من لا يتمنى مثلها فهو لم يعرف بعد معني هذه الحياة ولم يحسن البيع لله عز وجل.

نبكي يا دكتور على أنفسنا التي أصبحنا بعده كالقطيع في ليلة ظلماء بلا حادي ولا دليل، نبكي على أمتنا التي أسلمت رقبتها للجزار وتخلت عن دورها تجاه هذه القضية وتركت فلسطين وأهلها وأخيارها نهباً لأخس وأحقر الملل.

سيدي الدكتور / ذهب الشيخ الشهيد إلى عالمه وهنيئاً له الفردوس الأعلى فقد كانت نعم الخاتمة ونشهد له على ذلك.

ولكن سيدي دماء الشيخ وأشلاءه وبقايا كرسيه وقطع وشاحه المتناثرة تستصرخنا وتستنهضنا وهي دين في رقابنا ورقاب هذه الأمة نعم دين وأي دين؟

فما هو طعم الحياة بعد هذا الرجل؟

نحن هنا في فلسطين تلامذة ومحبين وأنصار لهذا الشيخ قد قطعنا على أنفسنا عهدا وأقسمنا على بقايا أشلاءه قسماً تهتز منه الجبال بأن بكل قطعة من جسده تناثرت وبكل شظية طارت من كرسيه وبكل شقفة تطايرت من وشاحه، سيكون بإذن الله نارا وحمماً ولهيبا فوق رؤوس بني يهود.

ولكن سيدي ... الشيخ الشهيد هو ليس رمزا لنا فحسب بل هو لكل الأمة ولذلك ما على الأمة أن تفعل الآن ؟ هل ستبتلع الإهانة والتحدي وتسكت أم ستقول كلمتها في هذا المصاب الجلل، وترد اعتبارها وهذا الذي نتمناه، فإن لم يحركها هذا الزلزال فيا ترى ما الذي سيحركها ؟ وخاصة سيدي أن أحد اليهود المجرمين اليوم قال: لم يبق أمامنا الآن سوى إزالة المسجد الأقصى، وترى إن حدث ذلك والأمة في سباتها - رغم أن إراقة دم المسلم كما حدث اليوم أعظم حرمة عند الله من ذلك - فما هو مبرر وجودها. ؟؟؟؟

سيدي ... نعلم أن ليس اليهود وحدهم من ولغ في دماء الشيخ وصحبه بل إن هناك من ساعدهم وأشار عليهم وبارك نيتهم من أطراف محلية وأطراف مجاورة ترى في الشيخ وفكره وحركته خطراً على كراسيها وعلى أطماعها وعلى مصالحها وهم لا يخفون على أحد، ولذلك هم شركاء في هذه الجريمة، وهؤلاء سيتكفل بهم رب العالمين ولن يمهلهم طويلا فدماء العلماء والأولياء مسمومة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

سيدي الدكتور .. قال اليهود أن تصفية الشيخ ياسين هو بداية القضاء على

الإسلام في فلسطين وستتبعها خطوات أخرى بمنتهى التبجح والعنجهية (لهم حق في ذلك فممن سيخشون؟؟)، ولكن سيدي خاب فألهم فوالله الذي لا إله غيره إن شهادة هذا الشيخ وبهذا الشكل وفي هذا المكان قد أحيت البعث الإسلامي من جديد ليس في هذه الديار بل في العالم الإسلامي أجمع فهذا الرجل كما كانت حياته بعثا للدعوة في هذه الديار فشهادته ستكون إن شاء الله بعثا للإسلام في كل المعمورة.

هذه رسالتي ولا داعي لكثرة الكلام فالآن جاء دور العمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

سيدي أطلت عليك .. ولكن سامحني ففي القلب لا زال الكثير الكثير ولا أريد أن أزعجك وأتمنى أن تكون قد وصلت الرسالة

وفي الختام اسأل الله لك طول العمر والسلامة من كل مكروه وأن يحسن خاتمتك

وجزاك الله عنا خير الجزاء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم (...)

***

وكنت أقرأ الرسالة وأصرخ في نفسي:

- ابتعد يا صعلوك عن قصور الملوك .. فهذا الفتي المجاهد لم يترك لك أي فضل أو مزيد من العقل والحكمة والتحليل فماذا يمكن أن تقول بعده ؟

وكنت أبكي وأنتحب ..

وليس البكاء والنحيب شيئا يشرفني ذكره .. بل والله يا قراء يخجلني ..

هل كان يعزيني قبل ذلك أن أشبه بكائي - وبكاءكم يا قراء- ببكاء النساء ..؟! ..

نساء فلسطين سلبوا منا هذا العزاء ..

كففن عن البكاء ورحن يستشهدن في سبيل الله وبقينا نحن لا رجالا نجاهد ولا نساء يستشهدن ولا أطفالا يقذفون بالأحجار .. بقينا نزعم أننا كتاب ونملك الجرأة والوقاحة ما يبيح لنا أن نحلل وأن نوزع نصائحنا ..

ومع رسالة الفلسطيني الغالي الذي لا أجرؤ على التشرف بأبوته كنت أطالع

الصور الذي تناقلتها وكالات الأنباء للشهيد أحمد ياسين ..

لم يبق منه إلا وجهه ..

الوجه فقط ..

كم من حكامنا الدّعار الآن يحتفلون بمن يدلك لهم أجسادهم أو يصبغ لهم شعورهم .. لكنهم لا وجه لهم ..

لا وجه لهم ...

لا وجه لهم ...

وفي هذه اللحظة تماما .. هل يستقل ذلك الملك الفاجر طائرته الخاصة إلى قصره على تلك الربوة الشهيرة في مدينة القمار لاس فيجاس .. ذلك القصر الذي اشتراه بملايين الدولارات .. ليذهب إليه سرا يلعب القمار كل آن وآن ..

يااه ..

كم كان يمكن للشهيد العظيم أن يفعل لو توفرت بعض أموال القمار والقصور لينفقها على الجهاد في سبيل الله ..

كنت أراقب الصور ..

صور الشهيد العظيم الذي لم يبق منه إلا وجهه ..

وانشققت إلى نصفين ..

نصف يكاد يقتله الفرح بتلك الخاتمة العظيمة التي يستحقها الشهيد إن شاء الله ..

ونصف يقتله الألم.. ألم العجز والقهر وعار الصمت على حكامنا والعجز عن إزالتهم

نصف يتشظى من الفخر ..

ونصف يتشظى من القهر ..

أحسست أنني أتفتت .. وأنني لا أطيق مواصلة الحياة دقيقة واحدة أخرى ..

هتفت:

- ياااااااااااااااااااااااااااااااااا رب ..

لكن سيخا من الحديد المحمي اخترق قلبي وأنا أقرأ الخبر التالي ..

كان الخبر ينعي الكاتب المجاهد العظيم محمد قطب .. شقيق الشهيد سيد قطب ..

وأعظم من دافع عن الهوية الإسلامية في العقود الأخيرة كلها ..

تضاعف ما بي ..

كنت أظن أنني بلغت الحد الأقصى الذي لا مزيد عليه لألم لكنني وجدته يتضاعف .. ووجدتني أنهار وأتلاشى وأنا أهتف:

- أيضا ..

لكنني سرعان ما أدركت كيف يعزيني ربي فقد كان الخبر التالي ينفي شائعة موت محمد قطب.

***

لست أدري لماذا لم أتوقع استشهاد الشيخ أحمد ياسين رغم أنني أكتشف الآن أن الرجل كان هو الذي يطارد الاستشهاد ويبحث عنه ويتعقبه طيلة عمره .. ومنذ سجنه الأول في سجون عبدالناصر حتى استشهاده ..

كان قلبي الواجف يرتجف رعبا على حبيبي وسيدي ومولاي المجاهد أسامة بن لادن رضي الله عنه ..

وكانت الرسالة من قارئ أردني تقول:

مولاي الدكتور محمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجوك أن تجيب على رسالتي بأية طريقة تشاء، أسألك بالله العلي العظيم أن تجيب.

هل صحيح أن أسامة بن لادن قد اعتقل؟ تورد وكالات الأنباء خبر اعتقاله وتنفي أمريكا وعملاؤها، وأخشى ما أخشاه بأن ما يقال بأن بوش يؤجل إعلان خبر اعتقال سيدنا أسامه لحين اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية هو كلام صحيح ... أسألك بالله يا دكتور محمد أن تطمئنني وأن تقول لي بأن ذلك ليس صحيحاً، لا أعلم لماذا أتوجه بسؤالي هذا إليك، لربما لم أعد من أصدقه وأستطيع أن أصل إليه سواك، لربما لم أعد بمن أثق بقدرته وبقربه من الله سواك، لربما تستطيع أن تجيب على سؤالي بحدسك المرهف وإيمانك القوي .. .. قل لي بالله عليك بأن الله لن يخذل أسامة ولن يسلمه إلى أعداءٍ يذيقونه الهوان، قل لي بالله عليك بأن الله سيتكرم عليه بالشهادة بدلاً من ذلك.

أعلم بأنني أجدف في كلماتي هذه، وأعلم بأنك بشر لم يطلعك الله على الغيب،

ولكن لا ملجأ لي سواك، لم أستطع النوم البارحة من هذا الخبر المقلق.

عادل – الأردن

وكتبت إليه:

أخي عادل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أبكتني رسالتك .. وقبل أن تستبد بك الظنون فإن الشيخ أسامة ط بخير إن شاء الله .. وليس الأمر أمر أمنيات فقط بل اتصلت بمن لهم باع في التحليل والمعلومات فأكدوا لي ذلك، كما أكدوا لي أن أمريكا تسرب هذه الأخبار كي تدفع بطلنا الغالي للتحرك فتكتشفه.

وعلى الرغم من هذا يا أخي ..

هل الشيخ أسامة فوق الرسل؟؟.

أفإن مات أو قتل .. أو حتى أسر انقلبتم على أعقابكم ..

أنا يا أخي في الله مثلك ..

ولست أدعي شجاعة أو تجلدا ..

أدعو الله أن يتقبله شهيدا ..

لكن .. إذا شاء الله – لا قدر الله – أن يؤسر ..

أعترف لك أنني سأبكيه حتى الموت ..

لكن لن يهتز يقيني بالله أبدا ..

جزاك الله خيرا .. وطمأنني وإياك .. ونصر الإسلام والمؤمنين وحفظ من نحسبه خير خلقه على ظهر الأرض الآن: الشيخ أسامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكتب هو مرة أخرى:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الدكتور محمد عباس ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد ..

طمأنك الله في الدنيا والآخرة كما طمأنتني عن حبيبنا أسامة بن لادن، أنا أثق بما تقول يا دكتور، أثق بقدرتك على التحليل وببصيرتك وإيمانك، وكان جوابك الكريم أثراً لا يمكن وصفه، كنت بحاجة إلى كلمات مثل كلماتك الحكيمة تطفئ لهيب القلق الذي انتابني منذ سماعي لشائعة اعتقال سيدنا أسامهة.

سيدي، لا تحسب للحظة بأننا نحن شباب المسلمين نرى في سيدنا أسامة كائناً فوق البشر أو فوق الرسل، حاشا لله، نعلم بأنه بشر يموت. ولكن محبتنا له وخوفنا عليه تخرجنا عن طورنا أحياناً لا بل وأقسم بالله العظيم تجعلنا نتمنى له الموت، ولكم أتمنى أن أصحو ذات صباح لأسمع بأنه قتل أو مات حتى موتة طبيعية، أتمنى ذلك حتى أتخلص من هاجس يلازمني ليلاً نهاراً بأنهم قد يستطيعون أسره ومسّ شعيرات لحيته الكريمة ... ولقد لازمني هذا الهاجس بالأخص منذ رؤيتي لصدام حسين أسيراً مهاناً. وأرجو أن لا تظن بأنني أقارن بينهما، فشتان.

لكن أسامة ليس صدام، ورجال أسامة ليسوا طلاب حياة أو أعضاء في حزب البعث، هذا ما يقرّ القلب، لذا فإنهم لن يمكنوا منه أعداء الله بإذنه الواحد الأحد، ولن تغريهم كنوز الدنيا وجوائز بوش الصليبية ...

سيدي الدكتور محمد، أرجو المعذرة على مراسلتي إياك شخصياً، أعلم بأنني أثقل عليك وأنت صاحب الهموم الكبيرة. لقد أفرحني ردك على رسالتي فرحاً شخصياً، وفي نفس اللحظات أنّبتُ نفسي على تكبيدك مشاق الرد، فأنت صاحب رسالة كبيرة لذا فإن من حقك علينا نحن أبناءك أن لا نشغلك. أدام الله عليك الصحة يا سيدي، وأبقاك ذخراً لمحبيك وما أكثرهم، وشكراً على مكرمتك الكبيرة في الرد على رسالتي، شرف لا أستحقه والله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

***

لم يكن استشهاد الشيخ أحمد ياسين هو ما يقلقنا إذن ..

بل كان قلقنا على حبيبنا الغالي في أفغانستان ..

ثم بعدها الأخبار عن محاصرة البطل المجاهد أيمن الظواهري في مناطق القبائل في

وزيرستان بباكستان .. وكنت أصرخ في الشعب الباكستاني ألا يخنع كما خنعنا .. وألا يحسن الظن في حاكم خائن يخدعه حتى يتمكن منه ثم يسلمه إلى أعدائه .. فلا يدرك الشعب المخدوع المسكين حقيقة ما حدث له إلا بعد أن يكتمل حصاره وتنسد طرق الخلاص أمامه ..

كنت أصرخ في الشعب الباكستاني: لا تقع في خطيئتنا ..

لا تنتظر .. تول أمرك قبل أن يوردك الخائن موارد التهلكة والبوار .. وقبل أن تخسر الدنيا والآخرة ..

لا تنتظر يا شعب باكستان .. فإن أسامة بن لادن وأيمن الظواهري هما وديعة الله عندكم شرفكم بها فلا تضيعوها .. فإنكم إن تضيعوها تضيعوا في الوقت نفسه كل شرفكم وكل تاريخكم وتظل اللعنة تحيق بكم أبد الدهر كما تحيق بمن سلم سبط الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه الإمام الحسين ط..

لا تنتظر ..

و أنت أيها الجيش: ماذا تنتظر؟ ..

وهل يليق بالجيش أن يواصل حماية الخائن الذي ستترتب على أفعاله ضياع الدنيا والآخرة والوطن والدولة والأمة .. والجيش أيضا ..

وكان الحصار يضيق في وزيرستان فيضيق قفص صدري على قلبي ..

و أحسست بغصة في القلب لا في الحلق ..

كيف وقعت في هذا الخطأ الفادح .. كيف لم أكتب عن هذا البطل العظيم أيمن الظواهري لأقول له أنه – حتى إن ضيعه الناس – فلن يضيعه الله أبدا .. كيف لم أكتب لأقول له كم يحظى بين أمته الإسلامية بالتأييد والإعزاز والإكبار والحب ..

كيف ؟.

منذ عامين اتصلت ببعض أسرته الكريمة .. وكنت أريد أن أكتب عنه كتابا لا مقالا .. وبدأت أعد عدتي وأجمع مادتي ولكن تهاطل الكوارث وتعاقب المصائب لا يترك لنا أي فرجة من الوقت ..

***

وفي هذه الأحداث فقد اتخذ علماء الدين في الباكستان موقفا عظيما هائلا لطالما

دعوت فقهاءنا لاتخاذ موقف مثله منذ أعوام طويلة ..

إن الشريعة ثابتة والفقه متغير ..

و إجراءات الأمن في الظروف العادية غيرها في الظروف الاستثنائية وكذلك يختلف فقه السلم عن فقه الحرب ويختلف أيضا الفقه الذي يمارس في الدولة المسلمة عن الفقه الذي يطبق في الدولة الكافرة بل ويختلف كل ذلك عن الفقه في دولة يحكمها حاكم أو نخبة منافقة تبطن الكفر وتظهر الإسلام.

في إجراءات الأمن لا يخاف من « الفيش والتشبيه» إلا المجرمون ..

وفي الطب لا يخاف من اختبارات الأمراض السرية إلا الزناة ..

وفي ظروف كظروف دولنا لا يخاف من تطبيق أحكام الإيمان والكفر إلا الكفرة ..

من هنا كان الموقف المبدع لعلماء الباكستان عندما أفتوا بأن جنود الجيش الباكستاني الذين يموتون في المعارك ليسوا مسلمين ولا يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين.

لقد حسمت هذه الفتوى المعركة .. حتى أن أسر الجنود المقتولين رفضوا استلام جثثهم ..

ماذا لو أن علماءنا فعلوا هذا منذ زمن ..

ماذا لو حكموا بنفس الحكم على من يمارس التعذيب والتزوير .. ولا أقصد أي تعذيب وأي تزوير بل أقصد ذلك الذي تفعله حكومات تود أن تكون كلمة الشيطان هي العليا .. ولست أقصد حتى التزوير والتعذيب رغبة في السلطة .. بل أقصد ذلك الذي يكون هدفه الأساسي تنحية الإسلام وإبادة المسلمين ..

نعم ..

لشد ما أود أن يتصدى علماؤنا للفتوى في أمور جوهرية في وقت خطر ..

أنا أعلم أن الكفر حكم فقهي لا رأي عقلي ..

والرأي العقلي ينبئني أن كل حاكم حارب الله ورسوله فهو كافر .. وأن كل نخبة رفضت الاحتكام للإسلام فهي كافرة .. وأن أي تصد للمسلمين لأنهم مسلمون هو كفر مخرج من الملة ..

و إن مقصدا من أهم مقاصد الفقه الحفاظ على الدين .. فكيف أعطي لأعداء الدين رخصة فقهية تتيح لهم هدم الدين.

من هنا كان انبهاري وإعجابي بفتوى علماء باكستان .. وأنتظر من الشعب الباكستاني أن يعمل بمقتضيات هذا الحكم .. فليس منطقيا أن يكون الجندي الذي يحارب المسلمين كافرا ويكون من أصدر له الأمر مسلما .. !!

نعم فتوى الفقهاء كان يمكن لها أن تنقذنا من مزالق هائلة وقعنا فيها ..

وكان ما كان ..

***

و تعاقبت الأحداث لتصل بنا إلى ما نحن فيه ..

ورحت أعض بنان الندم عندما اكتشف في نهايات العمر أنني لم أختر الاختيار الصحيح بالجهاد أو الاستشهاد ..

نعم ..

ما أشد مرارة الندم ..

وندمي على الثانية أشد من ندمي على الأولى .. ذلك أنني أدرك أن الشهادة ليست ابتلاء بل اصطفاء ..

يقول الدكتور صلاح الخالدي: إن المعنى القريب، الذي يتبادر إلى بعض الأذهان، لكلمة «الشهيد» هو من يموت في سبيل الله ولكن للشهيد معنى أشمل من هذا انه شهيد وشاهد!.

ثم يستشهد بما قاله الشهيد سيد قطب في تفسير الظلال (رحم الله قائله ولعن قاتله) لآية:

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاء﴾ [آل عمران:١٤٠]:

« إن الشهداء لمختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه- سبحانه- فما هي رزية إذن ولا خسارة، أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء، وتكريم واختصاص .. ».

إذ تتضمن كلمة «الشهيد، معنى «الشاهد» .. فالشهداء إذن، يتخذهم الله، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة. يؤدونها أداء لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت، في سبيل إحقاق هذا الحق، وتقريره في دنيا الناس ».

يقول الشهيد العظيم سيد قطب كاتب الظلال (أعز الله القائل ولعن القاتل) في تفسير قولة تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة]

هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتا .. انهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتا في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان. أنهم أحياء بشهادة الله سبحانه. فهم لا بد أحياء. إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة .. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد، وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع .. وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله، فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله، فاعلية مؤثرة. والفكرة التي من أجلها قتلوا، ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد، فهم ما يزالون عنصرا فعالا دافعا مؤثرا، في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى. فهم أحياء أولا بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس.

***

أجل .. ما أشد مرارة الندم أنني لم أكن مجاهدا في جنين أو في الفلّوجة..

وانتبهوا يا ناس ..

الجيوش لا تحارب دفاعا عن الأمة ..

المدن والمخيمات تفعل ..

المدججون بالسلاح لا يقاتلون ..

المدنيون العزل يفعلون ..

فليخسؤوا إذن ..

حكامنا ليسوا حكاما ودولنا ليست دولا ..

وكل فاجر منهم ليس سوى مأمور سجن لصالح أمريكا وإسرائيل ..

نعم ..

المدن والمخيمات والعزل يحاربون والجيوش المدججة بالسلاح والحكام الفجار لا يفعلون شيئا إلا تقييد هذه الجماهير العزلاء كي لا تقاتل ..

ووصلنا إلى المعادلة المذهلة الفاجعة: كلما ازدادت قوة الحاكم والجيش كلما ازداد ضعف الأمة .. ذلك أن الجيش ليس جيش مجاهدين ولا حتى مقاتلين بل جيش جلادين وسجانين ..

جيش لا يحارب العدو بل يقيد الأمة ..

أخزاكم الله ..

***

ليس فخرا للغرب أن يثخننا بالجراح إذ يستعمل آلته العسكرية الجبارة ضد المدنيين ..

ما هي المهارة في أن تسحق دبابة طفلا ..

ما هي الجسارة أن تطلق الفانتوم ١٦ صاروخا على بيت فتهدمه على قاطنيه ..

ما هو الإعجاز في أن يحاصر جيشا عرمرما مدينة صغيرة فيمنع عنها الماء والطعام.

بل إنني أزعم أن أي بلد يستطيع هزيمة أمريكا لو استطاع أن يفعل بحكام الولايات الأمريكية الخمسين ما فعلته أمريكا بحكامنا الخمسة والخمسين ..

و أعني لو أن أخس وأحط وأضعف حكومة على وجه الأرض وعبر التاريخ (لا أقصد حكومة الكويت رغم أن حكومة في التاريخ لم تجلب على أمتها ودينها من العار والدمار ما جلبته هذه الحكومة على أمتها ودينها) تستطيع هزيمة أمريكا لو زرعت فيها خمسين خائن: خائن لكل ولاية.

وليس في الأمر أي شجاعة أو مهارة.

و إنما وحشية وخسة لم توجد بهذا القدر أبدا عند أي أمة في التاريخ غير الأمة الأمريكية ..

الأمة كلها خسيسة .. الجمهوريون والديموقراطيون وما بين هذا وذاك ..

أمة بلا أخلاق ولا ضمير وليست الحكومات الحيوانية المتوحشة إلا تعبيرا عن أمة من الحيوانات المتوحشة ..

أعود إلى كتابي: «بغداد عروس عروبتكم» وأعيد مطالعة كيف تعامل الأمريكان المجرمون مع الشعب العراقي:

يقول الطيار الأمريكي ريتشارد وايت عن الغارات الجوية على العراق أنها كانت

تكاد تشبه إضاءة المصباح في المطبخ ليلا فتنطلق الصراصير مسرعة فتقتلها ..

...« أظهر شريط فيديو متطور التقط ليلا (...) المجندين العراقيين سيئي الحظ والنار تطلق عليهم في الظلام، وبعضهم قد تمزق بفعل قنابل المدفعية ...»

وكتب جون بالزار من صحيفة لوس أنجيلوس تايمز يقول أن العراقيين كانوا: « مثل قطيع من الغنم أُخرج من حظيرته، كانوا مصعوقين ومرتعبين، استيقظوا فزعين فارين من خنادق النار، كانوا يُذبحون واحدا بعد الآخر على أيدي مهاجمين لا يستطيعون رؤيتهم أو فهمهم. ومزقت بعضهم انفجارات قذائف مدفعية عيار ثلاثين ملم. وسقط جندي وتلوى على الأرض وحاول النهوض، ولكن انفجارا آخر مزقه إربا » ..

ولم يكن العراقيون يشبهون قطيعا من الغنم لأن أي شعب في العالم يتعرض لما تعرض له الشعب العراقي من هجوم قوات شيطانية بلا عقل ولا أخلاق ولا ضمير لم يكن ليبدي قدرا أعلى من الشجاعة والتجلد ..

نواصل الرجوع إلى ما حدث عام ٩١ .. ولنتصور ما أضافته التكنولوجيا الأمريكية منذ ذلك الوقت.

الطيار الأمريكي المجرم رون بالاك يفخر: « عندما عدت جلست على جناح الطائرة ورحت أضحك، ربما كنت أسخر من نفسي، أتسلل إلى هناك وأضرب هنا وأضرب هناك، اقترب رجل منى وربت كل منا على ظهر الآخر ... ثم قال: يا إلهي، ظننت أننا قصفنا مزرعة، بدا وكأن أحدا قد فتح بوابة حظيرة الخراف» أما القرصان الضابط براين ووكر فقد كان يتطلع إلى المزيد من نفس النوع من القتل: « لا يوجد ما يمكن أن يُخرجهم من أماكنهم مثل الآباتشى (طائرة هجومية)، سيكون الأمر مثل صيد البط» ...

« أحدث العرض الشامل للأسلحة المتطورة مجزرة جماعية لعدو لا حول له ولا قوة... (...) استعملت الجيوش الأمريكية والبريطانية قاذفة صواريخ من طراز (MLRS) وكل عربة من هذا النوع تستطيع إطلاق اثني عشر صاروخا لمسافة تزيد على عشرين ميلا، ويطلق كل صاروخ من هذا النوع ثمانية آلاف قنبلة مضادة للأفراد... (...) في المراحل الأخيرة من الحرب أطلق الجيش الأمريكي عشرة آلاف قذيفة (MLRS) في حين أطلقت القوات البريطانية ٢٥٠٠ قذيفة أخرى...»

« ... قنابل روك آي العنقودية تحتوى الواحدة منها على ٢٤٧ قنبلة يدوية ضد الأفراد تنفجر إلى ألفي شظية عالية السرعة كالموسى تمزق الأشخاص...»

هذه القنابل العنقودية هي التي يقصفون بها المدنيين في الفلوجة الآن ..

ولنواصل:

... « لقد عنيت السلطات الأمريكية عناية شديدة لإخفاء حجم المجزرة (...) ولقي انسحابان عراقيان كبيران من الكويت - كان من الصعب إخفاؤهما بسبب حجمهما- بعض الاهتمام في الإعلام الغربي، ولكن حتى هنا أُخفي نطاق المجزرة عموما عن الشعوب الغربية: عُرضت في التليفزيون أرتال كبيرة من العجلات المدمرة والمحترقة واختفت آلاف الجثث العراقية على نحو غامض ...»

« بدأت هذه المرحلة من المذبحة عندما رصدت الطائرات الأمريكية أرتالا من الرجال اليائسين في طوابير من العجلات العسكرية والمدنية متجهة صوب العراق، كان العراقيون وقتها يلتزمون بمطالب الأمم المتحدة بالانسحاب من الكويت، غير أن هذا الانسحاب الواضح لم ينقذهم، وتعاقبت الطائرات الأمريكية على شن الغارات فكانت المذبحة كاملة، هوجم العراقيون الهاربون، وأسرهم الكويتيون، بلا رحمة بالقنابل العنقودية التي تقطع اللحم البشرى قطعا صغيرة (...) كانت المجزرة جهنمية واستمرت ساعات عدة ... (...) وتناثرت الجثث والأشلاء المقطعة في كل مكان، وتحجر بعض الجثث في العجلات، واحترق بعضها الآخر، ولم يتبق من الوجوه سوى الأسنان ...» ...

علق ضابط الاستخبارات العسكرية المقدم بوب نجنت أنه لم يشاهد مثل هذه المجزرة حتى في فيتنام ..

ووردت تقارير بأن قوات التحالف استعملت البلدوزورات لدفن الآلاف من قتلى العدو في الخنادق أثناء تقدمها ...« قُتل جنود عراقيون كثيرون بدفنهم أحياء. »

العقيد الأمريكي لون ماغارت يقدر أن القوة التابعة له قتلت ٦٥٠ عراقيا ..

***

والآن أتوقف عن الرجوع إلى التاريخ ليس لأؤكد أن العراق سينتصر في نهاية المطاف بل لأؤكد أنه انتصر بالفعل .. ونزع عن أعتى قوة في التاريخ كل ما كان يستر عورتها ..

نعم ..

ذلك أن الأحمق المطاع، الغبي المجرم الطائش المجنون جورج بوش، قد تصرف على نحو فريد في التاريخ، وهو لسطحيته وغبائه لم يدرك أثر جهازه الإعلامي الهائل في

خداع العالم.

وقد يكون هذا المجرم أقوي من هتلر ونابليون .. ومن المؤكد أنه أكثر إجراما منهما .. لكن المؤكد أيضا أنهما كانا يتميزان بعبقرية ولو كانت شيطانية أما هو فمجرد بلياتشو غبي أحمق فضح بلاده وأمته وشعبه عبر التاريخ ..

نعم كان الكثيرون من الفلاسفة والمفكرين في كافة أرجاء العالم يدركون حقيقة الوحش الأمريكي وخسته وحيوانيته وتوحشه .. وكان المفكرون المسلمون على وجه خاص يدركون ذلك .. (للشهيد العظيم سيد قطب رؤى مذهلة في ذلك أرجو أن أتناولها بالتعليق في مقال آخر) ..

لكن ما هي نسبة هؤلاء وأولئك للعالم .. ؟ .. واحد في المليون؟ .. واحد في الألف؟؟ .. تظل النسبة الهائلة مخدوعة في الوهم الأمريكي .. ولقد كان هذا الوهم والضلال سر جاذبية الحلم الأمريكي كله .. وكان جهد النخبة الأمريكية إخفاء حقيقة التوحش والزيف في الحلم الشيطاني ..

وظل الأمر كذلك حتى جاء جورج الغبي لا يعدو الوصف الذي وصف به أسامة ابن منقذ أجداده منذ ألف عام: بغل قوي عديم الروح والأخلاق والنخوة، جاء ومعه مجموعة من الخنازير المتوحشة، جاءوا بحماقة لم تتكرر في التاريخ، إنهم يعلمون أنهم لصوص، وأنهم مجرمون، وأنهم كاذبون، يعلمون ذلك، وظنوا أن العالم كله يعلم ما يعلمونه .. فخلعوا ورقة التوت .. كانوا كالمجنون الذي رأي عورته فظن الناس جميعا يرونها فخرج إلى الشارع عاريا ..

ولأول مرة في التاريخ يكشف الغرب الصليبي للدنيا كلها مدى الحقارة والخسة التي يتمتع بها ..

وأظنها أول مرة في التاريخ تنظر البشرية كلها إلى أمة بهذا الازدراء الكلي .. فليس في الحضارة الأمريكية أي شيء يغري .. أما العلم والتكنولوجيا فليست حكرا عليهم ..

وأظنها المرة الأولى في التاريخ الذي تتعلم فيه الدنيا دروسا مباشرة عبر الفضائيات أن هذه أمة مجرمة لا تعرف إلا لغة القوة وأنها لن ترعوي إلا إذا قُصفت واشنطن ونيويورك بالقنابل النووية كما قَصفت هيروشيما وناجازاكي .. وإلا بعد أن تصطاد الطائرات الحربية الحديثة المدنيين الأمريكيين العزل في هيوستون ولوس أنجيلوس وأن تهدم ناطحات السحاب عليهم كما فعلت الطائرات الأمريكية في إخوتنا في العراق ..

نعم ..

يدرك العالم الآن أن الطبيعة الوحشية لا ترجع إلى نوع المعركة أو نوع الشعب الذي يهاجمه الأمريكيون بل يعود إلى السفالة الأمريكية الإجرامية المتوحشة .. وأنها يجب أن تجابه بالعقاب .. ليس على ما ترتكبه أو سترتكبه بل على ما ارتكبته فعلا كذلك ..

حماقة المجنون الأمريكي أن العالم كله سيتعلم هذا الدرس ..

نحن كعرب قد تعلمناه فعلا ..

لكن العالم كله يتعلمه الآن ..

ومن المؤكد أن المعارك القادمة سيدور بعضها على الأقل على الأرض الأمريكية .. وستكون أي قوة موازية أو مواجهة حريصة على أن تقطع الذراع الطويلة لسلاح الطيران الأمريكي .. وأن يكون لديها من وسائل الدمار ما يهلك الشعب الأمريكي على أرضه ..

سوف يُضرب المدنيون منهم كما ضربوا المدنيين في شتى أنحاء العالم ..

وسوف يُمثل بجثث قتلاهم كما مثلوا بشهداء العالم الإسلامي ..

المجرم المجنون عرّى بلاده ..

هل تريدون عريا أكثر من أن يقف الجنرال الأمريكي الحقير ليعلن على شاشة التلفاز وقف إطلاق النار وفي نفس الوقت وعلى ذات الشاشة صور الطائرات تقصف المدنيين العزل ..

نعم أخس أمة في التاريخ ..

ومن بين مائتي مليون أمريكي لم يخرج ليحتج إلا بضع مئات ..

لم تخرج المظاهرات الحاشدة لتهتف: نحن الأمريكيون شعب همجي متوحش وعلينا أن نتعلم التحضر واحترام حقوق الإنسان ..

ولا خرج المفكرون ليؤكدوا أن كل حكوماتهم لم تكن سوي عصابات من المجرمين واللصوص.

***

لقد كففت عن سباب الحكام وأوجه الآن إداننتي كلها للأمة ..

ولم أتوقف عن إدانة الحكام لأنهم أبرياء .. بل أتوقف لأن كل قواميس الدنيا لم تعد كافية لوصف خستهم ونذالتهم وعهرهم وجبنهم .. بل إنني عندما أصفهم بهذه الصفات أظلم الصفات .. لأنني عندما نكتفي بها نكون كمن يكتفي بصفع من يستحق الإعدام ..

وما عادت الإدانة تجدي ولن يترتب عليها أي استجابة ..

هل يتخيل القارئ أن نذهب إلى سموه قائلين:

- سموك داعر وشاذ وخائن وقد حولت إمارتك إلى معسكر للأعداء ودمرت الأمة .

وما أن نقول له ذلك حتى يبادر بالاعتذار والاعتزال ..

وهل يتخيل القارئ أن نذهب إلى جلالته قائلين:

- جلالتك عميل قديم للإنجليز ثم للأمريكان .. جلالتك وغد ومقزز وخائن ..

فيبادر جلالته بالتخلي عن العرش ..

هل يتخيل القارئ أن نذهب إلى فخامته قائلين:

- فخامتك جاسوس قديم وقد ضبطتك الحكومة البلغارية تتجسس عليها لحساب المخابرات الأمريكية عندما كنت مبتعثا إليها .. وأنت عندما أفسدت اجتماع الجامعة كنت تفعل ذلك ولاء لأسيادك .. أيها الجاسوس الحقير؟! ..

أو أن نذهب إلى سيادته قائلين:

- يا أخس حاكم حكم بلادنا .. كفاك فقد دمرت الأمة .. كفاك فقد نهبت أنت وأسرتك الأمة ..

فيبادر سيادته بالاكتفاء ..

لا بد أن نغير ..

لكنه تغيير في عكس الاتجاه الذي يفرضه علينا الطواغيت ..

في عكسه على طول الخط ..

تغيير يحيى الجهاد ولا يجرمه بل يجرم من يجرمه ..

تغيير يدفع تلك الجيوش الذليلة الرابضة على قلوب أمتها إلى المبادرة بمواجهة أمريكا وإسرائيل وقتالها ..

تغيير يحيي الولاء والبراء ..

تغيير يعيد للإسلام سيادته وسؤدده ..

تغيير يحتكم للقرآن والسنة

تغيير يردع الداعرات وينفي الشواذ لا تغييرا يدفعهم إلى مقاعد التحكم والسيطرة والسلطة ..

تغيير يحاكم اللصوص والخونة وليس الأبطال والمجاهدين ..

تغيير يعيد إلى الأمة كرامتها التي أهدرها الحكام الخونة ..

تغيير لا يبدأ إلا بتغييرهم ..

لعنهم الله ..

***

الأمة أمام أزمة تهدد وجودها ..

حكامها خونتها ..

وعليها أن تغيرهم ..

وهم لن يتغيروا بغير القوة ..

وعلى الأمة أن تبتكر الوسائل التي تمكنها من هذه القوة ..

فلماذا لا نبادر ؟.

لقد مات مليون عراقي في حرب لم يكن لها أن تقوم ..

ومات مليون آخر في حرب ظالمة فرضت عليها ..

لماذا لا نبذل أرواح مليون آخر لنواجه الطاغوت وننتصر عليه ..

لماذا لا نكون مستعدين في مصر لأن نقدم مليون أو مليوني شهيد ..

لماذا لا يقدم أهل الجزيرة مليون شهيد ..

أم حسبتم أن تقولوا آمنا وأنتم لا تفتنون ..

***

كلمة أخيرة أوجهها إلى شعبنا في الجزيرة العربية ..

هل حقا تقلع الطائرات التي تضرب أبطال الفلوجة من المطارات في أرض الجزيرة؟.

إنني أعرض عليكم هذه الرسالة التي وصلتني من المرصد الإعلامي ..

بسم الله الرحمن الرحيم ..

وبه نستعين .. والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

إلى إخواننا الموحدين في جزيرة العرب من قاعدة الجهاد وباقي الأخوة العاملين فيها

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

فهذا نداء إخوانكم من مجاهدي الفلوجة (مقبرة الأمريكان) إليكم فقد ورد إلى أسماعنا إن طائرات الإف ١٦ التي تقصف الفلوجة حاليا بالقنابل العنقودية تنطلق من جزيرة رسول الله ﷺ.

فإنّا نستنصركم أن تهبوا لدك المطارات التي تنطلق منها هذه الطائرات التي أهلكت الحرث والنسل ولم تفرق بين مسجد وبيت وصغير وكبير ، ووالله ما هالنا سكوت أمم الكفر على هذا القصف الهمجي الوحشي فالكفر ملة واحدة.

ولا هالنا سكوت حكومات الردة في بلاد العرب فهؤلاء أولياء أولئك.

ولا حتى هالنا سكوت عوام الناس من أهل الإسلام فهم في سبات وسيبقون كذلك إلى أن يشاء الله.

ولكن هالنا وآلمنا سكوت إخواننا في الدين والعقيدة في باقي بلاد المسلمين وفي الجزيرة والكويت خاصة.

فالله الله يا موحدين بأهل الفلوجة ..

فإنهم قد استنصروكم وقد وجبت عليكم النصرة ..

اللهم إنّا استنصرنا إخواننا، اللهم فاشهد ..

فلسطين عروس عروبتكم

فسيفساء

نار موقدة ..

جمر يتأجج ويتوهج ..

حاولنا يا رب قدر ما نستطيع أن نقبض عليه بأيدينا .. فانتقل أوار الجمر المتوهج إلى قلوبنا .. وسرى اللهيب مسرى الدم في عروقنا ..

كلما حاولت الكتابة اكتشفت أن حروف الكلمات ناقصة .. فما من حرف منها تنطق مخارجه بصرخة اللوعة المكنونة في القلب ..

أما من حرف جديد لم ينطقه قبل ذلك أحد كي يعبر عن ألم لم يشعر به قبل ذلك أحد؟!.

وكلما حاولت الكتابة اكتشفت عجز الكلمات وعجزى .. ذلك إنني لا أريد كلمات تُقرأ أو تصب حروفها من رصاص حتى لو انصهر الرصاص .. أو تتشكل من وحدات البايتات (Bytes) على شاشة باردة لجهاز كمبيوتر محايد .. لا تختلف استجابته باختلاف الكلمات فلا يفرق بين الدم والماء ولا بين الجمر والثلج ولا بين الخيانة والعمالة في جانب وبين البطولة والاستشهاد في جانب آخر ..

أما من كلمة جديدة لم يكتبها قبل ذلك أحد كي تعبر عن قهر لم يشعر به قبل ذلك أحد؟

كلما حاولت الكتابة ذابت الحروف وتلاشت الكلمات تحت وطأة المشهد الذي لا يغادر القلب أبدا .. مشهد محمد الدرة ورأسه الحبيب البريء يتفجر بالرصاص فيسقط .. أما جسد أبيه فيهتز تحت الزخات حتى يغيب عن الوعى ..

آآآآه يا بنى ..

هل أستطيع أن أصوغ كلماتي بينما زخات المدافع تهز جسدي، فأستعمل فيها بدلا الحروف طلقات الرصاص كي ترد عن ابني الشهيد -محمد الدرة- الموت أو حتى تثأر لموته ..

فإن عجزت، فهل أستطيع أن أضع بدلا من الحروف عيونا مفقوءة وأشلاء منزوعة، وعوضا عن الكلمات جماجم مثقوبة وأمخاخا متناثرة متبعثرة ومكان الجمل أجساد الشهداء .. أصفّها بنظام كما ينبغي للجمل أن تُصفّ ..

هل أستطيع أن أضع مكان الفقرات مدنا تقصفها الدبابات ؟

هل أستطيع أن أضع مكان علامات الترقيم قطرات دم؟ أنهار دم؟ شلالات دم؟ وكيف أضمن ألا يغطى طوفان الدم كل ما كتبت؟ ..

آآآه يا وطني ..

كانت قنوات الجزيرة وأبو ظبى تذيع ذلك الفيلم المروع عن مذبحة دير ياسين ..

كانت جدتي - نعم جدتي وأمي - العجوز تتحرك بين الأنقاض والأشلاء وتروي ..

كانت تتجرع وأتجرع معها غصص الموت والذل والمهانة وخيبة الأمل في الأشقاء ..

والله لو لم يكن في تاريخنا سوى دير ياسين لكفتك يا أمة العرب عارا وشنارا حتى أبد الآبدين ..

وكان ثمة منزل ثقبت جدرانه ثقبا هائلا أحدثته قذيفة دبابة .. استشهد رب البيت على الفور .. احترق كل شيء .. الأثاث والجدران والأرض .. كان الدمار في البيت مروعا .. وكان كل شيء أسودا .. عدا لافتة معلقة على الجدار .. كان المكتوب عليها: «الله .. محمد» .. وكانت مائلة .. لم تسقط بعد .. وكانت بقية الكلمات مغطاة بالسناج ..

كان هناك أم شهيد تسير في جنازته .. لم تكن تبكى .. وكانت تصرخ أنها شرفت باستشهاده وستشرف أكثر باستشهاد إخوته وجميع أقاربه وهى على رأسهم .. وكان هناك في الجنازة شاب يحمل في يده طلقة رصاص هائلة الحجم .. لم أر طلقة رصاص بحجمها في حياتي .. قال المذيع أنها رصاص البنادق الثقيلة التي يطلقونها على أطفال الانتفاضة ..

وكان الشيخ التميمي على قناة الجزيرة يصرخ مذكرا مصر بغزو التتار عندما أرسل أمراء الشام شعور نسائهن إلى سيف الدين قطز مستنجدا به أن يغيث العرب والمسلمين .. فأغاثهم .. كان يستنجد بمصر أن تنقذ العرب والمسلمين في فلسطين ممن هم أسوأ وأكثر وحشية من التتار .. وكانت مصر تقول وتكرر ما تقول أن خيار السلام هو الخيار الوحيد .. وكان الجبن يلبس ثياب الحكمة .. وكان باراك يرد التحية بصفعة ..

هل كانت تلك الرصاصة الضخمة هي التي استخرجت من جسد الشاب الشهيد ..؟

.. لم يخبرنا المذيع بذلك .. ولا أخبرنا زميله هل كانت الرصاصة التي قتلت ابني الشهيد – محمد الدرة – في حجم هذه الرصاصة ؟.

لماذا لم تذع باقي قنواتنا الفضائية هذه المشاهد؟ .. لماذا؟؟ لماذا يا قاهرة ويا كويت على وجه الخصوص؟!.

لماذا يا قاهرة ؟.

هل لأن هذه المشاهد تكشف عار وكذب نخبة مثقفيك وكبار كتابك الذين يحيطون بالسلطات – أيا كان السلطات – فتستكتبهم في أكبر الصحف بأضخم الأبناط والعناوين ليزيفوا وعى الأمة وليهدروا دماء الشهداء فمعظمهم لم يكف عن الكتابة الخئون حيث انسالت من ألسنتهم النجسة وشفاههم المخمورة أحاديث إفك من نوع أن الفلسطينيين هم الذين باعوا أرضهم بل إن كبيرا من كبارهم لم يتورع طيلة الأعوام الماضية أن ينطق اسم فلسطين ساخرا بل فاجرا:« فلس وطين»، وهؤلاء هم أعداؤك يا أمة، وهؤلاء هم الصهاينة العرب، وهؤلاء هم الذين يحيطون بحكامك يصبون السم في آذانهم، ثم إن حكامك لا يحبون غيرهم ولا يقربون سواهم، وهؤلاء هم الذين يتوارون الآن، لا خجلا، وإنما يكمنون في أوكارهم كما تكمن الحية الرقطاء يجهزون سما آخر، في اتجاه آخر، فلماذا يا قنوات تليفزيون القاهرة لم تذيعي ذلك الفيلم المروع الرهيب كي يكشف صفاقة السفهاء.

وهنيئا لك يا قناة الجزيرة، أن هذه الحيات الرقطاء بدأت تبث سمومها تجاهك، فتتناول بالهجوم والاتهام مذيعيك، ولتضع بين الاسم الأول والأخير اسما صهيونيا، حتى أحمد منصور وفيصل القاسم، والله يعلم والأمة تعلم أن من كتبوا ذلك هم الصهاينة، وأن هذا الهجوم يعلق على صدرك يا قناة الجزيرة وساما غاليا، ويكشف كم كانت تغطيتك لأحداث الانتفاضة موجعة للصهاينة وخدم الصهاينة وعبيد الصهاينة وعملاء الصهاينة وكم أزاحت في أيام قليلة أكداس الزيف الذي يصبونه في عقول الأمة منذ ثلاثين عاما على الأقل .. أزاحتها كما يزيل طوفانٌ طَهُورٌ أكداس القذارة والدنس.

ولقد كنا أول من انتقد في الجزيرة أخطاءها، لكنهم الآن يريدون من الجزيرة أن تتوب عن أعظم إنجازاتها وليس عن أخطائها. ذلك الإنجاز المبهر في حشد الشارع العربي والإسلامي.. وفي حشر معظم ولاة أمورنا.. حيث تتفق مصالحهم مع باراك وكلينتون ..

لكم جللني العار وأنا أقرأ الهجوم المسعور ينطلق على ساحات الصحف ضد

القناة وضد الشيخ يوسف القرضاوي يواكبه سعار هجوم حاخام إسرائيلى على قناة الجزيرة وعلى العلامة الشيخ يوسف القرضاوي ..

برح الخفاء ..

والعيب ليس عيب الكتاب بل من وضعهم في مكانهم فاتضعوا لكى يكونوا صوته وسوطه ..

العيب عيب من ..

***

تكلمت عن الكتّاب ..

ويجب أن أتحدث عن الحكام الذين يصطفونهم ..

ولكن ..

***

لا بد أن أتوقف ..

لأن كل الكلمات التي يمكن أن أكتبها الآن وكل الاتهامات التي ينبغي أن أطلقها قد توقع أي صحيفة في عالمنا العربي - رغم أنها حق - تحت طائلة سيف القانون .. القانون الأمريكي أو الصهيوني الذي يحكم جل بلادنا ..

***

فلننتقل إذن إلى ألم آخر وجرح آخر .. ولأجعل من الألم فسيفساء كي نتجرعه لونا .. لونا ..

ففي نفس الوقت الذي كانت ففيه الفضائيات تنقل أحداث الانتفاضة راحت تنقل أيضا أحداث انتفاضة الانتخابات في أشمون المصرية .. الجنود نفس الجنود .. والحجارة ذات الحجارة .. والأطفال ذات الأطفال حتى لقد كدت ألمح بينهم محمد الدرة ..

المنهج أيضا كان ذات المنهج والبيانات كانت نفس البيانات .. وكان أطفال الحجارة في مصر هم الذين استفزوا رجال الشرطة الأبرياء فاضطروهم إلى إطلاق الرصاص وقنابل الغاز عليهم ..

وراحت عيناي تبحثان في خلفية الصورة عن شارون ..

***

أيضا .. نفس الشيء حدث منذ شهور في أزمة الوليمة .. وكان الجنود هم نفس الجنود .. والطلبة هم ذات الطلبة .. والحجارة هي عين الحجارة .. وكان شارون مصري يجترئ على المقدسات فلا يرده أحد ..

نفس الشيء .. والعلاقة وثيقة بين الأحداث هنا وهناك .. والنتيجة في النهاية واحدة ..

قلت لنفسي أن الرصاص الذي يقتلنا في مصر والرصاص الذي يقتل الفلسطينيين واحد .. والقنابل واحدة وتدريب الجنود واحد .. والمنهج أمريكي صليبي ..

***

المنهج واحد .. فمن يخون الله والقرآن الكريم والرسول لا يمكن أن يكون وفيا لأمته ..

المنهج واحد .. فمن يكذب على الله والقرآن الكريم والرسول لا يمكن أن يكون صادقا مع أمته ..

المنهج واحد .. فمن يكفر بالله والقرآن الكريم والرسول لا يمكن أن يؤمن بقضية أمته أو وطنه أو قوميته أو أن يدافع عن قضية فلسطين ..

المنهج واحد ..

شكل واحد له عشرات الانعكاسات والظلال والنتائج ..

نعم ..

الدفاع عن الكفر .. والتخلي عن فلسطين .. وفشل مؤتمر القمة .. وتزوير الانتخابات .. والاعتقالات .. والتعذيب .. والطغيان .. والفساد .. وهدم مؤسسات المجتمع المدني .. وتخريب البلاد وتزييف الوعى وتضييع الأمة جميعا من أجل أن يطمئن الحكام الطغاة والطواغيت ليستقروا ويستمروا كلها ظلال لشيء واحد ..

***

في قاعة محكمة الجنايات كان المستشار يحيى الرفاعي- شيخ القضاة وضمير العدالة في مصر والذي يعمل الآن بالمحاماة- قد جاء للدفاع عني وعن مجدي حسين .. كنا

نحاكم لأننا اعتدينا على وزارة الثقافة في مصر!! .. تماما كما اعتـدى أطفـال الحجـارة في أشمون وفلسطين على جنود الأمن والصهاينة!! ..

كانوا قد أتوا بالأسير مجدي حسين رئيس تحرير صحيفة الشعب الأسيرة من محبسه .. كان القيد في يديه .. والتفت إلى الجلاد الذي يصـطحبه راجيـا إيـاه أن يوسـع مـن القيد قليلا فقد جرح يده .. ونظر إليه الجلاد نظرة رأيت فيها عيني ذئب غادر .. عيني شارون آخر .. ورفض .. ونظرت إلى الجرح .. وتأكدت أنه يمـتُّ بصـلة قرابـة وثيقـة لذلك الجرح الذي رأيته في غرة محمد الدرة.

***

بعد تأجيل القضية، اصـطحب الجـلاد أسـيره .. ودونمـا اتفـاق لم نتحـدث – أنـا والمستشار الكبير– عن جرح مجدي حسين وجرحنا .. كنا نتحدث عن الجرح العربـي .. عن الانتفاضة .. عن التخـاذل العربـي .. وعلاقـة ذلـك بالكتـاب الخطـير الـذي أصدره المستشار الكبير بعنوان« استقلال القضاء .. ومحنة الانتخابات» والصـادر عـن المكتب المصري الحديث ..

كان الرجل الجليل يحمل هم الأمة في قلبه الكبير .. كنت أسأله كيـف اسـتطاع أن يظفر بإجلال كل فئات الأمة في مصر .. كل الفئات .. حتى من السـلطة رغـم أنـه لم ينتم أبدا إلى حزب ولا سلطة .. وكان يحـدثني عـن مـنهج التزمـه طـول حياتـه .. أن يعامل كل قضايا الفكر كما يتعامل القاضي مع قضية معروضة أمامـه فـلا ينحـاز إلى طرف قبل استعراض جميع الآراء .. ثم يصدر في النهاية حكما لا يبتغـى بـه إلا وجـه الحق .. كان يحدثني عن أسباب الانهيار في عالمنـا العربـي .. وكانـت ملامـح وجهـه تتقلص بالألم .. ورفع يده ليضعها على صدره ..

في المساء كنت أقرأ في كتابه: « آن الأوان لكى تغسل مصر عن اسمها عـار تزويـر الانتخابات، وهى فاحشة اشتهرت بها بين الأمم، فنالت من مكانتهـا ومكانـة شـعبها بين شعوب الأرض قاطبة» .. وكتب ينتقد الاعتداء علـى الدسـتور وخـرق القـانون: «بأساليب ممقوتة .. جمّدنا حزبا وصادرنا صحفه، وحبسنا من نشاء» .. «ولكن في بلاد العالم الثالث لا يسمح السلطان لرعاياه بمجرد الأمل في وجود إنسان غيره .. » ويحذر عبر الكتاب من ثغرات سوف تؤدى إلى تزوير الانتخابات رغم إشراف القضاء.

صباح اليوم التالي كنت أهاتفه كي أطمئن عليه .. لم يكن في منزله .. دهمته أزمـة

في القلب .. نقلوه إلى المستشفى .. وقرروا ضرورة إجراء جراحة عاجلة في القلب ..

***

رحت أتأمل موقف بعض الكتاب والنخب في العقد الأخير ..

لقد كان الذين أيدوا سحق العراق ووقفوا مع الحلف الأمريكي الصهيوني هم بأنفسهم الذين وقفوا مع الاجتراء على الذات الإلهية والمقدسات .. ومرة أخرى كانوا هم بذواتهم الذين تحالفوا مع الحاخام ليسبوا الشعب الفلسطيني وقناة الجزيرة والشيخ يوسف القرضاوي.

في كل مرة يحتشد فيها الرأى العام ينفثون سمهم لإجهاضه ..

في كل مرة يحاولون تشتيت الانتباه عن القضية الرئيسية ليجرونا إلى قضايا فرعية .. لا يكفون عن الكذب فيها ..

والدم الفلسطيني يسيل أنهارا

وخونة الطابور الخامس المدعمين - بل والمحركين - من الحلف الصهيوني الأمريكي لا يتورعون عن مهاجمة فلسطين ..

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

نار .. وجمر .. ولهيب ..

هل كان رأس الطفل المسلم العربي الفلسطيني سامح هو الذي تفتت بعد أن انفجرت الرصاصة المحرم استعمالها فيها انفجارا هائلا لم يبق داخل الجمجمة إلا هيكلها العظمى بعد أن تناثرت أجزاء مخه كله لم يبق منها شيء ..

هل كانت رأسه فقط؟ ..

أم كانت رأسي أنا أيضا تنفجر لتتناثر أجزاء مخي كلها إذ أطالع على شاشة التلفاز ذلك الواقع الرهيب المروع بينما أسمع في ذات الوقت خنزيرا إسرائيليا يصرح بأن الأسر الفلسطينية لا تحب أبناءها لذلك تدفعهم إلى التظاهر كي يموتوا .. ولأسمع

بعدها بدقائق خنزيرا من السويد يقول أن هناك في هذا العالم أسر تبيع أبناءها للدعارة .. وأن الأسر الفلسطينية تبيع أبناءها للانتفاضة ..

آآآآه ..

ينوء تحت القهر والغضب كاهلي ..

قهر وغضب أطول بكثير من عمري الذي تجاوز نصف قرن .. يتجاوزه لتمتد جذوره عبر القرون وإخوة القردة والخنازير من اليهود والصليبيين يفعلون بنا الأفاعيل ..

آآآه ..

هل كان رأس سامح -ابني الشهيد - وحده هو الذي انفجر أم انفجر رأسي أنا أيضا وأنا أرى مجلس شيوخ بنى قريظة وأرناط وريتشارد ونابليون وكرومر وجورو وكلينتون يجتمع ليدين أطفال الحجارة وليؤيد خنازير الصليبيين خنازير اليهود الذين أطلقوا الرصاص المحرم على ابني سامح ومحمد الدرة، وأطلقوا قذائف الدبابات على المنازل وطاردوا أطفال الحجارة وقصفوهم بالطائرات ..

هل كان صوت تناثر الأشلاء أم صوت خرير الدم أو نزيف الكرامة والعقل والدين إذ راح بعض أدعياء الحضارة والاستنارة والتغريب فينا يعلموننا كما يعلم القواد بغيا بعض فنونه: « يجب أن نقنع الغرب بعدالة قضيتنا » .. « بعض أعمال الفلسطينيين تضر بقضيتنا في الغرب .. » .. « الاعتداء على المدنيين .. » .. «الإرهابيون والأصوليون .. » .. « .. أوروبا .. » .. « .. أميريكا .. » .. وكأنما كل هذه الدماء والأشلاء والظلم والألم لم تكن كافية لإقناع سادتهم ومثلهم الأعلى في الغرب .. وكأنهم لم يمتلكوا أبدا من علوم الدين والعقل والجغرافيا والتاريخ .. أو حتى من الكرامة والنخوة ما يعرفهم أن ما يحتاجه الغرب منا ليس مزيدا من الإقناع .. ما يحتاجه الغرب منا رسالة من ملك أو رئيس أو أمير تقول بعض سطورها:

«من فلان الحاكم العربي إلى كلب اليهود أو كلب الغرب ...»

وليست السطور الباقية تهمًا .. !! ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع قوة تخيف لا حجة تقنع ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع اقتناعا بأننا يمكن أن نضره ونؤذيه كما يضرنا ويؤذينا ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع إنقاص عشر معشار إنتاجنا من البترول .. واذكروا كيف وصل العالم لحد النفاق والتملق عام ١٩٧٣ ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع امتناعا عن استيراد سلاحه المبرمج كي لا يقتل إلا مسلما ولا يحارب إلا شعوبنا العربية والإسلامية ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع زعيما لا يقول صديقي كيسنجر بل عدوي .. ولا يقول الراعي النزيه بل العدو الحقيقي الكريه ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع ملكا يقول : إن أمريكا هي إسرائيل وإسرائيل هي أمريكا .. وأننا سنعد لهم من القوة مثلما أعدته الجزائر لفرنسا وفيتنام لأمريكا والشيشان للروس ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع رئيس يقول لهم أننا نصدق ما قاله جلوب باشا: إن مشكلة فلسطين لم تبدأ في عام ١٩٤٨ ولا حتى منذ وعد بلفور بل منذ جاء الإسلام .. ولأن المعركة معركة الإسلام فلابد أن يقودها الإسلام.

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع حاكما يقول لهم : إننا نفهم أن إسرائيل ليست سوى حاملة طائرات ضخمة للغرب .. ورأس حربة غرسها في قلبنا .. وأننا نكره أن نحاربه .. لكن عليه أن يسحب حاملة طائراته وأن ينزع رمحه .. فإن لم يفعل فإننا سوف نقاتله على كره منا ولكن بحرص على الاستشهاد يعادل حرصه على الحياة .. وأننا ندرك أن النصر لنا .. لأننا نمثل الحق والعدل والخير بينما يمثل هو الشر والخراب والدمار ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع أن يدرك أننا سنقدم عشرة شهداء .. بل مائة شهيد مقابل كل مجرم جبار عتل زنيم نقتله منهم.

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع هو أن يتحول حجر الانتفاضة إلى قنبلة، ومقلاعها إلى صاروخ ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع هو أن يدرك أننا كففنا عن تصديق طابوره الخامس بيننا والذي يدعونا إلى الانتظار طويلا كي نأخذ بأسباب قوة لن نحصل عليها أبدا في ظل وكلائه علينا ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع هو أن يدرك أننا كففنا عن تصديق طابوره الخامس بيننا والذي ما ينفك عن تشتيت جهودنا في معارك فرعية مختلقة ومكذوبة لا أشك لحظة

واحدة أن تفاصيلها قد حيكت وصدرت جاهزة لهم من أضابير الموساد والـCIA ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع هو أن يعلم أننا كففنا عن ترديد أن السلام هو خيارنا الوحيد .. لأن من يجعل ذلك شعاره يخسر الحرب والسلام معا ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع أن يقتنع الحكام جميعا أن كل كلمة تقريظ لهم من الغرب ليست وسام فخار بل وصمة عار عليهم أن يبذلوا كل الجهد للتبرؤ منها .. أو أن تحاكمهم شعوبهم بتهمة الخيانة والانحياز لعدو ..

***

هل كان رأسي أنا هو الذي ينفجر إذ أقرأ لكتاب من جلدتنا إذ راحوا هم أيضا يهاجمون الفلسطينيين لأنهم تحت وطأة الموت والحصار والدمار وخيبة الأمل يهاجمون – بالحق أو حتى بالباطل– رئيس هذه الدولة أو تلك ممن ظنوهم سيمدون يد المعونة إليهم فإذا بأيديهم تمتد لمصافحة قاتليهم .. انطلقت أقلام أبناء جلدتنا غير آبهة بالنار والجمر واللهيب وبالجرح في غرة محمد الدرة وبمخ سامح الذي لن يعثر عليه بين الأشلاء أحد أبدا .. استهانت بذلك كله لتدافع عن زعيمها .. وليتها اكتفت بذلك .. بل عادت إلى عادتها القديمة اللئيمة الخائنة لتستهين بل ولتنكر تضحيات الشعب الفلسطيني كله مرددة أراجيف الخنازير .. تجاهلت استشهاد ٣٠٠٠٠٠ فلسطيني .. أي أكثر من ٥٪ من الشعب كله قد استشهد ليس دفاعا عن الأرض والعرض فقط .. بل دفاعا عن الإسلام والعرب والمسلمين .. ٥٪ من الشعب .. أي ما يعادل أكثر من ثلاثة ملايين مصري أو ١٣ مليون عربي أو ٦٥ مليون مسلم .. دفع الفلسطينيون ضريبة الدم والشهادة .. ليمتهن بعض كتابنا كل ذلك .. ليتحولوا من كتاب إلى قردة ترقص على طبول الغرب ... هؤلاء أيضا هم أعداؤك يا أمة .. ولقد حسموا أمرهم منذ زمان طويل ليصدق قول الشاعر فيهم:

كلاب للأعاجم هم ولكن .. على أبناء جلدتهم أسود

***

مثل هؤلاء الكتاب نار أخرى وألم آخر ونزيف آخر ..

وليست كوارثنا مقصورة على مشاكل التخلف والحكام والهزيمة فقط .. بل إن مثل هؤلاء الكتاب يشكلون خطرا على الأمة لا يقل عن خطر الأعداء .. بل إن خطرهم أشد وأنكى ..

إنهم كديدان الطفيليات الكامنة التي تستولي على غذاء الجسد حتى يتهاوى فتنهشه في النهاية ..

وفي الأسابيع الأخيرة عندما أعلنت إسرائيل المجرمة الحرب على شعبنا في فلسطين بالطائرات والدبابات .. لم تكن غاراتها هي الغارات الوحيدة .. ففي بلادنا أيضا كان ثمة حلف آخر انطلقت غاراته لتقصف الإسلام والمسلمين ..

وكما أن لدي إسرائيل جنرالات فقد كان لدينا نحن الآخرين جنرالات من الكتاب .. وكانوا هم الآخرين يشنون غاراتهم ..

يشنون غاراتهم لكى يتسع خرق الأمة على الراتق ..

وظاهرة الكتاب الجنرالات ظاهرة عجيبة في بلادنا .. إذ فجأة تتفق أجهزة الإعلام على أن كاتبا معينا هو كاتب كبير .. تحيطه بهالة من العظمة والمجد .. فلا يعرف القارئ كيف أصبح هذا الكاتب كبيرا ولا لماذا .. ولا يجرؤ حتى على التساؤل .. إن الكاتب الكبير عميق جدا وفيلسوف حتى أذنيه لذلك من الصعب على القارئ العادي فهمه .. ويستمر الكاتب الكبير .. لا يقرأ له أحد .. ومع ذلك تتسابق كبريات الصحف على نشر مقالاته .. ولا يشتري أحد كتبه .. ومع ذلك تتنافس دور النشر على نشرها .. فلكأنما صفة الكاتب الكبير رتبة كهنوتية محاطة بالطلاسم والأسرار .. لا يجرؤ على مواجهتها والتصدي لها سوى الإرهابيين والأشرار والكفار ..

أو لكأنما رتب الكتاب كرتب الجيش والشرطة .. يصدر بها مرسوم من القائد الأعلى .. فهل يستطيع العساكر أو الدهماء والقراء أن يسحبوا من اللواء رتبة اللواء أو من المشير رتبة المشير؟! ..

لم يكن جنرالات إسرائيل وحدهم هم الذين يقصفون ..

كان جنرالاتنا أيضا يقصفون كل طريق إلى وحدة الأمة وتكاتفها ..

ورغم الهالات الضخمة التي تحيطهم سلطات بلادهم بها فإن رؤوس معظمهم فارغة .. ومعظمهم تثير العودة إلى تاريخه الوظيفي الدهشة والعجب .. فمن سائق أو ساع أو موظف أرشيف أو عامل سجاد إلى رئيس تحرير أو كاتب كبير .. وليس لأحد منهم فكر ولا فلسفة ولا منطق .. يرددون كالببغاوات ما يقوله الأعداء عنا أو ما يملى عليهم من أجهزة الأمن المخترقة في بلادهم ..

ولقد كان من أذكى – ولا أقول وأخبث – ما فعلته قناة الجزيرة بهم عندما اشتد

هجومهم عليها أن استضافت نماذج منهم ..

كان أكبر انتقام منهم إظهارهم على الشاشة .. فعوراتهم في أفواههم ..

هؤلاء الكتاب الكبار ليسوا صناعة محلية فقط .. فالمراسيم التي تقضى برسمهم كتابا كبارا تأتى من الخارج أيضا .. من نفس الجهات التي جعلت من سلمان رشدي وتسليمة نسرين وعلاء حامد وحيدر حيدر كتابا كبارا .. وجعلت كلينتون يقابل سلمان رشدي لا لشيء سوى أنه كفر وفجر فسب الرسول ﷺ..

إن المعلومات الصحيحة أمامهم .. لكنهم يعافونها ..

لطالما تساءلت وأنا أتابع هؤلاء الكتاب ومعاركهم الوهمية التي يشقون بها قلب الأمة ويهيلون التراب على عوامل وحدتها متلمسين كل فرصة لبث الفتنة بين أطرافها لصالح أعدائها هل هم جهلة إلى الحد الذي لا يعرفون فيه أبجديات التاريخ .. أم هم أغبياء للدرجة التي لا يفهمون بها هذا التاريخ ؟. أم أنهم ببساطة خونة ؟. فإذا كانوا خونة .. كيف تسمح لهم بعض الحكومات بأن يكونوا كبار كتابها الرسميين ..

وهل الأمر كما يقول الكاتب الكبير – حقا وصدقا – برهان غليون أن الدولة في مجتمعاتنا العربية أصبحت تخون الأمة ..

***

لكم اشتد إحساسي بالعار وهذه الأقلام تنطلق من القاهرة ..

فلكم أساءت إلى القاهرة حكومة وشعبا ..

لقد ظنت هذه الأقلام الخئون أن مصر في ورطة وأنها في حاجة لمبرر كي تتنصل من مسئوليتها الدينية والقومية والوطنية فبادروا بتقديم هذا المبرر .. وادعوا زورا وباطلا أنهم يدافعون عن مصر وقيادتها .. ولم يكونوا يدافعون .. بل كانوا يهينون .. كانوا يدافعون عن الصهاينة والأمريكيين .. ورمونا بدائهم وانسلوا .. ليتركوا لنا عار أن مثلهم محسوبون علينا ..

***

تحية من مصر الحقيقية .. ومن العرب .. ومن المسلمين .. لقناتي الجزيرة وأبي ظبي الفضائيتين .. لنقلهما أحداث الانتفاضة إلى كل بيت .. فكشفتا العورات .. وعرتا السوءات .. ومسحتا عنا بعض عار الإعلام العربي ..

القدس ..
قتيل عروبتكم

هذا حديث ثقيل على قلب كاتبه وقارئه وعلى قلوب أولي الأمر ..

حديث لم يدعني إليه أحد .. فلا رأيي ولا رأي أي كاتب في أمتنا العربية مطلوب .. إلا إذا كان هذا الكاتب .. من كتبة السلطة السريين – كالشرطة السرية – .. لا دور له إلا أن يمتدح ويبرر .. فإذا ارتفع عند السلطة مقامه .. سمحوا له بأن يكون صماما ينفس عن بعض غضب الناس وإحباطهم .. بإبداء قدر من المعارضة أو الانتقاد ..

***

فكرت والقلب ينزف أن أتناول الموضوع ساخرا .. باحثا عن حلول أزعم أنها عبقرية .. أعرضها على القوم .. كل القوم .. موجها حديثي إلى سادتي في الولايات المتحدة باعتبارها الوريث الشرعي لروما وبيزنطة وباريس ولندن .. والممثل الرسمي لكل قوى الاستعمار والصليبيين في التاريخ .. فكرت أن أفضي إليهم بحل عبقري .. لا لمشكلة القدس فقط .. بل لمشكلة هذا الجزء من العالم .. الذي بلغ من سأمهم واشمئزازهم منه أن اعتبروا أن العربي الوحيد الطيب .. هو العربي الميت (هذا القول .. ينطبق بالطبع أكثر ما ينطبق .. على الكتاب .. !!) ..

نعم فالحل العبقري الذي أقدمه يحل المشكلة من جذورها .. مشكلة العرب وعالمهم الغريب الذي جرؤ لألف عام .. لا أن ينافسهم فقط .. بل أن ينتزع منهم قصب السبق .. ليكون أعظم قوة في العالم وأنبل حضارة .. هذا الحل العبقري الساخر .. لا يأتي من فراغ .. بل هو مستمد من فكر الإرهابيين العرب .. الذين طالما واجهوكم وواجهوا الإسرائيليين بأن يعودوا من حيث أتوا .. الحل إذن عند العرب غير الطيبين– لأنهم غير موتى– هو تفريغ فلسطين من اليهود .. فلماذا لا نرد الصاع إليهم .. بأن نفرغ الدول العربية من العرب .. ذلك هو الحل العبقري الذي يقضى بأن تعلن الولايات المتحدة عن فتح باب الهجرة للعرب .. وتصورت أن ٩٠٪ من شباب العالم العربي سيذهب .. لتبدأ رحلة جديدة للعبيد .. كانت في سالف الزمان إجبارا .. لكنها ستتم الآن اختيارا وبين الإجبار والاختيار نزف الدم نزف الوعي نزف الدين .. فكرت أن أتصل بالسفير الأمريكي .. أقول له: لن يعجزكم أمر مائة مليون شاب عربي .. أو حتى مائتين .. خذوهم .. لن يحتاجوا منكم أي مجهود .. فقد تمت بالفعل غوايتهم .. أغوتهم أجهزة إعلام بلادهم .. و .. و .. و .. لديكم

أعظم خبرات الدنيا في الإبادة أو التهجين .. تولوا أمرهم كما توليتم أمر الهنود الحمر .. لو فعلتم ذلك .. وفي غضون أعوام قليلة .. ستخلو الدول العربية من معظم أبنائها .. ولن يبقى سوى العرب الطيبين- أي الذين ماتوا- .. وبهذا لن يكون لدى إسرائيل أي مشكلة .. ليس في الاحتفاظ بالقدس فقط .. بل في أن تنفذ مشروعها الكبير: من النيل إلى الفرات.

فكرت في حلول أخرى هزلية .. منها أن نسمى أي بلد في فلسطين أو الأردن أو لبنان أو سوريا أو مصر: القدس .. وتنتهى المشكلة .. فكرت في هذا الحل الهزلى الساخر لكنني اكتشفت أن بعض سادتنا قد سبقونا إليه .. بل ويعاملونه بمنتهى الجدية ..

فكرت أيضا في أن تتكفل العبقرية التكنولوجية الأمريكية باستنساخ المسجد الأقصى بحيث يكون في كل بلد إسلامي مسجده الأقصى فترتاح إسرائيل إلى الأبد من التلوث البيئي بالعرب والمسلمين ..

فكرت في ذلك .. وفي غيره .. لكن السخرية انقلبت عليّ .. حين وجدت قلبي ينزف ..

***

فكرت أن أواجه ولاة أمورنا بطريقة « الساذج» وهو بطل رواية شديدة العذوبة .. إن لم تخني الذاكرة لفولتير .. وهى تتحدث عن شخص شبه متوحش يجدونه في جزيرة فيأخذونه إلى بلادهم .. فيكشف لهم يوما بعد يوم زيفهم .. زيف السياسة والكنيسة والنخبة والشعارات والأخلاق .. فكرت أن أواجه ولاة أمورنا بطريقة الساذج .. فأذكرهم بما كان .. وأن ما يتهموننا به الآن هو بعينه ما صبوه في وجداننا .. وأننا ندافع عن مواقفهم هم منذ عشرين أو ثلاثين عاما .. إنهم هم الذين تغيروا وليس نحن .. وأننا حين فرطنا كشعوب في حقوقنا يوما بعد يوم .. فقد كان ذلك من أجل قضيتنا الكبرى .. قضية فلسطين .. وأنهم لم يتقبلوا منا مشاركة ولو بالرأي في أي يوم .. صرخوا فينا دائما أن لا صوت يعلو على صوت المعركة .. فحرصنا على ألا يسمعوا وجيب قلوبنا .. .. قادوا سفننا وتولوا حكمنا: اربطوا الأحزمة على البطون فالأوطان في خطر .. ورحبنا .. لا حديث عن الحرية فالعرب مستهدفون .. ورحبنا .. سنلبي لكم كل ما تريدون ولكن بعد النصر .. فما استعجلنا .. دعونا نعمل في

صمت .. فما تململنا .. ثم فجأة قادونا كالخراف إلى كامب ديفيد الأولى وكالنعاج إلى مدريد وكالسائمة إلى أوسلو وكامب ديفيد الثانية ..

وعاد صوتهم: لا تقلقوا .. سنأتي لكم بالسلام العادل ..

فيم كان إذن كل القهر والذل الذي عانيناه ونحن نسير خلفكم مغمضي العيون موصدي الآذان نمني نفوسنا بحلاوة النصر حين يجيء ..

وفيم إذن كان كل القهر والذل والبطش والجبروت أن صدقناكم فانتظرنا سلاما عادلا مع أن للسلام العادل عندنا معنى واحد ..

ضيعتمونا .. ليست القدس هي التي تضيع بل تضيع بعد أن ضاع الكل ..

يا إلهي .. منذ متى ونحن ننخدع .. خديعة مزدوجة .. أنتم تنخدعون بوعود الغرب ونحن ننخدع بحديثكم ..

بل إنكم في حديثكم مع الخليفة كلينتون .. لم تقولوا له أنكم مصرون على استعادة القدس لأن ذلك هو الدين والحق والعدل .. بل قلتم له أنكم تخافون بطش شعوبكم ..

وكأنكم معهم علينا ..

وكأنه لا مانع عندكم بأن تسلموا لهم بما يريدون لولا شعوبكم ..

أفدح من ذلك وأنكى ما سربه إبراهيم نافع في الأهرام من أن هناك البعض منا قد وعدوا أمريكا بما يرضيها في مسألة القدس ..

***

يا إلهي .. إنها هزيمة شاملة كاملة ..

والأمر يعود حتى إلى ما قبل إسرائيل .. كنا نطيعكم وكنتم تطيعوهم ..

– الإسلام ليس مبررا للاحتلال التركي .. الدين لا يقيم دولة وتركيا دولة احتلال فاستقلوا .. سننشئ دولتنا العربية الكبرى وتكون الخلافة فينا ..

أطعناكم .. ضاعت الخلافة .. وضاعت الدولة الإسلامية .. ولم تولد الدولة العربية ..

– لا .. سنبحث عن حل آخر .. القومية العربية ..

- لا بأس .. وأطعناكم ..

لكن القومية أصيبت بالشلل في سيناء سنة ٦٧ .. ثم عشنا معها بعد ذلك نتجرع علقم العجز حتى وافتها المنية فدفنت في الخليج عام ٩١ ..

- أي قومية تلك التي تتحدثون عنها ؟ القومية تخلف .. ثم ما الذي يربط المصري ذا الحضارة الموغلة في التاريخ أكثر من سبعة آلاف عام ببدوي جاهل؟ .. وما الذي يربط الشامي بالمغربي ؟.

لكن الصوت في الطرف الآخر كان يقول:

- أي قومية .. ما علاقة العرب بالفراعنة .. ؟ .. إن المصريين كالسوريين كالعراقيين كالأتراك يريدون احتلال بلادكم .. شحاذون طامعون في ثرواتكم .. دعوا القومية إلى القطرية .. مصر أولا ومصر أخيرا .. مصر قبل الجميع .. سوريا قبل الجميع .. العراق قبل الجميع الحجاز قبل الجميع .. الكويت قبل الجميع .. الخليج قبل الجميع ..

تبلبلنا .. لكننا أطعناكم .. فلما اندفعنا إلى القطرية بدأ أسر الأقطار وحصارها .. فما من قطر غير مرتهن وغير مهدد .. اكتملت الدائرة لنعود من حيث بدأنا .. فإذا بهم يثيرون الفتن الطائفية لتبرز دعاوى تقسيم الأقطار على أساس ديني .. السودان مهدد والعراق مهدم ومصر مهددة والمغرب مهدد ولإسرائيل مطالب دينية في المدينة المنورة .. التقسيم على أساس ديني .. الأساس الذي حرضونا على الدولة الإسلامية من أجله!! ..

***

في لقاء مع السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية السابق في مصر، كنت أقول له:

لقد حكمتم على أنفسكم بالهزيمة من اللحظة الأولى .. لأنكم أغفلتم ألفا وخمسمائة عام من الصراع لم تتوقف فيها الحروب الصليبية يوما واحدا .. اعتبرتم إسرائيل هي العدو الاستراتيجي لمصر .. وكان ذلك خطأ قاتلا .. نعم .. أنا معك .. لو أن إسرائيل هي العدو لكفتنا مصر أو حتى سوريا أمرها .. لكن الأمر لم يكن كذلك .. كان أكبر بكثير .. كان صراعا بين حضارتين .. وهو صراع سيظل ناشبا حتى يوم القيامة .. ولمثل هذا الصراع أدوات وآليات وقوانين أخرى .. منها أن

نقاتلهم كافة كما يقاتلوننا كافة .. ومنها أن نكثف كل جهودنا لتوحيد العالم الإسلامي .. و .. و .. و ..

لم تضعوا كل ذلك في حسبانكم .. كنتم كمن يحسب أنه يصطاد ثعلبا أو ذئبا فأعد عدته فإذا به يفاجأ أنه يواجه سربا هائلا من النمور والضباع .. لذلك كان حتما أن تنهزموا ..

***

لكن .. ليس لديّ الكثير لأقوله عن القدس هذه المرة ..

..

إن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس ..

فليفاوضه ..

لكن الأمة لن تسبغ شرعيتها على أي اتفاق .. حتى لو حدث المستحيل وعادت القدس الشرقية كلها .. (وذلك لن يحدث) .. فماذا عن الغربية .. وماذا عن فلسطين كلها .. الوديعة التي استودعناها عمرُ بنُ الخطاب فأضعناها .. وماذا عن العراق .. وماذا عن السودان .. وماذا عن ثارات ألف عام؟!.

***

رحت كعادتي حين يثقل الألم قلبي أترنم بقصيدة مظفر النواب: « القدس عروس عروبتكم» .. لكنني غيرت كلمة .. فرحت أترنم:

القدس قتيل عروبتكم .. !!

كنيّس الشيطان ..
وأبناؤه .....

نعم .. كنّيس الشيطان وأبناؤه .. وليس هذا رأينا – نحن المتطرفين الإرهابيين!!– فيهم .. بل هو متخذ من أقوال المسيح عليه السلام عنهم .

فإذا أضفنا لهذا الرأي رأيا آخر لواحد منهم – ليس متطرفا ولا إرهابيا مثلنا – لاكتملت الصورة .. وذلك هو الصحفي البريطاني الشهير روبرت فيسك .. والذي كتب في مقال له أنه لو كان أفغانيا لقتل كل غربي يتاح له قتله .. !! ..

ما أريد أن أصل إليه أن الحضارة الغربية التي تقودها أمريكا ليست حضارة مسيحية وأن الصليب الذي يرفعونه ليس رمزا للسيد المسيح .. وأنها حضارة شيطانية لا تخضع مبادئها ولا ممارساتها للدين، أو لدين!! لا في مبادئها الأولى التي أنزلت علي النبي عيسى ابن مريم عليه السلام، ولا حتى في المسيحية اليهودية السائدة في بلادهم الآن، وهذا واضح، إلا أنني في هذا المقال أريد أن أثبت أن ممارساتهم تلك لا تخضع للعقل أيضا .. ولا حتى للعقل بمفهومه الغربي .. فإن كانت ليست مسيحية ولا هي عقلانية فلن يبقى أمامنا سوى احتمال واحد وهو أنها حضارة شيطانية ..

نعم .. العقل لا يبرر ممارساتهم .. من السرقة إلى الكذب إلى التزوير في كل شيء حتى في ديموقراطيتهم المدعاة والتي يصنعون فيها أغلبية مزورة باتباع ما سماه والتر ليبمان الصحفي المرموق والمحلل السياسي الشهير بـــ «تدبير الموافقة» أو ما يسميه «نعوم تشومسكى»: «صناعة الإجماع » .. وكلاهما أمريكي ..

***

في العقود الماضية، كنت كثيرا ما أندهش لحماقات أجهزة الأمن في العالم العربي والإسلامي، كنت أندهش لقدر الغباء الذي تتسم به أكاذيبها وتلفيقاتها وتقاريرها، وكنت أندهش لمدي قصر النظر الذي جعل منها الدب الأحمق الذي يخرب وطنه ..

الآن، بعد ما حدث في ١١ سبتمبر والطريقة التي تصرفت بها رائدة الحضارة وراعية حقوق الإنسان إزاءها، أستطيع – وتستطيعون معي – أن نفهم – لا أن نقبل – كل ما مارسته تلك الأجهزة من كذب وتزوير وتلفيق للقضايا .. نستطيع أن نفهمه من خلال واقع مر .. ذلك أن معظم الكوادر العليا في هذه الأجهزة قد تلقت تدريباتها العملية في الولايات المتحدة الأمريكية .. عند الـ CIA والـ FBI، ومنهم تعلموا الكذب والتزوير بالصورة الفادحة الفاضحة الفجة الغليظة التي رأيناها أخيرا .. فكيف نعجب إذن إذا كانوا يمارسون ما تعلموه؟ ذلك أن طريقة تعامل القوة

العظمي مع الأحداث كانت لا تختلف عما يمارس في أي وحدة جاهلة غشوم للأمن السياسي في العالم الإسلامي ..

التزوير والتلفيق والادعاء المجرم .. وحتي المحاكم العسكرية ..

***

في ظل ما يحدث أيضا انكشفت كما لم تنكشف أبدا خيانات أولي الأمر في بلادنا .. لأنه إن جاز للأمة أن تخدع في مرامي الغرب ومقاصده معذورة بالجهل فإن ولاة الأمر لا يعذرون بجهل بل يدانون لعلمهم بما جهلته الأمة وبتواطؤهم مع أبناء الشيطان وعبدته ضد الأمة ودينها.

كنا ندهش لذلك عندما افتضح، لكننا وجدنا التفسير .. فكما أن كوادر أجهزة الأمن تتلقي تدريباتها في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن كوادر الساسة تفعل ذات الشيء.

ولقد بدا كما لم يبد أبدا من قبل كيف مرق هؤلاء وأولئك من الإسلام وهم يوالون أعداء الله علي المسلمين .. فموقفهم بحكم الإسلام ردة وبحكم القانون خيانة عظمي ..

ولم تكن الردة والخيانة كل ما ظهر ..

فقد بدت خسة ولاة الأمر متوازية ومتواكبة مع خسة أمريكا كما لم تبد أبدا ..

بدت في موقفهم من المجاهدين العرب في أفغانستان .. في موقف أمريكا .. وفي موقف حكامنا ..

بدت للدرجة التي سارع فيه الأوروبيون لاقتراح أن يحاكموا في أوروبا .. لأنهم لو سلموا إلى أمريكا فسوف تحيلهم إلى محاكم عسكرية وقد تقتلهم وإذا أحيلوا إلى بلادهم العربية فسوف يقتلهم حكامهم ..

لكم كان ذلك كاشفا ومخزيا ومهينا ..

بدت في الموقف من بنات الدكتور أيمن الظواهري الأربع بعد أن ماتت أمهن وشقيقهن محمد ..

في ظل ادعاءات حماية حقوق الإنسان والتقدم والحضارة والإنسانية كان موقف أمريكا وحشيا وبشعا فقد رفضت حتى الأسر وأصرت علي قتل الرجال وتسليط أذنابهم من خونة التحالف لاغتصاب النساء ..

وفي ظل الانتماء العربي كان صمت حكام العرب مخزيا ومهينا ..

في مقال لي منذ فترة كنت أضرب المثل علي بشاعة موقف ولاة أمورنا فشبهتهم بالأب الديوث الذي تغتصب بناته أمامه فينكر أنهن بناته خوفا من المغتصبين متظاهرا بالمشاركة في الحفل الداعر ..

كان التشبيه مروعا .. للدرجة التي جعلتني أتردد مرات قبل كتابته .. وكنت أخشي من خيالي الجموح وكنت أخشي من أن أظلم ..

لكن أياما لم تمر .. حتي كانت سيدتان مسلمتان مصريتان من زوجات المجاهدين يلقي القبض عليهما في أفغانستان فتغتصبان وتعذبان وتحرقان ويدعي الكفرة الفجرة أنهما قتلا نفسيهما حرقا ..

ولم يتحرك أي أب ديوث .. ولم يحتج ولم يعترض ولم يندد ولم ينطق ..

فمن فعلوا ذلك أعضاء في التحالف الشمالي .. أنداده وأقرانه ..

ولم تتحرك في أربعة أركان المعمورة من منظمات تحرير المرأة أو حقوق الإنسان منظمة.

إذ يبدو أن الأولي لا تدافع عن الحرية المطلقة ولا عن الحرية كما نفهمها .. بل فقط عن حريتها الجنسية فقط .. فهي منظمات تعهري المرأة لا تحرير المرأة .. أما الثانية فليست سوى منظمات حقوق الإنسان الأبيض المسيحي أو اليهودي ..

***

مع الأحداث راحت أقنعة الغرب العفنة تتساقط قناعا خلف قناع ..

سقط – علي سبيل المثال – زيف الديموقراطية في العالم الغربي وعلي رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ..

***

ولقد اكتشفت الأمة فيما اكتشفت – ويا للمفاجأة – أن ما ينطبق علي ممارسات رجال الأمن من تلفيق وكذب وتزوير ينطبق أيضا علي الديموقراطية.

فبعض حكامنا، المتخلفون، الهمج الهامج، يسوقون شعوبهم بالهراوات والسياط والرصاص وتزوير الانتخابات والاستفتاءات .. يزورون بصورة مباشرة ..

كنا نرى ذلك منكرا .. وكان بعضنا ينظر إلى الغرب في حسد ..

الآن نكتشف أن نفس الشيء في جوهره يحدث في الغرب وإن تغير شكله ..

نعم .. في الغرب يتم نفس الشيء .. لكن بطريقة غير مباشرة .. بطريقة أكثر خبثا وذكاء ودهاء .. بصناعة الإجماع وتدبير الموافقة .. إنهم لا يسوقون الناس إلى صناديق الانتخاب .. ولا يمنعونهم عنها بالهراوات والساقطات .. لكنهم صنعوا الآلية لتشكيل وعي الناس وصياغة وجدانهم .. لتضليل «الرأي العام » حيث تطورت تقنيات الإعلام، و«التيك أواي» الثقافي، لغزو العالم أو تحطيم ثقافاته .. فآلة الإعلام الجبارة التي في أيديهم تجعلهم قادرين على إخفاء ما يشاؤون من الحقائق وعلى إبراز ما يشاؤون منها .. ويذهب الناس إلى صناديق الانتخاب فيدلون فيها برأيهم سابق التصنيع .. وتصبح الأغلبية المزورة – كما يحدث في بلادنا – ولكن بطريقة أخري معبرة عن الديموقراطية .. بينما الكذب يسربل كل شيء .. ومرة أخري فإن الناس تمارس ما تعلمته وما علمته ..

يقول رجاء جارودي في كتابه: أمريكا طليعة الانحطاط:

لقد كانت الديموقراطية دائما ستارا للأقلية، من ملاك العبيد حتى أساطين المال، وما كان يسمى «بديموقراطية أثينا» في وقت بيركليس، والتي كان يضرب بها المثل كأم الديموقراطيات، لم تكن في الحقيقة سوى سيادة عشرين ألف مواطن حر على مائة ألف عبد محروم من أي حق. إننا أمام حكم الأقلية المستعبدة، ويسمى «ديموقراطية». إنها ديموقراطية السادة، وليست للآخرين.

و يستطرد جارودى: إعلان استقلال الولايات المتحدة ينص على المساواة في الحقوق بين المواطنين جميعا. وعقب هذا الإعلان الحاسم، تم الحفاظ على العبودية – بالقانون – لمدة زادت على قرن، وما زالت التفرقة العنصرية ضد السود باقية حتى الآن. الديموقراطية للبيض، وليست للسود ولا للهنود. يؤكد إعلان حقوق الإنسان والمواطن، إبان الثورة الفرنسية بجلال: «كل الناس يولدون أحرارا ليتساووا في الحقوق». ولكن الدستور الذي يضع هذا الإعلان في مقدمته، يستبعد ثلاثة أرباع الفرنسيين من حق التصويت، لأن الدستور يعتبر الفقير مواطنا « سلبيا». إنها ديموقراطية للأغنياء وليست للفقراء. ونفس الشيء بالنسبة «لحقوق الإنسان »، فقد نص «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان » الخاص بالأمم المتحدة على الحقوق ذاتها في

عام ١٩٤٨. ولكن كل ذلك عبارة عن تجريدات تتناقض بفظاعة مع الحقيقة. سقطت ادعاءات حقوق الإنسان أيضا .. فهؤلاء الذين يتخذون نموذج النمو «الليبرالي» يفرضون على بقية العالم كل يومين من الضحايا ما يوازي عدد قتلى هيروشيما.

ثم يكتشف جارودى تهاوي منطق الحضارة الغربية التي يدعي منظروها أنها معلمة البشرية فأساتذة الأخلاق هؤلاء - على غرابتهم - يعطون للعالم مثال الأصولية الأشد تطرفا، لأن الأصولية هي ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة واحتكار الحق، بل والواجب في فرضها على الآخرين. إن النموذج الأمثل للأصولية هو الاستعمار الذي كانت حجتاه الأيديولوجيتان نشر وإرساء «الإنجيلية» ليفرض على العالم مفهومه الخاص عن الدين، وليقوم العسكريون والتجار بالباقي، أي بالمجازر والاستغلال. وعندما يتراجع الدين، يتقدم نفس المنفذين ليفرضوا على العالم «حداثتهم ». لقد كانت الأصولية المنحرفة للغرب هي الأساس .. ولقد تولدت الأصوليات الأخرى احتجاجا على الأصولية الأساسية للغرب وشركائه.

ولم يكن توحد الاستعمار تحت قيادة الولايات المتحدة، في «النظام العالمي الجديد» إلا استمرارا للفوضى الاستعمارية القديمة بصورة جديدة ! باسم «الليبرالية الاقتصادية الشاملة» لتجعل الهيمنة على العالم من الآن فصاعدا بوسائل اقتصادية (دون استبعاد التدمير العسكري). وبعد القضاء على «التفرقة العنصرية» في جنوب إفريقيا والتي كانت الصهيونية الإسرائيلية أفضل حلفائها، أصبحت تلك الصهيونية الإسرائيلية هي الممثل الأخير للاستعمار التقليدي (الكلاسيكي) ، أي الاستعمار العنصري.

***

حاول الغرب أن يدمر المعايير القديمة لأن لها مرجعيتها المستقلة التي يمكن أن تحكم له أو عليه. وحاول أن يرسي دعائم مسوخ من المرجعيات المشوهة تنبثق من داخله هو .. فالمرجعية تابعة لما يفعله وليس ما يفعله هو التابع للمرجعية.

وعندما يتم كل ذلك في إطار إلغاء المرجعيات القديمة .. وخلق معايير جديدة .. وإقناع الناس مقدما أن هذه المعايير الجديدة نسبية وليست مطلقة .. وأنها قابلة للتغيير .. بل لابد أن تتغير .. تماما كما تتغير أنماط الأزياء وطرز السيارات .. وفي وسط هذه الفوضى الشاملة في عالم المعايير والقيم .. تصبح المعايير المزدوجة هي الأمر الطبيعي

وما سواها باطل .. ويصبح الشذوذ الجنسي مباحا وتحريم الجنس قبل الزواج جريمة .. ويصبح موت طائر تتهم به العراق زورًا مبررا لموت مليوني عراقي .. أما موت ملايين البشر من غير البيض الحداثيين فلا قيمة له .. في إطار هذه الفوضى الشاملة .. يتخلى الإنسان عن عرشه ويصبح حيوانا من الحيوانات .. والحق عنده ليس إلا القوة والسعادة ليست سوى اللذة .. ويصبح الاهتمام كله كيف يكون جلد وجهك أكثر طراوة وأشد نضارة .. وكيف يكون الخصر أصغر والصدر أكبر .. أما الضمير والروح فلا وجود لهما .. فهما من بقايا الخرافات والأساطير ..

بداهة يا ناس أن تكون هناك مرجعية مطلقة نقيس عليها الأشياء .. أنت لا تستطيع أن تقول أن المسافة بينك وبين جارك مائة وتسكت .. إذ لابد أن تكون هناك وحدة قياس ثابتة – ولا تتعلق بك ولا بجارك - يتفق عليها الجميع .. لابد أن تقول أن المسافة مائة متر أو ياردة أو ذراع أو باع أو قدم .. أو .. أو .. أو .. فذلك هو الذي يرسم الحدود بين الناس .. ولا يجعل المعيار مزدوجا .. لكل واحد وحدة القياس النابعة من مصالحه وهواه .. ولما كانت المصالح والهوى متغيرات فإن مجمل النتيجة التي تدفع إليها الحضارة الأمريكية العالم هو تحويله إلى غابة بلا قانون ..

نعم .. لا قانون ولا منطق ولا ثوابت .. في القرن الثامن عشر والتاسع عشر تحالف الأمريكيون البيض مع الأسبان البيض لإبادة الهنود الحمر .. كانت تلك هي مصلحة الطرفين في زمان ما .. فلما تغير الزمان انقلب التحالف إلى صراع .. فعندما نجح التحالف الشيطاني في إبادة الهنود الحمر انقلب الأمريكيون علي الأسبان فأبادوهم أو طردوهم .. وفي كل من الحالين كانت أجهزة الإعلام تشحن الناس وتزور وعيهم .. فيذهبون إلى صناديق الانتخاب فيدلون بأصواتهم .. فيصوتون في المجالس النيابية فتصبح قوانين القتل والإبادة والاغتصاب هي الشرع الذي يعلو حتي علي ما لديهم من إنجيل وتوراة .. وكان هذا طبيعيا بالنسبة لفكر منحرف يحمل داخل طياته أسوأ ما في الوجود من صفات .. كما يحمل أيضا داخل فكرته نفسها بذور فنائها وفنائه .. فعلي افتراض نجاحهم في تحويل الإنسان إلى حيوان والدنيا إلى غابة .. فسوف يظل الأقوى يقتل الأضعف حتي لا يبقى في الدنيا سوى فرد وحيد يعتلي جبلا من الجماجم. لقد كان في تبني الغرب للنظرية المضحكة لداروين أحد السبل إلى فكره المنحرف ذلك .. إذ أنه يأمل أن يصل – بنهاية التاريخ المزعومة – إلى توازن كتوازن الحيوانات في الغابة .. وكان يمكن لذلك أن يتم لولا أن الإنسان ليس

حيوانا .. !! ..

الحضارة الغربية لا تحمل في طياتها الكفر بالله وبالمطلق فقط .. بل إنها تحمل أيضا الكفر بالعقل الذي ادعت أنها تعلي من شأنه. ذلك أن هذا العقل العملي (البراجماتي) الذرائعي الذي تدعيه ليس عقلا .. إنهم يدعون أنه هو الوسيلة الوحيدة لتسيير حياة الإنسان ما بين حياته وموته .. ولنصطبر قليلا علي زيف هذا الادعاء .. ولنتساءل: ألا يحتاج ما قبل الميلاد وما بعد الموت لتفسير وتفكير وتدبير؟! .. هل الإنسان آلة لها تاريخ صنع وتاريخ انتهاء وذلك كل شيء؟! .. والحديث هنا طويل لكن المجال الآن ليس مجاله .. فلنعد إلى ما اصطبرنا عليه .. إلى التساؤل: هل يصلح العقل البراجماتي النفعي لتسيير حياة الإنسان بين مولده وموته؟ .. ماذا إذن عن الأحلام .. كيف يفسر العقل الذرائعي النفعي أن يرى الإنسان في أحلامه وعيناه مغلقتان؟ .. وكيف يسمع وأذناه نائمتان .. وكيف ينتقل من أدني الأرض إلى أقصاها وساقاه ثابتتان؟ .. ليس لدى العقل الغربي من تفسير لذلك سوى هلاوس فرويد .. ولنترك ذلك أيضا .. ولنناقش السؤال من زاوية أخرى .. سوف نتغاضى عن أن الإنسان يولد (وليس ذلك من العقل في شيء) .. وسوف نتغاضى عن أنه يموت (وليس ذلك من العقل في شيء) .. وسوف نتغاضى عن أنه يحلم (وليس ذلك من العقل في شيء) .. سوف نتغاضى عن كل ذلك ونواصل السؤال عن الإنسان المستيقظ الذي لا يولد ولا يحلم ولا ينام ولا يموت .. هل من العقل أن يغفل هذا الإنسان التفكير في ذاته؟ في غايته من الحياة .. في الطعام الذي يأكله والماء الذي يشربه والهواء الذي يتنفسه .. ؟ .. في الأرض التي يعيش عليها والتي لولاها ما عاش؟؟ .. في الشمس والقمر؟؟ .. في الكون كله؟؟ .. !! .. هل العقل أن نحصر الإنسان في الوسائل وأن نحرّم عليه الغايات؟ .. هل العقل ألا تكون في حياة الإنسان قيمة إلا لما يمكن تقييمه بالدولار أو مكاييل الذهب. إن أكثر الماديين غلواء لا يستطيع إنكار أن الإنسان روح وجسد .. وأن الروح حين تغادر الجسد لا يبقى منه إلا جيفة نتنة .. ولقد ركزت الحضارة الشيطانية علي ما يحتاجه الجسد (ودعنا الآن من أنها توفر ما يحتاجه أجساد بنيها على حساب ما تحتاجه أجساد الآخرين) .. وأهملت تماما ما تحتاجه الروح .. بينما الروح – كالجسد- إن لم تُغَذّ تموت .. !!

تخيلوا يا قراء أن العقل الغربي يلغي كل ذلك ثم تكون لديهم من الصفاقة ما يبيح لهم الادعاء أنهم يعلون شأن العقل .. !! ..

سقط النموذج الذي يقدمونه للعقل كما سقط النموذج الذي يقدمونه للأمن وللديموقراطية. وهاهي ذي حقوق الإنسان أيضا تسفر عن عنصرية همجية وحشية مسعورة .. كما أن شعار المساواة يسفر عن عكسه تماما .. وإذا بهذه الحضارة المتقدمة على مستوى التقانات (التكنولوجيا) والمنحطة علي مستوى الروح تتصرف كحيوانات الغابة .. بل أضل سبيلا ..

والحكاية طويلة ومريرة .. حاول الغرب طيلة الوقت تزويرها وإخفائها .. لكنه يكرر نفس الأخطاء والجرائم خطأ بعد خطأ وجريمة بعد جريمة .. لذلك فإننا نستطيع رغم الكذب والتزوير والتشويه والتحريف أن نقرأ تاريخ الماضي فيما يحدث الآن ..

فالغرب لم يتب عن جرائمه .. وهو يواصل عبادة الشيطان بهمة لا تعرف الكلل وبثأر لا يعرف الارتواء .. إن أمريكا التي قتلت الملايين لم تنس ثأر ١٨ أمريكيا قتلوا في الصومال .. قتلوا لأنهم اعتدوا وقتلوا مئات الصوماليين .. ونفس ما حدث مع العراق وأفغانستان يحدث مع أي بلد في العالم يجرؤ علي الاعتراض .. ونفس المنهج الشيطاني الذي فضل القتل علي الأسر يفضل أن يسحق عدوه ويدمره عن أن يقبل استسلامه أو انسحابه. لقد انسحبت العراق من الكويت منذ عشرة أعوام ومع ذلك لم يتوقف القصف والتدمير.

الخطأ الأمريكي القاتل أنه كشف عورة الحضارة الغربية القبيحة وبيّن كم هي هشة وخسيسة .. وهي لم تعاملنا بكل هذا الصلف والازدراء إلا لأننا نكصنا عن الجهاد في سبيل الله وأن تكون مرجعيتنا هي الإسلام لا الأمم المتحدة .. وهي الحلال والحرام وليس المصلحة ..

ولو لمس الغرب الصليبي من عالمنا الإسلامي استعدادا حقيقيا للمقاومة والحرب الحقيقية لتبدل الصلف إلى تزلف والازدراء إلى نفاق .. ولتسترجعوا ما حدث بعد حرب رمضان ١٣٩٣ هـ - أكتوبر ١٩٧٣.

والحقيقة أن الغرب ليس أمامه مجال للاختيار .. فنفس الحتمية التي تحتم علينا جهاده تحتم عليه أن يحاربنا .. ففي العقيدة الإسلامية .. العقيدة الإسلامية فقط .. نفي لكل مقولات الغرب الحضارية .. نفي كامل لأسس حضارة تحاول أن تحول الإنسان إلى حيوان والعالم إلى غابة ..

نعم ..

العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية كالعلاقة بين النور والظلام .. لا يمكن لهما أن يتواجدا معا .. ولابد لأحدهما من الغلبة علي الآخر .. وصراع الحضارات قائم وكل من ينكره إما ساذج وإما متواطئ. إلا أن غلبة الإسلام تحمل معها حضارته التي حافظت على الآخر دائما بل ودافعت عن عقيدته. أما الغرب .. فلا يعرف إلا التبعية الكاملة أو التدمير الكامل.

نحن لا ننكر مكان الغرب ولا مكانته ولا مساهمته .. لكن عليه أن يعود لحجمه الطبيعي، وليس أكثر منه.

إن غلبة النور علي الظلام تحكمها نواميس الله لذلك فهي لا تعني إلا كشف تزويره للحقائق وطمسه للأشياء ثم يدع الأحياء لاختياراتهم .. ولجهادهم الذي يتركز لا في الاستعمار ولا في الإبادة بل في أن يخلوا ما بين العباد وما بين الله ..

أما قضاء الظلام علي النور فلا يحكمها إلا المعايير المزدوجة للعقل النفعي البراجماتي .. لذلك فإنه لا يمكن أن يتم إلا باستئصال جذوة هذا النور وتجفيف منابعه .. فإن كانت قلوب المسلمين المؤمنين هي مكمن الجذوة ومنبع النور فلابد إذن للغرب من القضاء عليهم .. علي الأشياء والأحياء جميعا .. وهو برغم الخلل الصارخ في ميزان القوى لصالح الغرب أمر يستحيل علي الغرب إنجازه ..

لا تطيعونا يا أهل فلسطين ..

أعتذر إليك يا حبة القلب يا فلسطين .. أعتذر .. فأنا غير قادر على كتابة كلمة واحدة تشيد ببطولتك الفذة التي لم يشهد لها التاريخ كله مثيلا .. ما من شعب فعل ما فعله شعبك .. وما من أطفال في كل العالم عبر كل التاريخ فعلوا ما فعله أطفالك ..

نعم ..

منذ أسابيع طويلة أحاول .. لكنني في كل مرة أشعر أنني قزم مدنس أمام عملاق طهور .. وأن التحية والإشادة صلاة لا تجوز لمن تدنس ثوبه بالمبادرات وتصريحات ولاة الأمر وأفعالهم ولا بالسقوط في عار وخزي صمت الشعوب وعجزها ...

أعجز حتى عن التحية .. كما أعجز عن النصيحة .. فالنصيحة من مثلنا لمثلكم فضيحة ..

فلا تلقوا إلينا بالا ولا تطيعونا... فحكمتنا غباوة وبصيرتنا غشاوة .. ونبلنا خسة وشجاعتنا جبن وعقلنا خبث وخبثنا علينا – عليكم – لا على الأعداء ..

لا تطيعونا فأسوأ من فينا رؤوسنا .. من قادة وحكام ومفكرين وأحيانا شيوخ ..

لا تطيعونا فقد وليتم قلوبكم شطر المسجد الحرام وما يعنيه أما ولاة أمورنا فقد ولوا وجوههم وقلوبهم شطر الحرام وما يعنيه ..

لا تطيعونا فكل خبراتنا في الذل أما أنتم فخبراتكم في الكرامة والعزة ..

لا تطيعونا فخبراتكم في التضحية وخبراتنا في التدني والأثرة ..

لا تطيعونا فخبراتكم في الاقتحام والالتحام وخبراتنا في الانسحاب والانهزام ..

لا تنبهروا بفخامة قصورنا .. فوالذي نفسي بيده إن أصغر حجر في فلسطين أكبر من أكبر بنيان وأعلى من أعلى ناطحة وأطهر من أي قصر ..

لا تأخذكم عزة ولاة أمورنا الظاهرة فالباطن والله خواء ..

وإن أصغر طفل في فلسطين لأكبر من أكبر كبير فينا ..

وقطرة دم في فلسطين أغلى من كل آبارنا وأمواهنا ..

نعم .. كل تجاربنا في الهزائم – حتى أمام إريتريا- أما أنتم فستنتصرون إن شاء الله على أقوى وأشرس عدو في التاريخ يا شعبي الحبيب الذي لم يواجه أي شعب سواه في التاريخ مثل هذه الشراسة والوحشية والإجرام والهمجية والخسة .. كل ذلك فوق تخلي أهله عنه .. بل إنهم كانوا عليه لا له .. وضده لا معه .. وخنجرا في قلبه وليس في يده .. وبالرغم من ذلك كله فما من شعب في التاريخ أبدى بعضا من بطولاته ..

لا تطيعونا ..

ولا تنتظروا جيوشنا فهي مشغولة بحراسة الحكام منا والتدريب على ضربنا وضربكم لا على ضرب العدو ..

ولا تطيعونا فلم تعرف خطة من التي وضعها ولاة أمورنا سوى الفشل تلو الفشل .. وما من حاكم عبر التاريخ كان فشله تلو الفشل هو الضمان الوحيد لاستمرار حكمه إلا في بلادنا فما استخلفهم من استخلفهم إلا ليفشلوا ولو نجحوا مرة لحق عليهم عقابه ..

لا تطيعونا ..

ولا تستجيبوا لمبادراتنا ولا لمناوراتنا فلم تعدّ في بلادنا .. وهى ليست سوى شَرَكٍ لكم وهلاك .. وليست إلا دعما لعدو عجز عن قهركم بالدبابات والطائرات فيحاول أن يهزمكم بالمبادرات ..

نعم ..

كلما حاولت يا سادتي تحيتكم تراجعت تراجع المقبل على الصلاة حين يكتشف تدنس ثوبه ..

تدنس ثوبي حين قرأت ما نشر عن اتصالات مصرية بياسر عرفات كي يوقف (العنف!!) .. ونزفت شرفي كله عندما عرفت أن ياسر عرفات صاح في أسامة الباز:

- من أين تتحدث .. هل تتحدث من إسرائيل ..

ونزفت كرامتي كلها وأحد ولاة أمورنا يصرح أنه على الحياد بين الفلسطينيين وإسرائيل ..

نعم .. نزفت كرامتي ونخوتي ورجولتي وانكسرت نفسي وتدنست فعجزت عن الولوج إلى محرابكم الطهور كي أحييكم ..

نزفت وأحد ولاة أمورنا يعترف: علينا أن نتسول من أمريكا الحل .. قالها وهو يجلس على المليارات ولم يقلها أصغر طفل فيك يا فلسطين الحبيبة الصبورة الطاهرة .. قالها فنثر دنسه عليّ فتدنست .. قالها وبلده قاعدة فيها أكبر مخازن سلاح الأعداء .. السلاح الذي يضربكم ويضرب أشقاءنا وأشقاءكم في العراق وأفغانستان وفي كل العالم .. قالها وهو يقدر ألا يقولها ولم يقلها أصغر طفل في فلسطين رغم أن أشرس جبابرة التاريخ يقصفونكم بأقوى أسلحة التدمير كي يرغموكم على قولها ..

لا تطيعونا ولا تصدقونا فحن لا نقول الصدق أبدا ولم تزدوج لدينا المعايير بل انقلبت وكأنما نحن آلة قلبت أقطاب التيار إليها فانعكست كل حركاتها فالأمام خلف والخلف أمام واليمين يسار واليسار يمين.

نعم .. كل شيء مقلوب فاحترسوا .. وإذا جاءكم من يتحدث عن السلام فاعلموا أنه الاستسلام .. أو عن سماحة الإسلام فاعلموا أنه المروق من الإسلام .. أو عن الحرية فاعلموا أنها العبودية أو عن العقل فاعلموا أنه انعدام العقل أو عن الشجاعة فاعلموا أنه الجبن أو عن الأمانة فاعلموا أنها الخيانة أو عن الطهر فاعلموا أنه العهر.

نعم كل شيء مقلوب عندنا .. وما نحن إلا كالمستعربين عندكم ..

نحن الخطأ كله وأنتم الصواب كله فلا تنخدعوا بنا ..

قودوا بنا قاطرة النصر بإذن الله .. قاطرة لا تعرف مبادرات ولا مساومات ولا مناورات ..

قاطرة لا تعترف بما خطته الخيانة والخسة من خطوط على الخرائط وكل يوم يتراجع الخط حتى امحت الخريطة بين الخطوط ..

فليقد أصغر طفل فيكم قاطرة النصر بجنرالاتنا الذين أثقلتهم أوسمة كل وسام منها يشير إلى هزيمة أو خيانة.

قودوا قاطرة نصر لا تعرف خرائط أوسلو ولا كامب ديفيد .. بل خريطة نصر لا تعرف ولا ترضى إلا بأن فلسطين عربية مسلمة ..

كل فلسطين .. فخرائطنا المعتمدة تعود لآلاف الأعوام قبل الميلاد .. وخريطة عام ١٨ هجرية .. وقد التزم سيدنا عمر أمام العالم التزاما لابد أن نوفي به ..

فلسطين مسلمة ولا مكان فيها ليهود .. ولو بعد ألف عام ..

فلسطين عروس عروبتكم

رب اجعلها آخر غُمّة..

تجرعي أيتها الأمة الراكعة العاجزة الخانعة المستذلة ..

تجرعي .. تجرعي الألم والمهانة والمذلة والعار ..

تجرعي .. تجرعي عاقبة انصياعك لأنظمة أقوى ما فيها عاجز وأشرف من فيها خائب وأغلب من فيها خائن.

تجرعي عواقب عجزك عن المواجهة ..

تجرعي واخسئي ..

أما أنا ..

فإنني أرتجف من الغضب ..

ينوء كاهلي تحت وطأة العجز والعار ..

هذا خامس مقال أكتبه اليوم .. كلما كتبت مقالا مزقته .. فليس ثمة مقال يمكن أن يعبر عما يشتعل في جوانحي من غضب وخزي وحزن وعجز وعار ..

***

نعم اخسئي أيتها الأمة العاجزة الراكعة الخانعة المستذلة ..

أقولها بكل خزي وعار بعد أن قالتها بكل بطولة وفخار آيات الأخرس .. استشهادية صباح اليوم في القدس:

«اخسئي أيتها الجيوش العربية النائمة التي تنظر عبر شاشات التلفاز إلى فتيات فلسطين وهن يقتلن بينما الجيوش نائمة .. »

***

لم تطق الفتاة الأبية ابنة الستة عشر ربيعا كل تلك المذلة والهوان فانفجرت أما حكامنا وجيوشنا فإنها تنعم بوداعة الدجاج الأبيض والأرانب .. تذبح أمتها أمامها فلا تتحرك .. فقط تنتظر الذبح دون حتى إشارة اعتراض ..

فاخسىء أيتها الجيوش العربية ..

وليخسأ قادتك الأعلون والأدنون ..

وليخسأ كل من اشترى رصاصة لا توجه الآن لدعم فلسطين.

رصاصة .. رصاصة وليس ترسانات سلاح مكدّس تسد عين الشمس ..

لكنهم يا آيات .. يا طفلتي الحبيبة الشهيدة لم يستوردوها كقادة جيوش بل كسماسرة سلاح تنتهي مهمتهم بقبض العمولة عليها وبالوفاء بوعد وحيد قطعه الخونة على أنفسهم لسادتهم في واشنطن: ألا تستعمل هذه الأسلحة في دعم فلسطين.

***

آيات الأخرس بمقاييس العمر طفلة ..

في السادسة عشرة من عمرها ..

أدركت واجبها فقدمت روحها استشهادا ..

فليخسأ كل من لم يشعر بواجبه ..

فلتخسأ الأنظمة ..

فلتخسأ القمة .. فما كانت قمة بل كانت غمة ..

وليخسأ كل من يفرق بين أرض احتلت قبل ٦٧ وأرض احتلت بعدها ..

فلتخسأ الأمة العاجزة عن مواجهة حكامها وأعدائها ..

نعم ..

اخسئى أيتها الأمة النائمة المغيبة المكتفية بالنظر عبر شاشات التلفاز إلى فتيات فلسطين ..

***

اخسأ يا كل حاكم في العالم الإسلامي حارب الإسلام والمسلمين في بلاده فحرم الأمة من سلاحها الوحيد للنصر .. اخسأ ..

***

العجز المهين الذي أبداه حكامنا إزاء رد فعل شارون على مبادرتهم أكبر من أن تنطبق عليه صفة من الصفات التي يتداولها الناس وتحتوي عليها القواميس .. لا أستطيع أن أصف رد الفعل ذاك بأنه صفعة .. ولا بأنه ركلة .. ولا حتى بأنه اغتصاب .. فالأمر أكبر وأشنع وأفظع ..

لا شيء أفظع منه سوى إنني انتظرت يوم الجمعة الدامي كله كي أسمع بيانا من

حاكم .. أو حتى اتصالا بالرئيس عرفات يشد به أزره .. لكن الدجاج اعتصم بالقفص والأرانب لجأت إلى الجحور ..

حتى رؤساء العصابات ينحّون عن رئاسة عصاباتهم عندما يعجزون عن حماية أمنها .. لكن حكامنا لا يبرحون أبدا .. رغم أنهم عجزوا عن تحقيق الحد الأدنى من أمن الأمة ..

والله .. لولا الجرح النازف في القلب لما كففت عن الضحك من مناظرهم في مؤتمر القمة .. مؤتمر الغمة.... من غاب كمن حضر .. ومن حضر كمن غاب .. مئات ومئات .. ونياشين وأوسمة وكروش .. يختبئ كل منهم خلف الآخر .. يود لو ابتلعته الأرض حتى لا يضطر إلى التورط في قضية من قضايا الأمة... مئات ومئات ومئات .. ونياشين وأوسمة وكروش .. وفي الجانب الآخر شارون المجرم .. وهم يرتعدون يرتعدون يرتعدون .. ولا يكفون عن السجود لإلههم في البيت الأسود بفضائحه وظلمه ومخازيه ..

حتى هم .. أحسبهم قد اعتبروها غمة لا قمة .. وكم تعجل كل منهم كي يعود إلى مخادع جواريه وكؤوس خمره ونوادي قماره ..

هل يظن أحد أن هؤلاء الحكام يشعرون بأي خزي أوعار مما يحدث للرئيس عرفات في فلسطين؟ ..

لا .. وأقسم أن معظمهم يود أن تنهي أمريكا العملية بذبح عرفات حتى تنتهي القضية كي يفرغوا لمخازيهم ..

***

إنني مسلم سني وأفخر بذلك .. أقولها حتى لا تزايد عليّ كلاب الصيد المفترسة من كتّاب أمن الدولة ومثقفي أمن الدولة ..

مسلم سني .. لكنني أنظر بانبهار إلى تعامل الحكام الإيرانيين مع أمريكا .. وأتساءل لماذا عجز حكامنا أن يكونوا مثلهم .. وأتساءل لقد عجزوا عن الدفاع عن كرامة الأمة منذ زمان طويل .. هذا أمر مفروغ منه .. فلماذا عجزوا حتى عن الدفاع عن كرامتهم الشخصية؟

***

لماذا عجز أي منهم عن أن يواجه بوش بأنه مجرم ومجنون وأحمق وسيئ الأدب ووقح كما قال الإيرانيون ؟.

ولماذا عجزوا عن مواجهة ذلك «الباول» وهو يدين عرفات المحبوس في غرفتين تحاصره مائة وخمسون دبابة لكن هذا الباول يتهم عرفات بأنه هو الإرهابي ؟

هل رأيتم خسة أكثر من ذلك ؟

وهل توقعتم من حكامنا جبنا أكثر من ذلك؟ ..

أقسم .. لو أن هذا المأفون المجرم تصور أن مطعما أمريكيا سيصاب بسوء في أي بلد من بلاد عالمنا الإسلامي لما قاء ما قاء ..

لكن .. لماذا لا يقوله وشركة كنتاكي العالمية تفخر بأن فرعا من فروعها قد حقق أكبر رقم قياسي للدخل في يوم واحد .. وأنها قد تتقدم إلى موسوعة جينيس للأرقام القياسية كي تسجل هذا الرقم ..

كان هذا الفرع يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .. كان ... كان ... كان هو فرع مكة المكرمة ..

فلماذا لا يصفعوننا ويركلوننا ويغتصبوننا إذن؟! ..

***

اخسؤوا يامن اكتفيتم بمراقبة شاشات التلفاز على الفضائيات ..

اخسؤوا يا كل من ساهمتم في أن نصل إلى الحال الذي صرنا إليه ..

اخسؤوا يامن راهنتم على الحل الأمريكي ..

واخسئي يا أجهزة الأمن التي تكفلت بخصي أمتها .. اخسئي ..

اخسئي يا فروع الموساد والسي أي إيه ..

اخسؤوا يا جلادون يا خونة ..

***

فليخسأ الكفر ..

وليخسأ الكفرة ..

وليخسأ المنافقون ..

وليخسأ كتاب أمن الدولة ومثقفو أمن الدولة ..

***

فليخسا الباحثون عن السلامة مهما كان العار ..

فليخسأ كل خائن لله ولرسوله وللمؤمنين ..

فليخسأ كل من لا ينصر الله في فلسطين ..

فليخسأ النخاسون الذين باعوا الأمة لأعدائها ..

فليخسأ مدعو الحكمة ومطلقو المبادرات ..

فلتخسأ كلاب الصيد المدربة التي يسمونها كتابا وصحافيين فلا تكف عن تبرير ما هو حادث ..

ولتخسأ تلك القنوات الفضائية الداعرة التي استمرت اليوم في برامجها العادية رغم ما يحدث في فلسطين.

***

اخسؤوا ..

أما من علاقة تقطع؟ ..

أما من بترول يوقف ضخه؟ ..

أما من مقاطعة اقتصادية لأمريكا؟ ..

أما من قرار عربي بمنع استيراد السلاح منها؟ .. سلاح خائن لا ينصر إلا الباطل ولا يهزم إلا الأمة .. سلاح خائن يستورده خونة .. عميل يستورده عملاء ..

أما من جيش يتحرك؟ ..

أما من أمة تغير حاكمها العميل؟ ..

***

يا أيتها الغمة التي سموها قمة: هذا هو رد شارون على مبادرتكم .. وعلى سجودكم أمامه وأمام ربيبه بوش فماذا أنتم فاعلون؟!

يا أيتها الجيوش العربية: لماذا تتسلحين وتتدربين وأنت تتجنبين العمر كله الاستدراج إلى معركة: فمتى المعركة إذن؟! ..

وأنت أيتها الأمة الصامتة الخانعة الراكعة المستعبدة المستذلة .. بل أنتم يا أفراد الأمة فردا فردا .. متى تغضبون؟.. متى تتحركون؟ .. متى تحرق النيران المشتعلة في قلوبكم مصالح الكفر والعهر والفجر والجبروت في بلادنا؟ ..

فإن لم تفعلي فبوئي بخزي الدنيا والآخرة ..

***

متى تتوقف أقلام العهر عن التبرير والتضليل؟ ..

إن الفضيحة تنفجر .. تماما كما انفجرت مع السادات عندما كذب وقال أن وحي زيارة القدس قد نزل عليه في الطائرة وهو يحلق فوق جبال آرارات.. وثبت بعدها أن المؤامرة تعود إلى شهور أو سنين قابل فيها مستشاره حسن التهامي موشى ديان في المغرب ..

تنفجر الفضيحة مرة أخرى وتتسرب الأنباء أن المبادرة الأخيرة صناعة أمريكية وقد تم الاتفاق مع شركة خاصة لتسويقها بالطريقة التي أخرجت بها ..

***

أرتجف من الغضب ..

ينوء كاهلي تحت وطأة العجز والعار ..

أناشد الأمة أن تنهض ..

وحتى يحدث ذلك فلا أملك إلا تذكير الأمة بثوابتها:

- ليس أمامنا من سبيل إلا الجهاد تحت راية: لا إله إلا الله.

- أمريكا هي إسرائيل الكبرى وإسرائيل هي أمريكا الصغرى .. والمجرم بوش هو صنو للمجرم شارون .. وهما كيان واحد وهما العدو لا فرق بينهما .. والحرب بيننا وبين أمريكا .. وسننتصر بإذن الله .. وبوعده.

- لا مكان لإسرائيل بيننا .. ولو بعد ألف عام .. وليدرك كل إسرائيلي أنه مهما استوطن وأنتج وأنجب فإنما كل ذلك حصاد لنيران غضبنا ولو بعد ألف عام.

- إن حكامنا وحاشياتهم لا يقلون خطورة على الأمة من أمريكا وإسرائيل. وأن الجهاد ليس في فلسطين فقط .. بل في كل بلد عربي وإسلامي .. وأن شارون ليس في تل أبيب فقط .. بل في كل عاصمة عربية وإسلامية ..

- أنه لو – حرف امتناع لامتناع – لو كان حكامنا شرفاء وأبطالا فإن تجزئة العالم العربي والإسلامي لن تمكنهم أبدا من النصر .. فما بالكم إن كانوا جبناء وعملاء وخونة .. فليس أمام الأمة من سبيل إلا الوحدة.

- كل حاكم حارب الإسلام هو مجرم وعميل ومرتد وخائن .. وكل جهاز يساعده فيما يفعل ينطبق عليه ذات الحكم ..

- تحركي أيتها الأمة .. تحركي .. تحركي .. فإن السكون والصمت بل الحياة أصبحت عارا لا يطاق ..

***

أرتجف من الغضب ..

ينوء كاهلي تحت وطأة العجز والخزي والعار ..

ولا أستطيع أن أستمر ..

مهاتفة مع والد الشهيدة
آيات الأخرس

هل كان الألم سيكون أكثر لو أنهم شقوا صدري وفتحوا قلبي ووضعوا جمرة نار فيه؟

هل كان الألم سيكون أكثر؟ ..

على الطرف الآخر من الهاتف كان الشيخ محمد الأخرس .. والد الشهيدة آيات .. والتي يرفض القردة والخنازير تسليم رفاتها الطاهر إليه حتى الآن ..

على الطرف الآخر كان ..

وكنت أحمل على كاهلي مليارا وربع مليار عار ..

كنت أسأله عن حاله وكأنني لا أعرف ..

وكأننا لا نعرف ..

وكأنكم لا تعرفون ..

وكان الخزي يحاصرني ..

مليار وربع مليار خزي ..

وكان الرجل يجيب:

- الحمد لله .. صابرون صامدون ..

وبعد صمت دوّى سكونه في أذنيّ أعلى من أي صوت آخر جاءتني كلماته ..

هل قلت جاءتني كلماته؟

كيف إذن يكون مجيء النار المتقدة بلهيب الجمر المتأجج ..

هل قلت جاءت كلماته؟ ..

كيف إذن يكون مجيء صوت انطلاق رصاصة عندما يطرق أزيزها أذنيك؟ ..

نعم .. صوت رصاصة ..

لكنها ليست أي رصاصة ..

بل بالذات تلك الرصاصة التي تخترق جسدك أنت كيف يكون دويها في أذنيك

أنت؟

هل قلت كلماته .. ؟ ..

نعم .. كانت كلماته ..

وكان يقول:

- كانوا هنا منذ الثالثة صباحا حتى الحادية عشرة ظهرا ..

وسألته كأنني لا أعرف، وكأننا لا نعرف، وكأنكم لا تعرفون يا مليارا وربع مليار عجز ..

سألته:

- من هم؟! ..

وجاءتني كلماته:

- الصهاينة .. كانوا هنا .. قلبوا كل شيء في البيت .. وعدا الإهانات فقد اعتقلوا شقيقها الأكبر والأوسط .. قبل الفجر جاءوا .. وكانت مكبرات الصوت تسبقهم: «آل آيات الأخرس: محظور عليهم التجول» .. وكانوا يريدون هدم البيت .. وربما يفعلون ..

يا الله يا الله يا الله .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة ..

لم أكن أنا من يتكلم ..

كان هو:

- أربع دبابات ومدرعتان تحاصر المنزل ..

كان هو الذي تكلم ..

وكنت أنا الذي أسمع الدوي وأسمع الهدير وأسمع الأبواق ..

وكان يحاصرني مليار وربع مليار عار ..

ومليار وربع مليار خزي ..

ومليار وربع مليار عجز ..

وطال الصمت ..

طال وثقل على القلب ..

واشتعل القلب ..

كأنما شقوا صدري وفتحوا قلبي ووضعوا جمرة نار فيه .. جمر نار فيه .. مجمرة نار فيه ..

حطّ على كاهلي حمل الصمت الثقيل فناء به ولم يكن لديّ من سبيل إلا أن أقطع دويّ الصمت بصمت الكلام ..

نعم .. لم يكن لديّ من سبيل إلا أن أقطع دويّ الصمت بصمت الكلام ..

ليس في العبارة خطأ ..

فقد ثقل عليّ الصمت المشحون بالمعنى .. الصمت الصارخ بالمعنى .. ولم يكن لديّ من سبيل إلا أن أقطع توتر هذا الصمت الحاد كحد السيف حين راح بلا صوت يطعن ضمائرنا فتنزف وتنزف وتنزف ولم يكن لديّ من سبيل إلا أن أتفوه بكلام لا معنى له .. لا غاية منه إلا الهروب من الصمت المشحون الحاد ..

نعم ..

كان علي أن أهرب من الصمت الصارخ إلى الكلام الأخرس ..

قلت لوالد آيات الأخرس:

- هل أستطيع أن أفعل أي شيء؟ ..

كيف لم يقتلني العار قبل أن أنطق بها؟ .. ليس عارا واحدا بل مليارا وربع مليار عار ..

ومليارا وربع مليار خزي ..

ومليارا وربع مليار عجز ..

هبط الصمت ساد الصمت خيّم الصمت أنّ الصمت ناء الصمت ناح الصمت فاض الصمت هتف الصمت صرخ الصمت نطق الصمت بلا صوت: «اخسأ» .. دائما كنت تستطيع لكنك لم تفعل .. كنتم تستطيعون فلم تفعلوا .. وردد فراغ الصمت دوي الكلام فإذا بصدى كلمة « اخسأ» يتكاثر ويتكاثر ويتكاثر حتى بلغ مليارا وربع مليار: « اخسأ» ... فلكل واحد ممن لم يفعلوا شيئا كلمة: اخسأ» ..

اخسأ .. اخسأ .. اخسأ ..

لو أنهم شقوا صدري وفتحوا قلبي ووضعوا جمرة فيه؟

هل كان الألم سيكون أكثر؟ ..

***

- ادعوا لنا ..

كانت هذه آخر كلمة في المهاتفة ..

كتمت الصرخة:

- ولا هذه أيضا يا أبا آيات الأخرس .. فمثلنا لا يستجاب لهم دعاء ..

وضعت المسماع وأنا أتخيل أن ألسنة لهب الجمر المتأجج في قلبي ستمتد إلى المسماع فينصهر ..

***

حتى كلمة التقريع والتأنيب التي ظللنا خمسة قرون نبكت بها أنفسنا لم يعد من حقنا أن نقولها:

«ابكوا كالنساء ملكا لم تحافظوا عليه كالرجال» ..

لم يعد من حقنا أن نقولها ..

فآيات الأخرس كانت امرأة ..

لم تجلس لتبكي بل ذهبت تجاهد وتستشهد وجلسنا نحن القواعد نجاهد بالعويل والدموع والألم لا ينتظر منا أبوها إلا دعاء يعلم ونعلم أنه لن يستجاب ..

***

كان سمعي قد تدنس بالأزيز والهدير والصوت العبري ..

وهو دنس احترت كيف أتطهر منه ..

ووسط الدنس رحت أقول لنفسي أن ما يحدث الآن مع أسرة الشهيدة آيات الأخرس هو خطة مرسومة للتنكيل بأسر الشهداء كي يجعلوا كل راغب في الاستشهاد يفكر ألف مرة فيما سيحيق بأسرته بعد استشهاده ..

أبناء القردة والخنازير يحاولون تدمير الجذور بعد أن قطعوا الفروع وقطفوا الثمر ..

وهى خطة لا يواجهها المليار وربع المليار إلا بصمت العار وعار الصمت وخزي العجز وعجز الخزي ..

***

عام ٦٧ هزمنا يا آيات ..

وخدعنا محمد حسنين هيكل .. أو لعله كان – وما يزال- مخدوعا هو الآخر عندما قال – ربما ليخفف وطأة العار والخزي- أن طائراتنا لو لم تدمر على الأرض لـدمرت في الفضاء خلال أيام قليلة ولما اختلفت النتيجة ..

كان يحسبها طائرة لطائرة وتدريبا لتدريب وصاروخا لصاروخ وقنبلة لقنبلة ودبابة لدبابة ..

لم يحسبها يا آيات يا حبيبة القلب عقيدة لعقيدة ..

لم يحسبها يا آيات لو أن المليون مجند – أو حتى نصف المليون- في سيناء والجولان والضفة، حتى بعد تدمير كل الطائرات ونسف كل الدبابات، لو أنهم حاربوا كما حارب أهلك يا آيات في جنين ..

وكما حاربت أنت نفسك يا آيات ..

ما يدميني الآن يا آيات .. ما يعييني .. ما يقهرني .. ما يخزيني أن أقل القليل من حكامنا كان جديرا بأن يقطف يا حبيبة القلب ثمرة استشهادك.

الكلب الشرس المجرم شارون لعب لعبة بالغة الخطورة .. كان كلاعب ألعاب خطرة يسير في سيرك على حبل مشدود .. وكانت أقل حركة تقوم بها دولنا أو

جيوشنا كفيلة بإسقاطه ليسقط إلى الأبد خيار الغطرسة والعنف .. وليبدأ العد التنازلي لنهاية إسرائيل ..

ما يدميني يا آيات أن دولنا وحكوماتنا لم تقف على الحياد .. بل كانت تنصر شارون وتناصره .. أما جيوشنا فقد كانت تحمي حدود إسرائيل كي يتفرغ جيشها لكم ..

***

ذلك ما يشعل النار في قلبي يا آيات .. ويا أبا آيات ..

فهل ..

هل كان الألم سيكون أكثر لو أنهم شقوا صدري وفتحوا قلبي ووضعوا جمرة فيه؟

هل كان الألم سيكون أكثر؟؟؟!!!

سَادَ العلماءِ فَسُدْنا..
وفَسَدُوا فَفَسَدْنا ....

طوال عمري، كلما حزبني أمر، يجعلني أوقن أن بطن الأرض أصبح أفضل من ظهرها، يُختزل التاريخ أمامي، ويتقلص الزمان إلى لحظة، فأتمنى أن أدفع عمري كله مقابل تلك اللحظة التي قد تنقلني من مدار الابتلاء إلى مدار الاصطفاء.

أتوق إلى تلك اللحظة، حيث يلتمع النور في قلبي معشار ثانية ثم أموت. تكفيني من الدنيا هذه اللحظة فلا أريد سواها. فكأنما هي المادة الفعالة في دواء ينقذ من الهلاك وسواها غثاء قد يعطي لونا وقد يعطي رائحة لكن ليست فيه أي فائدة ..

مثل هذه اللحظة هي التي اقتنصها الحر بن يزيد في كربلاء، فقد كان واحدا من قادة جند الشيطان اللواء ابن زياد، بل وشارك في حصار سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين رضي الله عنه، لكنه- الحر- حينما حمي الوطيس، وأدرك أن سبط الرسول صلوات الله وسلامه عليه مقتول، ثاب إلى رشده، وآب إلى روحه، وعاد إلى ربه محدثا نفسه:

- لا عذر لنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قتل الحسين وبقينا وفينا عين تطرف.

ويواصل:

- أُخيّر نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطّعت واُحرقت ...

ثم يتوجه إلى زملائه من قادة جيش الشيطان مستنكرا:

- ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم ؟والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حلَّ لكم أن تردوه.

فأبى أتباع الشيطان ابن زياد.

فصرف الحر وجه فرسه، وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلّم عليهم.

ويتوجه الحر إلى الحسين رضي الله عنهما قائلا:

- ما ظننت أن القوم يبلغون بك ما أرى وأنا تائبٌ إلى الله فهل ترى لي من توبة؟»

وينشرح قلبه لإيماءة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهتف قائلا:

- .. واللهِ لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلّدين إلا أن فراقها في نصرك

ومواساتك لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها.

ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمة الله عليه (البداية والنهاية- ابن جرير).

***

تلك هي اللحظة الناطقة الفارقة التي تنقل الإنسان من مدارات يكون فيها كالأنعام بل أضل إلى مدارات أخرى يبز فيها الملائكة.

كنت أفكر في تلك اللحظة فأتمناها لنفسي، وأتمناها لمن أحب من شيوخي.

أخاف مكر ربي وأطمع في وعده فأطلب مثل تلك اللحظة التي لا تدوم سوى سويعة أو بعض سويعة طامعا أن تضيق تلك السويعة وتختزل علها لا تتسع لوسوسة الشيطان فيحرمنا ثمرتها.

نعم .. فمن يقيس العمر على شهوات الدنيا يجده أقصر ما يكون .. ومن يقيسه بالذنوب يجده أطول ما يكون .. والكارثة أن في كل طول فتنة ..

***

تلك اللحظة التي تقتصر على لحيظات كما حدث مع الحر بن يزيد .. أريدها كذلك .. وأخاف أن تتمدد لتشمل عمرا بكامله كما حدث مع المجاهدة البطلة – أحسبها كذلك- زينب الغزالي .. والتي كان يجب أن يكون هذا المقال عنها .. لكن ما جد من أمور أنقضت ظهري، وجعلتني أؤجل الكتابة عنها محاولا المسارعة لإطفاء نار شبت في قلوب قوم مسلمين .. والمؤلم حتى الموت .. أن من أشعلها هذه المرة .. كانوا هم بالذات من نهرع إليهم كي يطفئوا النيران حين تشب .. كانوا عمالقة من نوع الشيخ يوسف القرضاوي والشيخ البوطي .. وأيضا .. وتلك كارثة أخرى: الدكتور الشيخ محمد إسماعيل المقدم.

***

كانت المصائب تتهاطل حولي .. ولم يعد في القلب سوى مزق أعجب كيف تستطيع الاستمرار وتنبض .. وكنت قد أدركت منذ أمد طويل أن الكارثة التي انقضت على رؤوسنا ليس منبعها فساد الحكام – لا نفيا لفسادهم الذي يبزون فيه الشيطان نفسه- بل فساد الأمة التي لو لم تكن هكذا لما وُلِّى عليها مثل هؤلاء

الطواغيت المجرمين. إلا أنني ما لبثت حتى أدركت أن فساد الأمة لم يكتمل إلا بفساد العلماء .. وانحراف الفقهاء .. وجلد الفاجر ووهن الثقة ..

كانت المصائب تتهاطل حولي .. وكنت أرى عجز الأمة فينفطر قلبي ويكاد عقلي ينفجر .. وكانت تجربة العراق ماثلة أمامي .. فصدام حسين ليس أقوي من جورج بوش .. والجيش العراقي ليس أقوى من الجيش الأمريكي .. ولا المخابرات العراقية أكثر وحشية وفظاظة وقسوة من المخابرات الأمريكية .. وبالرغم من ذلك فإن أمتنا في العراق لم تواجه صدام حسين .. وحين واجهه البعض كانت المواجهة ضعيفة ومحدودة .. وهذه الأمة التي نكصت عن مواجهة الأضعف نهضت لتواجه الأقوى والأعنف والأشرس إلى ما غير حد .. والأمة التي سيطر عليها صدام حسين عقودا لم يستطع المجرم المجنون جورج بوش أن يسيطر عليها أسابيع قليلة، فخرجت عليه، ومرغت في الطين والدم أنفه ..

كان التناقض بينا ..

في حالة صدام حسين كان ما منع الناس هو الحلال والحرام .. وشبهة الخروج على حاكم قد يكون مسلما .. وعندما انتفى هذا الحاجز الشرعي مع الوحش المفترس بوش .. كان ما كان ... وأذل الشعب الأعزل إلا من إيمانه أقوى الإمبراطوريات وأكثرها تسليحا عبر التاريخ ..

في حالة المجرم بوش لم يستطع فقهاء الشيطان أن يسوغوا للأمة نبذ الجهاد وإلا كشفتهم الأمة .. لم يستطيعوا ذلك إلا على سبيل الاستثناء من مسوخ كالعبيكان والعبيكانيين كانت فتاواهم الشيطانية داعمة للجهاد لا مثبطة له .. لأنهم كانوا قد بلغوا شأوا مستفزا من امتهان العقل لا يمكن أن يقبله أي عقل. كانت فتاواهم مثيرة للاشمئزاز والغضب. وفي الجانب الآخر لم يكن أمام باقي العلماء من سبيل لكبح جماح الأمة عن الجهاد والاستشهاد .. فالقضية واضحة والفتوى فيها يعلمها العالم والجاهل ..

***

إذن .. فالمسؤولية الكبرى تقع على عاتق العلماء .. فلو أنهم وحدوا أمرهم .. وعبدوا ربهم .. وبينوا للناس – قبل حدود الحلال والحرام – حدود الإيمان وحدود الكفر .. حدود من لم يحكم بما أنزل الله .. لما كان ما كان ..

هالني الأمر ..

قلت لنفسي أن الحكام قد نجحوا في توظيف بعض العلماء كي يقوموا بعكس دورهم تماما .. ولكي يكونوا كمسمار يغرسونه بين التروس التي تشكل محركات الأمة .. فيمنع هذا المسمار تلك التروس والمحركات من الحركة .. أو يحطمها تحطيما إذا ما أصرت وتحركت ..

هالني الأمر عندما تكشف لي أن بعض السر في استمرار البلاء هم بعض العلماء والفقهاء ..

وهالني الأمر عندما اكتشفت أن الإسلام – مجازا - قد تم الاستيلاء عليه لكي يوظف في مصلحة السلطان والشيطان .. تماما كما كان الإنجليز يجندون المسلمين لحرب المسلمين ..

الآن ليس الإنجليز بل شيوخ يرتعون تحت ظلال المسجد الحرام والجامع الأزهر ..

يوظفون الإسلام ضد الإسلام ويحاربون الإسلام بالإسلام (لا تنسوا أن الأزهر يصفى الآن تحت سمع وبصر رجاله، وأن وزير الأوقاف في مصر يتقرب إلى الله بالمعاصي، ويكاد لا يجد في الدين شعيرة قائمة إلا حاول هدمها، ولا تنسوا أن مستشاره عليهما من الله ما يستحقان، شديد التحمس للمرتدة الشاذة أمينة ودود .. والطيور على شكلها تقع .. والخنازير أيضا!) ..

هالني الأمر حين اكتشفت أن فقهاء الشيطان يدعون لإسلام ليس هو الإسلام .. ولاستسلام ليس من الإسلام في شيء .. وأنهم يكرسون المظالم ويتسترون على الظالم .. ويصدقون الكاذب ويكذبون الصادق ويرفعون أسهم الكافر ويكفرون المجاهدين.

كنت أصرخ: هل أصاب العلماء وباء؟! أم أصاب الفقهاء عماء؟! ..

كنت أصرخ فيهم بعد أن جرفهم الطوفان ليسموا الجهاد إرهابا فيدعون إلى مقاومته:

- بكم بعتم آية: « .. ترهبون .. » .. ؟! ..
- بكم بعتم آية: « .. ترهبون .. » .. ؟! ..

***

هالني الأمر .. وقلت لنفسي: من المستحيل أن يقف فقهاؤنا عاجزين عن مواجهة

الكارثة .. واقترح عليّ بعض الأصدقاء أن أقوم بزيارة واحد من أكبر علماء الحركة السلفية في مصر – وبالتالي في العالم– وهرعت إلى العالم الجليل .. وأنا جاد في وصفه بالجليل .. بل إنني مدين بضبط إيماني والولاء والبراء وتصحيح توحيدي لله إلى الفكر السلفي عامة فلا أنسى له هذا الفضل أبدا .. ذهبت إلى الشيخ الجليل .. ورحت أحاوره ساعات وساعات .. وكنت أستصرخه أن الأرض عطشى إلى دماء الشهداء .. لكن ليس أي شهداء .. بل الشهداء من العلماء .. دمهم المبذول الآن هو الذي يستطيع أن يوقف الطوفان .. فليستشهدوا إذن .. إن دماء عشرة أو عشرين أو مائة أو حتى ألف عالم شهيد ليست بغالية في سبيل وقف انهيار المسلمين .. ودماء هؤلاء هي التي قد تردع الطواغيت الذين باعوا الدين كله وباعوا الأوطان وباعوا الأمة ولا يمنعهم من الجهر بالكفر إلا خوفهم من شعوبهم .. فليكشف العلماء نفاق الطواغيت وخيانتهم .. قلت للشيخ الجليل أن ما لا أطيق البوح به هو شعوري أن علماء السلف في مصر والجزيرة العربية قد خذلونا .. لقد قادونا إلى الصواب .. وإلى تنقية عقائدنا من البدع .. وظننا أنهم لن يتخلوا عن الصدارة والقيادة أبدا ولن ينكصوا عن دفع ثمن الجنة والرضوان أبدا حتى ولو استشهدوا عن بكرة أبيهم. وكنت واثقا أن سلطان الطاغوت في مصر والجزيرة لن يجرؤ على مزيد من انتهاك حرمات الدين خوفا منهم ومن أتباعهم .. لكن استسلام عدد كبير من علماء السلف كان مذهلا قبل أن يكون فاجعا.

كيف تسلل الوباء إليهم؟ ..

وكيف يسيطر العماء عليهم؟ ..

كنت أحاور الشيخ الجليل وكان يحاورني ..

وكنت أقاوم البكاء ..

فالشيخ الذي هرعت إليه ليحث العلماء على الاستشهاد .. كان مهزوما من داخله .. وبدا أنه مرعوب من مباحث أمن الدولة .. وأن أقصى ما يطمح إليه أن يتركوه في حاله وأن يسكتوا عنه .. كان مختلفا تماما عما كان عندما قابلته منذ سنوات حيث خلب فؤادي بقوة إيمانه وجرأته بالحق لا على الحق حتى قلت لنفسي أنه لا توجد قوة في الدنيا قادرة على تخويفه هو أو تلاميذه أو النيل منهم .. كان واثقا أننا الأعلون .. وكان واثقا من النصر .. في هذا اللقاء انعكس هذا كله .. بدا لي الشيخ

يتصرف كما لو كانت جلستي معه مسجلة بالصوت وبالصورة وأنه سيواجه بالحساب العسير بعد انصرافي مباشرة .. وتصورت أنه لا يرد على تساؤلاتي بل يدفع عن نفسه اتهامات ضابط بمباحث أمن الشيطان التي سيوجهها له بعد ساعة أو بعض ساعة .. بل لقد عبث بي الخيال فقلت لنفسي أنه يتصرف كما لو كان خلف تلك الستارة التي يحركها الهواء ضابط أمن دولة شاهرا سلاحه .. وأن ضابط أمن الشيطان هذا سيطلق النار عليه على الفور إن أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو نطق كلمة حق أو حاول أن يغير منكرا بيده أو حتى بلسانه .. ولم يستطع الشيخ الجليل أن يقول أنه يخالف الشرع بموقفه ذاك .. ولا حتى أن يقول أنه يتخذ الرخصة سبيلا إلى الأمن الشخصي .. حيث لا تجوز الرخصة لعالِم يزلّ بزلّته عالَم .. بل راح يبرر موقفه بغطاء شرعي بحجة أن الأمر ملتبس وأنه لا يجوز الخروج على الحاكم إلا إذا بدا منه كفر بواح .. وكنت أصرخ فيه: هذا أمر فيه خلاف. ثم إن الرأي الذي تتبعه ليس الوحيد فهناك آراء فقهية أخرى .. ثم .. ماذا إن أخفي الحاكم كفره كجزء من المؤامرة على الدين وعلى الأمة .. أيعجز الإسلام أمامه؟ أيعجز الإسلام عن أن يسحب حصانته عمن يسخرون منه ويستهزئون به ويشنون أعتى الحملات للقضاء عليه .. هل بلغنا هذا الحد من السذاجة والبله الذي يجعلنا نمنح حصانة الإسلام لكل من لم يعترف بصريح الكلمات أنه كافر .. رغم أن كل أفعاله تنطق بذلك .. كما أن كل كلماته تقولها بالتلميح الصريح وإن تجنبوا النطق بكلمة الكفر بعد أن فهموا من أين نؤتى ..

بمثل هذا المنطق فقد كان نابليون مسلما يمتنع الخروج عليه!! .. فقد نطق بالشهادتين ..

وحتى من نطق كلمة الكفر .. ومنهم مئات من الكتاب وحاكمين عربيين على الأقل .. عجز الفقهاء عن التعامل معهم .. وحتى كلاب من كلاب جهنم كأدونيس والعظمة وخليل عبدالكريم وسيد القمني عجز الفقهاء عن مواجهتهم.

كنت أصرخ في الشيخ الجليل:

– لا تصمتوا .. لا تنتظروا حتى يتسرب من بين أصابعكم الدين كله .. لا تصمتوا .. فإن عجزتم فواجهوا الناس إذن بأن الفقهاء عجزوا عن مواكبة التحديات .. واجهوا الناس وقولوا أنكم عاجزون عن الفتيا .. قولوا ذلك وتوقفوا عن الفتيا كلها لأن ما تفتون به الآن يصب في صالح بوش وشارون والشيطان .. وضد

المجاهدين ..

وواصلت الهتاف بطعم النحيب:

- لا تصمتوا .. أو فاعترفوا للناس قائلين: لا تعتمدوا علينا في قيادتكم كعلماء ولا في الفتوى لكم كفقهاء ..

وارتفع صوتي مشتعلا بالغضب كشواظ من نار وأنا أقول له:

- قولوا للناس دعكم من الإسلام، فالإسلام ذخيرة لم تعد وسائل إطلاقها موجودة .. الإسلام قنبلة نووية لا يوجد لدينا من يحملها وما يحملها .. والإسلام صاروخ هائل نجح الأعداء في التشويش على أجهزة توجيهه فما عاد – حين يطلق – يصيب أحدا غير المسلمين .. قولوا للناس: الإسلام لا يدعمكم في معركتهم هذه .. الإسلام – بتفسيرنا – سيقف على الحياد بينكم وبين الشيطان وبينكم وبين السلطان وبينكم وبين شارون وبوش وبريمر وطالباني وكل أسرة الشيطان .. أما نحن العلماء والفقهاء فإننا نعترف أننا رضينا ولاية الكافر على المؤمن فلا تصدقوا فتاوانا ولا تعملوا بها ..

ثم واصلت وقد بلغ الغضب مني غايته:

- قولوا للناس أنكم عجزتم عن حماية الإسلام .. فإن أردتم إلقاء اللائمة على الإسلام فقولوا لهم أن الإسلام – حاش لله- عاجز عن الدفاع عن نفسه .. قولوا للناس دعكم من موقف الإسلام وانسوا أنكم مسلمين .. نعم انسوا أنكم مسلمين واذهبوا ودافعوا عن أوطانكم وشعوبكم وشرفكم وكرامتكم واستقلالكم، نعم .. اذهبوا ودافعوا .. ليس دفاع الجهاد في سبيل الله بل كما دافع الهندوس والبوذيون والملاحدة عن إلحادهم وأوطانهم وشعوبهم وشرفهم وأموالهم .. دافعوا بالعصبية عصبية الجاهلية الأولى .. دافعوا بالقبلية النتنة .. أما الإسلام فلا تنتظروا منه عونا ولا دعما لأنه – بتفسيرنا وفتاوانا – على الحياد .. ولأننا توقفنا عن تكفير الكافر لأننا نخشى أن يظلم أحدا في هذا الوضع الملتبس.

***

أعترف أن الشيخ الجليل قابل ثورتي بصبر جميل لكنه لم يتعد الشكوى مما يفعله الأمن بهم ..

واجهني الشيخ بالصبر الجميل .. أما تلامذته فقد انقسموا قسمين، قسم أدانني بحجة أنني تجاوزت حدود اللياقة فما هكذا ينبغي الحديث إلى العلماء .. وقسم قال: ليتك قابلت الشيخ الدكتور محمد إسماعيل المقدم بدلا من هذا اللقاء[1] ..

***

حزبني الأمر وصرفني عن السعي للقاء الدكتور المقدم هموم وأمور ..

والدكتور محمد إسماعيل المقدم قيمة فكرية وعقدية شامخة جدا كما أنه كاتب موسوعي لا يشق له غبار .. وأعترف أنني كنت أوافقه في جل ما يكتبه عدا خلاف معه في تقدير الأولويات وهو أمر ناقشته معه منذ أعوام. أقول ناقشته .. لا مناقشة الند بل مناقشة الطالب الباحث عن الحقيقة في مناجمها.

ولكي نعرف قيمة الحركة السلفية وفي القلب منها الدكتور محمد إسماعيل المقدم فإنني أجرؤ على القول أنني اعتبرتها الحركة التي تعود بالإسلام إلى صورته الأولى وإلى صفائه حين أنزل. بل وإنني أجرؤ على القول أنني كنت أعزي نفسي بثبات الحركة السلفية حين تثمر الضغوط والحسابات السياسية على رموز شامخة كالشيخ يوسف القرضاوي، فيصدر منه ما لا نتصوره منه من مواقف أو تصريحات .. وكنت أقول لنفسي: الحمد لله الذي ثبت هؤلاء على دينه.

***

لشد ما يصعب عليّ أن أضيف لهؤلاء قيمة شامخة مثل الدكتور محمد إسماعيل المقدم لكن فتاواه الأخيرة تصب في مجرى الهزيمة .. ولست ندا للرجل في علمه ولا مساويا له في فضله لكنني أظن – وبعض الظن فقط وليس كله إثم– أن الأمر لا يتعلق بعلم وإنما بتنزيل على الواقع يخضع لضغوط سياسية، أخشى أن تكون استجابات علماء السلف – وهم أساتذتنا وقدوتنا بلا شك – تجاه الواقع القاسي الرهيب كاستجابات الصوفية ذات يوم عندما دهمتهم الابتلاءات فتخلوا عن الجهاد .. وغرقوا في بحر لجي أقله صحيح وأكثره باطل .. بل وشرك .. ولم يكن الأمر تطبيق شرع .. ولا حتى تقية .. وإنما كان نكوصا عن الجهاد وإيثارا للسلامة ..

(١) لكم أحزنني بعد نشر هذا المقال أن بعض الإسلاميين أساء قراءته وفهمه فساء تعليقه، وكان الأسوأ من هؤلاء من ظنوا باطلا أن من أتحدث عنه هو الدكتور الشيخ محمد إسماعيل المقدم. ولقد كنت واضحا تماما في نفي ذلك في صلب المقال.

بعد التفجيرات الأخيرة في لندن تحدث الدكتور المقدم في خطبة عنوانها «تفجيرات لندن والبعد الغائب » ليدين بعنف وبشدة المسلمين المتشددين الذين اقترفوها.

وبادي ذي بدء فإنني أطرح رأيي صريحا دون مواربة، فأنا مع الإرهاب الذي «ترهبون به عدو الله وعدوكم» كما أنني ضد الانسياق خلف الغرب – وهو كافر- في تسمية العنف أو الحرابة أو الترويع إرهابا كي يرغمنا على التنصل من مقتضيات آية في القرآن .. ولست أدري كيف وافق علماؤنا على ذلك وبكم باعوا آية «ترهبون».

نعم .. أنا مع الإرهاب الذي لا يخلو كتاب من كتب الاستراتيجية منه .. والذي بمقتضاه يتم إرهاب العدو – بل والصديق أيضا- لردعه عن العدوان تحسبا ووجاء من رد الفعل المحتوم .. بل إنني أؤكد أنه لا يوجد نظام حقيقي أو دولة محترمة في التاريخ إلا وهي تملك وسائل الإرهاب (الردع) هذه ..

أنا مع إرهاب من ذلك الذي منع أمريكا من إفناء روسيا والصين بقصفهم بمئات القنابل النووية قبل أن يصلا هما إليها .. وظلت الخطة في انتظار التنفيذ حتى وصل الاتحاد السوفيتي – لا رحمه الله – إلى سر القنبلة النووية فأرهب أمريكا فتوقفت عن محاولات سحقه ..

السحق الذي تفعله فينا الآن .. لأننا لم نرهبها .. !! ..

السحق الذي لابد أن يدفعنا – ضمن ما يدفعنا – إلى صناعة القنبلة النووية نرهب بها عدو الله وعدونا .. ورغم أنني أدرك أن الإسلام في جوهره يحرم استعمال كل أنواع أسلحة الدمار الشامل .. لكن .. وأيضا وفي نفس الوقت .. الإسلام يحرم القتل لكنه جعل من القتل في القصاص حياة.

ما أريد إثباته أيضا أن قتل المدنيين في عمومه مرفوض .. لا بالرأي والهوى بل بأحكام الشريعة الصارمة، والتي تجعل من قتل نفس بغير نفس كقتل الناس جميعا. وما أريده وأطالب به، ألا نقتل من الأمريكيين نفسا بنفس .. يكفيني نفسا أمريكية واحدة مقابل نفوس عشرة من المسلمين!! .. بل مائة .. بل ألفا .. فهل يفتي فقهاؤنا بذلك .. أم يظل الدم المسلم يسفك بلا ثمن؟! ..

نعم .. قتل المدنيين حرام شرعا .. ولكنني بفقه الأولويات أقول أن ذلك الرفض ينصب على المدنيين المسلمين قبل سواهم .. فإن أصاب الأمر المسلمين فليكن الأمر سجالا وعقابا بمثل ما عوقبنا به .. ليأمن المدنيون جميعا أو ليتهدد الخطر الجميع.

إن أمريكا التي تقتل مئات الآلاف تكتفي بمبرر وحيد لا تعقيب عليه، هو أنهم مشتبهون، فإذا تأكد أنهم مدنيون لا تجشم نفسها عناء الاعتذار .. فالاشتباه مبرر كاف للقتل. ثم إن حكاية المدنيين والعسكريين التي لاكها كثير من شيوخنا حتى مججناها تفسر على هوى الصليبيين واليهود. فكل مشتبه من المسلمين مباح دمه، أما الأمريكيين فلم يبق إلا أن يفتي شيوخنا بضرورة موافقة الجيش الأمريكي والمخابرات الأمريكية على قتل الأمريكي قبل قتله وإلا جاز اتهامنا بالإرهاب! .. ولم يقدم شيوخنا أي تعريف للعسكري، وهل ضابط المخابرات عسكري أم مدني؟! وهل المرتزق عسكري أم مدني؟! وهل عالم الصواريخ عسكري أم مدني، وهل لص البترول عسكري أم مدني (تذكروا تهديد أمريكا بقصف المفاعل النووي الإيراني بمن فيه من مدنيين .. وتذكروا كيف قامت هذه الخنازير البشرية بقصف محطات الكهرباء والمياه والمجاري كأهداف استراتيجية استشهد أثناء قصفها آلاف العراقيين دون احتجاج على قتل المدنيين) .. هل تمويل العمليات العسكرية عمل عسكري أم غير عسكري (أغلقت أمريكا حتى مؤسسات الزكاة ونكلت بالمشرفين عليها) .. ولنتذكر على سبيل المثال المحكمة الأمريكية الفاجرة التي حكمت على الشيخ محمد علي حسن المؤيد – الفقيه اليمني- بالسجن ٧٥ عاما. كانت أمريكا قد استدرجته بطريقة خسيسة إلى ألمانيا .. ثم ألقت القبض عليه .. حتى المحكمة الفاجرة للبلد الفاجر ذي الحضارة الفاجرة كانت قد برأت الشيخ الجليل من الاتهام بتمويل فعلي لشبكة القاعدة، لكنه أدين في بند آخر يتعلق بتوفير دعم مادي وموارد أخرى لحركة حماس. رغم أن تمويل حماس ليس مجرّما في أي بلد عربي أو إسلامي .. ظاهريا على الأقل. فهل المؤيد مدني أم عسكري؟ هل الشيخ عمر عبدالرحمن مدني أم عسكري؟ ولماذا لا يتذكر جل شيوخنا حكاية حرمة قتل المدنيين إلا إذا كان المجرم المقتول أمريكيا أو إسرائيليا؟

***

نعم .. أكرر أنني ضد قتل المدنيين جميعا .. وفي الصف الأول منهم المسلمون .. والمحزن بل المخجل أن أصوات جل فقهائنا لا ترتفع إلا إذا كان القتلى من غير المسلمين .. فإن كان القتلى مسلمين خيم عليهم صمت القبور .. بل إنهم عليهم من الله ما يستحقون .. يبلغ شجبهم لقتل كلب أمريكي غاصب عنان السماء .. فإن كان منا مائة ألف قتيل اكتفوا بالرفض الهامس الوجل .. ودون عقد أي مقارنة أو سببية بين هذا وذاك.

النقطة الأخرى التي أود التركيز عليها أننا لسنا مدانين ولا جناة بل نحن الضحايا .. وأن أي استسلام منا لتوصيفاتهم الظالمة تشبه إقرارا بجرائم لم نرتكبها .. فإذا ما أقررنا بها كان ذلك اعترافا باستحقاقنا للازدراء والعقاب.

النقطة التالية هي أننا برغم كل شيء ما زلنا خير أمة أخرجت للناس وسنظل كذلك حتى أبد الآبدين، إنني أعرف أن الأمر مرتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنني أعرف في نفس الوقت، أننا مهما بلغنا من سوء وذنوب ومعاصي، فإننا أفضل بكثير من الأمم الأخرى، فقيمنا أفضل، وأخلاقنا أفضل، وبقايا عقيدتنا أفضل وأصح.

النقطة التالية هي أننا لم نكن إرهابيين أبدا .. أما الصليبيون واليهود فلم يكفوا عن الإجرام والتوحش والسرقة أبدا ..

لسنا إرهابيين ..

لسنا بحاجة للدفاع عن أنفسنا بل نحن في حاجة للهجوم على أعداء الله والإنسان ..

لسنا في حاجة إلى دفع اتهام بل نحن في حاجة إلى توجيه ألف اتهام.

في كتاب خطير بعنوان « الغارة على العالم الإسلامي» يصرخ الدكتور ربيع بن محمد بن علي الأستاذ بالجامعة الإسلامية منددا بالإرهاب الذي يمارس ضد الإسلام والمسلمين .. ضد الهجمات التترية التي يشنها مغول هذا العصر على المدنيين العزل وانتهاك حرماتهم وحرمات مساجدهم وإمطارهم بالقنابل المحرمة .. ويفضح الكاتب كيف قامت ممالكهم على الاستعمار والأكاذيب والأضاليل وقلب الحقائق بعد أن جعلوا من المقاومين لكل احتلال متمردين، ومن المدافعين عن كل عرض ووطن إرهابيين والذابّين عن شريعة ربهم متطرفين، وبعد أن جعلوا من كل غاز يريد فرض عقيدته وزائف ديمقراطيته على المسلمين بطلاً، ومن كل أثيم يسلب أرضاً أمّنها الله أو يعذب نفساً عصمها الله أو ينتهك عرضاً حرمها الله مغواراً.

يفضح الكاتب عوار حضارة الغرب باحتلال بلاد المسلمين إثر اختلاق أسباب واهية .. وتهاوت مدنيتها ورقيها في أبشع صورة باستخدامها هي- في إهلاك الحرث والنسل- ما جاءت لحماية الشعوب منه من قنابل عنقودية وفوسفورية وسامة وحارقة وبيولوجية وكيماوية إلخ وبكميات تقدر بآلاف الأطنان، وبتوفير غطاء لغطرسة ربيبتها إسرائيل، وبمحاولاتها اليائسة في القضاء على الوجود الإسلامي،

وبنشرها العري والفساد والزنا والمسكرات والبلطجة والخنا، وبممارستها لكل أساليب البطش والأعمال السادية، وبفرضها حكومات صورية تخدم مصالحها وسياسات قمعية تكشف عن أطماعها ومناهج وضعية تبين عن نواياها في بسط سيطرتها وعقيدتها في بلاد المسلمين ... انكشف عوار حضارة الغرب بإذلال العجائز والمستضعفين من المسلمين في العراق وغيرها وبقتل الأطفال وباغتصاب المحصنات الغافلات .. وتهاوت مدنيتها ورقيها في سجن أبو غريب وقصف المستشفيات ... انكشف عوار حضارة الغرب بقتل الجرحى العزل داخل دور العبادة وبهدم المساجد وإكراه الناس على اعتناق المسيحية التي المسيح منها براء .. وتهاوت مدنيتها ورقيها بترك الجرحى عمدا ينزفون وبدك المستشفيات على من فيها وبمنع جهود الإغاثة من أن تصل إلى مستحقيها قبل أن يقضوا نحبهم .. انكشف عوار حضارة الغرب بالمروق من الاتفاقيات الدولية وقوانين الأمم المتحدة ولوائحها .. وكلها تقضي بحظر قصف المناطق السكنية وانتهاك دور العبادة والأماكن التاريخية والثقافية والانتقام تحت أي ظرف من الظروف من المدنيين العزل .. وتهاوت مدنيتها ورقيها بسكوت أصحابها بل وبإقرارهم هدم البيوت على الفلسطينيين وإخراجهم في كثير من الأحيان من ديارهم بعد سحلهم ورميهم كالكلاب في الميادين العامة يجترون الآلام والأحزان ليكونوا عبرة لغيرهم ممن يأبون الظلم ويتمسكون بالكرامة ..

انكشف عوار حضارة الغرب برضائها عما ارتكبه شارون في صبرا وشاتيلا من مذبحة راح ضحيتها ألفي مدني أصدر أوامره ببتر أعضائهم وسحق رؤوس أطفالهم وإعدام رجالهم في الشوارع واغتصاب نسائهم، وعما ارتكبه في دير ياسين من قتل ما يقرب من ٣٦٠ فلسطينياً في أبشع مجزرة شهدتها الإنسانية، وعما قام به من نسف أكثر من ٤٠٠ طفل وسيدة وشيخ في (رام الله) أدار ظهورهم للحائط وراح يفرغ الرصاصات في أجسادهم، وعما ارتكبه في كفر قاسم من قتل وجرح ٥٧ بينهم أطفال ونساء وعندما اضطرت الحكومة الإسرائيلية أمام سخط الرأي العام للتحقيق معه قال بكل فخر إنه «سعيد بارتكاب مذابح ضد العرب»، وعما فعله بنفس المنطق بعد تعيينه قائداً للقوات الإسرائيلية أثناء العدوان الثلاثي حين قام بأسر ٣٠٠جندي مصري وأمر بدهسهم بالمدرعات وهم أحياء، وعما فعله عندما هاجم في نفس العام غزة وخان يونس وقام بتجميع ٢٥ جندياً من الحرس الوطني الفلسطيني وأطلق عليهم النيران، ولم يهدأ له بال حتى توجه إلى مستشفى البلدة وقام بقتل المرضى والأطباء ثم

قام بتجميع ٨٠ شاباً من الشوارع ليطلق النيران عليهم واحداً تلو الآخر حتى أجهز عليهم وترك جثثهم لمدة ثلاثة أيام لمزيد من الإرهاب للأهالي .. وتهاوت مدنيتها بتصديقها بعد كل ما ذكرنا بما يشيعونه من أن هؤلاء هم شعب الله المختار وأنهم يفعلون ذلك استعجالاً لمجيء وعودة المسيح الذي سيحكم القدس بعد أن تطهر من نجس المسلمين.

يصرخ الكاتب من انقلاب الصورة واتهامنا نحن بالإرهاب، وأصرخ معه عندما أسمع بعض شيوخنا يكررون حديث إفك الغرب .. وكأن ما ذكرنا نتفًا منه وما يجري على الساحة العراقية والأفغانية يحدث على كوكب آخر، أو كأننا معاشر أتباع محمد الذين نسعى للصدام .. وكأننا نحن الذين ذهبنا لنغزو بلادهم وندمر أوطانهم ونستولي على ثرواتهم .. ونقتل رجالهم وأبناءهم ونغتصب نساءهم .. ..

***

نعم .. ليس لدي أي استعداد للاعتراف بأن المسلمين إرهابيون .. وليتهم كانوا .. وليتهم يكونون!!

لست مستعدا لتلقي قائمة اتهامات بل لتدبيج قائمة اتهامات بعض شهودي فيها ضباط إسرائيليون ألفوا كتابا خطيرا بعنوان: « التمرد» وهو أحدث وأخطر كتاب صدر في إسرائيل يضم شهادات حية لثمانية من ضباط جيش الدفاع أعلنوا العصيان ورفضوا الخدمة في جيش الاحتلال في الأراضي الفلسطينية وهو تجسيد حي لأبشع أنواع العنصرية والإرهاب وجرائم الحرب بالتواطؤ مع النظام السياسي والهيئة الدينية والنظام التعليمي وجميع أجهزة الدولة. وبعض شهودي أيضا كتابات الأمريكيين أنفسهم. وبعض شهودي نعوم تشومسكي .. ورامزي كلارك .. وجيف سيمونز .. وجوانتانمو وأبو غريب ..

***

لم أكن إذن أتوقع هجوما من عملاق جليل كالشيخ محمد إسماعيل المقدم على شباب المسلمين في لندن .. ولا كنت مستعدا لسماع إدانته وازدرائه للمجاهدين.

منه نتوقع أن يوقر الأكبر ويعلم الأصغر .. لا أن يزدريه ويهاجمه .. والأنكى أن يتواكب هذا الهجوم والازدراء مع الهجوم الصليبي الصهيوني عليه.

لقد تحدث الدكتور محمد إسماعيل في خطبة بعنوان: «تفجيرات لندن والبعد

الغائب» مسجلة ومفرغة عن المعاهَد، وعن بلاد المسلمين وعن عقد أمان ..

تحدث الشيخ كما لو كنا في بلاد إسلامية وكما لو كان هناك ولي أمر .. وأنزهه أن يكون كالشيخ عبدالمحسن العبيكان يرضى أن تكون المسوخ الشائهة التي تحكمنا ولاة أمر. وكيف يكونون ولاة أمر لشعوبهم وهم لا يستطيعون أن يكونوا ولاة أمر لأنفسهم .. وليهم الشيطان .. وبوش .. وشارون ..

ولقد تحدث الشيخ عن واجب احترام الشرع وآدابه وأحكامه، وعن العواقب التي تحصل نتيجة هذا الفعل غير الناضج وغير المنضبط بالشرع الشريف. وعن وتأثير مثل هذه الحادثة على الجالية الإسلامية في مثل هذه البلاد ..

ثم واصل الدكتور محمد إسماعيل: أنا لما سمعت بالخبر الخاص بالسفير لم أجزع على الإطلاق، كنت مطمئن للغاية أن هذه عملية (تهويش)، فما توقعت أبداً يحصل القتل بهذه الطريقة، مع استبعاد البُعد، يعني بغضِّ النظر عن أبعاد أخرى. لكن أقول ما وُضع في اعتباركم الثِّقَل السياسي لمصر في الأوضاع الحالية، وأنكم تجيّشون كما هائلا من المسلمين وتصدمون مشاعرهم بمثل هذا التصرف، لم يوضع هذا في الاعتبار على الإطلاق. ما نلاحظه في مثل هذه الأحداث أن هناك استئثاراً بالرأي، وأجاب كل ذي رأي برأيه، والفتاوى تَصدر وتُنفذ من أناس لا يدرى مقدار علمهم ولا تحصيلهم ولا مؤهلات الفتوى عندهم، فهم يقتحمون الفتوى، ويستبدون بها، ويُلزمون كل الأمة بتحمل عواقبها مهما كانت نظرتهم. أيضاً موضوع الإنترنت والمصائب التي تجيء من الإنترنت، فكل واحد يريد أن يقول شيئاً يقوله، وطبعاً هذه إساءة أخرى للإسلام، لأنه أحياناً تصدر بعض التصريحات من الشباب عجيبة جداً، وهذه مرصودة بلا شك من أعداء الإسلام، ويبنى عليها المواقف، فموضوع الفوضى العارمة في الإنترنت، وما يحصل حتى من ممارسة بعض الشباب إرهاب على العلماء، إرهاب على الشيوخ، إن لم توافقني فأنت كذا وكذا، ويحصل ما يحصل في هذه الأحداث. هذا الكلام كنت كتبته أيام المشاكل التي كانت تحدث في الجزائر، وهذا نموذج، ونحن لا نعتبر للأسف، الجزائر كان يحدث فيها مذابح رهيبة، لدرجة أن الواحد من شناعتها ما كان يصدق أن هناك إنسان أصلاً ينتمي للإنسانية أو لآدم عليه السلام ويَقوى على فعل هذا: يبقر بطون الحوامل، ويذبح الأجنة، وهم مسلمون، لماذا؟، لأنه يكفر هؤلاء الناس، فيستحلُّون دماءهم، ويفعلون هذه الجرائم الوحشية .. ينزلون على القبيلة يذبحوها كلها، وهذا جهاد!! ما السبب؟ السبب انحراف الفكر

الذي يؤدي إلى انتهاك حرمات الله سبحانه وتعالى وانتهاك حرمات المسلمين، لأن من لم يوافوهم في مشربهم يكفرونهم، وبالتالي عواقب التكفير مثل هذه التصرفات، لعلكم تابعتم ذلك في الجزائر.

***

يعلم الله كم يصعب عليّ انتقاد الشيخ الجليل ..

ولكن ما هو أصعب من الصعب وأمر من العلقم وأصعب من السير على خرط القتاد، أن ألمح في حديثه خطأ فكريا – لا أجرؤ على أن أقول عقديا- لا شك فيه. إن الإدانة جلها إن لم يكن كلها موجهة للمسلمين أينما كانوا .. وألفاظ كالمعاهد وعقد الأمان ودار الإسلام تستعمل في غير محلها، كما أن الشيخ الجليل تحدث – مشفقا – على الجالية الإسلامية في الغرب وما تعانيه بسبب طيش إخوانهم من الإرهابيين. متجاهلا أمورا في الشرع ما كان يجب له أن يتجاهلها، ومنها أن الجالية الإسلامية في الغرب إن لم يكن مباحا لها الدعوة لدينها فليس الغرب لهم بدار مقام. كما تجاهل إحصائيات مرعبة أورد بعضها جيفري لانج في كتابه« حتى الملائكة تسأل» ومن هذه الإحصائيات أن ٩٠٪ من أبناء وأحفاد الجاليات الإسلامية في أمريكا يمرقون من الإسلام. فهل هذا هو الوجود المريح الذي يدافع شيخنا الجليل عنه؟!.

ويتحدث الشيخ الجليل عمن قام بعمليات الإرهاب بازدراء شديد وإدانة بلا حد ليقع في أخطاء فادحة. إن الإسلام لا يعرف الازدراء ولا السخرية فلا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم .. وكفي بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم، ومن ظن أنه علم فقد جهل. ثم إن شيخنا الجليل قد افترض أن من اشتبهت فيهم السلطات البريطانية هم الذين قاموا فعلا بهذه العمليات متجاهلا احتمالات لا أول لها ولا آخر .. منها أن يكون ما تم قد تم بالاختراق .. وتاريخ المخابرات – خاصة الأمريكية والروسية والسوفيتية – حافلة بمثل ما نقول، وقد تمرست فيه إلى الحد الذي لا يدرك فيه القائم بالعمل أنه مدفوع .. ومنها على سبيل المثال أن يكون الأمر تدبيرا للموساد فيه ضلع وما فضيحة لا فون عنا ببعيدة (قام الموساد منذ نصف قرن بتفجيرات في القاهرة والإسكندرية ضد المصالح الغربية ليثير الغرب على مصر .. واكتشفت المؤامرة بالصدفة عندما اشتعلت إحدى القنابل في جيب أحد الجواسيس قبل موعدها) ..

ودعنا الآن من أنه بعد خمسين عاما قام الرئيس الإسرائيلي موشيه كاتساق بتسليم رسائل شكر إلى ثلاثة من عناصر الشبكة الذين ما زالوا على قيد الحياة وجميعهم في العقد السابع من العمر وهم مارسيل نينو وروبرت داسا ومئر زافران. هكذا عاملت إسرائيل إرهابيها المجرمين كأبطال مجاهدين لكن شيخنا الجليل اعتمد مقولات الإعلام الغربي دون أي اعتبار آخر فعامل الأبطال المجاهدين كإرهابيين مجرمين بغض النظر عن الصواب والخطأ في الاجتهاد ... وهو حين فعل ذلك .. وحتى على فرض صحته قد وقع في خطأ آخر .. لقد تعامل فكريا مع هؤلاء الأفراد كما لو كانوا دولة لديها مؤسساتها وأجهزتها التي تستطيع التدبير والتخطيط والاختيار ودراسة الاحتمالات والعواقب .. وكل ذلك – للأسف – غير صحيح. لنفترض أن كلام الشيخ الجليل صحيح .. وأن الذين يهاجمهم غلمان وجهلة من نتاج عصر الإنترنت الذي دفعهم للتطاول على العلماء، لنفترض هذا ولنضعه في إطاره الصحيح بأن نضرب مثلا، فلنفترض أن الشيخ الجليل نكص عن إمامة المصلين في مسجده، ولنفترض أنه انسحب من المسجد، وتلاه تلاميذه تلميذا بعد تلميذ وصفا بعد صف، ولم يبق في المسجد سوى بعض الصبية من الجاهلين، فهل تسقط فريضة الصلاة عنهم؟! .. أم أن على أحدهم أن يتقدم للإمامة حتى لو أخطأ في قراءة القرآن راجيا من الله أجرا.

يا شيخنا الجليل نحن أمام وضع استثنائي شاذ لم يحدث في التاريخ، وضع كان على الحكام أن يقودوا جيوشهم وبلادهم وأمتهم للمقاومة الوطنية إن لم يكن للجهاد العقدي، لكنهم خانوا بعد أن هانوا، وما أحسبهم هانوا إلا بعد أن نافقوا، وفسدوا فأغووا علماءهم وأغووهم، فاستسلموا، وسلموا الأمة، والجيوش التي كان عليها أن تحارب العدو أصبحت هي الداعم الوحيد لاستقرار النظم العميلة التي استسلمت للعدو. أصبحت الجيوش دعما غير مباشر لليهود والصليبيين، أما أجهزة الأمن فهي دعم مباشر. كان الوضع الأساسي أو القيمة المفترضة غيابيًا «Default» في مصطلحات الحاسوب(أي بلغة الكمبيوتر) أن تحارب الجيوش وأن تدعمها الأمة وأن تحافظ على خطوطها الخلفية أجهزة الأمن، وأن يتوافر بعد هذا كله أفراد للعمليات الاستشهادية طبقا لخطة شاملة، لكن التحول الشيطاني المجنون عصف بكل شيء، ولم يبق من المنظومة التي دمرها الكفر والجنون سوي استشهاديين بلا خطة شاملة، وحتى بلا قيادة. ومن الطبيعي أن يرى كل منهم جزءا محدودا من الصورة، ومن الطبيعي أن

يخطؤوا، ويكفيهم شرفا أن لم يقتلهم اليأس، فاستمروا في الجهاد تحت ظل اليأس من كل شيء إلا من روح الله. فعاشوا أو استشهدوا بين الأجر والأجرين. هؤلاء هم الذين يستهزئ بهم شيوخنا ويلعنهم العلمانيون والمنافقون.

نعم .. الأمر أشبه بعمارة ضخمة انهارت، وبانهيارها يصبح الانهيار هو الطبيعي، وأما السقف، أو الجزء من السقف، الذي يظل معلقا في الطابق العاشر أو العشرين فهو الشاذ، رغم أنه هو الذي بقي في مكانه ولم يتغير، والأولى بنا أن نعيب ما انهار لا أن نعيب ما ثبت .. حتى إن كان قد تقلقل باهتزاز ما حوله. نحن إذن أمام ردود فعل، لا نستطيع تناولها دون تناول الفعل نفسه، مدركين أن الأمر كله، الفعل ورد الفعل، مستحدث، وأننا لن نجد له في الفقه القديم مرجعا يفصل لنا بين الحلال والحرام، لن نجد تجربة سابقة ولا وضعا مماثلا ولا فتوى جاهزة، الرأي فيما يحدث سيعتمد إذن على القياس، ومع القياس ستختلف الآراء والفتاوى، وفي هذا الاختلاف رحمة، وليس فيه ما يستوجب الازدراء أبدا، خاصة عندما يكون هذا الازدراء موجها لإخوانهم في الدين. ويجب أن أشدد هنا، أن هذا الازدراء والتعالي والغلظة التي يتعامل بها فقهاؤنا مع الاستشهاديين، ليس لها أية مرجعية إسلامية، ولا حتى جاهلية عربية، وإنما مرجعيتها كلها صليبية يهودية شيطانية، ومن هنا دهشتي وذهولي لتسللها إلى كبار فقهائنا، وسنتناول هذا بمزيد من التفصيل بعد قليل. إلا أنني هنا أعاتب شيخنا وشيوخنا الآخرين، لقد أفتوا، وفي نفس الوقت أفتى علماء آخرون لا يقلون عنهم علما ولا ورعا بعكس ما أفتوا، واختلفت الرؤى بنوع الجهاد وشروطه. وكان على هؤلاء وهؤلاء أن يحترم كل منهم فتوى الآخر، إلا إذا كانت دواعي هذه الفتوى ليست دينية، ولا في سبيل الله، إنما في سبيل الأمن.

***

لقد تناول شيخنا الجليل أيضا واقعة قتل السفير المصري، وكان تناوله لها فاجعا وموجعا. كان موقفه موقف من لم يتبين، من أطاع الفاسق وصدق الكذاب، واستأمن الكافر وخون المسلم. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات] ..

لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ..

لقد اعتمد الشيخ رواية الصليبيين واليهود والكفار والمنافقين وأهمل رواية

المجاهدين.

ولست أدري كيف يقف شيخنا الجليل أمام الله يوم القيامة وهذا الوزر في عنقه.

لقد أصدرت المقاومة العراقية بمختلف فصائلها بيانًا وزع على عدد من مساجد العاصمة بغداد تعلن فيه براءتها من عملية خطف السفير المصري وقتله ومن العمليات التي تستهدف المدنيين العراقيين وتتهم قوات الاحتلال بعمليات القصف بالهاون على المنازل والسيارات المفخخة التي تستهدف العراقيين المدنيين. ولقد تمزق قلبي وأنا أقرأ هذا البيان .. ومما جاء فيه - وقد نشرته 'مفكرة الإسلام' ووكالات الأنباء والصحف-: ' ... من الملاحظ على اليهود والصليبيين إنهم في كل مرة تشتد فيها الهجمات عليهم يلجؤون إلى ممارسة أساليب وطرق خبيثة لإيذاء المجاهدين وإيقاف السيل الجارف للهجمات المتلاحقة'.

وتوجه البيان بالخطاب إلى عموم الأمة بالقول: 'كيف يمكن أن تنطلي حيل الكفر وخادعهم والله تعالى ربنا قد أخبرنا عنهم أنهم ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ ... وأنهم كما خاطبهم ربنا ذاما لهم بقوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

يا إلهي ..

هل نحن بلا قلب ..

من المؤكد أن لدينا خللا في العقيدة وأن هذا الخلل هو الذي يصدنا عن الجهاد في سبيل الله، لكن هل لدينا خلل في العقل والقلب أيضا؟ ..

يواجه المجاهدون أعتى قوة في التاريخ وأكثرها وحشية وهمجية، يقومون وهم الأضعف بفرض الجهاد الذي نكص عنه الحكام والنخبة والعسكر .. والأمة أيضا .. يقومون بالجهاد نيابة عن أمة بأسرها .. يقومون بالجهاد محاصرين مطاردين لا يجدون طعاما ولا شرابا ولا كساء ولا ملاذا .. ولا حتى تفهما ممن قعدوا عن الجهاد أو ولوا الدبر .. مثلنا ومثل طواغيتنا وعلمائنا .. مثلنا نحن نغرق في دهن التخمة ونردد عنهم أحاديث الإفك .. ليضاف إلى مسئولياتهم – فلذات الكبد وسويداء القلب – أن يقنعونا بسلامة مواقفهم وبتحريهم الحلال والحرام وأن يشرحوا لنا كل هذا ..

إنني أوجه نفس التساؤل الذي تساءلوه إلى شيخنا الجليل – وإلى كل شيوخنا معه–

.. أكرر نفس التساؤل:

'كيف يمكن أن تنطلي حيل الكفر وخادعهم والله تعالى ربنا قد أخبرنا عنهم أنهم ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ ... وأنهم كما خاطبهم ربنا ذاما لهم بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

أوجه نفس التساؤل إلى شيخنا الجليل – وإلى كل شيوخنا معه– فأواصل تلاوة بيان المجاهدين:

'ولكي لا يلتبس الحق بالباطل نقول إن دماء المسلمين ليست رخيصة عندنا – كما هي عند الصليبيين – لنهدرها بهذه الطريقة خاصة وإن من بين هذه الأسباب المهمة لإعلان جهادنا حقن دماء المسلمين ونحن حفاظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**» وقوله صلى الله عليه وسلم : «**لا يزال الرجل في سعة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**».

أوجه نفس التساؤل إلى شيخنا الجليل – وإلى كل شيوخنا معه– صارخا فيهم أين يذهبون من الله أمام هذا البيان للمجاهدين:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله وبعد ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات]

فهذا بيان من قائدنا أمير المؤمنين أبي مصعب الزرقاوي عجل الله شفاءه إلى المسلمين كافة حول الأحداث الأخيرة والمتعلقة بسفك دماء الدبلوماسيين الثلاث المصري والجزائريين يقول فيه ..

أولا .. ... إن إخوانكم المجاهدين في عاصمة الرشيد يتبرؤون كليا مما نسبه إليهم أعداء الله من سفك دماء المسلمين الثلاث ويعزون أهاليهم في مصر والجزائر ويسألون الله أن يغفر لهم ويسكنهم فسيح جناته إنه غفور رحيم.

ثانيا .. ... إن كل تصريح أو شريط فيديو يخص هؤلاء الثلاثة نسب إلينا فهو محض افتراء وكذب ونبرأ من كل قول أو شخص ينسبه زورا إلينا فحربنا هذه جهاد والجهاد لا يكون إلا ضد الكفار ومن يتولاهم وأعداؤنا هم المحتلون كافة والحكومة

العراقية بجيشها وشرطتها وعملائها.

ثالثا .. ... إن كل رصاصة أو قذيفة تطلق على كل مواطن عراقي غير أعدائنا فقد أطلقتها يد مجرمة غير أيدينا الطاهرة المجاهدة وليعلم العالم بأسره أن الشعب العراقي الأبي الحر هو عون لنا على أعداء الله وهو أعلم بمن يسفك دماء أبرياه.

رابعا .. ... إن كلا من المخابرات المصرية والجزائرية تعلم أن لا دخل لمجاهدينا لا من قريب ولا من بعيد في هذه القضية ولقد جمعنا بأشقائنا الجزائريين لقاء سري في أحد مخابئنا ببغداد وأقسمنا لهم أننا برآء من التهم المنسوبة إلينا بل وعاهدناهم على تقديم يد المساعدة والجلسة موثقة بالصوت والصورة ولكن ومع اقترابنا من كشف خيوط الجريمتين حيث قام ماهدونا باختطاف أحد عناصر الجيش العراقي العميل الذي اعترف أن فريقا مكلفا بمراقبة شخصيات سياسية محددة هو من قام باختطاف الضحايا وتسليمهم للقوات الأمريكية مباشرة بعد نقلهم إلى منطقة قرب مطار بغداد, فوجئنا بنبإ اغتيالهم والادعاء بأن جماعة أبو مصعب الزرقاوي هي المسؤولة عن ذلك.

خامسا .. ... نتحدى أي شخص كان أن يأتينا بدليل واحد بل بشبه دليل يربطنا بالقضيتين ونقول أننا نتهم الأمريكان بقتلهم وأشرطة الفيديو دليل على ما نقول فكلا الشريطين لا يظهر فيهما أي من رجال الجماعة الخاطفة وهو ما يخالف سلوكنا المعتاد حيث نظهر في كل شريط لنا المجاهد المسئول مباشرة عن العملية وهو يقرأ بيانه ملثما ثم إننا لا نعصب أبدا عيون المخطوفين أمام الكاميرا إذ ما جدوى ذلك وهم بين أيدينا رهائن ثالثا فنحن نأذن للمخطوفين دائما بمخاطبة شعوبهم ورؤسائهم وهذا ما لم نره في الشريطين المزعومين ورابعا أين صور قتلهم فنحن نصور عملية القتل دائما أما هؤلاء فقد قتلوهم رميا بالرصاص كما أخبر أسيرنا العميل ثم إن البيان الصادر عنهم يفضحهم أيما فضح فنحن لا نملك قاضيا شرعيا ناهيك عن محكمة شرعية ثم إن طريقة إخراج وتصوير الضحايا تختلف كليا عما نفعله نحن وأشرطتنا متوفرة لمن يريد التحقيق في الأمر.

سادسا .. ... إن الهدف من هاتين العمليتين واضح لكل ذي بصيرة ونظر فأعداء الله يريدون تشويه صورة المجاهدين والجهاد على أرض الرافدين في العالم الإسلامي ولكن هيهات هيهات فالمصريون أدرى بالفرق بين الجهاد والاستعمار والجزائريون

أعلم الناس بدسائس الكفر وهم الـذين قـدموا مليونـا مـن الشـهداء ومـا اسـتهداف دولتين عربيتين كبيرتين لدليل على ذلك ولو كنا نحن الفـاعلين لبـدأنا بسـفراء الكفـر والإرهاب ووالله سنفعل بإذن الله تعالى

سابعا .. ... إننا نعلن من هـذا المنـبر أننـا نسـتهدف جنـود الاحـتلال والحكومـة المزعومة وجيشها وكل شخص تربطه علاقة بهم فقط وكـل عمليـة تسـتهدف مراكـز الشرطة والجيش فنحن من نفذها حتى لو لم نتبناها أما استهداف الأبريـاء مـن النسـاء والأطفال والعزل في المساجد والأسواق فنشهد الله ورسوله أننا براء منها وكـل مـدع ومنسب لها إلينا فهو كاذب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الكريم

كنت أقرأ وأتابع وأسمع وأهتف:

يا شيخنا الجليل ما غرك بربك الكريم ..

يا شيوخنا .. ما غركم بربكم الكريم ..

***

قلت لنفسي لعل ما أوقع الشيخ الجليل في هذه الأخطاء هو عـدم المتابعـة خاصـة في ظل التعتيم الإعلامي، ورغم أنني قلت لنفسي أن من لا يتابع لا يفتي فقد التمست له المعاذير. لذلك اشتدت دهشتي وذهولي عندما كرر نفس المنهج ليقع في خطأ فـادح آخر .. خطأ ليس له فيه أي عذر بعد أن انتشرت الفضيحة كالنار في وسـائل الإعـلام جميعا واكتشفنا بعد عقد كامل من الكذب الفاجر من الذي يقـوم بعمليـات القتـل في الجزائر ..

لقد اتهم شيخنا المسلمين مرة أخرى ..

ولم يكن ذلك ما حدث ..

ما حدث انكشف أمره منذ زمان طويل – جزى الله الأستاذ فهمـي هويـدي خـيرا فقد كان من أول من كشفوه – ويلخصه مقـال للأسـتاذ خالـد الشـريف يقـول فيـه: أصدر ضابط سابق في الجـيش الجزائـري يـدعي حبيـب سـويدية كتابـا تحـت عنـوان «الحرب القذرة» فضح فيه جنرالات الجيش الجزائري الذين نفذوا مذابح ضخمة ضد المواطنين العزل بهدف استمرار دوامة العنف في البلاد وتفجير بحـور الـدم في الجزائـر

وقد أثار الكتاب صدمة كبيرة وموجة غضب عارمة داخل الجزائر والوطن العربي هذا الكتاب الذي كشف فيه حبيب سويدية عمليات نفذتها مجموعات من الجيش للتخلص من الإسلاميين، ويروي فيه ما شاهده من جرائم ضد المدنيين من قتل وحرق دبرت بحيث يبدو أن متشددين إسلاميين هم الذين ارتكبوها. وقد أعطى الكتاب وما أثير حوله من ضجة إعلامية في فرنسا ثقلا لمطالبات جماعات الدفاع عن حقوق الإنسان في الجزائر للتحقيق في عمليات قتل. وفي طيات كتابه المثير يروي سويدية في شهادته جزءا من هذه المأساة فيقول رأيت زملاء لي في الجيش الجزائري يحرقون صبيا عمره ١٥ سنة، ورأيت جنودا يتنكرون في زي إرهابيين ويذبحون المدنيين. رأيت ضباطا يقتلون ببرودة أعصاب متهمين بسطاء. رأيت ضباطا يعذبون حتى الموت المعتقلين الإسلاميين. رأيت الكثير من الأشياء، ورأيت ما يكفي لإقناعي بتحطيم جدار الصمت. وإن ما أورده سويدية في كتابه من المشاهد الرهيبة قامت بها مجموعات الأمن والجيش، من بينها مذبحة الزعترية كفيلة بتمزيق نياط قلوبنا إن كان في القلوب إسلام أو إيمان لقد كان سويدية شاهد عيان على ارتكاب العناصر العسكرية لهذه المجازر الفظيعة فسويدية ضابط شاب ومظلي سابق في الجيش الوطني الشعبي الجزائري تخرج من الكلية الحربية وعمل في صفوف القوات النظامية ابتداء من ١٩٨٩، شارك على نطاق واسع في ملاحقة الأفغانيين الجزائريين وكاد يقتل ورأى رفاقا له يسقطون ومدنيين يذبحون ومعتقلين يعذبون حتى الموت وأبدي سويدية اعتراضا على هذه الحرب القذرة وتهرب من تنفيذ عمليات قتل المدنيين فأحاطت به الشبهات، ولفقت له الأجهزة تهمة السرقة فقضى أربع سنوات في السجون ثم عبر البحر إلى فرنسا حيث طلب اللجوء السياسي وكتب خلال عام العام الماضي كتابه هذا عن الحرب القذرة الدائرة منذ تسع سنوات بين الجنرالات والإسلاميين والتي تسببت في تقديره في سقوط ١٥٠ ألف قتيل ودمرت البنية الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية معا للمجتمع الجزائري. وخطورة الاتهامات التي يوجهها مؤلف الحرب القذرة إلى جنرالات الجيش الجزائري تعود إلى أنه يسميهم بأسمائهم، ويقدم وصفا دقيقا للعمليات القذرة التي سمع بوقوعها أو تولى هو تنفيذها بناء على الأوامر الصادرة من الأعلى.

«وكان من أبرز العمليات القذرة التي زرعت الشك في قلب (سويدية) أثناء عمله في بلدة الأخضرية ذات الميول الإسلامية لغالبية سكانها ما حصل في إحدى ليالي آيار

من ذلك عام ١٩٩٤م حين تلقى أمرًا بأن يواكب رجاله في مهمة عسكرية، وقد فوجئ بأولئك الضباط يرتدون جلابيب، وقد أرسلوا لحاهم كما لو أنهم إسلاميون، وفي الحال أدرك أن مهمة قذرة ستنفذ، لا سيما وأنهم كانوا يحملون معهم قوائم أسماء، وبالفعل اتَّجه الضباط الأربعة بحراسة الدورية التي يترأسها إلى قرية مجاورة، وقرعوا أبواب بعض الأكواخ ثم عادوا ومعهم خمسة من الرجال وقد أوثقت أيديهم خلف ظهورهم، وألبسوا أقنعة حتى لا يروا شيئًا، وعند الرجوع إلى موقع القيادة في بلدة الأخضرية تبين (لسويدية) أن زملاء آخرين له قاموا بمهمة مماثلة، وعادوا أيضًا ببعض الأسرى من القرى المجاورة.

وتم اقتياد الأسرى إلى سجن الثكنة حيث بدأت عمليات تعذيب دامت بضعة أيام، ثم انتهت بقتل الأسرى رميًا بالرصاص أو ذبحًا أو حتى حرقًا، ورميت جثثهم في ضواحي بلدة الأخضرية، وقد حضر (سويدية) عملية تعذيب وحرق لاثنين من الأسرى، رجل في الخامسة والثلاثين، وفتى في الخامسة عشرة. وهو وقد سمى في كتابه الضابط الذي سكب عليهما صفيحة النفط وأضرم فيهما النار، وكذلك الضباط الذين كانوا يتفرجون على العملية. وبلغ الاشمئزاز ذروته عندما أذاعت القيادة العسكرية على أهالي الأخضرية بيانًا يفيد أن الإرهابيين داهموا بعض القرى المجاورة وقتلوا العشرات من رجالها وألقوا بجثثهم في الطرق. وقد دعت القيادة الأهالي إلى التعرف على جثث القتلى في مشرحة مستشفى الأخضرية وإلى استردادها لدفنها، أما الجثث التي أُحرِق أصحابها فقد تعذَّر التعرف على هوياتهم، وعُدَّ أصحابها من المفقودين الذين لا يزال أهاليهم يبحثون عنهم إلى اليوم.

***

هذا هو ما حدث في الجزائر يا شيخنا الجليل ..

قاله لنا المجاهدون فلم نصدقهم ..

صدقنا الخونة عملاء الصليبيين والصهاينة .. وصدقنا الصليبيين والصهاينة .. ولم نصدق إخوتنا .. بل سادتنا وقرة أعيننا .. لم نصدق المجاهدين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

صدقت يا سيدي ويا حبيبي .. ولقد جاءنا الزمن الذي يكذّب فيه الصادق ويصدّق الكذاب.

ولا يجمل بي أن أنتهي من هـذا المعنـى دون أن أتنـاول خطبـة أخـيرة لعبـدالعزيز بوتفليقة .. الرئيس الجزائري .. يعترف فيها بأن بعض عمليات الإرهـاب كـان يقـوم بها الجيش الجزائري .. فهل وصل ذلك إلى مسامعك يا شيخنا الجليل؟!.

أليس ذلك غريبا ..

لم يكن من حق فضيلة الشيخ الجليل الدكتور محمد إسماعيل المقدم بعد ذلـك كلـه أن يتحدث بازدراء شديد عن: « ما كان يصدق أن هناك إنسان أصلاً ينتمي للإنسانية أو لآدم عليه السلام ويَقوى على فعل هذا: يبقر بطون الحوامل، ويذبح الأجنة، وهم مسلمون، لماذا؟، لأنه يكفر هؤلاء الناس، فيستحلُّون دماءهم، ويفعلون هـذه الجـرائم الوحشية .. ينزلون على القبيلة يذبحوها كلها، وهذا جهاد!! » ..

لم يكن من حقه ..

وثمة معنى آخر جاهدت نفسي كي لا أفصح عنه .. لكن نفسي أبت عليّ ..

هذا المعنى – بالإدانة والاستهجان– أحس به كثيرا مع العلمانيين ورجـال السـلطة .. أحس به مثلا مع واحد كالجلاد القاتل المجرم فؤاد علام عندما ينفي حدوث التعـذيب وتزوير الانتخابات بينما هو أول من يـدرك أنـه كـذاب وأنـه هـو نفسـه الـذي كـان يقوم بها.

لأول مرة أحس بمعنى قريب من هذا مع واحد ممن أحبهم وأجلهم ..

الشيخ الجليل يعرف .. لكنه يقول غير ما يعرف .. فهل هي التقية؟ .. أم ابتعد ... ولا أكمل!! ..

***

لم يكن من حق شيخنا أن يفعل ذلك ليثير في نفسي شـعورا مريـرا أحسسـته ذات يوم تجاه شيخ جليل آخر طالما أحببته وهو الشيخ يوسف القرضاوي .. وأقصد فتـواه المسمومة عن جواز قيام الجندي الأمريكي المسلم بقتل أخيه المسلم في أفغانستان.

***

لكن الشيخ الجليل الدكتور يوسف القرضاوي لا يتركـني أغـرق في ذكريـاتي كـي أواصل عتاب شيخنا الجليل الدكتور محمد إسماعيل المقدم ..

لم يتركني في الماضي .. لأنه كان حاضرا في الحاضر .. كان حاضرا في بلد يعبد فيها

الشيطان .. اسمها محافظة شرم الشيخ!!

كان هو الآخر يشارك في إدانة الإرهابيين في شرم الشيخ .. حيث يعبدالشيطان .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .. ..

كان يدين الإرهابيين (المجرمين) الذين ينطلقون من فهم خاطئ للإسلام ..

كان الشيخ الجليل يدين ويؤكد الشبهات ببيانات الأمن .. وفي نفس الوقت كان رئيس الوزراء العلماني يستبعد تورط الإسلاميين والقاعدة في انفجارات شرم الشيخ ويرجح الثأر بسبب قسوة الأمن الباطش الجبار مع أهل سيناء ..

آه يا ألمي ..

آه يا شيخي ..

مالكم كيف تحكمون؟!

أجعلتم المسلمين مجرمين ..

مالكم كيف تحكمون؟!

أشاركتم الغرب في رأيه في الإسلام والمسلمين ..

وهل تعرفون ما هي نهاية الشوط ..

أليست: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ..

أم تغير القرآن وسيرضى منا اليهود والنصارى بأقل من الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ..

***

كان الدكتور يوسف القرضاوي يتحدث في افتتاح «ملتقى اقرأ الفقهي الأول» عن الإرهاب، وهو الملتقى الذي تنظمه مؤسسة «اقرأ» السعودية بمدينة شرم الشيخ المصرية تدعيما لمدينة شرم الشيخ بما ترمز له وتحديا للإرهابيين!!. ولقد حضر المؤتمر شيوخ أجلاء كثيرون – كالبوطي مثلا- عجبت كيف حضروا .. كما حضره شيخ الأزهر فلم أعجب لحضوره ..

كان فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي يتحدث في شرم الشيخ، ولست أدري لماذا ذهب؟ وهل استشعر حرجا بين أن يدين الإرهاب وبين أن يدين عبادة الشيطان في

شرم الشيخ، ويشرح لأهلها أن ما حدث لها إنما هو قصاص إلهي، وربما جعله الحرج يهرب من هذا وذاك ليهاجم ركنا آخر، ليس عند الصليبيين واليهود، وإنما في جامعة سعودية، عن أحد الباحثين، انتقده الشيخ الجليل بقسوة، وازدراه وحقر رأيه، وكان الباحث قد قدم رسالة في إحدى الجامعات السعودية تقول: إن اشتراك الدول الإسلامية في هيئة الأمم المتحدة إثم كبير. وحرام على كل بلد إسلامي أن يدخل في الأمم المتحدة .. ووضع أسانيده الفقهية ..

وكان الشيخ يهاجمه بشدة ويقول: «أنا لا أيأس من مخاطبة هؤلاء، وخاطبتهم في مصر، وبعد أن حاورهم العلماء انتهوا إلى التراجع عن هذا الفكر، وكتبوا ٦ كتب لتخطيء أنفسهم، وكانوا ينقلون عن كتبي، وكانت كتبي من المحرمات عليهم».

هل كان أمر هذه الرسالة الجامعية التي تطالب بالانسحاب من الأمم المتحدة يستحق وقفة شيخنا الجليل؟ ..

وهل الكفر بالأمم المتحدة – بغض النظر عن مواقفنا الشخصية- من نواقض الإسلام؟ ..

ولماذا لم يدن الشيخ الجليل القذافي وبوش وقد تحدث كلاهما عن الانسحاب من الأمم المتحدة أو مقاطعتها، بل إن الولايات المتحدة قد انسحبت بالفعل من العديد من المنظمات التابعة للأمم المتحدة. كما أن أحد منظري اليمين المتطرف في أمريكا وهو «ديفيد فروم» يدعو إلى انسحاب أمريكا من الأمم المتحدة .. والى معاداة فرنسا، وإلى اعتصار الصين والى خنق كوريا الشمالية، والى اعتبار قيام دولة فلسطينية وهما من الأوهام ينبغي تبديده. كما يكشف «فروم» أن أمريكا كانت تنوي الانسحاب من الأمم المتحدة إذا ما أدينت بسبب غزوها للعراق. وفي هذا الصدد يقول بوش: إن الأمم المتحدة ستلحق بالمرحومة عصبة الأمم.

فكرة الانسحاب من الأمم المتحدة إذن ليست شذوذا ولا جنونا .. وحتى لو كانت كذلك فإنها لا تقتصر على المسلمين!! ..

الفكرة ليست شاذة .. وإنما هي مطروحة .. وبقوة .. وممن تناولوها بعض المفكرين الإسلاميين المرموقين ..

يقول المفكر الإسلامي محمد مورو:

وهكذا فإن أقل قدر من الحكمة يقتضي الانسحاب من الأمم المتحدة، حتى لا

يتحول العرب والمسلمون إلى شهود زور على أنفسهم في تلك المنظمة الضارة جدًا علينا، وعند انسحاب الدول العربية والإسلامية فإن المسألة ستكون أقل ضررًا وأكثر وضوحًا وهو من باب أنه لو وقع العدوان فلن يكون باسم الشرعية الدولية، أو على الأقل إذا وقع عدوان على دولة عربية أو إسلامية -العراق، سوريا، السودان مثلا؛ فإنه لن يكون باسم باقي الدول العربية والإسلامية المشاركة في تلك الهيئة المسؤولية المسماة بالأم المتحدة.

من ناحية الشكل إذن فإن الأمر اجتهاد يجوز الاختلاف فيه، ولقد علمنا الشيخ الجليل أن ما فيه خلاف لا يجوز عليه اختلاف. أما من ناحية الموضوع فإن الأمر مطروح ومطروق، لكنه ليس في سلم الأولويات التي علمناها الشيخ، ولم يكن يستحق منه مجرد ذكره بله إدانته وازدرائه. فالكفر بالأمم المتحدة ليس إنكارا لما هو معلوم من الدين بالضرورة، وبالتالي ليس من نواقض الإيمان!! ..

***

ولقد جاء في حديث الشيخ الجليل بأن مقترفي فكر المراجعات، أو بالأحرى التراجعات، كانوا يهاجمونه ثم عادوا إلى كتبه. وما كان للشيخ أن يفخر بتراجعات تمت في السجن تحت هيمنة مباحث أمن الشيطان ..

ما كان له أن يفخر، بل كان عليه أن يدين جهاز الأمن الفاجر الباطش الجبار الذي دفع هؤلاء إلى تراجعات لا يصدقها الكثيرون، وأنا منهم، فهي تراجعات قضت على مرجعيتهم ودمرت مستقبلهم السياسي كما جعلت منهم مجرمين يرجون التوبة .. وجعلت من أعدائهم شهداء .. ومن شيوخهم في الإخوان – بتعبير المتراجعين أنفسهم- خطاة لا يجوز التحالف معهم .. ولقد مدحوا مبارك أو بالأحرى نافقوه وجرّموا الإخوان الذين يعتبر شيخنا الكبير واسطة العقد فيهم، وهذا أمر لم يتطرق إليه شيخنا الجليل أبدا رغم كثرة تناوله وفخره برجوع التائبين لدي أجهزة الأمن عن فكر الجماعات إلى كتبه ...

إن الشيخ الجليل يسير نفس المسار فيدين المجاهدين ويزدريهم. والمجاهدون قد يكونون قوما طلبوا الحق فأخطئوه، وما من أجل هذا الخطأ أدانهم شيخنا، ولكم يحزنني أنه أدانهم حين طلبوا الحق ومدحهم حين رجعوا عنه.

قال شيخنا القرضاوي: «المسألة في رأيي فكرية قبل كل شيء، هناك من يردون

أحداث العنف إلى أزمات بطالة وأزمات نفسية، لكن المؤثر الأكبر هو الجانب الفكري». وأوضح: «هناك فئة فسادها ليس في ضمائرها وليس في نياتها ... الآفة في المنهج، في الرؤوس لا في الضمائر ... كثير منهم مخلصون لكنهم أخطؤوا الطريق، ولا بد من استقامة الطريق مع استقامة النية».

ورأى القرضاوي أن «هناك قضايا أساسية ينبغي أن تعالج مثل فرض الكفاية». وقال: «هؤلاء الشباب يقولون: إنه فرض على الأمة الإسلامية أن تغزو ديار الكفار ولو كانت مسالمة». وأضاف متسائلا: «هل هذا الحكم متفق عليه؟».

***

لكن ..

يا شيخنا الجليل ..

المشكلة بهذا العرض مقلوبة ..

لسنا نحن الذين نهدد بغزوهم – حتى وإن قال بذلك فئة لا تكاد تذكر أو تسمع– ..

لسنا نحن الذين نهدد بغزوهم بل هم الذين يغزوننا بالفعل .. ولقد بلغ الأمر أنه في مطلع القرن العشرين لم تكن توجد في العالم كله أي دولة إسلامية مستقلة .. ولقد اكتشفنا بعد حقب، أن الجلاء عنما تم كان صوريا .. فالاستعمار الذي رحل ترك وكلاءه يحكموننا ..

يا شيخنا الجليل: ماذا إذن عن فتوى الحاخامات – لا اجتهاد الأفراد– حاخامات جيش إسرائيل أثناء غزو لبنان (لصحيفة هاآرتس), في ٥/ ٧/ ١٩٨٢، بما يلي ((علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب، فنحنٍ نؤدي واجبنا الديني هنا (في أرض لبنان) فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً، هو أن نغزو أرض العدو.

يا شيخنا الجليل: وماذا عن تحريض نشر رسميا، في كتيب صادر عن قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي، والتي تشمل ولايتها منطقة الضفة الغربية. ويكتب الكاهن الأول في القيادة هذا الكتيب: «عندما تلتقي قواتنا بمدنيين خلال الحرب أو خلال ملاحقة ساخنة أو غزو, ولم يكن مؤكدا أن أولئك المدنيين غير قادرين على إيذاء قواتنا، فوفق أحكام الهالاخاه, يمكن، لا بل يجب قتلهم .. .. عندما تهاجم قواتنا العدو، فهي مصرح لها، لا بل مأمورة وفق أحكام الهالاخاه، بأن تقتل حتى

المدنيين الطيبين» ..

يا شيخنا الجليل: وماذا عن الفقرات التالية المأخوذة من كتاب «الأصولية اليهودية في إسرائيل»، تأليف إسرائيل شاحاك ونورتون مزنفسكي، دار نشر بلوتو، ١٩٩٩:

ورداً على سؤال : «ماذا نفعل إذا هدد طفل عربي حياة يهودية؟» يقول الحاخام إفينير إذا ما حاول طفل غير يهودي أن يقتل يهود بإلقاء حجارة على سيارة على سبيل المثال يجب أن يعتبر هذا الطفل «مضطهد لليهود» وأن يقتل.

ورداً علي سؤال إذا ما كانت الهالاخاه تسمح بإعدام العرب الذين يلقون الحجارة قال افينير : أن هذه العقوبة مسموح بها بل إلزامية. وهي ليست مقتصرة على إلقاء الحجارة فقط فهناك أسباب أخرى تستدعي الإعدام. وقد أشار افينير أن المحكمة الحاخامية وملوك إسرائيل يتمتعون بحق معاقبة أي شخص بالإعدام إذا ما أدى ذلك إلى عالم أفضل.

يا شيخنا الجليل: وماذا عن القس الإنجيلي الأميركي بات روبرتسون صاحب اللائحة «الشيطانية» التي يطالب بالقضاء عليها والتي تضم القرآن الكريم وقيادات سياسية شرق أوسطية، داعياً الإدارة الأميركية إلى اغتيال الرئيس الفنزويلي المنتخب هوغو شافيز، تفادياً لتحول فنزويلا «معقلاً للشيوعيين والتطرف الإسلامي».

يا شيخنا الجليل: القضية المطروحة الآن أن فقههم ودينهم المزيف يدعوهم صراحة وعلى لسان فقهائهم إلى قتلنا وغزو ديارنا .. ونحن نترك حالة العجز العربي الفاجعة لنتحدث عن مقولات أفراد قطعت عن سياقها وأوصلها لنا في الأغلب الأعم ضباط مباحث أمن الشيطان لندين قائليها .. ولندين فيها الإسلام والمسلمين ..

فهل هذه هي القضية المطروحة الآن .. يا شيخنا الجليل ..

يا شيخنا الجليل .. هل المطروح الآن غزو ديار الكفار أم جهاد الدفع عن بلاد المسلمين التي غزاها الكفار؟! ..

يا شيخنا الجليل: هل يوجد الآن في أربعة أركان المعمورة بلد، بل مدينة بل قرية بل شبر من الأرض يحتلها المسلمون أو يفكرون في غزوها؟ ..

يا شيخنا الجليل: كيف تعزو ما يحدث إلى شباب يقولون: إنه فرض على الأمة الإسلامية أن تغزو ديار الكفار ولو كانت مسالمة .. فأين هؤلاء الشباب؟ .. وعلى

فرض وجودهم فإنهم هم أنفسهم لا مكان لهم في أوطانهم .. ولو وجدوا لحرروا أوطانهم قبل أن يغزو ديار غيرهم ..

يا شيخنا الجليل أبيت اللعن: الأمر ليس كما تقول .. إلا إذا كنا نقيس على الشاذ ونجعل الاستثناء هو القاعدة .. وفي هذه الحالة فإن الآفة تكون فعلا في المنهج، لكن في منهجنا نحن لا في منهجهم هم .. وتكون في الرؤوس والضمائر .. لكن في رؤوسنا نحن وفي ضمائرنا نحن لا في رؤوسهم وضمائرهم ..

يا شيخنا الجليل: نحن خذلنا المجاهدين .. ولم يكن لدينا من الإنصاف ما يدفعنا للاعتراف بأنهم على صواب وأننا على خطأ ولا الشجاعة لنعترف أننا من القاعدين فرحنا نرميهم بدائنا وننسل .. بل وتحول الأمر إلى آلية نفسية .. فنحن كلما هاجمناهم أكثر خيل إلينا أننا ندفع عن أنفسنا الاتهام أكثر ... وقد يكون هذا صحيحا في الدنيا .. فوسائل الإعلام كلها تنشر ما نقول وتقاطع ما يقولون .. وقد نكون ألحن منهم .. فإنما نأخذ قطعة من النار ..

يا شيخنا الجليل: لقد جاء في الفتاوى الكبرى ما نصه «العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه» وهذا النوع من القتال لا يشترط له شرط. وذكر الإمام العز بن عبدالسلام أن جهاد الدفع من الفروض، والفرض لا يستأذن فيه أحد. أما ابن عابدين – وهو من فقهاء الحنفية – فيقول: إذا هجم العدو على ديار المسلمين أصبح قتالهم فرض عين كالصلاة والصوم. ومثل هذا القول ردده الدسوقي من علماء المالكية وكذا الرملي من علماء الشافعية وابن قدامة من علماء الحنابلة وغيرهم كثير من جميع علماء المذاهب.

***

إنني أدرك أن الشيخ يوسف القرضاوي جزاه الله خيرا وغفر له وبدل سيئاته حسنات هو من أكثر من أفتي بالجهاد في العراق وفلسطين .. ولقد كتبت كثيرا أنني أحبه وأقدره وأحترمه وأنظر إلى جهده الهائل من خطابة وندوات وكتب ومؤتمرات وتدريس ونصح وآلاف الأشياء التي لا أعرفها .. أرقب ذلك كله بإعجاب لا حد له وأنا أدعو أن يجعله الله في ميزان حسناته، كنت كذلك وما زلت، لكن مشاعري تلك أصابها كدر بعد فتوى أفغانستان المشئومة، ثم إن أهل السنة والجماعة، جزاهم الله خيرا، قد استقروا على أنه، هو ومثله، مهما بلغت مراتبهم، يؤخذ منهم ويرد عليهم،

وأنه يخطئ ويصيب، وليس الخطأ ما يقلقني .. ولكن ما يزعجني ويرعبني أنني أراه في شموخه العالي وقد خالطت فتاواه – كشيخنا الجليل محمد إسماعيل المقدم – بعض ملامح الهزيمة الداخلية ..

نعم ألمح ملامح هزيمة من لم يعد حرصه على الموت كحرص الآخرين على الحياة..

إنني أدعو الله أن أكون على خطأ .. فأنا أذوب من الألم عندما أرى في بعض شيوخنا الأجلاء بعض ملامح هذه الهزيمة .. خاصة شيخينا الجليلين، اللذين لم يعد لنا من أمثالهما كثير، خاصة بعد أن خذلنا جل علمائنا وشيوخنا في الجزيرة العربية ..

نعم ..

خذلونا ..

دفعونا إلى الصواب ثم تخلوا عنا ..

فكانوا كالأعراب الذين صاحبوا الحسين ط ثم تسللوا تحت جنح الظلام عندما عرفوا أنه ميت لا محالة.

خدعونا ..

أخذنا أنفسنا بمنتهى الشدة كي نطابق المقياس الذي وضعوه للمسلم (وهو مقياس صحيح .. لكنهم هم الذين تراجعوا عنه) ..

تناقضت فتاواهم واختلفت مواقفهم وبلغ التطابق بين الفتوى والسياسة حدا ضاع معه الدين ..

ولقد بلغ الأمر حد المهزلة .. عندما أصبح من يوزع فتاوى الإيمان والكفر .. والإرهاب والاعتدال .. ليس عالم دين وإن كان منافقا أو جاهلا .. بل وزير داخلية ..

وفي هذا الصدد فإن هناك أمرين لا أجرؤ أبدا على تصديقهما حول الفتاوى التي يصدرها بعض شيوخ الجزيرة ..

الأمر الأول أن هناك فتاوى مخالفة للشرع يطلبها ولي الأمر .. وولي الأمر يعلم .. والشيخ يعلم .. لكن الفتوى تصدر في النهاية ..

لا أستطيع أن أصدق ذلك – مستريحا- .. لا أستطيع أن أصدقه على الرغم من الفتاوى الشاذة بالاستعانة بكافر على مسلم أو بالصلح مع إسرائيل أو بعدم جواز

الجهاد في العراق وفلسطين ..

أما الأمر الثاني فهو أن ثمن هذه الفتاوى يصل إلى عشرات الملايين .. وأن تسلم الشيك يسبق إصدار الفتوى ..

لا أصدق .. أو بالأحرى لا أريد أن أصدق ..

رغم ظاهر الحال لا أصدق ..

فالأفضل لي، ليس على مستوى العقيدة فقط، أن أكذبه، وأن أؤكد أن أمر اختلاف الفتاوى، واختلالها، اجتهاد يتسع للمخطئ كما يتسع للمصيب ..

لا أصدقه .. لأنني لو صدقته فقدت نصف قلبي ونصف عقلي ..

ولكم وددت أن يتصدى من يكذب هذا .. ولو بصورة غير مباشرة .. بإصدار فتوى تخالف رأي الملك مثلا .. لأن تطابق كل الفتاوى مع رأي الملك وتصريحاته لا تعني إلا شيئا واحدا، وهي أن مطلق هذه الفتاوى يعبد الملك من دون الله.

وعندما أقول لبعض أصدقائي في الجزيرة أنني لا أصدق أن ذلك يحدث يؤكدون لي حدوثه، ويعزون عدم تصديقي إلى الخلط بين قداسة الدين وبين بشر ليست لهم قداسة ..

و كنت أتمتم كل مرة مخاطبا نفسي بحروف لا تبين:

- لا ترفض التصديق بشدة .. فلطالما شككت أن بعض من أسند الطاغوت إليهم الفتيا في بلادك غير مسلمين!!

***

يبقى الشيخ يوسف القرضاوي طودا شامخا يخطئ ويصيب لكنني – ولا أزكيه على الله – أحسبه فوق مستوى الشبهات .. لكنني مع كثرة انحرافات أقرانه أصبحت حساسا جدا لما أتصوره خطأ منه .. إنه كجرعة ماء قد لا يحزبنا كثيرا أن تنسكب منا في الوادي فلدينا سواها الكثير .. لكن .. ماذا نفعل إن انسكبت منا في الصحراء وليس لدينا سواها ؟.

يا شيخنا: إني والله أحبك .. أحبك ذلك الحب الذي يجعلني أدعو لك بالشهادة خاتمة لحياة حافلة بالطاعات وعمل الخير وصواب كثير وسيئات أدعو الله أن يبدلها حسنات ..

يا شيخنا الذي أحبه: لماذا ذهبت إلى شرم الشيخ غفر الله لك؟!

يا شيخنا الذي أحبه: لماذا أفتيت فتوى أفغانستان المسمومة غفر الله لك؟! ..

يا شيخنا الذي أحبه: لماذا تراجعت جزئيا عن فتواك بقتل الأمريكيين جميعا في العراق غفر الله لك؟! .. فكما أنه في فلسطين ليس هناك مدني إسرائيلي فكذلك الأمر في العراق .. وربما تكون هناك شبهة في المدنيين الأمريكيين في باقي بلاد المسلمين .. أما في العراق فألف كلا ..

***

أذوب من الألم وأخشى أن يلجأ شيوخنا الأجلاء، قدوتنا، إلى التقية فأبادر لأذكرهم بشيخنا وإمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه، حين جاءه من تلامذته من يقول:

- أيها الإمام ما عليك أن تجيب؟.

فيقول له:

- انظر من خلال الشرفة وأخبرني ماذا ترى؟.

فينظر فيقول:

- إني أرى أهل بغداد قد اجتمعوا كل معه القرطاس والقلم ينتظرون ما تقول به ..

قال:

- أف ... أنجو بنفسي وأضل جميع هؤلاء ..

يا شيوخنا الأجلاء تنجون بأنفسكم وتضلون جميع هؤلاء .. ؟؟

***

في شرم الشيخ أيضا تهاطلت الإدانات ..

وكانت الإدانات في الظاهر تنصب على المجاهدين .. لكنها في الواقع كانت تواجه الجهاد نفسه وعينه وذاته ..

لم تكن الإدانة موجهة إلى صلاة كنقر الغراب لا تصح .. بل كانت الإدانة للصلاة كلها ..

نعم ..

الأمر كذلك ..

فمن أدان الجهاد لم يدنه لعدم انضباطه بضوابط الشرع، فقد كان عليه في هذه الحالة أن يتحدث جادا لا هازلا عن ضوابط الشرع وكان عليه أن يعلم الناس كيف يكون الجهاد بل كان عليه أن يقودهم فيه .. لكن ما يحدث الآن أمامنا إدانة مطلق الجهاد ..

إنني أعلم أن المجاهدين ليسوا معصومين من الخطأ .. بل وأعلم أن أول من يدخل النار يوم القيامة منفق وعالم وشهيد .. المجاهدون ليسوا معصومين إذن .. ولو تناول شيوخنا الأمر من هذه الزاوية لما كان لنا من تثريب عليهم .. كان شيوخنا يستطيعون اتهامهم في العراق مثلا بأنهم –حاش لله – لا يجاهدون في سبيل الله .. بل في سبيل عصبية أو حزب أو مال أو مجد .. أو ثأر من عدو غاصب باطش جبار مجرم ولم يقصدوا بجهادهم وجه الله .. وكان يمكن لهم أن يتهموا إخواننا في سيناء أنهم لم يقصدوا بتفجيراتهم وجه الله وإنما هم يثأرون من جهاز أمن باطش جبار مجرم ولم يقصدوا بما فعلوه وجه الله .. كان شيوخنا يستطيعون قول ذلك أو الادعاء به .. وكان عليهم في الخطوة التالية أن يعلموا هؤلاء وأولئك كيف يكون الجهاد حقا .. وكيف يستطيعون تصفية قلوبهم من الشوائب والأدران كي تكون قلوبهم خالصة لله الواحد القهار .. لكن شيوخنا لم يفعلوا ذلك .. شيوخنا هاجموهم بنفس منطق مباحث أمن الدولة والموساد والسي آي إيه .. شيوخنا هاجموهم بنفس المنطق الذي هاجم به ابن زياد وعمرو بن سعد وشمر بن ذي الجوشن الإمام الحسين رضي الله عنه ..

***

يشتعل القلب بالغضب المحموم والأسى الفاجع .. عندما أقرأ كيف تسلل الأعراب من جيش الحسين رضي الله عنه ..

كان حبيبي ط ابن بنت حبيبي ﷺ قد أدرك أنه شهيد، وأن شيعته خذلوه فقال:

– من أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه وليس عليه منا ذمام ..

فتفرق الناس عنه حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أن من اتبعه من الأعراب إنما اتبعوه لأنه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهلها فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون وقد علم أنه إذا بين لهم الأمر لم يصحبه إلا من يريد مواساته في الموت معه ..

يشتعل القلب بالغضب المحموم والأسى الفاجع .. عندما أرى كيف يتسلل العلماء هاربين من المواجهة ..

أعتذر إليك يا سيدي وحبيبي الشيخ أسامة بن لادن ويا أيمن الظواهري ويا أبا مصعب الزرقاوي رضي الله عنكم ورضيتم عنه .. أعتذر .. لم نكتف بخذلانكم .. بل راح بعضنا يردد عنكم ما يختلقه أعداء الله من محاولة لتشويهكم .. وما تشويهكم يبغون ولكن تشويه الجهاد كله .. الجهاد كذروة سنام الإسلام ..

أعتذر لكم ..

إن يكونوا قد انسلوا عنكم فقد انسل أجدادهم من حول الحسين رضي الله عنه ..

ترى ..

لو تأخر سيد شباب شهداء أهل الجنة إلى زماننا .. أو لو أننا تقدمنا إلى زمانه .. في أي معسكر كان يكون وفي أي معسكر كنا نكون ..

أقولها وقلبي ينزف .. أقولها ومخالب تنين الألم الوحشي تنهش قلبي فلا تعود المخالب إلا وقد تعلقت بها مزق لحم القلب ويقطر منها دمه .. أقولها .. أو بالأحرى أسأل:

- هل كان الشيخ يوسف القرضاوي والشيخ محمد إسماعيل يكونان في معسكر الحسين أم في معسكر ابن زياد ؟.

أسألهما ليس لأنهما الأذل أو الأقل بل لأنهما الأجلّ .. هما القامة العالية التي لا ينبغي لها أن تنحني حتى إذا انحنى الباقون .. هما الهامة العالية التي ينبغي أن تلتزم بالعزيمة حين يلجأ الآخرون إلى الرخصة .. بل أقول أنهما هما بالذات عليهما أن يتوجا حياتهما بالاستشهاد.

أسألهما وأسأل سواهما والسؤال قرار يجب أن يتخذ في سرعة ومضة الضوء المنعكس على صفحة سيف:

- عندما يكون الموت هو الشرف الوحيد الباقي .. أننكص عنه؟ .. أنهرب من قدر الله؟؟ .. أمن الاستشهاد نفر؟! ..

أسأل والأسئلة طوفان من المرارة العاتية:

– في أي صف كانت تكون مباحث أمن الدولة والحرس الوطني والجيش المصري والجيش السعودي والجيش السوري وجيش الخليج .. مع الحسين أم مع ابن زياد؟! .. ..

أتساءل والأسئلة ﴿كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾:

– أي معسكر كانت ستقصف طائراتنا وأي قلاع كانت ستدمر بوارجنا وأي لحم طاهر كانت ستسحق دباباتنا ..

أتساءل والتساؤل نيران مشبوبة في القلب:

– مع من كانت صحفنا ستكون؟! .. والعناوين الرئيسة لصحف الأهرام والحياة والشرق الأوسط: كيف كانت ستصف الإرهابي الحسين ؟! كيف كانوا سيسبّونه؟ .. وهل كان سبابهم سيطال جده؟! .. صلى الله عليه وسلم .. هل كان السباب يطاله؟ .. لا يتجاهلن أحدكم السؤال ولا ينكرنه .. فالسباب يطال جده رغم مسافة ألف وخمسمائة عام .. وعلى الرغم من ذلك فإن صحفنا الكبرى تعتبر سباب جده رقيا وتقدما وحضارة، وبعض مفكرينا، هم الذين يفعلون ذلك. مع من كان الكتاب والمفكرون سيكونون .. ؟! .. وأنتم يا ناس .. أنت يا أمة .. مع من كنت ستكونين .. وهل كان الحسين رضي الله عنه سينجو من تهمة الإرهاب؟! ..

أسألكم يا ناس .. وأستحلفكم بالواحد القهار ألا تكذبوا:

– لو أن الحسين يوجد الآن .. في أي بلدة من بلاد عالمنا العربي .. فهل يوجد بلد واحد سينصره ويحميه؟!

أسألكم يا ناس .. وأستحلفكم بالواحد القهار ألا تكذبوا:

– لو أن الحسين وجد الآن .. فهل كانت توجد حكومة عربية واحدة ترفض أن تسلمه ليؤسر في جوانتانمو ؟!!

أسألكم يا ناس .. فهل عرفتم قدركم .. وقدر دينكم في قلوبكم؟!

***

الكارثة أن حملة الازدراء والاحتقار التي يواجه بها شيوخنا جموع المجاهدين ليس لها في الإسلام مرجعية ولا أصل .. ولو عرف شيوخنا مغبة هذا الازدراء لعرفوا أنه باب

من أبواب الشيطان وما فتحوه أبدا .. ثـم إنـه علامـة ضـعف .. لأن الأمـر لـو كـان صحيحا عقليا لما استوجب إلا بعضا من الحوار .. أو حتى القتال .. لكنه لا يستدعي الازدراء .. الرأسماليون لم يزدروا الشيوعيين .. والنـازيون لم يـزدروا الرأسمـاليين .. لكنهم كانوا أعداء وتقاتلوا حتى المـوت فمـن أيـن أتانـا وبـاء الازدراء ومـا أصـاب علماءنا به رغم أن تناول القرآن للمستهزئين والساخرين مرعب. وإنني لأعجب كيف لم يدرك علماؤنا وشيوخنا كل ذلك وقد أدركه العلمانيون والأجانب ..

نعم ..

آلية الازدراء آلية شيطانية خبيثة شريرة عنصرية لا يمكن أن يأتي من ورائها خير ..

إن الفطرة التي خلقها الله فينا رادار يجعلنا ندرك بالغريزة وبالروح قبل العقـل أيـن الصواب وأين الخطأ؟ .. والإنسان .. مهما بلغ شره يحتـاج إلى مـبرر للشـر .. إنـه لا يقول أنا شرير لذلك سأقتل وأسرق وأدمر .. بل هو يقول أن الآخر شرير .. بـل هـو محور الشر .. لذلك سأقتله وأدمره وأستولي على ثروتـه كـي لا يسـتعملها في تـدمير العالم .. نعم ..

حتى الشيطان يحتاج إلى مبرر لجرائمه .. «خلقتني من نار وخلقته مـن طـين» .. !! .. والمجرم مهما بلغ إجرامه يحتاج دائما إلى مـبرر لقتـل إنسـان آخـر، وعلـى مسـتوى الجماعات والدول فقد كان استغفال الناس وتزييف الواقع كليا وطمس آثار الحقـائق نهائيا يمكن أن يتحقق قبل تطور وسائل الإعلام الـتي جعلـت مـن إخفـاء مثـل هـذه الجرائم الآن أمرا مستحيلا .. كما أن هذا المبرر الشيطاني الذي يبدأ بالازدراء وينتهي بالقتل أو بتبريره لا يمكن إيجاده في حالة الرغبة في قتل إنسان .. أي إنسان .. لأن كـل إنسان يتمتع بحق المساواة الكاملة مع القاتل وعلى رأسها حق الحياة، لهذا فـإن القاتـل يلجأ إلى الحيلة .. إلى الخداع والتزوير والكذب .. إلى تجريد الضـحية مـن خصائصـها الإنسانية كما يقول الفيلسوف الفرنسي سارتر والنزول بهـا إلى منزلـة القـرود لتبريـر جريمته. إنه بمنطوق حضارته المنافقة لا يستطيع أن يقتل إنسـانا، لكنـه لا يتوقـف عـن القتل، بل يتوقف عن تسمية من ينوي قتله إنسانا!! .. ولكن مجمل هذه التبريـرات – وكل من يصدقها أو يرددها أو يقتنع بها حتى لو كان عالما أو شيخا – ساعدت علـى إبادة الكثير من الشعوب للاستيلاء على أراضيها وثرواتها كما يقـول د. كمـال سـيد قادر ـ في مقال قيم له على الشبكة العنكبوتية (في موقع صليبي صهيوني دنـس اسمـه

إيلاف .. أظن أن أصوله سعودية .. وأنه يمثل الليبراليين الجدد بكل نجاستهم .. ومن الغريب أن هذا الموقع الشيطاني نشر مثل هذا المقال القيم .. ربما لمجرد ذر الرماد في العيون .. وربما للتستر) ..

إذن ..

فالهجوم والازدراء والاحتقار والإدانة هي الخطوات الأولى نحو احتلال بلادنا وقتل أبنائنا ونهب ثرواتنا ..

فإن شاركنا أعداءنا في الهجوم والازدراء والاحتقار فإننا نكون كالطابور الخامس الذي يمهد الأرض للعدو قبل وصوله. إلا أن تأثيرنا يتجاوز مجرد الشهادة .. فنحن إنما نشهد ضد أبنائنا وإخوتنا ..

فهل أدركتم ذلك يا شيوخنا ..

إن كنتم أدركتموه فتلك مصيبة وإن كنتم لم تدركوه فالمصيبة أعظم.

نعم .. من يمارس الازدراء يشارك في القتل .. قتل أهله واحتلال وطنه وسرقة ثروته وتضييع هويته ..

الأمر لا يقتصر على الولاء والبراء – وهما ضروريان ضرورة الحياة نفسها – لكن الأمر لا يقتصر عليهما .. لأن الحكم ينطبق حتى على الملحدين .. لأن الملحد (ومنهم كل الشيوعيين وجل القوميين) الذي يمارس هذا الازدراء والتشهير إنما يعطي أعداء وطنه المبرر للاستيلاء عليه ..

هل رأيتم ملحدا إسرائيليا يحب العرب أكثر من حبه لإسرائيل؟! .. بل ويفضل حكم العرب عن حكم اليهود؟! ..

طرح السؤال على قومي مصري: هل تفضل أن يحكم الإسرائيليون غزة أو أن يحكمها الإسرائيليون؟ .. وكانت إجابة الخائن واضحة .. (وهو خائن .. بغض النظر عن كفره الذي يحتاج إثباته إلى خطوات محددة) ..

***

في نفس هذا الصدد فإن صحيفة علمانية، هي القدس العربي كتبت في ١٥-٨ تقول أن أي حملة استعمارية في التاريخ سبقتها حملة عنصرية ضد الشعوب والبلدان المستهدفة. والحملات العنصرية كانت تشن بطريقة تتناسب مع الزمن والثقافة السائدة

في هذه الحقبة الزمنية. فمثلا الحملات العنصرية ضد شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا منذ القرن السادس عشر وإلى الحرب العالمية الثانية كانت تستند إلى ادعاءات حول همجية وتأخر هذه الشعوب لتبرير استعمارها وكأنه حملة تنويرية لجلب التمدن والرفاهية لهذه الشعوب من قبل الشعوب الأوربية المتحضرة. ولكن كما يبدو فإن الأمر تغير الآن لأن الشعوب والبلدان الإسلامية من الصعب اتهامها بالتأخر لتبرير استعمارها ولذلك وجدت وسيلة أخرى لتوفير هذا التبرير أي عن طريق تشويه صورتهم من خلال حملات عنصرية تتخذ من الدين أساسا لها وخاصة في إطار اتهامات تنوى الربط بين الدين الإسلامي والإرهاب.

وتواصل الصحيفة قائلة: يجب علينا أن ندرك أن مثل هذا النوع من الهجوم ليس سوى تمهيد للاستعمار. ولما كان الاستعمار يعني ارتكاب جرائم وحشية ضد شعوب وأمم تتمتع نظريا على الأقل بالمساواة مع المستعمر نفسه فلذلك على الأخير أن يقوم بإطلاق مواصفات غير لائقة اجتماعيا ودينيا وسياسيا على الشعوب التي ينوى المستعمر استعمارها وإذلالها بهدف التقليص من كرامتها وقيمتها الإنسانية وحرمانها من حق المساواة الكاملة مع الآخرين كأعضاء في المجتمع البشرى تبريرا لجرائمه الاستعمارية ضد هذه الشعوب.

***

ليس الأمر أمر عنف ولا إرهاب .. فالعنف دينهم والإرهاب عملهم .. الأمر كله محاولة وأد الصحوة الإسلامية.

يقول المغفور له أحمد ديدات في كتابه: «هذه حياتي»:

هذه الصحوة الإسلامية التي بدأت تنتظم العالم الإسلامي قد أرهبت الغرب، ولكي يقلل من شأنها بدأ يطلق عليها أسماء تخيف الناس: كالتطرف والتعصب وغير ذلك من الأسماء، وهذه دعاية غربية تساندها مؤسسات التبشير لتقلل من شأن الحركات الإسلامية، وهذه هي استراتيجيتهم الجديدة التي يتبعونها لمحاربة الإسلام شأنهم ذاته كما كان في الماضي، إذ كانوا يقولون: إن الإسلام دين خاطئ، ومحمد صلى الله عليه وسلم رجلٍ شهوانيٍ – حاشاه وحاشاه – تزوج عدة نساء، وعندها لم تجد تلك الادعاءات تقبلاً واسعاً استبدلوها بهذه الاستراتيجية الجديدة لتشويه الإسلام، وعلى ضوء هذه الحرب النفسية فإن العالم الغربي النصراني مصمم على

تنصير العالم الإسلامي، ويعدّ لذلك خططاً مركزة لتنصير المسلمين في العالم، والدلائل على ذلك أكثر من أن يحصيها العد، فالآن يتفرغ لنا المنصرون بالملايين حيث يتوزعون حول العالم لتنصير المسلمين، وهم يقرعون أبوابنا في بلادنا فلم تسلم من هذا القرع دولة من الدول، فقد تنصر ١٥ مليون أندونيسي، وهم يفتخرون بأنهم استطاعوا تنصير المسلمين الباكستانيين، والبنغاليين الآن أكثر من أيام الاستعمار البريطاني، وهناك الآن مئات الألوف متفرغون للتنصير في إفريقيا.

***

نعم ..

لم يكفّ الغرب المجرم أبدا عن اختلاق الذرائع .. فمرة هو متقدم لأنه أبيض ونحن متخلفون لأننا ملونون .. ولكن الأمر انقلب عليه حين طبق النازيون نفس النظرية عليه .. ثم لجأ الغرب بعد ذلك إلى العنصرية الاجتماعية باتهام الشعوب التي يريد استعمارها بأنهم متخلفون ووحوش لذلك يجب استعمارهم لغرس الحضارة فيهم (ولكن .. لنتذكر أن فرنسا عندما احتلت الجزائر كانت نسبة الأمية في فرنسا أكثر منها في الجزائر .. وعندما جلت عنها بعد مائة وثلاثين عاما كانت نسبة الأمية في الجزائر تقارب ١٠٠٪) .. فإذا فشلت الذرائع السابقة كان المبرر صدام الحضارات واتهام الإسلام بالإرهاب. المعركة الدائرة حول رسم صورة المسلم (أو بالأحرى العربي) في وعي الآخرين، لم تعد تنفصل عن المعركة الدائرة حول الهيمنة علي العالم العربي وداخله ومعه. رسم صورة العربي والشرقي والمسلم، كما بين ادوارد سعيد، كانت ولا تزال جزءا من معركة الاستحواذ والتبرير للقمع والهيمنة. وصف الآخر بالبربرية والهمجية يمهد الطريق لشن الحرب لترويض هذه البربرية. وبالمثل فإن الحديث عن الثقافة التي تولد الإرهاب هو بمثابة تبرير لمخططات ستوصف إنها ضرورية لاجتثاث ثقافة الإرهاب وفرض الحضارة والتحضر علي هذه المجتمعات المارقة.

***

يذهلني، بل يذبحني أن كتابا علمانيين غير مسلمين ولا عرب كانوا أكثر إنصافا للمسلمين من بعض شيوخنا ..

يقول باتريك سيل تحت عنوان « لندن تدفع ضريبة غزوها للعراق »:

.. .. كانت تلفزيونات العالم وشبكاته الإخبارية، قد بثت في السابع من يوليو

الجاري، صوراً بشعة مثيرة للصدمة والأسى، لأشلاء جثث تبعثرت وتناثرت في الشارع العام، ولركاب حافلات ومترو أنفاق، ملطخين بدمائهم وهم يهرعون إلى المحطات هرباً من جحيم الانفجار، قبل أن تختطفهم النقالات وسيارات الإسعاف حيث أخذوا للإنقاذ والعلاج. فهل كان ما رأيناه مشهداً من مشاهد المذابح اليومية، التي تشهدها المدن والعاصمة العراقية بغداد؟ كلا، فنحن في قلب العاصمة البريطانية لندن حسبما تقول تلك الصور! (...) وتشير كافة البيانات الظرفية، إلى أن تنظيم القاعدة أو إحدى الجهات ذات الصلة به، هو المدبر والمنفذ لهذه الهجمات. ولما كان الأمر كذلك، فلمَ فعل تنظيم القاعدة ما فعل بلندن؟ هل هي رغبة من التنظيم، في مهاجمة «القيم البريطانية» كما جاء في تصريحات رئيس الوزراء توني بلير؟ أم أن لهذه الهجمات صلة باستجابة مضادة للسياسات البريطانية؟ والإجابة البديهية على هذا السؤال، هي أن القنابل الأربع التي هزت لندن وفجرتها، إنما هي بمثابة استجابة محسوبة ومخططة ومدروسة، للقرار الذي اتخذه توني بلير بالانضمام إلى حليفه الرئيس الأميركي جورج بوش، في حربهما الثنائية ضد العراق. وبعبارة أخرى، فإن أولئك القتلى والجرحى والمصابين، والشلل التام الذي أصاب تلك المدينة الكبيرة كلها يوم الهجمات، وعودة مئات الآلاف من مواطنيها مشياً على الأقدام في ذلك اليوم، إلى جانب ما أحدثته الهجمات والتفجيرات من خسائر مادية واقتصادية فادحة، كل ذلك قد قصد منه أن يكون ثمناً تعين على بريطانيا دفعه، رداً على الحرب العراقية التي شنها بلير.

***

يا إلهي ..

لكم كنت أود أن يقول شيوخنا ما قاله باتريك سيل الذي لم يكتف بإدانة بلاده بأشد الأساليب قسوة .. بل إنه يتجاوز ذلك ليدين الدول العربية (بالعين لا بالغين!) التي عجزت عن تحريك إصبع واحد لحماية العراق، أو وقف المطامح الاستعمارية الأميركية- البريطانية الجديدة عند حدها، قبل شن الحرب. بل إن الذي حدث من بعض الدول العربية، هو أنها وفرت القواعد العسكرية التي شنت منها الحرب على العراق.

ويواصل باتريك سيل فاهما متفهما، وليس مزدريا مهاجما: .. وفي ظل هذا الفراغ الناشئ عن العجز أو الشراكة العربية في غزو العراق، فقد علا دور اللاعبين الجدد –

غير الحكوميين- من أمثال تنظيم القاعدة، وطفح كيلهم ورغبتهم في الثأر من ذلك التدخل الأجنبي السافر في تقرير مصير بلدانهم وشعوبهم. وفيما يبدو فإن الهدف الرئيسي لهذه التنظيمات، هو ابتكار رادع عسكري ما. أما الرسالة الموجهة إلى الغرب عموماً، فهي في غاية البساطة والمباشرة: «إن قتلتمونا فسوف نقتلكم بالمثل».

ويصرخ سمير جبور في القدس العربي في ٢٢-٧-٢٠٠٥ في مقالة ممتازة مؤكدا أن العوار عند الغرب وليس عندنا:

وقد تصدي بعض الكتاب والخبراء الغربيين لهذه التحريضات والمقولات المغرضة مشيرين بأصابعهم إلى ما يعتقدون بأنه الدوافع الحقيقية. فعلي سبيل المثال يقول باتريك بوكانين أن الذين ينفذون هذه العمليات لا يريدون تحويلنا عن ديننا ... إنهم يقتلوننا من أجل طردنا من بلادهم. ويقتبس بوكانين من كتاب روبرت بيب المنطق الاستراتيجي من وراء الإرهاب الانتحاري أن الدافع من وراء الهجمات الانتحارية ـ الإرهابية ليس دينيا وإنما استراتيجيا الغاية منه إجبار الدول الديموقراطية المعاصرة علي سحب قواتها العسكرية من ... أوطانهم.

وأما مايكل شوير الذي كان رئيس وحدة بن لادن في مركز محاربة الإرهاب في وكالة المخابرات المركزية يعرض ستة أسباب لمهاجمة الولايات المتحدة يوم ١١ / ٩ وستبقى عرضة للهجوم وهي:

١. الولايات المتحدة تدعم إسرائيل وهي لا تبالي بالفلسطينيين.
٢. الولايات المتحدة والقوات العسكرية الأخرى ضاربة في شبه الجزيرة العربية.
٣. الولايات المتحدة تحتل العراق وأفغانستان.
٤. الولايات المتحدة تدعم البلدان التي تضطهد المسلمين ـ روسيا والهند والصين.
٥. الولايات المتحدة تضغط علي العرب للمحافظة علي تدني أسعار النفط.
٦. الولايـــات المتحدة تدعم الحكومات الدكتاتورية.

وقد أعلن راي ماكغفرن وهو محلل استخباراتي سابق أن الولايات المتحدة شنت الحرب علي العراق من أجل النفط ومن أجل إسرائيل والقواعد العسكرية التي نشرتها أوساط المحافظين الجدد لكي تتمكن إسرائيل من السيطرة علي هذا الجزء من العالم. وقال ماكغفرن : إنه لا ينبغي اعتبار إسرائيل حليفة لأميركا بعد الآن.

إريك مارغوليس الكاتب الكندي المرموق يقول معلقا علي أحداث لندن أن الدافع من ورائها ليس دينيا وإنما سياسيّ... ليس لأنهم يكرهون الحياة الغربية ... هاجمونا لأننا هاجمناهم. ويتابع مارغوليس: صحيح ما يقوله طوني بلير أن قتل المدنيين وهم في طريقهم إلى أعمالهم إنما هو عمل بربري، ولكن ماذا تطلق على إلقاء القنابل علي أفغانستان والقرى العراقية، واستخدام الدبابات لسحق المتظاهرين الفلسطينيين أو ذبح ١٠٠ ألف مدني من الشيشان علي يد حليفتنا روسيا ؟.

ويواصل سمير جبور:

العقل البشري بصورة عامة، سواء الذي يذوق طعم العذاب يوميا أو تلك الملايين التي تتضامن معه وتتظاهر في عواصم العالم، لم يعد يحتمل مظالمكم وانتهاككم لكل القوانين والشرائع؛ العقل البشري سئم حروبكم ومذابحكم واحتلالاتكم؛ الإنسان الفلسطيني ومعه أنصار الحرية وأصحاب المبادئ الإنسانية لم يعد يحتمل شارون وممارساته؛ لم يعد يحتمل بوش وتعبيرات وجهه ويده التي أشار بها إلى شارون بأنه رجل سلام وهو المطلوب للعدالة الدولية؛ لم يعد يحتمل ارتكاب المذابح واغتيال القيادات والإذلال علي الحواجز وهدم المنازل وزج الآلاف في المعتقلات وهتك الأعراض؛ الإنسان الفلسطيني لم يعد يحتمل عنصرية مستوطنيكم ولا جداركم العنصري؛ العقل البشري ناقم عليكم في العراق وفلسطين: في جنين والفلوجة في أبو غريب في صبرا وشاتيلا في كل بقعة من جنوب لبنان.

العقل البشري ثائر علي حصاركم للعراق الذي تسبب في وفاة ٥٠٠ ألف إنسان نسبة كبيرة منهم من الأطفال؛ العقل البشري لا يفهم لماذا تهبون إسرائيل ١، ٦ تريليون دولار (منذ سنة ١٩٧٣ فقط) والفلسطينيون يعانون من الفاقة والجوع في ظل احتلال بغيض؛ وهم لا يحتاجون إلى أموالكم بل يريدون استرجاع وطنهم؛ العقل البشري لم يعد يحتمل أكاذيبكم وذرائعكم لتدمير العراق خدمة لإسرائيل فقط لا غير لتسيطر هي علي البترول مباشرة وتدمر القوة العربية القائمة والمحتملة. (...) لقد آن الأوان لمراجعة المواقف والتوقف عند الأسباب الحقيقية لغليان الشعوب قبل أن يمتد الحريق ليلتهم الأخضر واليابس ... !

هكذا يتحدث بعض العلمانيين وحتى النصارى واليهود (وليس نموذج تشومسكي ببعيد) .. ويا لها من مذلة حين نتمنى أن يرقى إنصاف شيوخنا لنا إلى مستوي بعض

العلمانيين والنصارى واليهود، الذين يتحدثون عن المسلمين دون إدانة ودون ازدراء.

***

ولقد تناولت ظاهرة الازدراء تلك في مقالات سابقة. وهي قديمة، بدأت بالمشركين، ثم المستشرقين، ثم الخونة من شيوعيين وقوميين، وقد اشتد أوارها، حتى أصبح الازدراء هو القاعدة وما دونه استثناء، بداية من تمثيلية المنشية عام ١٩٥٤، وعلى يد عبدالناصر وأعوانه، عليهم من الله ما يستحقون، وفي ذلك الوقت، انضم إلى حملة الشيطان بعض العلماء أو أشباه العلماء، واستمر الأمر، حتى تسللت الظاهرة إلى كتاب مرموقين، كالأستاذ فهمي هويدي. خاصة في كتاباته عن طالبان، حيث كتب أسوأ كتبه على الإطلاق: «طالبان جند الله في المعركة الغلط» .. وبرغم أنه في ثنايا الكتاب برأها من كثير مما اتهمت به ظلما وزورا، إلا أنه تناول الحركة كلها بازدراء وتعال غير مبرر، ازدراء وتعال انتقل إلينا من رأى الصليبيين واليهود فينا، تناولها ليس – حتى – كخطأ يمكن أن يُصوّب، بل كتخلف يجب أن يزدرى ويجب أن يستأصل. وبدا لي قلمه الرشيق، سيفا سُلّ على الحسين، ممن كان ينبغي عليه أن يستشهد دونه. أو على الأقل كان واحدا من آل البيت – لا الأعراب– لكنه انسل هاربا تاركا الحسين رضي الله عنه.

سوف يدرك فهمي هويدي خطأه بعد ذلك .. سوف يدرك أن طالبان ليست مستهدفة لأنها كما يقول – بالباطل – متخلفة .. بل لأنها مسلمة .. وأنه هو نفسه سيستهدف ذات يوم .. رغم أنه غير متخلف!! .. ولست أدري هل أدرك الخطأ حين أدركه في الوقت المناسب أم سبق السيف العذل .. المؤكد أنه أدرك .. والمؤكد أنه لم يعتذر .. ويتجسد إدراكه في مقال منشور بمجلة راديو الإسلام (الشنكبوتية) يبدأه بصرخة:

«أخشى ما أخشاه أن نكون بصدد تشكيل فلسفة قمعية جديدة دون أن ندري، تسوغ التخلص من الاتجاهات الإسلامية، بزعم أن أصحابها يمثلون «فئات ضارة» بالمجتمع. »

ثم يتناول كتاب الدكتور عبدالوهاب المسيري «الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ»، الذي يشرح نشوء فكرة ضمان العافية والنقاء العرقي للألمان وما يترتب عليه من إبادة الفائض البشري، ويلاحظ فهمي هويدي تشابها مع الحجج التي تساق للتخلص من

التوجهات الإسلامية في زماننا. لقد جرى تبرير الإبادة في المرحلة النازية باعتبار أن ثمة فئات غير نافعة للمجتمع، في حين أن ما ينسب للحالة الإسلامية يتجاوز عدم النفع، ويروج لفكرة الإضرار بالمجتمع. وفي ألمانيا النازية كان الحديث عن تفوق «العرق السيد»، وفي حالتنا يروج البعض لفكر ونموذج سيد، يتمثل في الليبرالية والنظام الرأسمالي الغربي. ولقد تحدث المنظرون الألمان عن «أجناس عليا» ممثلة في الآريين، وأخرى «سفلى» تمثلت في العرب والزنوج واليهود. والعلمانيون عندما يتحدثون عن أفكار عليا «مشروعهم العلماني الليبرالي»، وأخرى سفلى ممثلة في أطروحات الإسلاميين بمختلف اتجاهاتهم.

ثم يصل هويدي إلى الاستنتاج الفاجع:

إذا كان التشابه إلى ذلك الحد، وفي ظل إشاعة المخاوف من الإسلاميين والإلحاح على ما يمثله حضورهم المتنامي من خطر وضرر، ما الذي يمنع من أن يقتنع البعض في النهاية بأنه لا سبيل إلى تجنب الضرر والخطر إلا بالخلاص من تلك الشرائح، اهتداء بالخبرة الألمانية؟ – وهل نستبعد أو نستغرب أن يثور يوماً ما جدل بين العلمانيين المخاصمين حول أفضل السبل لتحقيق ذلك «الخلاص» المنشود، وهل يكون بالإبادة أو التعقيم أو النفي، ويكون الخياران الأخيران مطلباً ينحاز إليه «المعتدلون» من دعاة احترام حقوق الإنسان؟

***

فهمي هويدي كاتب كبير بلا شك .. ولست في مجال مدح أو قدح، ولقد كنت شديد الإعجاب به حتى لاحظت أمرين: الأمر الأول هو حديثه عن فئات كثيرة من الإسلاميين بازدراء واستعلاء والأمر الثاني هو فتنة أدعو الله أن ينقذه منها ألا وهي فتنة علمنة الإسلام، ذلك أن بعضا ممن نحسن الظن بهم، يبدون وكأنهم في عطش شديد إلى الاقتراب من العلمانيين والقوميين والشيوعيين للحصول على شهادات صلاحية (أو حسن سير سيرة وسلوك) منهم، وكأنما تحول كل واحد من الأوغاد السفلة من الشيوعيين إلى كفيل يحتاج المسلم إلى كفالته كي يستطيع الكتابة والحياة دون اشتباه، نعم يلجأ بعض الإسلاميين إلى العلمانيين للحصول على شهادات بالتفتح والاستنارة وعدم الإرهاب، وهي شهادات لا يمكن أن يحصلوا عليها من عملاء مجرمين منافقين. نعم .. العلاقة بين بعض الإسلاميين وبعض العلمانيين

كالعلاقة المريضة المنافقة التي يحاول المعتقل السياسي إقامتها مع رجل أمن في السجن – أو خارجه– ليأمن شره .. علاقة بين مجاهد متهم بالإجرام وليس بمجرم، وضابط مجرم يدعي حماية الوطن، وما يحمي إلا وطن الصليبيين واليهود.

نعم .. علاقات مريضة ..

من ذلك على سبيل المثال تصريحات شاذة من بعض قيادات الإخوان لبعض الصحف القومية، حيث يتحول الإسلام في تصريحاتهم إلى مسخ شائه يمكن أن يكون أي شيء إلا الإسلام .. وظهور بعض المناضلين القدامى بعد أن أجهدهم الإعياء واستبطئوا النصر ففكروا في التحالف المؤقت مع الشيطان والظهور في قناة الحرة أو في مجلة النيوزويك بعد أن سوغ لهم الشيطان هذه الفعلة، وهم يظنون أنهم يخدعون الشيطان وينشرون أفكارهم .. وما يخدعون إلا أنفسهم، ثم، وهذه ثالثة الأثافي قيام مجاهد سابق، ومفكر بارز، هو الأستاذ كمال حبيب، بالحديث عن صلاح عيسي .. ووصفه بأنه صادق ومخلص .. والحمد لله أنه لم يقل الصادق الأمين!! ..

صلاح عيسى ..

صادق ومخلص!! ..

إذن فليمت قيصر .. !!

وليمت الإسلاميون جميعا إذن ..

في نفس الشهر كان الفاسق سيد القمني (هو بشخصه فاسق على الأقل .. أما كتاباته فهي كفر بواح) يعلن توبة مزيفة، وكان جمال الغيطاني يصرخ مستنجدا بأجهزة الأمن لأنني (محمد عباس!!) أحرض على قتله، وكان صلاح عيسى يتصل بكمال حبيب للمرة الأولي (أوجعني أن كمال ذكر ذلك بحبور وبفخر .. بينما مقالة واحدة يكتبها كمال تعدل تاريخ عيسى كله) راجيا إياه– نيابة عن الإسلاميين– عدم اللجوء إلى التكفير أو الألفاظ الحادة ..

كان تواكب الأحداث الثلاثة بما تحمله من توتر دليلا على رعب العلمانيين المرتدين – عن يساريتهم– وتوجسهم من احتمال انتصار الصحوة الإسلامية وتصديها للغزو الكافر ..

ودعنا يا شيخ كمال من أن صلاح عيسى ليس هو الذي يضع لنا ضوابط التكفير

فالذي يضعها لنا عملاق كالشيخ القرضاوي (رغم انتقادنا الشديد له في بعض المواقف إلا أننا لا نغمط الرجل حقه)

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

من الكفرة الذين يجب أن يُدفعوا بالكفر دون مواربة ولا استخفاء الأصناف التالية:

- الشيوعيون المصرون على الشيوعية، الذين يؤمنون بها فلسفة ونظام حياة، رغم مناقضتها الصريحة لعقيدة الإسلام وشريعته وقيمه، والذين يؤمنون بأن الدين -كل الدين- أفيون الشعوب، ويعادون الأديان عامة، ويخصون الإسلام بمزيد من العداوة والنقمة، لأنه عقيدة ونظام وحضارة كاملة.

- الحكام العلمانيون، ورجال الأحزاب العلمانية، الذين يرفضون جهرة شرع الله. وينادون بأن الدولة يجب أن تنفصل عن الدين، وإذا دعوا إلى حكم الله ورسوله أبوا وامتنعوا، وأكثر من ذلك أنهم يحاربون أشد الحرب من يدعون إلى تحكيم شريعة الله، والعودة إلى الإسلام.

كما يذكر الدكتور القرضاوي من نواقض الإسلام:

- أن الإنسان بعد أن يدخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين، يصبح -بمقتضى إسلامه- ملتزما بجميع أحكام الإسلام، والالتزام يعني الإيمان بعدالتها وقدسيتها، ووجوب الخضوع والتسليم لها، والعمل بموجبها. أعني الأحكام النصية الصريحة الثابتة بالكتاب والسنة. فليس لها خيار تجاهها بحيث يقبل أو يرفض، ويأخذ أو يدع، بل لابد أن ينقاد لها مسلما راضيا، محلا حلالها، محرما حرامها، معتقدا بوجوب ما أوجبت، واستحباب ما أحبت. وغيرها من أركان الإسلام وحرمة القتل والزنى وأكل الربا وشرب الخمر ونحوها من الكبائر، ومثل الأحكام القطعية في الزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص وما شابهها.

فمن أنكر شيئا من هذه الأحكام «المعلومة من الدين بالضرورة» أو استخف بها واستهزأ فقد كفر كفرا صريحا، وحكم عليه بالردة عن الإسلام. وذلك أن هذه الأحكام نطقت بها الآيات الصريحة، وتواترت بها الأحاديث الصحيحة، وأجمعت عليها الأمة جيلا بعد جيل، فمن كذب بها فقد كذب نص القرآن والسنة. وهذا كفر. (مجلة الوحدة الإسلامية – يناير ٢٠٠٥)

***

صلاح عيسي بوق البغاة على الإسلام وصوت الردة ضد المسلمين الناكئ لكل جرح والمثير لكل شبهة وآخرها أن المسجد الأقصى في المدينة المنورة وليس في القدس الشريف (وبتفسير صبيه فإن الهدف هو ترك الأقصى لليهود لأن نبينا صلوات الله وسلامه عليه لم يسر به إليه!!) ..

صلاح عيسى هذا أمين وصادق ..

ولقد ذكرني مقال متميز بعنوان: «الاحتلال والاستقلال والمرتدون الجدد» القدس العربي- ٢-٩-٢٠٠٥ بصلاح عيسى ومن سار على دربه. في هذا المقال كتب باقر إبراهيم عن المرتدين الجدد، وخاصة من مرتدّي اليسار، الذين هيؤوا لمنظومة من الأفكار، أخذت تتكامل، هادفة لنشر اليأس من جدوى النضال الشعبي لتحرير الأوطان. (...) لابد أن نلاحظ، أن المرتدين الجدد، وفي العراق، نموذج صارخ لهم، يتميزون بقدر كبير من التفنن بالخداع والمكر السياسي، والتلاعب بعاطفة الجمهور. وذلك ما يميزهم عن العملاء المكشوفين، ويجعلهم أكثر خطرا على قضايانا الوطنية، ويتطلب جهدا اكبر لكشف البراقع الزائفة التي يتسترون بها.

ويفضح باقر إبراهيم وسائل المرتدين الجدد في استثمار قتل المدنيين الأبرياء في العراق لتشويه الجهاد كله وليس زعماء الجهاد فقط .. بينما الحقيقة واضحة لمن يريد الحقيقة .. فالأمريكيون والبريطانيون هم الذين يدبرون التفجيرات المدروسة، أو العشوائية، وسط التجمعات المدنية والأسواق والمدارس أو دور العبادة. المحتل يخطط فقط، أما المنفذون فهم الموساد وعملاء الاحتلال وميليشياتهم، وحروبهم الطائفية المعد لها سلفا. لقد بات من المعروف أنهم هم الذين قاموا بالتفجيرات في الأماكن المقدسة والجوامع والكنائس والمدارس والأسواق الشعبية، معروفة الغرض ومعروف من يستفيد منها. ويكفي أن يعرف الناس أيضا، ما كشف بعد الاحتلال، من أن خمسة آلاف شخص قد تم تدريبهم في هنغاريا، وكان تلك وجبة واحدة من الوجبات التي أعدت لاحتلال العراق. وقد أعدت تلك الألوف ودربت للقيام بحرق وتدمير ما لم تدمره طائرات الاحتلال وقصف مدافعه أثناء الحرب. وأن مهمة هذه الشبكات لم تنته بعد الحرب، بل هي مستمرة حتى اليوم وستستمر.

ويصرخ باقر إبراهيم:

ما أن تحصل عملية تدميرية كبيرة، تمس الناس الآمنين، أو المنشآت ذات النفع

العام، حتى يسارع أبواق الاحتلال، وفي مقدمتهم المرتدون، ليوجهوا الإدانات الجاهزة والقاطعة التي تحمل مسؤوليتها للمقاومة الوطنية، أو القوي الرافضة للاحتلال.

للرد علي هؤلاء تفضل، كالعادة، الاستعانة والاستشهاد بما يقوله الأمريكان أنفسهم عن تلك العمليات. وفيما يلي أسوق للقارئ الكريم نموذجا واحدا مما قالوه.

تذكر الكاتبة الأمريكية (نعومي كلاين) في مقالة لها بعنوان (السنة الصفر ـ نهب العراق سعيا إلى يوتوبيا للمحافظين الجدد)، نشرتها مجلة المستقبل العربي في عددها ٣٠٨ الصادر في تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٤ ما يلي:

في ٢ آذار (مارس) ٢٠٠٤، مع رفض الأعضاء الشيعة في مجلس الحكم التوقيع علي الدستور الانتقالي، انفجرت خمس قنابل أمام مساجد في كربلاء وبغداد، فقتلت قرابة ٢٠٠ من المصلين.

وحذر (جون أبو زيد)، القائد العام للقوات الأمريكية في العراق من أن البلد علي حافة حرب أهلية.

وخشية هذا الاحتمال، تراجع السيستاني ووقع السياسيون الشيعة علي الدستور الانتقالي. كانت حكاية مألوفة: صدمة ـ هجوم عنيف ـ مهد الطريق لمزيد من العلاج بالصدمات!

من المعلوم أن ذلك الدستور المؤقت، ونعني به (قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية) أقره مجلس الحكم يوم ٨ آذار (مارس). أي بعد ستة أيام فقط من تلك التفجيرات المروعة. ذلك ما شهدت به الكاتبة الأمريكية (نعومي كلاين). ولكن لن تنتهي تهريجات أبواق الاحتلال، وخاصة المرتدين منهم.

كما أن أدوار الموساد الإسرائيلي، التي يتجاهلها المرتدون الجدد ليست في شمال العراق فقط، بل في كل مناطقه، لم تعد خفية علي أحد. (...) كان دور الشبكات والعناصر الصهيونية، مساندة قوات الاحتلال في إشاعة الفوضى والحرائق والتفجيرات في التجمعات السكنية والأسواق الشعبية، وحيثما يمكن نشر الرعب وكسر الإرادة الشعبية الرافضة للاحتلال. (...) نحن رأينا، في جميع الفعاليات التدميرية والاغتيالات والسرقة وتشويش الأفكار، وفي الدجل السياسي، أثناء احتلال العراق وبعده، أن المتواطئين مع الاحتلال، هم أنفسهم، دعاة التطبيع مع دولة

العدوان الصهيوني، ومعهم المرتدون وأحزاب الردة. (...) لعروبة العراق حصة مرموقة من العداوة (...) من اليسير أن نلاحظ أن كثرة من المرتدين، هم الذين يقودون حملة فك ارتباط العراق بانتمائه العربي، بعد احتلاله. (...) والقليلون من الناس البسطاء يعرفون أو يتذكرون أن أغلب هؤلاء كانوا تحت الرعاية الأخوية الفائقة للقيادات العربية، ومنها الفلسطينية والمصرية والسورية والليبية والجزائرية واليمنية وغيرها.

وهناك من كانوا تحت الرعايات الخاصة لأجهزة مخابرات تلك الدول. وكوّن بعض أولئك المرتدين، بفضل تلك الرعايات، تجارات رابحة، أو ممالك إعلامية، أو منشآت عقارية وأرصدة.

وهذا ما يشير إلى الجوانب غير السياسية، وغير النزيهة، في ذلك الجحود الذي نشهده اليوم، بحق الواجب العربي، بعد حصول المرتدين علي سادة جدد من الغرب، يقدمون عطاء أكبر!

هؤلاء هم من يدينون اليوم، أي مجاهد عربي، يتطوع لطرد المحتل من العراق، أو يرفع صوته مطالبا بتحريره، رغم أن الجميع يعرفون أن مهمة تحرير العراق، كانت بالأمس، وستظل اليوم، مهمة العراقيين بالدرجة الأولي، وأنهم الأقدر علي النهوض بها أولا وأخيرا .. (...) بعض هؤلاء المرتدين، خاصة من حمل منهم لقب الكاتب الصحافي أو المحلل السياسي، أو أكثر من ذلك في ميادين الثقافة والأدب، كان قد أدخل في دورات للإعداد السياسي والثقافي في بلدان المتروبول، تمهيدا لاحتلال وطنهم، بعد أن أغرقوا بالامتيازات وبالمال الحرام. (...) قال هؤلاء المرتدون في حملة الثقافة كل شيء في وصف عقد الإرهابيين. لكنهم لم يذكروا عقدة واحدة هي أن هؤلاء الإرهابيين المعقدين نفسيا، قد رفضوا احتلال بلادهم وقرروا التصدي له. (...) كان الأجدر بالمرتدين الجدد، أن يحللوا نفسيا وعاطفيا، سياسيا واقتصاديا، العقد التي تكونت عند من ارتدوا عن النضال، وهجروا معسكره ليصبحوا مأجورين، أو متطوعين يؤمرون فيكافئون من أميرهم الجديد.

وكأن باقر إبراهيم يصف الشيوعيين المصريين إذ يقول:

أن بعض الذين أفنوا زهرة شبابهم في نضال إيجابي سابق، وجدت في أسوار نضالهم الثغرات الجدية التي لم تكن ظاهرة تماما حينها. دلل علي ذلك أنهم تلقفوا

بسرعة طروحات الردة الجديدة في أحزاب الردة، فاستهوتهم واجتذبتهم.

بعضهم راح يعلن عن قناعات جديدة تكونت لديه بعد الاحتلال، وبعد أن أعاد قراءة الماركسية واللينينية، خاصة ما قالته عن الإمبريالية!

تقول بعض تلك الطروحات والقناعات، أن أمريكا رغم مقاصدها المعروفة، لكن مصلحتها هي إقامة نظام ديمقراطي في العراق، وهي جاءت من أجل ذلك! ولهذا السبب يلزم أن ندرس الظواهر بعين جديدة! وهكذا كانت العين الجديدة قد رأت تلك الرؤية الجديدة. فيا لبؤس الجديد ويا لبؤس القراءة الجديدة للماركسية. ! (بعض من بدؤوا مد الجسور مع الأمريكيين يرددون هذه الحجة) ..

ولا ينسى الكاتب في مقاله الطويل الشامل أن يحذر من أن الغواية لم تفلت بعض الإسلاميين لاصطيادهم هم الآخرين وضمهم إلى صفوف المرتدين الجدد!! ..

غفر الله لك يا دكتور كمال حبيب .. أثرت مواجعي .. !! ..

***

نعود إلى مؤتمر شرم الشيخ لإدانة الإرهاب .. حيث قال الشيخ الجليل البوطي: لا يجوز قتل من قال: لا إله إلا الله ..

جزاك الله خيرا يا شيخنا ..

ولكن القضية المطروحة ليست كذلك .. إنها عكس ما تقول .. إنها – بمفهوم العولمة والحداثة:

- لا يجوز قتل إلا من قال: لا إله إلا الله ..

***

أما المفكر الإسلامي الدكتور صالح المرزوقي فقد قال: «لا يجوز لجماعة من المسلمين أن تعلن الحرب على العدو دون موافقة ولي الأمر. فقد أجمع الفقهاء على أن إعلان الحرب من أحكام الإمامة والسياسة العامة لا من التصرفات الفردية التي تشتط فتدفع إلى ضلالات، وتوجد مثل هذه البؤر التي تسيء للأمة. فإعلان الجهاد مقصور على إذن الإمام وموافقته».

يا شيخ: عاملك الله حسب نيتك ..

يا شيخ: فإن كان الإمام الأكبر كافرا!! ..

يا شيخ: فإن كانت الإمامة الكبرى معقودة لحيوان متوحش مسعور هو جورج بوش ..

يا شيخ: إن كانت الإمامة الصغرى معقودة لخنزير اسمه شارون ..

يا شيخ: وإن كان الخفراء والخدم هم جل حكامنا وبعض شيوخنا فممن نحصل على الإذن وممن نأخذ الموافقة ؟؟ ..

يا شيخ: أيها المدافع عن شرم الشيخ .. هل تدرك ما شرم الشيخ؟!

يا شيخ: لماذا لم يفكر أحد من العلماء في إدانة ما يحدث في شرم الشيطان لا شرم الشيخ أو المشايخ.

في شرم الشيخ التي اجتمع عيون العلماء فيها لتأييدها وإدانة الإرهاب فيها لم تصدر من الشيوخ كلمة إدانة للعهر والفجور الذي يغمرها والذي يتجاوز إهدار كل قيم الدين إلى إهدار الأمن القومي .. شرم الشيخ التي يعبد فيها الشيطان فيتقاطر إليها شيوخنا لا لكي يدينوا عبادة الشيطان أو ليمنعوها بل ليدينوا المجاهدين ويزدروهم.

***

إنني أرجو من القارئ أن يقرأ الفقرات التالية بتركيز ففي آخرها مفاجأة:

***

جاءني شاب في مقتبل العمر اسمه سامح درويش .. قال لي:

– في البداية هناك سؤال أريد أن أطرحه عليك يا سيدي أو إنه يطرح نفسه وهو: ماذا يحدث في محافظة شرم الشيخ؟ وعفوا إن كنت سميتها محافظة ولكن يجب تسميتها دولة شرم الشيخ .. الدولة التي يسيطر علي عاداتها وتقاليدها اليهود والسياح الأجانب!

الموضوع يبدأ بالمصادفة عندما ذهب قريب لي لكي يقضي شهر العسل وبالأدق أسبوع العسل في الغردقة وشرم الشيخ .. وقد أخذ معه كاميرا فيديو للذكريات الجميلة وقد تباطأ في عمل الشريط ولكني قدر أن رأيته منذ بضعة أيام فقط ..

وأنا أشاهد الشريط رأيت كارثة بكل المعايير، فقد رأيت دولة شرم الشيخ تحتفل بميلاد شخص عزيز عليها تحبه وتقدره وإلا ما كانت تحتفل بميلاده ..

أتعرف من هو يا سيدي؟ .. إنه لعنة الله عليه في السماء والأرض: الشيطان!

جميع الفنادق والمطاعم والكافتيريات يحتفلون بمولد هذا الملعون بالصور والديكورات الكبيرة والمخيفة المقززة للنفس لصقوها ووضعوها في كل شبر في هذه المحافظة .. الحفلات الصاخبة التي يتنافس عليها كل فندق ومطعم لتقديم الأفضل أو الأقذر!

نعم هذا ما حدث وأعتذر أن كنت تأخرت ولكني لم أشاهد هذا الكفر إلا من بضعة أيام فقط، أليس هذا الذي كنا نطلق عليه هنا عبدة الشيطان؟

لماذا نحاربهم هنا ولا نحاربهم هناك؟

أهناك شيء يمنع؟ ..

أين المسئول عن الأمن هناك؟

لماذا لم يمنع هذا الكفر؟ ..

ستقول لي : إنهم ليسوا بمصريين أو عرب أو حتى مسلمين .. ولكنهم في بلد مسلم وعلى أرض مسلمة وديننا أولا وعاداتنا وتقاليدنا كعرب لا تسمح بذلك .. لا أعلم أن كانت هذه أول مرة أم لا .. ولكني أتمنى أن تكون هذه آخر مرة يحدث فيها هذا الكفر!

ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

إذا كان الشيطان قد خرج من القاهرة في رحلة إلى شرم الشيخ .. لكي تحتفل به الفنادق والمطاعم والسياح بعيد ميلاده السعيد .. ونحن لا ندري بما يجري داخل بلدنا شيئا .. فتلك مصيبة .. وإذا كنا ندري ولم نحرك ساكنا فالمصيبة أعظم ..

فليس من أجل خاطر السياحة وإكراما لعيون السياح .. أن نخسر ديننا وننصب الشيطان أميرا علي شرم الشيخ ونحتفل بعيد ميلاده الميمون .. ونقيم له الأفراح والليالي الملاح ونعلق شارته ونرفع أعلامه ونحرك المواكب بالأعلام والموسيقي .. وكأنه موكب الخليفة في احتفال الطرق الصوفية في الحسين!

(...)

فهي كما قالت لي أستاذة في علم الاجتماع اسمها جاكلين أونوريه وهي فرنسية جاءت إلى القاهرة تدرس عادات أبنائها والتطور الفكري والثقافي والحضاري لشبابها: مصنع للجريمة .. يتعلم فيه الجميع مبادئ الانحراف الصريح .. حسب المفهوم المصري والتقاليد المصرية .. الذي يسمي من يشرب الكحوليات ومن يدخن الماريجوانا والحشيش بلغة أهل البلد, انحرافا وفسادا وخروجا علي التقاليد والدين ..

ولأننا لا نعرف ماذا يجري داخل صالات الديسكو التي انتشرت في كل مكان .. لأنه مكان لا يدخله الكبار أمثالنا .. وإذا حاولنا أن ندخله قالوا لنا: أين رفيقتك؟!

والشباب الصغير لا يريد أن يحكي لنا ماذا يجري في الداخل ابتداء من منتصف الليل وحتى شروق الشمس .. ولكن فتاة واحدة أصابها ما أصابها عندما غامرت ودخلت جهنم الحمراء هذه لأول مرة .. وخرجت منها بمأساة .. تعالوا نقرأ ماذا شاهدت وماذا حدث لها في جهنم الحمراء التي يطلقون عليها خطأ اسم صالات الديسكو (...)

(...)

قالت لي أم فاضلة تشغل منصبا مرموقا وكلماتها تغلي وتفور غضبا وانفعالا:

(...) بكل أسف لقد شاهدت هذه المحطة وفوجئت وأنا أشاهدها بأن الفيلم الذي تذيعه في بدايته بريئا كل البراءة وأحداثه تجري داخل معسكر للطلبة والطالبات الذين جاءت عائلاتهم لتحتفل بتخرجهم .. ثم تظهر قصة الفيلم علي حقيقتها عندما يتبادل الأولاد والبنات كل واحد يأخذ بنت علي خيمة أو غرفة أو ظل شجرة بعيدة أو زورقا علي شاطئ البحيرة .. ليمارسوا الحب تحت عيني الكاميرا التي لا تفارقهم لحظة حتى الأمهات والآباء الذين جاءوا يحتفلون بأولادهم في حفلة التخرج كان لهم نصيب من هذا القرف الجنسي ومع من؟ .. مع الأولاد والبنات الصغار .. لقد شاهدت هذا الفيلم حتى نهايته وقد أغلقت الباب حتى لا يشاهده من في البيت لكي أعرف ماذا تقدم لنا هذه المحطات من فسق وفجور وعظائم الأمور!

(...)

لقد تسلل الشيطان في غفلة منا إلى صدور شبابنا .. يعبث في عقولهم .. ويدمر ما بقي في حياتهم من خير وحق وعدل وفضيلة ..

***

والآن أطلع القراء على المفاجأة .. فكل الكلام المميز السابق ليس كلامي .. وإنما هو تحقيق صحافي منشور في الأهرام وبقلم عزت السعدني وهو كاتب ليبرالي حكومي على علاقة وثيقة بالأمريكيين، أما عنوان التحقيق فهو: « مقعد في قطار بلا سائق» .. العدد ٤١٨٣٠.

هذه هي شرم الشيخ التي ذهب شيوخنا ليدعموها ضد الإرهابيين وغلاة التكفير.

لا ..

لا ..

لم يكن صلاح عيسى وخليل عبدالكريم وسيد القمني وجابر عصفور ويحيى الرخاوي وفؤاد علام وخيري منصور وجمال الغيطاني وحيدر حيدر والعفيف الأخضر ومحمد أركون وأدونيس وصبحي حديدي وعلاء حامد وفؤاد زكريا وأسامة أنور عكاشة و .. و .. و .. .. لم يكونوا من الأعراب الذين تخلوا عن الحسين تاركينه في الصحراء يواجه الموت وحده ..

لا ..

لا ..

لم يكونوا من الأعراب ..

بل كانوا جميعا يرتزقون في جيش بن زياد ..

أنا رأيتهم يمتطون جيادهم ليرضّوا في الأرض الجسد الشريف لسيد الشهداء بعد أن ذبحوه ..

أما العلماء الأجلاء والشيوخ الفضلاء .. فقد تركوا ميدان المعركة وذهبوا إلى شرم الشيخ ليدينوا الإرهاب.

***

لم يتخل عن الحسين من آل البيت أحد .. بل انضمت كوكبة من فرسان جيش ابن زياد لجيش المسلمين ..

وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله وخطب أصحابه في أول الليل فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على رسوله بعبارة فصيحة بليغة وقال لأصحابه: من أحب أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنت له فإن القوم إنما يريدونني فلو قد أصابوني تلهوا عن طلب غيري فاذهبوا حتى يفرج الله عز وجل فقالوا له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه لا بقاء لنا بعدك ولا أرانا الله فيك ما نكره لا والله لا نفعل ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك ..

أما سعيد بن عبدالله الحنفي فقد قال: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك، والله لو علمت أنى أقتل دونك ألف قتلة

وأن الله يرفع بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك لأحببت ذلك وإنما هي قتلة واحدة.

***

لله درك ..

لله درك ..

لله درك ..

والله لو علمت أنى أقتل دونك ألف قتلة وأن الله يرفع بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك لأحببت ذلك وإنما هي قتلة واحدة.

جملة اعتراضية- الحمد لله الذي أذاقني قبسا – ولو ضئيلا - من حلاوة هذا الإحساس عندما تصديت للكفر والفسوق والعصيان والشذوذ دفاعا عن كتاب الله وعن نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم فيما عرف بأزمة الوليمة .. وأظنني .. ولو على المستوى النظري كنت مستعدا فيها أن أستشهد دفاعا عن القرآن ألف مرة ..

***

أشعر أن بعض شيوخنا يقومون بالدور الكئيب الذي رواه لنا التاريخ عن الأعراب .. يتخلون عن الحسين رضي الله عنه .. يتخلون عن الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري والمجاهد أبو مصعب الزرقاوي .. وعشرات ومئات وألوف ..

نعم.

أبو مصعب الزرقاوي مجاهد وإن كره المرتدون ..

وهنا أنبه القراء لمكر الصليبية الصهيونية الحاقدة وطريقتها التدريجية في هدم الدين..

ولعل القراء تنبهوا إلى خفوت الحملة على الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري، وقد يعود ذلك لأن دوائر شياطين الإنس قد أدركت أنهما خلبا لب أمتهم، وأن الهجوم عليهما لا ينال منهما بقدر ما ينال من المهاجم .. لهذا تركوا هذه المهمة لنوع شرس من الكلاب البشرية ليس لهم قيمة حقيقية .. تركوا هذه ووجهوا كل سلاح أكاذيبهم الباطش الجبار ضد أبي مصعب الزرقاوي ..

نفس الآلية الكافرة التي استعملوها مع الإسلام كله ..

سياسة الخطوة خطوة .. فعندما يكون الخصم قويا وضخما يجب عدم مواجهته وإنما تفتيته وخداعه ..

في البداية يقولون: نحن لسنا ضد الإسلام بل نحن ضد الانحراف عنه ..

ثم: نحن لسنا ضد الإسلام بل نحن ضد فقهاء الحيض والنفاس وأدعياء الدين ورجاله وكهنوت العلماء (ليس في الإسلام أي من ذلك) ..

ثم .. لنعد إلى السنة الصحيحة الصادقة كالبخاري ومسلم ..

ثم .. البخاري ومسلم ليسا قرآنا .. لنعتمد على القرآن فقط ..

ثم – أستغفر الله العظيم- القرآن نص بشري سرقه – خرست أفواههم – محمد (صلى الله عليه وسلم) من التوراة والإنجيل ومن أشعار أمية بن الصلت ..

فهل فهمتم الآن يا قراء لماذا يركزون الهجوم على المجاهد أبي مصعب الزرقاوي رضي الله عنه.

هل أدركتم؟ ..

هم يجعلون من اللصوص والمجرمين قديسين ونحن ندمغ المجاهدين في سبيل الله بأقبح الصفات ونسميهم مجرمين ..

هل تذكرون باروخ جولدشتاين؟ ..

المجرم باروخ جولدشتاين .. الذي ارتكب مذبحة ضد المصلين المسلمين في الحرم الإبراهيمي في فبراير ١٩٩٤ قتل خلالها ٢٩ مصليا.

كرمه اليهود وجعلوا منه بطلا بل وقدسوه وسموه شهيدا ..

أما نحن فنسمي أبي مصعب الزرقاوي إرهابيا ومجرما!! ..

وفي كتاب «باروخ البطل» الذي يجمع مقالات لذكرى جولدشتاين، امتنع مارزل عن التطرق إلى «الأعمال» التي قام بها صديقه. وقد كتب مارزل في مقال تحت عنوان «البوصلة»: « كنت كلما قابلت الشهيد باروخ جولدشتاين ذي الذكرى العطرة، انتقم الرب لدمه– أشعر أنني أستطيع أن أصل إلى الحقيقة عن طريقه لأنه رجل صادق لا يتهاون وليس لديه اعتبارات خارجية». (...) كلمات «القتل» و«المذبحة» وفي المقابل استخدم كلمات «الفعل», أو «الحدث». وذلك لأن قتل اليهودي لغير اليهودي تحت أية ظروف لا يعتبر جريمة في نظر الهالاخاه. وفي كثير من الأحيان تتطابق المشاعر

العامة تجاه قتل اليهودي لغير اليهودي والتي يعبر عنها الإسرائيليين بوقاحة مع الهالاخاه. وقد قال ليفينجر لبارنيا أن قرار البلدية عبر سريعاً عن الأسف من أجل العرب الذين قتلوا ولكنه يؤكد علي مسؤولية الحكومة. وحين سأل بارنيا ليفينجر إذا ما كان يشعر بالأسف قال ليفينجر: «أنا آسف من أجل الموتى العرب كما أأسف من أجل الذباب الميت. »

جعلوا من المجرم بطلا .. ونحن نجعل الأبطال مجرمين .. قبل أن تجف دماء المصلين المسلمين وأثناء دفن جولدشتاين كانت جدران الأحياء الدينية في القدس الغربية قد غطيت بملصقات تُعدد فضائل جولدشتاين وتأسف لعدم تمكنه من قتل مزيد من العرب. أطفال المستوطنين المتدينين أتوا إلى القدس للتظاهر وهم يعلقون لافتات تقول «د. جولدشتاين عالج أمراض إسرائيل». وتحولت العديد من الحفلات الموسيقية الدينية إلى مظاهرات لإحياء ذكرى جولدشتاين.

أما نحن فنلعن أبا مصعب الزرقاوي .. رضي الله عنه ..

على من يلعنه اللعنة ..

***

فقرة اعتراضية:

في حلقة على قناة الجزيرة، ظهر المستشار الجليل محفوظ عزام، خال الدكتور أيمن الظواهري، متلفعا بإباء المسلم وشموخه، ليحكي لنا – بدموعنا – عظمة أيمن الظواهري ورقته وحساسيته وتدينه ونبوغه واهتمامه بأمر المسلمين. كان مجاهدا بين خونة ولذلك كان لابد لهم أن يمسكوه، وعندما أمسكته الكلاب المسعورة عذب عذابا شديدا في قضية الجهاد الكبرى عام ١٩٨٢ والتي ضمت ٣٠٢ متهم والتي حكمت المحكمة فيها بالإفراج عن أيمن الظواهري. وأعلنت في حيثيات حكمها أنه تعرض لأبشع أنواع التعذيب وان ما لاقاه لم تشهده العصور الوسطي من التعذيب وعندما رفعت قضية تعويض لأيمن الظواهري بناء علي التوكيل حكمت المحكمة بـ ٣ آلاف جنيه فقط؟! واشترطت وزارة الداخلية في سابقة هي الأولى من نوعها أن المبلغ مودع لدى مباحث أمن الدولة وأنه إذا رغب أيمن الظواهري الحصول عليه يجب حضوره بصفة شخصية لتسلم المبلغ؟!.

وثمة عتاب على المستشار محفوظ عزام ..

لقد كان جليلا ومؤثرا ونبيلا ..

ولكن كيف رضي أن يظهر معه على الشاشة نفس الكلب المسعور الذي عذب أيمن الظواهري رضي الله عنه .. صحيح أنه عامله كحشرة فرفض تبادل أي حديث مباشر معه، بل ولم يصافحه أو ينظر إليه، ولكن .. كان الأولى رفض الظهور مع الكلب المسعور قاتل كمال السنانيري.

***

هل كان شمر بن ذي الجوشن هو الذي جز رأس الحسين رضي الله عنه؟ .. أم كان فؤاد علام؟ أم كان صلاح عيسى؟! ..

وأي من علماء شرم الشيخ أفتوا بجواز قتله؟! ..

***

.. وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك في السلاح فقال يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ونحن حتى الآن أخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد ..

***

هو نفس الدم الذي أصبح بيننا وبين القوميين والشيوعيين والمتغربين والحداثيين والليبراليين ..

لقد ولغوا في دمنا ..

وتحالفوا مع الأعداء علينا ..

وأعطوهم المسوغ والمبرر لسحقنا ..

انقطعت العصمة ..

ليسوا منا ولا نحن منهم ..

نحن أمة وهم أمة ..

وحمل رجل يقال له عبدالله بن حوزة حتى وقف بين يدي الحسين فقال له : يا حسين أبشر بالنار فقال له الحسين : كلا ويحك إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع بل أنت أولى بالنار قالوا فانصرف فوقصته فرسه فسقط وتعلقت قدمه بالركاب وكان الحسين قد سأل عنه فقال : أنا ابن حوزة فرفع الحسين يده وقال : اللهم حزه إلى النار فغضب ابن حوزة وأراد أن يقحم عليه الفرس وبينه وبينه نهر فجالت به الفرس فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقى جانبه الآخر متعلقا بالركاب وشد عليه مسلم بن عوسجة فضربه فأطار رجله اليمنى وغارت به فرسه فلم يبق حجر يمر به إلا ضربه في رأسه حتى مات ..

اللهم حزهم إلى النار يا رب ..

اللهم حزهم إلى النار يا رب ..

اللهم حزهم إلى النار يا رب ..

***

هل كان الحسين في كربلاء أم كان في تورا بورا وكان أسامة بن لادن وأبو مصعب الزرقاوي في كربلاء ..

هل أنا من السكارى وما هم بسكارى؟!

هل أخرف؟ ..

أم أنني أصبت كبد الحقيقة فلولا هذا ما كان ذاك .. والأمر كالمعادلات الرياضية التي يمكن التعويض فيها بحدود مختلفة كأن تقول إذا كان خمسة في خمسة تساوي خمسة وعشرين وكانت عشرين زائد خمسة تساوي خمسة وعشرين فإن خمسة في خمسة تساوي عشرين زائد خمسة ..

أنا لا أخرف إذن وليس المكان هو المهم وإنما من شغل المكان .. (وما حب الديار شغلن قلبي ولكن حب من سكن الديارا) .. ليس المكان هو المهم .. المهم هو نحن .. مع من .. وفي أي جيش أبحث عن شيوخنا .. مع الحسين وأسامة بن لادن والزرقاوي أم ابن زياد وشمر وعلاوي وطالباني وبوش.

***

شيوخنا الأجلاء لم يجرؤوا على قول ما قاله شاعر قضى جل عمره فاسقا هو نزار

قباني الذي صرخ في قصيدة عنوانها: أنا مع الإرهاب:

متهمون نحن بالإرهاب ..

إذا رفضنا محونا ..

على يد المغول واليهود والبرابرة ..

متهمون نحن بالإرهاب ..

إذا رفضنا أن نفاوض الذئب ..

وأن نمد كفنا لعاهرة ..

متهمون نحن بالإرهاب ..

إذا حملنا الخبز والماء ..

إلى طروادة المحاصرة ..

متهمون نحن بالإرهاب ..

إذا رفعنا صوتنا ..

ضد الشعوبيين من قادتنا ..

وكل من غيروا سروجهم ..

وانتقلوا من وحدويين إلى سماسرة ..

متهمون نحن بالإرهاب ..

إذا اقترفنا مهنة الثقافة ..

إذا قرأنا كتابا في الفقه والسياسة ..

إذا ذكرنا ربنا تعالى ..

إذا تلونا سورة الفتح ..

وأصغينا إلى خطبة يوم الجمعة ..

فنحن ضالعون في الإرهاب ..

متهمون نحن بالإرهاب ..

إن نحن دافعنا عن الأرض ..

وعن كرامة التراب ..

إذا تمردنا على اغتصاب الشعب ..

إن كان هذا ذنبنا ..

ما أروع الإرهاب ..

لم يبق في حياتنا قصيدة ..

ما فقدت عفافها ..

في مضجع السلطان ..

أنا مع الإرهاب ..

إن كان يستطيع أن يحرر الشعب ..

من الطغاة والطغيان ..

وينقذ الإنسان من وحشية الإنسان ..

أنا مع الإرهاب ..

إن كان يستطيع أن ينقذني ..

من قيصر اليهود ..

أو قيصر الرومان ..

أنا مع الإرهاب ..

بكل ما أملك من شعر .. ومن نثر .. ومن أنياب ..

مادام هذا العالم الجديد ..

بين يدي قصاب ..

أنا مع الإرهاب ..

إن كان مجلس الشيوخ في أمريكا ..

هو الذي في يده الحساب ..

وهو الذي يقرر الثواب والعقاب ..

أنا مع الإرهاب ..

مادام هذا العالم الجديد ..

يكره في أعماقه ..

رائحة الأعراب ..

أنا مع الإرهاب ..

مادام هذا العالم الجديد ..

يريد أن يذبح أطفالي ..

ويرميهم إلى الكلاب ..

من أجل هذا كله ..

أرفع صوتي عالياً ..

أنا مع الإرهاب ..

أنا مع الإرهاب ..

أنا مع الإرهاب ..

***

كان خبراء الموساد والسي آي إيه وضباط المخابرات المصرية والسعودية والسورية والأردنية والتونسية يقفون على رابية يرقبون المعركة ..

أقبل مدير مباحث أمن الشيطان ورئيس الحرس الوطني فحملا على أصحاب الحسين وتكاثر معهما الجند حتى كادوا أن يصلوا إلى سبط الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رأى أصحابه أنهم قد كثروا عليهم وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ..

جاء عبدالرحمن وعبدالله ابنا عزرة الغفاري فقالا:

– أبا عبدالله عليك السلام حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك وندفع عنك ..

ثم أتاه أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقـول جـزاكم الله أحسن جزاء المتقين فجعلوا يسلمون على الحسين ويقاتلون حتى يقتلوا ..

ثم جاء عابس بن أبى شبيب فقال:

– يا أبا عبدالله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي منك ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعز علـي مـن نفسـي ودمـي لفعلتـه السلام عليك يا أبا عبدالله اشهد لي أني على هديك ..

ثم مشى بسيفه صلتا وبه ضربة على جبينه وكان أشجع النـاس فنـادى ألا رجـل لرجل ألا ابرزوا إليّ فعرفوه فنكلوا عنه ثم قال عمـر بـن سـعد ارضـخوه بالحجـارة فرمى بالحجارة من كل جانب ..

***

أوصيكم يا قراء، أو يا أبناء القراء أو أحفادهم، عندما تحتل القـاهرة كمـا احتلـت بغداد، وعندما يحدث للإسكندرية مـا حـدث للفلوجـة ولأسـيوط مـا حـدث لجـنين ولطنطا ما حدث لجروزني، أوصيكم ألا تقولوا هزمتنا الفرنجة أو غلبنا الصـليبيون أو اكتسحنا اليهود. لا تقولوا ذلك بل قولوا هزمتنا جيوشنا، تلـك الجيـوش الـتي دفنـت كرامتها عندما اقتصرت مهمتها على حماية الحاكم الطاغوت اللص المجرم وعلى حمايـة حدود إسرائيل.

لا تقولوا هزمنا بوش وبلير وشارون وبارك ..

بل قولوا هزمنا الأسد وعبدالله ومباراك ..

لا تقولوا هزمنا الأعداء بل قولوا هزمنا الأشقاء والأبناء ..

لا تقولوا هزمتنا السي آي إيه والموساد ..

لا تقولوا ذلك بل قولوا هزمتنا مباحث أمن الدولة والحرس الـوطني والمخـابرات والقلم السياسي ..

اصرخوا أن هذه الأجهزة مزقت الوطن وشرذمت الأمة وجعلت أبناءها يفضـلون الاحتلال الإسرائيلي أو الأمريكي عن احتلال الجيش الوطني ..

يا لـَصَخَبَ صوتِ تمزّق القلب ونحن نقرأ أن شيوخ القبائل في سيناء يفكـرون في طلب الانفصال عن مصر ..

يــا لــرنين أنـــين القلب وهو ينتحـب إذ يحـدثني مـن العـريش أحمـد فيقـول لـي جربت اعتقال الموساد واعتقال مباحث أمن الدولة .. وشتان .. ووالله لـولا الإسـلام لفضلت الأولى ..

لذلك .. ولما هو أكثر من ذلك أكرر: لا تقولوا هزمنا بن جوريون أو جولدا مائير أو ديان أو رابين أو شارون .. بل قولوا هزمنا جمال عبدالناصر وحسني مبارك وجمـال مبارك والملك عبدالله والملك حسين و .. و .. و.

لا تقولوا هزم مفكروهم مفكرينا بل قولوا انتصر أغواتهم وعبيدهم ومـأجوروهم .. انتصر صلاح فضل وجابر عصفور وفاروق حسني وسمير رجب وصـلاح عيسـى وخيري منصور وأدونـيس ومحمـود درويـش وعصـابة الأربعـة .. لا تقولـوا هزمتنـا الواشنطن بوست والديلي نيوز ويديعوت أحرونوت والنيوزويـك بـل قولـوا هزمتنـا الأخبار والأهرام والأهـالي والحيـاة والشـرخ الأوسـخ وروز اليوسـف .. لا تقولـوا هزمنا تشدد ابن تيمية وابن عبدالوهاب وعبدالله عـزام وعمـر عبـدالرحمن بـل قولـوا هزمنا تفريط طنطاوي وبيومي وفقهاء التراجعات ..

ثم يا قراء، أو يا أبناء القراء أو أحفاد القراء .. عندما يحدث هـذا كلـه .. وعنـدما تدينون هؤلاء جميعا لا تقللوا أبـدا مـن إدانـتكم لأمـة مشـلولة سـلط الله عليهـا مـن تستحقهم .. أمة لم يستنفرها للدفاع عن نفسها دين ولا وطـن ولا شـرف ولا عـرض ولا حتى طعام وشراب ..

أمة زورت إرادتها فلم تتقدم لتسحق المزورين ..

أمة انتهكت نخبتها فلم تتحرك لتدهس المنتهكين ..

ثم اسألوا .. لو حدث ما يحدث في بلادنا في بلاد أخـرى فتحـرك الشـعب ليـذبح الطاغوت ويسحقه .. هل يعتبر هذا التحرك إرهابا؟ ..

دعنا من الإسلام الآن لمجرد الجدل ..

دعنا منه ..

دعنا منه بعد أن أوردت لكم في مقالات سابقة أنهـم في الغـرب يعتـبرون المسـلم المتشدد هو كل من ما يزال يصر على أن القرآن كلام الله ..

دعنا منه ونحن نقرأ أن بلير – معبرا عن الغرب كله- يعرف الإرهابي بأنه كل مـن

يدعو إلى تحكيم الشريعة .. وهو رأي أظن أن مبارك وعبدالله وزين العابدين والأسد بل وكل حكامنا ونخبتنا النجسة يوافقونه عليه ..

دعنا من الإسلام ..

هبنا ملحدين كالروس .. أو بوذيين نعبد البقر .. وجاء الغرب – بقيادة أمريكا أو بريطانيا أو فرنسا أو أي طاغوت آخر ليمزق أوطاننا ويشرذم شعوبنا ويمتهن مقدساتنا ويستولي على ثرواتنا بل ويحل محل بعض شعوبنا .. لو حدث ذلك مع عبدة البقر فتصدوا للعدوان وقاتلوا من تطاله أيديهم من الغزاة أو من يساعدهم .. فهل يعد ذلك إرهابا؟ ..

لو أننا ثأرنا لكل ألف قتيل من قتلانا بقتيل أمريكي واحد فهل يعد ذلك إرهابا ؟

لو أننا فجرنا شارعا لهم مقابل كل مدينة ينسفونها لنا فهل يعد ذلك إرهابا؟

لو أن الأمريكيين استولوا على أرض روسية أو هندية أو صينية وجعلوا منها حاملة طائرات ضخمة وثابتة وقاعدة تكرس استمرار التمزق والتشرذم فهل كان الروس أو الهنود أو الصينيون سيسكتون قبل أن يسحقوا العدوان سحقا ويبدوا الغزاة عن بكرة أبيهم؟! .. هل تعد المقاومة إرهابا في مثل هذه الظروف؟

***

من معسكر آل البيت خرج غلام كأن وجهه فلقة قمر في يده السيف وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما ما أنسى أنها اليسرى فقال لنا عمر بن سعد ابن نفيل الأزدي والله لأشدن عليه فقلت له سبحان الله وما تريد إلى ذلك يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد اعتزلوهم فقال والله لأشدن عليه فشد عليه عمر بن سعد أمير الجيش فضربه وصاح الغلام يا عماه قال : فشد الحسين على عمر بن سعد شدة ليث أعضب فضرب عمر بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين فاستقبلت عمر بصدورها وحركت حوافرها وجالت بفرسانها عليه ثم انجلت الغبرة فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام والغلام يفحص برجله والحسين يقول:

– بعدا لقوم قتلوك .. خصمهم يوم القيامة فيك جدك ..

ثم قال:

– عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوت والله

كثير عدوه وقل ناصره ..

ثم احتمله وقد وضع صدره على صدره ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه على الأكبر ومع من قتل من أهل بيته ..

كان الغلام هو القاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب ..

***

يا أسامة بن لادن ..

يا أيمن الظواهري ..

يا أبا مصعب الزرقاوي ..

خصمهم فيكم يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

***

أعيا الحسين رضي الله عنه فقعد على باب فسطاطه وأتي بصبي صغير من أولاده اسمه عبدالله فأجلسه في حجره ثم جعل يقبله ويشمه ويودعه ويوصى أهله فرماه رجل من بنى أسد يقال له ابن موقد النار بسهم فذبح ذلك الغلام فتلقى حسين دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال:

- يا رب .. إن تك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير وانتقم لنا من الظالمين ..

ورمى عبدالله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضا ثم قتل عبدالله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنوا علي بن أبى طالب إخوة الحسين وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر بل مانعوه عنه فخلص إلى شربة منه فرماه رجل يقال له حصين بن تميم بسهم في حنكه فأثبته فانتزعه الحسين من حنكه ففار الدم فتلقاه بيديه ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دما ثم رمى به إلى السماء وقال:

- اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تذر على الأرض منهم أحدا.

***

كنت هناك ..

رأيت كتيبة شمر ..

تحت لوائها كان يقاتل مبارك وعبدالله والأسد .. وكل حكامنا ..

هتفت: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على الأرض منهم أحدا.

***

كنت هناك ..

بحثت عن الشيخ حسن نصر الله والسيستاني وأحمدي نجاد فلم أجدهم في جيش الحسين فبرى الألم القلم .. ورحت أتمتم والتمتمة قطرات دم:

- كيف يصلون خلف الحسين ويقاتلون خلف ابن زياد؟ ..

***

كنت هناك .. كنت أنتظر المعجزة ..

ولم يكن عقلي القاصر قد أدرك بعد أن المعجزة كانت ألا تحدث معجزة ..

وكنت أنتظر الفارس يوسف بن القرضاوي والفارس محمد بن إسماعيل بن المقدم يقودان كتيبة الشيوخ لاختراق الحصار المضروب حول أسامة بن لادن والظواهري والزرقاوي .. عفوا أقصد الحسين وآل بيته .. كنت أنتظرهما لكنهما لم يأتيا أبدا ..

***

وكنت أري ضابطا بمباحث أمن الدولة يطلق رصاصة على فم الحسين الشريف قبل أن يروي عطشه .. فار الدم فتلقاه الحسين بيديه ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دما ثم رمى به إلى السماء وقال:

- اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على الأرض منهم أحدا.

ورحت داميا أقول ولا أكف:

- اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على الأرض منهم أحدا.

- اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على الأرض منهم أحدا.

- اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على الأرض منهم أحدا.

أمريكا بدأت هجومها العام والشامل على الإسلام

أهانت عليكم عقيدتكم يا ناس ..

أم رخص عندك دينك يا أمة ..

أم سقطت فريضة الجهاد .. وانقضى زمان الاستشهاد ..

وهل الجهاد والاستشهاد لا يجبان إلا على أهل فلسطين والعراق والأفغان والشيشان ..

أين أنت يا أمة؟ ..

أين أنت وأبو جهل ينقض عرى الإسلام عروة بعد عروة مدعيا أنه يحارب الإرهاب وما غير الجهاد يحارب .. وما من أحد منا سأله لمن ولاؤه وممن براؤه .. وهل هو مؤمن بالله وكافر ببوش أم كافر بالله ومؤمن ببوش .. فهما لا يجتمعان.

نعم .. أبو جهل .. هذا الدموي الغبي عييّ اللسان كثير التهتهة قليل الدين إن كان قد بقي لديه دين وهو يعلن الحرب على الإسلام بدلا من أن يعلنها على الكفر.

أبو جهل الذي يلغي السنة أو يحرفها .. ويلوي عنق تفسير آيات القرآن الكريم ليصل بها إلى عكس معناها حتى أن فقيهه لعنهما الله ذكر جزءا من آية: « التهلكة» دون أن يبين أن التهلكة التي تقصدها الآية هي تهلكة الانصراف عن الآخرة والانكباب على الدنيا. فكلمة التهلكة لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في آية واحدة:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة] .. قال أبو أيوب الأنصاري: أن الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله، وأن الآية نزلت في ذلك (الجامع لأحكام القرآن) .. وإلى هذا المعنى ذهب البخاري إذ لم يذكر غيره .. أو كما ورد في تفسير الجلالين: أن التهلكة هي الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه ..

أبو جهل الذي سلم كل مقاليد قوته وأموره إلى أعداء الله ..

أين أنت يا أمة وقد بلغت شراسة أبي لهب أنهم يهددون الأسرى في جوانتانمو بأن يرسلوهم لتعذبهم أجهزة أمنه، فإذا بهذا التهديد أقسى من كل تهديد آخر .. وإذا به هو الذي تنهار به ذبالات مقاومات باقية .. وإذا به يفرح لذلك ويفخر به آملا أن تكون له يدا عند سيده ومولاه يمنحه بمقتضاها الحكم ولأهله .. تعس هو وأهله ..

نعم .. أبو لهب الذي يبيع الإسلام عروة بعد عروة وأرضا بعد أرض .. هذا السمسار البشع الرهيب الذي لم تنكب بلاد المسلمين بمثله إذ لا يتورع عن فعل شيء في سبيل مكاسبه ومكاسب آله حتى لو احترق الوطن والأمة وقضى على الدين.

أبو لهب .. القواد الذي يستدرج شقيقاته وبناته إلى الغواية ..

والسمسار الذي يبيع جسد أمه قطعة قطعة ..

يا إلهي ..

كيف يمكن أن تأمل الأمة في نصر في ظل أبي جهل وأبي لهب؟ ..

وما من طاغوت من طواغيتنا إلا وهو أبو جهل وأبو لهب.

بل كيف يمكن أن تأمل الأمة في تخفيف تسارع الانهيار وجيوشنا مكرسة .. لا لتوحيد الأمة .. بل للدفاع عن الحدود المصطنعة التي فرضها أعداؤنا كي يضمنوا استمرار تمزق الأمة ..

كيف يمكن .. وشرطتنا أشد قسوة وإجراما ودموية من شرطة أعتى أعدائنا ..

كيف .. وأجهزة أمننا تكرس الفساد وتشجع التزوير وتمارس التعذيب وتحارب الإسلام ..

كيف ووزراء ثقافتنا – الشواذ- يكرسون الغزو الفكري ..

كيف ووزراء إعلامنا – القوادون – ينشرون الزيف والكذب ..

كيف ووزراء تعليمنا – القوادون الشواذ- يعلمون الكفر والعهر والجهل ويمنعون الدين والعلم ..

كيف وكتابنا ومفكرونا وصحفيونا – الأشد سوءا من القوادين والشواذ- أصبحوا أخطر أدوات الغزو الفكري .. أخطر حتى من الدبابات والطائرات والصواريخ والمدافع ..

كيف .. كيف .. كيف .. كيف ..

***

يقول العلامة محمود شاكر (في تقديمه لكتاب الظاهرة القرآنية- مشكلات الحضارة- مالك بن نبي- ترجمة د عبدالصبور شاهين- الهيئة العامة لقصور الثقافة):

« .. منذ أول الإسلام، خاضت الجيوش الإسلامية معارك الحرب في جميع أنحاء الدنيا، وخاض معها العقل الإسلامي معارك أشد هولا حيث نزل الإنسان المسلم. وتقوضت أركان الدول تحت وطأة الجند المظفر، وتقوضت معها أركان الثقافات المتباينة تحت نور العقل المسلم المنصور، وظلت الملاحم دائرة الرحى قرونا متطاولة، في ميادين الحرب وميادين الثقافة، حتى كان العصر الأخير .. »

ثم تدور رحى الدائرة فيقول العلامة:

« .. انبعثت الحضارة الأوربية، ثم انطلقت بكل سلاحها لتخوض في قلب العالم الإسلامي، أكبر معركة في تاريخنا وتاريخهم، وهي معركة لم يحط بأساليبها وميادينها أحد بعد في هذا العالم الإسلامي (...) لم تكن المعركة الجديدة بين العالم الأوربي المسيحي، وبين العالم الإسلامي، معركة في ميدان واحد، بل كانت معركة في ميدانين: ميدان الحرب، وميدان الثقافة، ولم يلبث العالم الإسلامي أن ألقى السلاح في ميدان الحرب، لأسباب معروفة، أما ميدان الثقافة، فقد بقيت المعارك فيه متتابعة جيلا بعد جيل، بل عاما بعد عام، بل يوما بعد يوم، وكانت هذه المعركة أخطر المعركتين، وأبعدهما أثرا، وأشدهما تقويضا للحياة الإسلامية والعقل الإسلامي، وكان عدونا يعلم مالا نعلم، ويدرك من أسرارها ووسائلها مالا ندرك، ويعرف من ميادينها مالا نعرف، ويصطنع لها من الأسلحة مالا نصطنع، ويجري لهما من الأسباب القاضية إلى هلاكنا مالا نحصى أو نلقي إليه بالا، وأعانه وأيده أن سقطت الدول الإسلامية جميعا مهزومة في ميدان الحرب، فسقط في يده مقاليد أمورها في كل ميدان من ميادين الحياة (...) والأساليب التي يتخذها العدو للقتال في معركة الثقافة، أساليب لا تعد ولا تحصى، لأنها تتغير وتتبدل وتتجدد على اختلاف الميادين وتراحبها وكثرتها، وأسلحة القتال فيها أخفى الأسلحة ... » ..

ثم يستطرد العلامة قائلا:

« .. وقد كان ما أراد الله أن يكون، وتتابعت هزائم العالم الإسلامي، في ميدان الثقافة جيلا بعد جيل، وكما بقيت معارك الحرب متتابعة سرا مكتوما لا يتدارسه قادة الجيوش الإسلامية وجندها حتى هذا اليوم، بقيت أيضا معارك الثقافة على تطاولها، سرا خافيا لا يتدارسه قادة الثقافة الإسلامية وجندها، بل أكثر من ذلك: فقد أصبح أكثر قادة الثقافة في العالم الإسلامي وأصبح جنودها أيضا، تبعا يأتمرون بأمر القادة من

أعدائهم، عارفين أو جاهلين أنهم هم أنفسهم قد انقلبوا عدوا للعقل الإسلامي الذي ينتسبون إليه، بل الذي يدافعون عنه أحيانا دفاع غيرة وإخلاص. لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة، أو أن ينازل ضلالا بهدى، أو أن يصارع باطلا بحق، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الإسلامي، جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة، وينصب في أرجائه عقولا لا تدرك إلا ما يريد لها هو أن تعرف، فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة إنسانية عرفت إلى اليوم، كجرائمه في تحطيم الدول وإعجازها مثلا بمثل، وقد كان ما أراد الله أن يكون، وظفر العدو فينا بما كان يبغي ويريد .. »

***

تتابعت الهزائم كما قال علامتنا وشيخنا ..

وكان الحكام والمثقفون هم أبناء اللقاء الحرام بين العدو الغازي والأمة المغتصبة ..

الحكام أمرهم معروف ومشهور ..

أما النخبة المثقفة .. فإنهم – كما يقول العلامة أبو الأعلى المودودي – أسوأ إنتاج للاستعمار الغربي في البلدان الإسلامية. فالصدمة الكبرى التي وجهها إلينا الاستعمار لم تكن في ميدان السياسة أو الاقتصاد، بل كانت موجهة إلى أعماق أدمغتنا وأرواحنا. وقد أوجد هذا الاستعمار في أوساطنا عبيداً قلوبهم متعلقة بالغرب حتى بعد الحصول على الاستقلال السياسي. وهم يطيعون أسيادهم ويتبعونهم خطوة خطوة بكل خضوع. وهذه النظرية تدعونا إلى القول بأن حرب الاستقلال لم تنته بعد، إذ أننا في حرب طويلة الأمد ضد هؤلاء الغرباء الوطنيين.

***

هذه النخبة المجرمة نشأت تحمل سمات آبائها غير الشرعيين من مستشرقين ومخابرات أجانب .. هذه النخبة كما يقول العالم الكبير الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض في مقال أخير له بصحيفة الشعب – بعنوان: فضيحة بجلاجل- (بتصرف) لا يحترمون القرآن ولا الحديث، وهما أساسا الدين لهذه الأمة، وبغيرهما لا يكون المسلم مسلما. لديهم قدرة عجيبة على الكذب والتدجيل دون أن يطرف لهم جَفْن ولا هُدْب، كما أن لديهم الجرأة الخبيثة على التلاعب بتفسير النصوص الدينية، والقرآنية بالذات، تفسيرا ما أنزل الله به من سلطان. وهذه الجرأة الوقحة على التلاعب بتفسير

النصوص الدينية يرفدها جهل غليظ لا يستحي صاحبه من إعلانه على الناس. هذه النخبة أخطر علينا حتى من المستعمر نفسه، المستعمر الذي يتساءل الآن في سخرية شامتة: ترى هل يستطيع أحد من المسلمين أن يجرؤ على فتح فمه؟. وفوق هذا وذاك فالقوم لم يعودوا يخفون شيئا من أهدافهم ونياتهم: فهؤلاء هم المسلمون يُذَبَّحون وتُدَكّ بيوتهم فوق رؤوسهم ورؤوس الذين نفضوهم وتُغْتَصَب حرائرهم وتُلَطَّخ أجساد رجالهم بالخراء ويُكْرَهون على أن يأتي الأب منهم أولاده، والأولاد أباهم، بأوامر اللوطيين والسحاقيات من أبناء وبنات العمّ سام، وتُسَلَّط الكلاب المتوحشة عليهم تأكل أعضاءهم التناسلية وهم عرايا مقيدون قد أُبْعِد ما بين ساقيهم بآلات حديدية حتى لا يستطيعوا أن يداروها عن الكلاب المتلمظة التي يسلطها عليهم كلاب البشر! رهيب! رهيب! رهيب! ..

حقا ..

رهيب رهيب رهيب رهيب كما يصرخ الدكتور إبراهيم عوض ..

رهيب ..

لكن صرخة الدكتور إبراهيم عوض لا تتوقف عند هذا (وبالمناسبة فإنني أنبه القراء لمتابعة هذا العالم الفذ في كتبه العديدة ومقالاته القيمة) ..

لا تتوقف الصرخة .. إذ يتصورهم الدكتور إبراهيم عوض وقد جاؤوا:

(ثم يأتي أولئك الخلق فيصيحون بنا أن: كونوا متحضرين أيها الأغبياء يا من لا تزالون تعيشون وتعششون كالخفافيش في عصر الظلام الذي كان يعيش فيه محمد وأصحابه البدو المتخلفون! ما لكم تريدون أن ترجعوا عقارب الساعة إلى الوراء، وقد مات ذلك الـ«محمد» منذ أربعة عشر قرنا وشبع موتا، وينبغي أن يلحق به قرآنه وحديثه اللذان لا مكان لهما في عالم اليوم الذي استولت فيه أمريكا على عرش الألوهية بقوة السلاح كما استولت على بلاد الهنود الحمر بعد أن أبادتهم وجعلتهم أثرا من بعد عين، وحوَّلتهم إلى حكايات تُرْوَى وأفلام تُمَثَّل على الشاشة للتسلية وإدخال السرور على قلوب المشاهدين، ولم يعد هناك مكان لإله محمد يا أيها الحمقى، بل يا أيها البهائم؟ ألا تريدون أبدا أن تفيقوا من هذيانكم وظلامكم وتكونوا، ولو مرة واحدة، قوما متحضرين؟ استيقظوا وافركوا أعينكم وقلوبكم وعقولكم جيدا، فهذا الأوان أوان «الكاوبوى بوش» لا «محمد راعى الجِمَال» يا أيها الصُّمّ البُكْم

العُمْى الذين لا يبصرون ولا يسمعون ولا يتكلمون كلاما يفهمه العاقلون!)

***

نعم ..

يلمس الدكتور إبراهيم عوض المعنى الذي أريد اقتناصه ..

ماذا يريد هؤلاء الصليبيون والصهاينة منا؟ ..

ماذا يريدون منا .. وقد اتضح الآن أن كل المعلن من أهدافهم كذب .. لكن موجزه أن هذا العصر ليس عصر محمد عليه الصلاة والسلام وإنما عصر الشيطان الرجيم بوش ..

أما الوسيلة فقد كانت أكثر الوسائل خسة ووحشية وإجراما ودموية وقسوة .. وهي صفات لا تقتصر على حاكم أو نخبة وإنما هي المكون الرئيسي لحضارة كافرة شرسة ..

يقول منير العكش في كتابه – «أمريكا والإبادات الجماعية» عرض وكالة الأنباء الإسلامية:

لقد أبادت هذه الإمبراطورية الدموية ١١٢ مليون إنسان بينهم ١٨,٥ مليون هندي (بعض الأرقام تصل بعدد الضحايا من الهنود الحمر فقط إلى ١١٠ مليون) أبيدوا ودمرت قراهم ومدنهم، ينتمون إلى أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب – ووصفت أمريكا هذه الإبادات بأنها أضرار هامشية لنشر الحضارة – وخاضت أمريكا في إبادة كل هؤلاء البشر وفق المعلوم والموثق ٩٣ حرباً جرثومية شاملة وتفصيل هذه الحروب أورده الكاتب الأمريكي هنري دوبينز في كتابه «أرقامهم التي هزلت » THE NUMBER BECAME THINNED: NATIVE AMERICAN POPULATION في الجزء الخاص بأنواع الحروب الجرثومية التي أبيد بها الهنود الحمر بـ ٤١ حرباً بالجدري، و٤ بالطاعون، ١٧ بالحصبة، و١٠ بالأنفلونزا، و٢٥ بالسل والديفتريا والتيفوس والكوليرا. وقد كان لهذه الحروب الجرثومية آثاراً وبائية شاملة اجتاحت المنطقة من فلوريدا في الجنوب الشرقي إلى أرغون في الشمال الغربي، بل إن جماعات وشعوب وصلتها الأوبئة أبيدت بها قبل أن ترى وجهة الإنسان الأمريكي الأبيض.

« فرانسيس ياركين » أشهر مؤرخ أمريكي في عصره لا يدين هذه القسوة

والوحشية والإجرام وإنما يقول أن الهندي نفسه في الواقع هو المسؤول عن الدمار الذي لحق به لأنه لم يتعلم الحضارة ولابد له من الزوال ..

***

ما ينطبق على الهندي الأحمر ينطبق على المسلمين إذن.

وهؤلاء المجرمون لا يقترفون كل هذه الجرائم ولا يقتلون كل هؤلاء الناس تبعا لمقتضيات الحرب حتى بمفهومهم هم .. إنهم يقتلونهم حين يقاومون .. ويقتلونهم إذ يستسلمون .. وحتى إذا فروا من الميدان فإنهم يتعقبونهم ليقتلوهم .. وكأنما الجريمة التي ارتكبوها هي أنهم جرؤوا على أن يوجدوا!! .. وكأنهم هم الذين أوجدوا أنفسهم .. لا يقتل البيض إذن ليسرقوا أو لينهبوا .. وإنما يقتلون ويعذبون ويمثلون بالبشر لأن لهم طباع الحيوانات الشرسة المفترسة .. بل أشد سوءا .. نعم .. إنهم يستمتعون بالقتل .. ليس استمتاع فرد شاذ .. بل استمتاع مجتمع شاذ وحضارة شاذة وأمة شاذة بأسلافها وأبنائها وعقيدتها المحرفة الشيطانية .. ولست أشك في أنهم جميعا ملحدون وليسوا مسيحيين بروتستانت كما يقولون .. تماما كما أن جل بناة دولة إسرائيل من اليهود ليسوا يهودا وإنما كافرون بالله العظيم وملحدون.

نعم .. الجريمة تجري منهم مجرى الدم وتقبع في النخاع .. جرت وتجري وستجري .. وربما يتخيل قارئ أن وحشية الأمريكي وخسته وإجرامه إنما تعود إلى أزمنة غابرة لم يعد لها الآن من أثر ..

لكن ..

فلنقرأ هذا الخبر في صحيفة القدس العربي:

واشنطن ـ اف ب: دافعت وزارة الدفاع الأمريكية الخميس عن جنرال في سلاح مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) اعتبر أن من الممتع إطلاق النار علي المسلحين في العراق أو أفغانستان. فخلال نقاش علني الثلاثاء في سان دييغو (كاليفورنيا غرب الولايات المتحدة) قال الجنرال جيمس ماتيس في الحقيقة من الممتع القتال. من الممتع إطلاق النار علي الناس .. ونشر سلاح المارينز بيانا قال فيه أن الجنرال ماتيس هو من القادة العسكريين الذين يتمتعون بقدر كبير من الشجاعة والخبرة في البلاد. وقال الجنرال مايكل هاغي أن ماتيس غالبا ما يتحدث بصراحة كبيرة.

القدس العربي ٥-٢-٢٠٠٥

نعم ..

كانت المشكلة أن «ماتيس» لم يخف شيئا وتحدث بالحقيقة دون إخفاء أو تزوير ..

و إنهم يستمتعون بقتلنا ..

***

يستمتعون كما استمتعوا بجريمة سلخ فروة الرأس لكل ضحاياهم من الهنود الحمر، ولعل أقدم مكافأة على فروة الرأس بدلاً من كل الجمجمة تعود إلى عام ١٦٦٤، وفي ١٢ أيلول سبتمبر من ذلك العام، حيث رصدت المحكمة العامة في مستعمرة ماسوسيتش مكافأة مختلفة لكل من يأتي بفروة رأس هندي مهما كان عمره أو جنسه وتختلف المكافآت بحسب مقام الصياد، ٥٠ جنيهاً إسترلينيا للمستوطن العادي، و٢٠ جنيهاً لرجل الميليشا العادي، و١٠ جنيهات للجندي، ثم تغيرت التعريفة في عام ١٧٠٤ فأصبحت مائة جنيه لكل فروة رأس ومن المفارقات أن المكافآت المتواضعة التي رصدت كانت لفروة رأس الفرنسي عام ١٦٩٦ وهي ٦ جنيهات، حتى أن المغامر «لويس وتزل » يروى أن غنيمته من فرو رؤوس الهنود لا تقل عن ٤٠ فروة في الطلعة الواحدة.

في أمريكا لا يتكلمون عن وتزل كمجرم ولا كإرهابي ولا كقاتل ولا كسفاح ولا يخجلون منه .. بل ويعتبرونه من أبطال التاريخ الأمريكي وما يعرف بعمالقة الثغور.

يفخرون به رغم أنه يخجل ..

أما نحن فنخجل من أبطالنا رغم أنه كان لنا وعلينا أن نفخر بهم ..

نحن نسمي الأبطال إرهابيين!! ..

***

وبدءا من وتزل صار قطع رأس الهندي وسلخ فروة رأسه من الرياضات المحببة في أمريكا، بل إن كثيراً منهم يتباهى بأن ملابسه وأحذيته مصنوعة من جلود الهنود، وكانت تنظم حفلات خاصة يدعى إليها علية القوم لمشاهدة هذا العمل المثير (سلخ فروة رأس الهندي وهو على قيد الحياة) حتى أن الكولونيل جورج روجرز كلارك في حفلة أقامها لسلخ فروة رأس ١٦ هندي طلب من الجزارين أن يتمهلوا في الأداء وأن يعطوا كل تفصيل تشريحي حقه لتستمتع الحامية بالمشاهد (راجع اليوميات في

Michigan pioneer and historical colloction العـدد ٩، ١٨٨٦م، صــ١٥٠١، ٥٠٢)
وما يزال كلارك إلى الآن رمزاً وطنياً أمريكيـاً وبطـلاً تاريخيـاً ومـا يـزال مـن ملـهمي القوات الخاصة في الجيش الأمريكي.

***

نعم ..

لكن الإرهاب لا ينبع إلا من المسلمين .. !!!! ..

يكفي أن يكونوا مجرد مسلمين .. وليس يهم ماذا فعلوا وماذا لم يفعلوا ..

بل لقد وصل الأمر لحد المهزلة .. ذلـك أن فيرينـك جيوركسـاني رئـيس الـوزراء المجري قد استخدم في ١٠-٢-٢٠٠٥ تعبير «الإرهابيين العرب» أثنـاء إشـادته بفريـق بلاده الوطني لكرة القدم لتصديه للفريق السعودي. وكان جيوركساني قـد أعلـن »أن فريق بلاده قاتل بشجاعة تتحدي الموت ضد الإرهابيين العرب».

تحول الأمر إذن إلى عنصرية بغيضة حقيرة منتنة ..

لا ..

بل بالأحرى هو منذ البداية كذلك ..

لكـن لنواصـل القـراءة في سـفر الحضـارة الغربيـة الوحشـية الشـاذة المجرمـة .. في كتاب:« أمريكا والإبادات الجماعية» ..

***

يقول الجندي الأمريكي « أشـبري» أن الأمـر قـد وصـل إلى حـد التمثيـل بفـروج النساء ويتباهى الرجل بكثرة فروج النساء التي تزين قبعته وكان البعض يعلقهـا علـى عيدان أمام منزله.

ثم اكتشف أحد صيادي الهنـود إمكانيـة اسـتخدام الجلـد المسـلوخ عـن الأعضـاء الذكرية للهنود كأكياس للتبغ، أكياس فـاخرة غـير مخيطـة مـن الجانـب، ثـم تطـورت الفكرة المثيرة من هواية فردية للصيادين إلى صناعة رائجـة وصـار النـاس يتهادونـه في الأعياد والمناسبات، ولم تدم هذه الصناعة طويلاً بسبب قلة عدد الهنود حيـث وصـلوا في عام ١٩٠٠ إلى ربع مليون فقط (لمزيد مـن التفاصـيل راجـع stand hoig في كتـاب the sand creek massacars).

أعرف أن النخبة المثقفة المجرمة في بلادنا وعلى رأسهم الحداثيون والعلمانيون والشيوعيون سيحاولون الهرب من المواجهة .. وسوف يدعون أن ذلك حدث في الماضي البعيد .. وأن أول شرط للحداثة هو القطيعة المعرفية .. هو نسيان ما حدث في الماضي ..

يطلبون منا –كلاب النار– نسيان ما حدث منذ خمسين عاما من حقائق .. ولا ينسون هم أساطير مزعومة ترجع إلى الوراء أربعين قرنا.

وهذه النخبة المجرمة ليست جاهلة وإنما هي خائنة ..

وهي لا تتناول الماضي بهذا الاستخفاف إلا لسبب واحد: هو إتاحة الفرصة للصليبيين لكي يواصلوا مذابحهم ضدنا دون مقاومة .. وتلك ليست مهمة النخبة بل وظيفة الطابور الخامس ..

وقد يقول أحدهم أن تاريخ الهنود هذا تاريخ قديم .. وأن تيك الجرائم الأمريكية سقطت بالتقادم ولا ينبغي أن نحمل الأجيال التالية وزرها ..

ليس حسنا يا كلاب النار يا حطب جهنم ..

ليس حسنا وليس صحيحا وأنتم أول من يعلم أنه غير صحيح ..

لكن .. فلنتناول إذن تاريخا غير قديم ..

وليلاحظ القارئ أن ما حدث هو بعينه الذي يحدث الآن في العراق ..

***

ففي أربعينات القرن العشرين دخلت اليابان أطلس الشعوب المتوحشة الأمريكي (سوف تسمى بعد ذلك محور الشر).

ويروى مراسل حربي في مقالة له في atlantic monthly « لقد قتلنا الأسرى بدم بارد، ومحونا المستشفيات من الوجود، وأغرقنا مراكب الإنقاذ، وقتلنا المدنيين وعذبناهم، وأجهزنا على الجرحى وقدناهم إلى حفر جماعية، وهناك في الهادي سلقنا لحم جماجم أعدائنا (بقصد اليابانيين) لنصنع منها عاديات تذكارية توضع على الطاولات وتهدى إلى الأحباب أو صنعنا من عظامهم سكاكين لفتح الرسائل ».

وقد لاقت هذه الرسائل ترحيباً كبيراً لدى الشعب الأمريكي حتى أن مجلة لايف نشرت في عام ١٩٤٤ موضوعاً عن الحرب مزيناً بصفحة كاملة لصورة صبية شقراء

مبتسمة وهو تقف إلى جانب جمجمة يابانية أرسها إليها خطيبها من الجبهة.

***

ألم أقل لكم أن المشكلة ليست في الإدارة الأمريكية بل المشكلة في شعب جله مجرم، مع استثناءات تثبت القاعدة ولا تلغيها ..

شعب مجرم نشأ من حرام وارتوى بالدماء، ولن تردعه أبدا إلا الدماء.

***

وفي الحرب العالمية الثانية اقترفت الجيوش الأمريكية العديد من جرائم الحرب وضد المدنيين العزل بشكل خاص. فقد شارك الأسطول الجوي الأمريكي عبر ما يسمى بالقصف السجادي، في تدمير العديد من المدن المكتظة بالسكان والتي لا تمثل أي قيمة عسكرية تذكر، وما تدمير مدينتي روتردام في هولندا ودرسدن في ألمانيا سوى نموذج للهمجية الأمريكية، والتي لا تعرف مكانا للقيم في منظوماتها العسكرية. وبلغت هذه الهمجية ذروتها حين تم ضرب مدينتي هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين - اللتين لا قيمة عسكرية لهما - بالقنبلة النووية، والتي خلفت دمارا شاملا لا يمكن وصفه في صفوف المدنيين العزل إضافة إلى المنشئات والبيئة الطبيعية. وهذا مما يخالف كل قوانين الحرب التي تدعي أمريكا بهتانا اتباعها.

ولقد تبنت القوة الجوية الملكية والقوة الجوية للجيش الأمريكي أسلوب القصف الاستراتيجي والتدمير الواسع للمدن باستعمال القنابل الحارقة، فأمر الجنرال جورج مارشال - رئيس الأركان الأمريكي آنذاك - مساعديه بتخطيط هجمات حارقة على المدن اليابانية الكثيفة السكان، ومن ثم انطلقت ٣٣٤ طائرة أمريكية لتدمر ما مساحته ١٦ ميلا مربعا من طوكيو بواسطة إلقاء القنابل الحارقة، مما أدى إلى مقتل ١٠٠ ألف شخص وتشريد مليون نسمة، بينما وصلت درجة حرارة الماء في القنوات إلى درجة الغليان وذابت الهياكل المعدنية وتلاشت الأجساد في ألسنة من اللهب. ولم تكن طوكيو وحدها هي التي تعرضت لتلك الهجمات الأمريكية الوحشية، فقد تكرر هذا السيناريو في ٦٤ مدينة يابانية أخرى .. فضلا عن دك هيروشيما وناجازاكي بقنبلتين ذريتين حصدتا عشرات الآلاف من الأرواح، وأهلكتا الزرع والضرع، رغم أن الحرب كانت قد وضعت أوزارها بالفعل !!

***

غيروا أسماء المدن والتواريخ لتقرءوا ما حدث في العراق بعد ذلك بستين عاما ..

ضعوا اسم بغداد مكان طوكيو .. والفلوجة مكان هيروشيما .. وبعقوبة مكان نجازاكي .. وعام ٢٠٠٤م بدلا من عام ١٩٤٤م .. افعلوا ذلك تقرءوا ما حدث في العراق ..

نفس المجرم ونفس الادعاءات ونفس الجرائم وإن اختلفت الضحايا ..

***

في عام ١٩٤٦ أنشأت الولايات المتحدة في بنما المدرسة الأمريكية المشؤومة – للتعذيب!!- ثم نقلت في عام ١٩٨٤ إلى فورت بنينغ في جورجيا حيث كان يتم التدريب على الحرب وعلى العمليات البوليسية وقد تعلم فيها أكثر من ٦٠ ألف عسكري وشرطي من أمريكا اللاتينية خلال سنوات عديدة فنون القهر والتعذيب والاغتيال وعمليات الكومندوس ومنهم كومندوس الموت ضد أطفال الشوارع.

***

هل عرفتم الآن أين تدربت وكيف تدربت وحوش بشرية كزكريا محيي الدين وصلاح نصر وصلاح دسوقي وحمزة البسيوني وحسن طلعت وزكي بدر والنبوي إسماعيل وحسن الألفي وفؤاد علام .. و .. و ..

وهل عرفت الآن – أنا – إجابة السؤال الذي طالما دوخني وأنا أتابع تفاصيل التعذيب في سجوننا فأهمس لنفسي مروعا مذهولا:

– من الذي علمهم ذلك؟ .. ما يفعلونه مروع ورهيب وليس له أي جذور في الفكر الإسلامي ولا العربي ولا حتى الفرعوني .. ما يفعلونه مروع ورهيب لا يقوم به إلا كافر ..

وكانت أمريكا وأوروبا فوق الشكوك كما علمنا أتباع دنلوب وأحفاد كرومر ..

الآن أعرف من علمهم ..

وأعرف الكفر وأهله وأصله ..

أعرف علاقة النسب والدم بين جلادين وطغاة كحكامنا وبين المجرمين الصليبيين واليهود ..

***

« هيوه مانكه » رئيس قسم المتطوعين الدولية، قال في شهادة لـه أمـام الكـونجرس ١٩٧١ قد أكد على عزم القوات الأمريكية على إبـادة فيتنـامي الجبـل فقـال : « إننـا سنحل مشكلتهم كما فعلنا مع الهنود » بينما قـال « ماكسـويل تـايلور » وهـو يصـف الفييتكونغ في شهادة له أمام الكونجرس : « إن الفيتناميين ليسوا بأفضل من قمل يغزو جلد الكلب ».

وكانت قناة history التليفزيونية الأمريكية قـد عرضـت في ٣ تمـوز ١٩٩٦ شـكلاً حديثا من مشاهد السلخ في فيلم وثـائقي بعنـوان « قيـام العنقـاء » نـرى فيـه الجنـود الأمريكان في فيتنام وهم يقطعون رؤوس الفييتكونـغ ويعرضـونها في مهمـة أشـرفت عليهـا وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة في أواخـر عـام ١٩٦٧ وأطلقـت عليهـا اسـم «العنقاء» «operation phoenix»، وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن عـدد ضـحايا عملية العنقاء وحـدها وصـل إلى ٢٦٣٦٩ قتيـل، و٣٣٣٥٨ معتقـل، بينمـا يؤكـد روي بروسترمن « أسـتاذ القـانون في جامعـة واشـنطن أن عمليـة العنقـاء شملـت » فيتنـام – والفلبين – والسلفادور « وبلغ عدد ضحايا فيتنام وحدها في الفترة بـين ١٩٦٨، ١٩٧١، ما يزيد عن ٤٠ ألف قتيل وأكثر الضحايا كانوا من المدنيين والمعتقلين جراء التعذيب.

ويروى «بارتون » أحد ضـباط عمليـة العنقـاء في شـهادته أمـام الكـونجرس عـام ١٩٧٣ « كنت أنظر في قضية مشتبه يقول أحد عملائي أنـه متعـاطف مـع الفييتكونـغ وكان التحقيق يجرى في مجمع بالتجسس المضاد لفرق المارينز وحين دخلت لمتابعـة مـا يجري كان الرجل قد فارق الحياة بعد أن دكوا في فتحة أذنـه سـيخاً حديـدياً طولـه ٦ بوصات اخترق دماغه وقتله .. لقد كانت حرب إبادة منظمة ».

وتصف مجلة country spy في عددها ربيع/ صيف ١٩٧٥ عملية العنقاء بأنها أكـبر برنامج للقتل الجماعي المنظم يشهده العالم منذ معسـكرات المـوت النازيـة فتقـول «في ١٦ آذار، مارس ١٩٦٨ دخلت مجموعة من الكتيبة ١١ إلى قريـة (مـاي لاي) فقتلـت ٣٤٧ عجوزاً وامرأة وطفلاً رضيعاً، ثم إن المشاة أحرقوا البيوت والأكواخ بمـن فـيهم البشر وهنأ الجنرال «وستمولند» هذه المجموعة لعملها « الممتاز»، وفي يوم المجزرة نفسـه هاجمت مجموعة أخرى مـن الكتيبـة قريـة (مـاي خـه) وفتحـت نيرانهـا علـى طريقـة الكابوي وفي هذه المجزرة تولت مجموعة من صغيرة من الجنود تكويم الجثث »

وفي اليوم التالي زحفت هذه المجموعة عبر شيه جزيرة «باتنغن» جنوب بحر الصـين

وراحت تحرق كل قرية تعبرها وتقتل كل ما يدب فيه الروح من الجواميس والخنازير والبط والدجاج والبشر وتدمر المحاصيل، وقال أحد جنود هذه المجزرة «ما فعلناه هنا ليس استثناء، لقد فعلناه في كل مكان» وقال آخر «لقد كنا نتسلى»

كنا نتسلى ..

كنا نتسلى ..

كنا نتسلى ..

كما يتسلون في العراق وكما تتسلى إسرائيل في فلسطين ..

***

وعن مذبحة (ماي لاي) يروي سيمور هيرش الكاتب الأمريكي (والكلام عن المذبحة مقتبس من كتابيه (my lai – cover up) يروى أن الطيار هيو تومسون كان يحلق بطائرته الهليوكويتر الصغيرة صباح ١٦ آذار، مارس ١٩٦٨ فوق منطقة ماي لاي، وما إن اقترب من قرية سونغ ماي حتى رأى الأرض مزروعة بالقتلى والجرحى من دون إشارة تدل على وجود قوة معادية، (في المنطقة التي تقع داخل فيتنام الجنوبية الحليفة التي تستضيف الجيش الأمريكي والضحايا كلهم من مواطنيها)، وظن الطيار أن أفضل ما يستطيع فعله هو تحديد المكان بالدخان حتى يسرع الجنود على الأرض للنجدة والمساعدة، وكان أول ما فعل أن حدد مكان فتاة مصابة بطلقات في بطنها ومبطوحة على حافة السياج فيما كان نصفها السفلي فوق حقل الأرز. ولدهشته فإن الجنود أسرعوا إلى الفتاة ليجهزوا عليها لا ليسعفوها، فقد أفرغوا في رأسها عدة طلقات ».

ويقول أحد مساعدي تومسون : « إن الجثث كانت كالنمل، كان هناك من سمم مياه الشرب وكان كل من في القرية شرب من هذه المياه المسمومة وسقط صريعاً، لقد استغرق دفن القتلى أكثر من خمسة أيام »

وكان جوزيف ستريك قد أجرى لقاءات مطولة مع جنود هذه المذابح لتوثق لعام ١٩٧١، فقال « فردانو سمبسون: « كانوا يمثلون بالجثث وبكل شيء، كانوا يشنقونها أو يسلخونها، وكانوا يستمتعون بذلك، يستمتعون بكل معنى الكلمة ـ وكانوا يتلذذون بقطع حناجرهم ».

وكانت «النيويورك تايمز» في أواخر نيسان ٢٠٠١ قد كشفت عن مجزرة لم يكن أحد يذكرها لولا أن بطلها أصبح عضواً في مجلس الشيوخ، وقد ارتكبها السيناتور «بوب كيري » في شباط فبراير ١٩٦٩، عندما كان ضابطاً بحرياً متطوعاً في حرب فيتنام ونال جزاء بطولتها وسام النجم البرونزي، ويروى « غيرهارد كلان » أحد الذين شاركوا في هذه المجزرة كيف كان أن السناتور بوب كيري الذي خاض الانتخابات الرئاسية الماضية قادهم في تلك الليلة إلى قرية ثونه فونغ حيث جمعوا ١٣ امرأة وطفلاً وأطلقوا عليهم النار بدم بارد، وكيف أنهم بعد سقوط القتلى سمعوا طفلاً يبكى بين الضحايا فعاجلوه بالرصاص الكثيف. وقال إنهم بينما كانوا في طريقهم إلى مكان المجزرة مروا بكوخ فيه عجوزان وثلاثة أطفال فطعنوهم جميعاً بالسكاكين ثم قطعوا حناجرهم ».

***

في فيتنام كما يؤكد الراهب البوذي الفيتنامي ثيتش ثين هاو أن «حرب فيتنام تسببت بحلول منتصف عام ١٩٦٣ في مقتل ١٦٠ ألف شخص، وتعذيب وتشويه ٧٠٠ ألف شخص، واغتصاب ٣١ ألف امرأة، كما نزعت أحشاء ٣٠٠٠ شخص وهم أحياء، وأحرق ٤٠٠٠ حتى الموت، ودمر ألف معبد، وهوجمت ٤٦ قرية بالمواد الكيماوية السامة ».

كما أدى القصف الأمريكي لهانوي وهايفونغ عام ١٩٧٢ إلى إصابة أكثر من ٣٠ ألف طفل بالصمم الدائم .. وبينما عانى الأمريكيون بعد الحرب من فقد ٢٤٩٧ جنديا (بحسب أحد التقديرات)، كانت العائلات الفيتنامية تكافح للتكيف مع فقد ٣٠٠ ألف فيتنامي، فضلا عن أن عدد القتلى في فيتنام بلغ ٤ ملايين شخص، إلى جانب عدة ملايين آخرين من المعوقين والمصابين بالعمى والصدمات والتشوه، مما حول فيتنام إلى ساحة كبرى للقبور ومبتوري الأعضاء والأرض المسممة واليتامى والأطفال المشوهين.

***

لسنا أمام أزمة عابرة إذن، ولا أمام جنوح عابر أو جنون مؤقت، نحن أمام شعب متوائم مع نفسه متسق مع شخصيته ومبادئه بل ودينه، دينه الشيطاني الذي لا يتبع حتى المسيحية المحرفة .. بل يتبع الشيطان .. نحن أمام أمة مجرمة حتى النخاع. ولعلها

تتفوق على أوروبا في الكم فقط، أما في الكيف فلا فرق. أمة مجرمة لن يردعها إلا المواجهة والجهاد .. ولن يمنعها عنا إلا إرهاب عدو الله وعدونا ..

وحسبنا هنا أن ننقل ما أوردته جريدة التايمز البريطانية على لسان صحفي بريطاني في وصف ما حدث في العراق عام ١٩٩١: « كانت الحرب نووية بكل معنى الكلمة، وجرى تزويد جنود البحرية والأسطول الأمريكي بأسلحة نووية تكتيكية، والأسلحة المطورة أحدثت دمارا يشبه الدمار النووي، حيث استخدمت أمريكا متفجرات وقود الهواء المسماة Blu-82، وهو سلاح زنته ١٥٠٠٠ رطل وقادر على إحداث انفجارات ذات دمار نووي حارق لكل شيء في مساحة تبلغ مئات الياردات ».

كما استخدمت قنابل اليورانيوم المستنفد لأول مرة للتخلص من نفايات المفاعلات والمحطات النووية، حيث أطلقت الدبابات الأمريكية ستة آلاف قذيفة يورانيوم، بينما أطلقت الطائرات عشرات الآلاف من هذه القنابل، لدرجة أن تقريرا سريا لهيئة الطاقة الذرية البريطانية قدر ما خلفته قوات التحالف على أرض العراق بما لا يقل عن أربعين طنا من اليورانيوم المنضب.

كما أكدت مصادر غربية أن هناك ٨٠٠ طن من غبار وذرات اليورانيوم المنضب سوف تستمر في الهبوب على شبه الجزيرة العربية لمدى طويل جدا، حيث تم تلويث الهواء والتربة والأنهار بكميات مفزعة من الإشعاع المسبب للسرطان، مما دفع مكتب السكان الأمريكي نفسه لوصف العواقب الوخيمة لذلك على العراقيين بأنه تسبب في انخفاض عمر الرجال العراقيين بمعدل ٢٠ سنة وانخفاض عمر العراقيات بمعدل ١١ سنة، فضلا عن نصف مليون حالة وفاة بالقتل الإشعاعي في العاجل والآجل.

***

نذكر ما حدث عام ١٩٩١ .. أما ما حدث عام ٢٠٠٤ فلا نذكره .. لأن راعية العالم الحر أخفت المعلومات وقتلت المراسلين الذين حاولوا نقل الحقيقة إلى العالم ..

***

يورد محمد حسنين هيكل في مقال له بعنوان الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية - مجلة وجهات نظر- قصة احتلال الفلبين « في سبتمبر ١٨٩٨:

استقبل الرئيس الأمريكي « ماكينلى» وفداً من قساوسة جمعية الكنائس التبشيرية الذين فوجئوا به بعد أن انتهت جلسته يقول لهم : « عودوا إلى مقاعدكم أيها السادة

لأني أريد أن أقص عليكم نبأ وحي سماوي ألهمني، أريد أن أقول لكم أنني منذ أيام لم أنم الليل بسبب التفكير فيما عسى أن نصنعه بتلك الجزرة البعيدة (الفلبين) ولم تكن لدي أدنى فكرة عما يصح عمله ورحت أذرع غرفة نومي ذهابا وجيئة أدعو الله أن يلهمني الصواب ثم وجدت اليقين يحل في قلبي والضوء يسطع على طريقي، إن الجزرة جاءتنا من السماء فنحن لم نطلبها ولكنها وصلت إلى أيدينا منة من خالقنا، ولا يصح أن نردها وحتى إذا حاولنا ردها فلن نعرف لمن ؟ - ولا كيف؟

وقد بدا لي أولاً أنه من زيادة الجبن وقلة الشرف والتخلي على الواجب أن نعيدها إلى أسبانيا، ومن ناحية ثانية وجدت من سوء التصرف والتبديد أن نعهد بها إلى قوة أوروبية متنافسة على المستعمرات في آسيا مثل فرنسا وألمانيا، ومن ناحية ثالثة أحسست أنه من غير الملائم أن نترك هذه الجرزة لحماقة وجهل سكان محليين لا يصلحون لتولى المسؤولية، وكذلك فإن الخيارات المقترحة أمامنا تركزت في حل واحد هو في الواقع لمصلحة الفلبين قبل أي طرف آخر، وهذا الحل هو ضم الجزر إلى أملاكنا، بحيث نستطيع تعليم سكانها ورفع مستواهم وترقية عقائدهم المسيحية ليكونوا حيث تريد لهم مشيئة الرب إخوة لنا فدتهم تضحية المسيح كما فدتنا! ».

***

تصوروا لو أن حاكما عربيا أو مسلما تحدث عن: نبأ وحي سماوي ألهمه، بعد أن ظل طول الليل يذرع غرفة نومه ذهابا وجيئة يدعو الله أن يلهمه الصواب ثم وجد اليقين يحل في قلبه والضوء يسطع على طريقه، إن فلسطين جاءتنا من السماء وهي منة من خالقنا، ووديعة سيدنا عمر، ولا يصح أن نتركها لليهود وحتى إذا حاولنا تركها فلن نعرف ..

تصوروا لو أن حاكما أو عربيا قال مثل ذلك .. ماذا كان يمكن للغرب أن يفعل به ..

بل ماذا كان يمكن لكلاب العرب الشرسة التي بثها الغرب فينا من خونته وعملائه العلمانيين والحداثيين والشيوعيين سيفعلون بمثل هذا الحاكم ..

هذه الطغمة الفاسدة المجرمة التي تعوي ككلب أجرب كلما ذكر مسلم الإسلام أو القرآن .. وانظروا ماذا فعلت تلك الكلاب البشرية بواحد من أفضل كتاب المغرب وأوسعهم علما وأكثرهم نشاطا هو الأستاذ حسن السرات لمجرد أنه استخدم كلمة غضب الله بدلا من غضب الطبيعة وهو يتحدث عن زلزال تسونامي .. لكننا سنعود

بالتفصيل إلى هذه النقطة في جزء تال.

لكنني أذكركم فقط كيف حاصر الغرب السلطان عبدالحميد الثاني واتهمه بالرجعية والتخلف والجمود رغم أن الرجل لم يدع أن هناك وحيا هبط من السماء عليه كما قال : « ماكينلى» أو أن الله أمره كما قال القرصان الدموي المجرم جورج بوش ..

***

دعونا نواصل القراءة في سفر إلى الجرائم الأمريكية:

واشتهرت الوحدات الخامسة للقوات الأمريكية الخاصة (البيريه الخضراء) بعملياتها السرية والمعلنة في فيتنام بين عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ ثم في أمريكا الوسطى لاحقا، وسميت عملياتها في فيتنام بـ«مشروع العنقاء (فينيكس)» وفيه كانت تقوم بالكثير من الأعمال العسكرية «القذرة» — على حد وصف بعض مؤرخي الحرب الأمريكية- ومن بينها اغتيال زعماء القرى وحتى بعض الجنود الأمريكيين لضمان تأييد الكونجرس لاستمرار الحرب، وهو المشروع الذي وصفه المحرر العسكري المعروف «باول شيهان» بأنه «كذبة ناصعة»!.

***

والتاريخ يعيد نفسه ..

اقرأ عن المذابح الوحشية للأمريكيين تظن أنك تقرأ عن الحروب الصليبية واقرأ عن الحروب الصليبية تظن أنك تقرأ عن مذابح الأمريكيين في التاريخ المعاصر ..

ينقل لنا المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون هذه الصفحة من تاريخ الحروب الصليبية: «اقترف الصليبيون من الجرائم مالا يصدر عن غير المجانين، وكان من ضروب اللهو عندهم تقطيع الأطفال إرْباً إرباً وشيّهم !. لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في بيت المقدس، وكانت جثث القتلى تحوم في الدم .. وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها !! وأباد الفرسان الصليبيون الأتقياء جميع سكان القدس من المسلمين واليهود والنصارى .. وكان سلوك الصليبيين غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب حين وصل القدس منذ بضعة قرون .. ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه جرائم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين».

أما المستشرق روم لاندو فيقول: «مثل هذا الإفناء البشري باسم المسيح كان لا بـد له أن يُذهل الإنسانية، ولقد عجزت القرون المتعاقبة عن محـو هـذه الوصـمة ... وإن كَرّ السنين لم يخفف من أعمال انعدام التسامح التي قام بها الصليبيون باسم الله»

أمّا كنه هؤلاء« الأتقياء» فيحدّده أسقف عكا (جاك دوفيتري): « كان لا يُرى منهم في أرض الميعاد غير الزنادقة والملحدين واللصوص والخائنين» ..

نعم ..

نعم ..

كـان ومـا يـزال لا يُـرى مـنهم في بلادنـا غـير الزنادقـة والملحـدين واللصـوص والخائنين» ...

***

نعم .. نحن نواجه أمة مجرمة حتى النخـاع .. أمـة مجرمـة عـبر تاريخهـا كلـه .. ولم تتوقف أبدا عن ممارسة الإرهاب.

ولتقرأ من وكالات الأنباء هذا الخبر.

واشنطن: «الشرق الأوسط» ..

سناتور يطالب بالتحقيق في تصريحات مـدير أخبـار الــ«سـي. إن. إن» في منتـدى دافوس

قال إن الجيش الأميركي يتعمد استهداف الصحافيين في العراق ..

ما يزال الجدل مستمراً حول ما قاله رئيس قسم الأخبار في شبكة الـ«سـي إن إن»، إيسون جوردان، في منتدى دافوس الاقتصادي أخيرا. وبحسب التقارير فـإن جـوردان اعتبر في ندوة عن الديمقراطية والإعـلام أن الجـيش الأميركـي اسـتهدف الصـحافيين خلال عملياته في العراق. وقال إنه على علم بحوالي ١٢ صحافيا لم يقتلـوا برصـاص القوات الأميركية فحسب، بل تم استهدافهم، وذلك تنفيذا لسياسة معينة وقد أيـده في ذلك العضو الديمقراطي في مجلس النواب بارني فرانك.

***

يورد محمد حسنين هيكل في مقالة «مهمة تفتـيش في الضـمير الأمريكـي في العـدد التاسع والأربعون – مجلة وجهات نظر– فبراير ٢٠٠٣م »، وهنـا لم يكـن مسـتغرباً أن

تكون مقدمة الظهور الأمريكي مع مطلع القرن العشرين رجالاً من طراز «مورجان » وهو من أسرة اعتمدت ثروتها في الأصل على جد من كبار القراصنة خبأ كنزه في إحدى جزر البحر الكاريبي ثم ترك لأسرته خريطة تدل على موقعه، وعندما تمكن الورثة من فك الرموز- أصبح الكنز في العصر الحديث أهم أصول واحد من أكبر البنوك الأمريكية)- ونفس الطراز من الرجال تكرر في «جون روكفللر» (فقد تحصل على غنى أسطورى من إبادة قبائل بأكملها في «فنزويلا» كي يفسح المجال لحقول بترول تأكد له وجودها وصمم على امتلاكها، واستحق أن يوصف بأنه أسال دماء على سطح فنزويلا بأكثر مما استخرج من عمق آبارها نفطا)- ونفس الطراز كذلك تكرر في «فاندربيلت» (الذي تسابق مع «مورجان» في مشاريع مد السكك الحديدية لتربط أمريكا الشمالية بقضبان من الصلب، تشق طريقها صاعقة نافذة في الجبال مكتسحة معظم ما بقى لمواطن الهنود الحمر، والجيوب المنسية من جماعات المهاجرين.

***

ويقول (فرانك براوننغ) في كتابه (الجريمة على الطريقة الأمريكية): منذ سنة ١٩٦٠م أخذوا في الولايات المتحدة الأمريكية يتحدثون كثيراً عن (سلطة خامسة) هي أحياناً قوية لدرجة أن السلطات الأربع الأخرى تنحني أمامها .. كان البعض يقصد بها فيها الجيش، والبعض الآخر المخابرات. ولكننا نعتقد بأن ما وراء كافة هذه القوى الاجتماعية، توجد قوة أخرى (سلطة سادسة) قد ظهرت في الولايات المتحدة. قوة قادرة على التأثير في الحكومة، في القانون، في الاقتصاد، في الشرطة، في الأسعار، في الأذواق ... إن هذه القوة تغرز جذورها حتى منبت التاريخ الأمريكي، الذي تأثيرها عميق وسيطرتها واسعة، وقدرتها متنامية باستمرار. فأمريكا لا تستطيع اليوم أن تعمل بدونها. إن هذه (السلطة السادسة) هي التي يمارسها عالم محترفي إجرام يعملون في خدمة الصناعيين والسياسيين من غير الشرفاء ... أن الأفراد الذين ينتهكون القانون يعرفون من الآن فصاعداً أن باستطاعتهم الاعتماد على حماية (المنظمة) وعلى ضمان أموالها وعلى تعريض كافة مستويات المجتمع للشبهات، هذا التعريض الذي تثبت بواسطته سلطتها. إن (السلطة السادسة) تستعلي على تحالفات الطبقات وعلى الصداقات السياسية التقليدية ... إن (السلطة السادسة) تلك الجريمة الممأسسة ليست إذن إفساد القوى الاجتماعية الأخرى وحسب. إنها تؤلف سلطة مستقلة تقاوم السلطات الأخرى في الوقت ذاته الذي تنفذ به إليها مندسة في

مستويات الحياة العصرية كافة. ولكل هذه الأسباب لا يمكن لتاريخ الجريمة في الولايات المتحدة إلاّ أن يكون تاريخ الولايات المتحدة الذي تنتشر فيه مغامرات الخارج على القانون، وقاطع الطريق والمتمرد والمبتز.

***

نعم ..

شعب مجرم وإدارة مجرمة ..

يقول منير العكش:

لا عجب إذاً إذا رأينا أن ساسة هذه السلطة يكافئون الضابط البحري الذي أمر بإطلاق صاروخ على الطائرة الإيرانية المدنية ليقتل ٢٩٨ مدنيا بريئاً، مثلما كوفئ (كولي) بقتله المدنيين في فيتنام بأعصاب باردة، في إحدى جلسات الاستماع التي عقدتها إحدى لجان الكونجرس الأمريكي في عام ١٩٧١م حيث سأله المشرعون الأمريكيون المحبون للمعرفة عن درجة ارتباط الولايات المتحدة بمشروع (فينكس)، قال كولي الذي استدعوه للإدلاء بأقواله: إنه يشارك في المشروع ٦٣٧ من العسكريين الأمريكيين بالإضافة إلى (المدنيين) أي موظفي وكالة المخابرات المركزية.

***

أمة مجرمة يغطي إجرامها تاريخها كله .. ماضيها وحاضرها وأغلب الظن مستقبلها أيضا.

وحسب الإحصاءات كان في المعتقلات الأمريكية في منتصف العام ١٩٩٨ نحو ١,٨ مليون سجين (و٢٠٠ مليون قطعة سلاح ناري، وتعد السجون هي الأمكنة التي يتم فيها أكبر تجاوز لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة ويعامل موظفو السجون المعتقلين معاملة مهينة، خاصة السود والمهاجرين والنساء، الذين يتعرضون لكثير من عمليات التعذيب. وتؤكد الدراسة أن السود الذين يمثلون ١٢٪ من السكان في أمريكا يشكلون ٤٢٪ من المسجونين.

وفي تقرير صدر في سبتمبر ٢٠٠١ حثت منظمة «مراقبة حقوق الإنسان» إدارة الرئيس بوش على التخلي عن سياسة اغتيال الأجانب، وتجنيد مخبرين من مقترفي الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان في وكالة المخابرات المركزية.

أمة مجرمة تريد أن تعلمنا وليس هناك أمة في التاريخ أكثر إجراما وجهلا ..
أمة تباهينا – ضمن ما تباهينا – بحقوق المرأة عندها ..

فلنقرأ تقريرا دوليا عما يحدث للمرأة داخل المجتمع الأمريكي ننقله بتصرف واختصار كثير عن الأخ أبو معاذ المكي في الساحات (الشنكبوتية):

صدر عن معهد الدراسات الدولية حول المرأة، ومقره مدريد، وهو معهد عالمي معترف به، التقرير السنوي المسمى بـ قاموس المرأة، وقد جاء فيه:

– في عام ١٩٨٠م: ١,٥ مليون ونصف مليون حالة إجهاض، ٣٠ ٪ منها لدى نساء لم يتجاوزن العشرين عاماً من أعمارهن، وقالت الشرطة: إن الرقم الحقيقي ثلاثة أضعاف ذلك.

– وفي عام ١٩٨٢ م: ٨٠٪ من المتزوجات منذ ١٥ عاماً أصبحن مطلقات.

– في عام ١٩٩٥م: ٨٢ ألف جريمة اغتصاب، ٨٠٪ منها في محيط الأسرة والأصدقاء، بينما تقول الشرطة إن الرقم الحقيقي ٣٥ ضعفًا.

– ٧٠٪ من الزوجات يعانين الضرب المبرح، و٤ آلاف يقتلن كل عام ضرباً على أيدي أزواجهن أو من يعيشون معهن. ٧٤٪ من العجائز الفقراء هم من النساء، ٨٥٪ من هؤلاء يعشن وحيدات دون أي معين أو مساعد.

– ومن ١٩٧٩م إلى ١٩٨٥م: أجريت عمليات تعقيم جنسي للنساء اللواتي قدمن إلى أمريكا من أمريكا اللاتينية، والنساء اللاتي أصولهن من الهنود الحمر، وذلك دون علمهن.

– ومن عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٩٠م: كان بالولايات المتحدة ما يقارب مليون امرأة يعملن في البغاء. وفي عام ١٩٩٥م: بلغ دخل مؤسسات الدعارة وأجهزتها الإعلامية ٢٥٠٠ مليون دولار.

– وفي الولايات المتحدة فقط ١٤٠٠ ملجأ للنساء المضروبات، أو الهاربات من أزواجهن، وهن اللاتي لا يجدن ملجأ عند أهل أو أقارب. من ٩٠ـ٩٥٪ من ضحايا العنف العائلي في أمريكا هم من النساء.

– ضرب الزوجات في أمريكا: انتشرت عادة ضرب الرجل زوجته في الغرب على المستويات الاجتماعية والثقافية ودون ضوابط، وتقول الإحصاءات : إن في أمريكا

كل ١٥ ثانية يضرب أحد الأزواج زوجته ضرباً مبرحاً .. ونشرت مجلة التايمز تحقيقاً حول حوادث الضرب التي تتعرض لها الزوجات الأمريكيات، فقالت : إن من بين ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ زوجة تتعرض للضرب الذي يفضي إلى الموت.

– المقتولات في أمريكا من قبل أزواجهن أو أخلائهن: طبقاً لإحصائيات مكتب التحقيقات الفدرالي، فإن٣٠ ٪ من ضحايا قتل الإناث بالولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٩٠م قد قتلن من قبل أزواجهن أو أخلائهن، وقد بلغ ذلك تقريبا ٣٠٠٠ امرأة.

– ٨٠٪ من الأمريكيات يعتقدن أن الحرية التي حصلت عليها المرأة خلال الثلاثين عاما هي سبب الانحلال والعنف في الوقت الراهن، ٧٥٪ يشعرن بالقلق لانهيار القيم والتفسخ العائلي.

– و٨٠٪ يجدن صعوبة بالغة في التوفيق بين مسؤولياتهن تجاه العمل ومسؤولياتهن تجاه الزوج والأولاد. و٨٧٪ لو عادت عجلة التاريخ للوراء لاعتبرن المطالبة بالمساواة مؤامرة اجتماعية ضد الولايات المتحدة وقاومن اللواتي يرفعن شعاراتها.

– و٤٢٪ من الأمريكيات يتعرضن لتحرشات جنسية في أماكن العمل والدراسة والمنتديات والشوارع.

– ٦ ملايين امرأة تضرب في بيوتهن دون أن يبلغن الشرطة أو يذهبن إلى المستشفى، عشرات الآلاف دخلن المستشفيات للعلاج من إصابات تتراوح بين كدمات سوداء حول العين وكسور في العظام وحروق وجروح وطعن بالسكين وجروح الطلقات النارية وبين ضربات أخرى بالكراسي والقضبان المحماة.

– ٢٠٪ من النساء اللاتي شملتهن الدراسة (دراسة عن النساء المغتصبات في أمريكا) اعترفن أنهن اغتصبن من قبل أصدقائهن. و٢٤ امرأة جرى الاعتداء عليهن نهارا في إحدى حدائق نيويورك.

– دلت الإحصاءات الحديثة أن ربع طالبات المدارس الثانوية حبالى، وأن البكارة مفقودة البتة، وفي مدينة (دنفر) عاصمة (كولورادو) تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية ٤٨٪. يقول القاضي لندرس: «إنه يسقط في أمريكا مليون حمل، على الأقل، في كل سنة، ويقتل آلاف الأطفال فور ولادتهم». وفي أمريكا مليون طفل يولدون سنويا من السفاح.

- ٨٥٪ من الزيجات في الدول الغربية تنتهي بالطلاق.

- في دراسة باسم (جهنم شخصية) في مجلة تايم الأمريكية بالنسبة للطفل أو المرأة يعتبر البيت أشد خطرا من الشارع والعنف المنزلي يتسبب في سقوط ضحايا أكثر مما تسببه الأمراض أو حوادث الطريق. وحسب الإحصائيات الأمريكية: ٨٠٪ من جرائم القتل هي جرائم عائلية، و ٢٤,٥٠٠ جريمة عائلية في عام ١٩٩٣م، و٤٨ ٪ من الجرائم مسرحها البيت.

- في تقرير نشر في أمريكا جاء فيه: إن واحداً من بين كل ستة أطفال في أمريكا يعاني من الفقر. وفي التقرير السنوي لصندوق الدفاع عن الأطفال الأمريكيين والمسمى الكتاب الأخضر: أظهرت إحصاءات الحكومة عن الفقر لعام ١٩٩٩م أن أكثر من ١٢ مليوناً من أطفال أمريكا يعيشون تحت خط الفقر على المستوى الاتحادي.

- يعتقد الخبراء مثل رايان ريني من المركز الوطني لادعاء الاعتداء على الأطفال أنّ عدد وفيات الأطفال سنويًا بسبب القسوة قد يصل إلى ٥٠٠٠ .

- في الولايات المتحدة في عام واحد (٥٦٠٠) طفل دخلوا المستشفى بسبب ضرب أمهاتهم العاملات لهم غالبهم تعرض لعاهات بسب الضرب.

- الأطفال الأمريكيون هم الأكثر عدوانية وانحرافا في سلوكهم يليهم أطفال إسرائيل. وهناك ٦ ملايين حالة ضرب شديد من قبل الوالدين في أمريكا، ٣ آلاف منهم يؤدي بهم الضرب إلى الموت. وهناك ١٢ مليون طفل أمريكي مشرد في ظروف غير صحية. وفي إحصائية أخرى تبين أنه يباع في أمريكا أكثر من (٥٠٠٠) طفل كل سنة. في عام ١٩٩٠م اتخذ البرلمان الأوربي قراراً يدين الولايات المتحدة على قيام الأمريكيين، على نطاق واسع، بشراء الأطفال في الأحياء الفقيرة في هندوراس وغواتيمالا، لاستخدام أعضائهم لزراعتها في أجسام أخرى.

- كشفت الأبحاث أن ٨٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن القمار شكل من أشكال التسلية، بينما لا يخجل ٦٠٪ منهم من المراهنة. وينفق الأمريكيون الآن على القمار ٤٨٠ بليون دولار بعد أن كانوا ينفقون عليه ٢٢ بليون دولار عام ١٩٧٦م.

- إدمان الكوكايين في أمريكا أو تجربته: أظهر استطلاع لوزارة الصحة الأمريكية أن مدمني الكوكايين في أمريكا بلغ عام ١٩٨٥م ٥. ٨ مليون شخص، بعد أن كانوا ٤. ٣ مليون عام ١٩٨٣م، وفي الاستطلاع نفسه تبين أن ٣٦. ٩ مليون أمريكي (أي

١٩٪ من حجم السكان) قد جربوا الماريجوانا أو الكوكايين أو مواد أخرى على الأقل مرة واحدة.

- الإنفاق على المخدرات في أمريكا وحدها يفوق إجمالي الإنتاج الوطني لأكثر من ٨٠ بلداً من البلدان النامية كما تنتج شركات الخمور في أمريكا ما قيمته أكثر من ٢٤ ملياراً من الدولارات سنويا.

- في تقرير قام بإعداده فريق بحث مقره جامعة جون هبكنز في ميريلاند: Johns Hopkins بـ Maryland بالولايات المتحدة نشرته محطة CNN الإخبارية الأمريكية عن انتشار ظاهرة تجارة الرقيق من النساء ١٢٠ ألف امرأة من أوروبا الشرقية (روسيا والدول الفقيرة التي حولها) يتم تهجيرهن إلى أوروبا الغربية لهذا الغرض الدنيء، ١٥ ألف امرأة أو أكثر يتم إرسالهن إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأغلبهن من المكسيك، بـ ١٦ ألف دولار تباع المرأة القادمة من دول شرق آسيا بأمريكا ليتم استخدامها بعد ذلك في دور الفواحش والحانات.

- (٥٢٠٠) مدرس أمريكي يتعرضون للضرب في الشهر الواحد. وهناك ٢١ مليون أمريكي لا يستطيع القراءة والكتابة. ٢٧٠ ألف مسدس يحمله طلاب المدارس المتوسطة والثانوية في الولايات المتحدة.

- من بين كل عشرة أشخاص سبعة يعانون اضطرابات نفسية (من أمريكا). وتحولت ٧٠٪ من مستشفيات أمريكا إلى مصحات عقلية ونفسية.

- تقع في الولايات المتحدة الأمريكية ٥٠ ألف جريمة قتل في العام الواحد، و٣٠ ألف حالة انتحار، وهذا الرقم الرسمي، ولكن الرقم الحقيقي غير المسجل أكبر بكثير.

- بلغت حالات الوفاة بمرض الإيدز في أمريكا عام ١٩٩٤م ٢٥ ألف حالة وفاة. ١ إلى ٣ من المصابين لا يمانعون، بل يقولون أنهم راغبون في نقل جرثومة الإيدز إلى أصدقائهم.

- انتقدت منظمة العفو الدولية النظام القضائي الأمريكي وقالت: إنه يتسم بالعنصرية مشيرة إلى أن احتمالات الإعدام للسود أكبر منها للبيض. ٦٠ مليون زنجي أزيلوا من أفريقيا عن طريق تجارة الرقيق الأمريكية، ٥٠ مليون توفوا قبل وصولهم إلى أمريكا. وهناك ٦٢٧ ألف جريمة عنف عنصري في عام واحد ١٩٩٣م بسبب التفرقة العنصرية مع السود.

– معدل الانتحار بين الشباب الأمريكي أكثر من معدلات الانتحار في أوربا بعشرين ضعفا ومن اليابان بأربعين ضعفا، (٣٠٠٠٠) عدد حوادث الانتحار في العام الواحد. وقد تجاوزت حالات الانتحار عام ١٩٩٤م ٣١ ألف حالة.

– في دراسة لعينة من الشعب الأمريكي٩١٪ من الذين شملتهم الدراسة قالوا أن الكذب أصبح عادة وسلوكاً مألوفاً في حياتهم اليومية، و٢٠٪ اعترفوا أنهم ليس في استطاعتهم الصبر عن الكذب ولو يوماً واحداً، ٧٥٪ من الأمريكيين يعتقدون أنه لا حرج في الكذب.

– الأمريكان يقولون: ٧٤٪ منهم لن يتردد في السرقة متى ما رأى أن الفرصة سانحة، و٥٦٪ منهم يقولون لن أتردد في قيادة السيارة وأنا في حالة سكر، و٥٣٪ يقولون لن أتردد في خيانة زوجي أو زوجتي، و٤١٪ يقولون سأستخدم المخدرات للترفيه عن نفسي، و٣١٪ سأعرض حياة عشيقي أو عشيقتي لخطر الإصابة بالمرض الذي أعاني منه.

***

نحن لا نواجه فكر مجموعة شذت عن المجتمع .. وإنما مجتمعا شذ وسار في طريق الشيطان ..

يقول محمد جابر الأنصاري:

تصر واشنطن على منح الجنود والمدنيين الأميركيين حصانة دائمة استثنائية من أي ملاحقة قضائية من جانب المحكمة الجنائية الدولية الجديدة, وعليه تتصرف الولايات المتحدة وكأنها فوق القانون والبشر. جنودها يرتكبون جرائم حرب ولا يحاسبون، وغيرهم يحاكمون, وهكذا تتمسك بسياسة ازدواجية تنطوي على إهانة لغيرها من الشعوب. وتمثل عبءاً على آلية العدالة. فمن المعروف أنه في الحرب العالمية الثانية، وأمام البربرية النازية، حافظت باريس على تراثها الحضاري ولم تخسر أثرا ولم يهدم فيها متحف أو تمثال، وفي بغداد وقفت القوات الأميركية تشاهد تدمير تراث حضاري وإنساني لا مثيل له، بل إن الجنود الأميركيين شاركوا في عمليات النهب.

نعم .. ليس فكر مجموعة شذت عن المجتمع .. وإنما مجتمع شذ وسار في طريق الشيطان ..

ولقد رأينا ما يفعله هذا المجتمع بأعدائه ..

ثم رأينا ما يفعله بنفسه ..

ثم إن كل ذلك لم يأت اعتباطا وإنما انبنى على أساس فلسفات نظرية في كتب منشورة.

والمجموعة المجرمة الحاكمة في أمريكا الآن تعود مرجعيتها الفكرية الأساسية إلى ليو شتراوس .. وكما يقول الكاتب المغربي يحيي اليحياوي أن المشروع الفكري الذي بناه ليو شتراوس وترجمه تلامذته علي أرض الواقع، إنما هو مشروع إيديولوجي بامتياز ليس فقط باعتبار نزوعه إلى المطلق في الحكم، ولكن أيضا بحكم طبيعة السياسات المترتبة عنه في الزمن والمكان.

ينبني مشروع ليو شتراوس (المؤسس لتيار المحافظين الجدد NeoConservatives) علي فكرتين بديهيتين لكنهما ذواتا آثار وتبعات كبرى:

ـ فكرة النخبة العالمة والنزيهة، المالكة لسلطان المعرفة والتواقة لبلوغ السلطة بغرض ضمان النفاذ لمعرفتها وإشاعة حكمتها لخير البشرية.

ولما كانت كذلك فهي حتما صاحبة الرؤية وصاحبة التخطيط في الآن معا.

ـ وفكرة مكافحة النسبية الأخلاقية علي اعتبار أن الحقيقة الفلسفية لا تقبل التسويات. وهذه الحقيقة عندما تبلغ مجال السياسة فإنها تلهمها مضامينها وقوامها الأخلاقي الذي تعمل النخبة العالمة علي تصريفه بعدما يكون قد تسنى لها صياغته والتنظير له.

وعلى هذا الأساس، يري شتراوس، أن أمريكا بنخبتها العالمة وسيادة الحقيقة من بين ظهرانيها، إنما تملك دعوة أخلاقية كبرى باسم فكرة الحرية ... لا يصح التنازل عنها في الداخل ولا مع العالم الخارجي، بل هي مطالبة بضرورة التدخل لتحقيق الفكرة المطلقة والرسالة دون تردد حتى وإن استدعى الأمر تجاوز القانون ودهسه.

يقول شتراوس بهذا الخصوص: إنه لمن السخافة أن نعيق الانسياب الحر للحكمة بالقوانين ... يجب أن يكون حكم الحكماء مطلقا، كما أنه من السخافة وبالقدر ذاته أن نعيق الانسياب الحر للحكمة عبر أخذنا بعين الاعتبار رغبات غير الحكماء. لهذا يجب ألا يكون للحكماء العاقلين مسؤوليات علي رعاياهم غير العاقلين.

بالتالي، فهو يرى أن الديمقراطية الحقة هي فعل يتعارض مع أحكام الطبيعة، لذا

يجب منعه كائنة ما تكن التكاليف على اعتبار أن القانون الطبيعي (وضمنه الدين) هو شيء سماوي يبرهن على نفسه بنفسه.

لا يقتصر الأمر، عند شتراوس على هذا الحد، بل يتعداه إلى تدوين وصايا كبرى أضحت لدى المحافظين الجدد المشعل الذي ينير لهم الطريق:

ــ الأولى وتتعلق، في نظرهم، بتلازم القوة والديمقراطية. فإذا كان شتراوس وتلامذته يقدمون مبدأ العدالة على الحرية ومبدأ الحرية على الديمقراطية، فإنهم بالتالي لا يؤمنون بعدالة لا تكون القوة والسلطة قوامها، بل يذهبون لحد إدانة العدالة التي لا توظف القوة في تنفيذ محتوياتها.

ـ الوصية الثانية وتكمن في تلميح شتراوس إلى التراتبية الاجتماعية وفي التقاطها من لدن تلامذته ليحولوها إلى مبدأ في الحكم ومسلك في الحكامة: الرئيس أولا ثم حراسه، ثم أصحاب المهن والحرف ثم، في آخر الترتيب، العبيد والدهماء.

لا تنحصر تداعيات هذه الوصية في معاداتها للعامة من الشعب، بل تذهب لحد عدم اكتراثها بالأغلبية التي من المفروض أن توضع تحت طائلة القانون وتعمل بتوجيه من خاصة القوم أي من نخبته العالمة.

ـ أما الوصية الثالثة فتكمن فيما أسماه ليو شتراوس بـ الكذبة النبيلة. ومفادها أن الكذبة إياها إنما هي أداة من أدوات السياسة الحكيمة ... المهمة والضرورية مادامت في خدمة المصلحة الوطنية ... وهو ما لا يسري كما يعتقد شتراوس، علي الزوجة مثلا التي تكذب علي زوجها صيانة لأسرتها، لأن المرأة غير نبيلة بالتالي لا يجب مسامحتها بقدر مسامحة الحكماء المسؤولين.

إن الإدارة الأمريكية تحتقر الديمقراطية عندما تمرر لفكرة شتراوس بأن الإنسان شرير جدا، لذا يجب أن يحكم. بالتالي، وجب استباق سلوكه قبل أن يلجأ إلى اعتماده فيصيب به الآخرين. لقد احتقرت الإدارة الأمريكية الديمقراطية عندما دفعت بالكذبة النبيلة عن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، حتى عندما بينت لها التقارير أن لا أثر لذات الأسلحة دفعت بكذبة استجلاب الإرهاب إلى أرض العراق للقضاء عليه، ولما تبين لها أن الذي يجري بأرض العراق هو عمل مقاومة طلعت بكذبة الزرقاوي وهكذا إلى ما لا نهاية.

بالتالي، فالإيديولوجيا الاستباقية (كما أسس لها شتراوس) إنما تتفيأ إيجاد عدو

وهمي تعطي الانطباع بأنها تلاحقه في حين أنها تلاحق سرابا من المستحيل الإمساك به أو توصيفه حتى. (يحيى اليحياوي- القدس العربي-١-٢-٢٠٠٥).

يقول جوزيف ليبيرمان (وهو عضو صهيوني بالكونغرس الأمريكي ومن غلاة المحافظين الجدد): يجب أن تكون حربنا على الإمبراطورية الشيطانية الحديثة، الخلافة الإسلامية المتشددة التي تناهض حرية مواطنيها وتهدد أمن مواطني الدول الأخرى.

***

ويرى الأستاذ الدكتور محمد العبيدي أن الكذب وشريعة الغاب في سياسة وقوانين الفاشية الأمريكية، وأن هناك مبدأ يلتزم به المرتبطون بها، ألا وهو رفض فهم الآخرين، حيث يعتبر هذا المبدأ من أهم وسائلهم السياسية، بل هم ينشرون أفكارهم السياسية الهجومية المتشددة وأفعالهم وأكاذيبهم ضد الحكومات التي لا يعتبروها صديقة للولايات المتحدة. وفي نفس الوقت فإنهم يرفضون السماح للآخرين بتقرير مصيرهم وخططهم السياسي لأن ذلك برأيهم ليس خياراً قابلاً للنقاش. فمهما يكن الآخرون، فإنهم مرفوضون من هؤلاء الفاشيين إلا إذا قالوا «نحن معكم»، وهذا بالضبط ما طرحه جورج بوش بكلمته الشهيرة بعد أحداث ٩/١١ حين خاطب العالم بقوله «أنتم إما معنا أو ضدنا». كذلك، من قمة الإدارة الأمريكية إلى قاعها، يمثل الكذب زبدة السياسة لديهم. ومن خلال سياستهم هذه تراهم يعبرون عن طبيعة الوقائع والحقائق بعبارات السخف والاستهزاء والتهكم والسخرية، وبهذا فإن الأكاذيب بنظرهم هي حقائق والحقائق أكاذيب. وذلك ليس غريباً على أعضاء الإدارة الأمريكية الذين جلهم من اليمين المتطرف الفاشي الذين ينتمون إلى الحركة الفاشية الشتراوسية. فهؤلاء يؤمنون، وفقاً لأيديولوجية تلك الحركة، بالسيطرة مهما كان الثمن، وبسيطرتهم على البيت الأبيض والكونغرس ومؤسسات صنع القرار الأخرى فإنهم ينشرون المبادئ العامة للحركة في كل الكيانات المؤسساتية وفي جميع أنحاء العالم من خلال شبكة معقدة من الملتزمين بالفكر الفاشي الشتراوسي غرضها السيطرة على الحقائق ونشر الأكاذيب. ولكي يبقوا مسيطرين دولياً ومحافظين على تلك السيطرة فإنهم يكذبون ويستمرون بالكذب، بل ويوفرون كل ما يمكنهم من أموال لشراء ذمم من يستطيع أن يدعم كذبهم وسيطرتهم سواء كانوا أشخاصا أو حكومات. والكذب هو في صلب تفكيرهم لتحقيق الأهداف وإخفاء الحقيقة عن الشعب لكي يجمعوا القوة من أجل إساءة استخدامها. ولكي تتم السيطرة لهم من

خلال الكذب، الذي لا يميز الإدارة الأمريكية الحالية فقط بل هو سمة الوجود الأمريكي منذ بداية تأسيس أمريكا، خاضت أمريكا ١٩٠ حرباً منذ عام ١٨٩٠ بحجة ترسيخ الديمقراطية التي هي سمة ادعاءاتهم الكاذبة. وقد استخدموا كلمة الديمقراطية كمنفذ لتعميم أفكارهم، وكما أشار إليها مؤسس الحركة الصهيوني ليو شتراوس حين قال: «يجب أن نجعل العالم بأجمعه ديمقراطيًا». إلا أن عبارة شتراوس هذه تتناقض من ناحية أخرى مع تصريحه بأن «بعض المجتمعات تستحق القيادة والبعض الآخر يجب أن تقاد، والعدالة تقتضي أن نكون بجانب القوي وأن من يستحق القيادة هم أولئك الذين يؤمنون بعدم وجود الأخلاق والذين وحدهم لهم حق واحد هو حق القوي لحكم الضعيف»، وتلك هي شريعة الغاب بأبسط تعريف لها. وأضاف شتراوس (اليهودي الصهيوني)يقول: « ولأن الجنس البشري بحد ذاته دنئ وحقير، لذا يجب حكمه من سلطة قوية، ولكي تسيطر تلك السلطة، يجب عليها أن تحكم بالقوة من قبل أشخاص متحدين حيث يتحد هؤلاء الأشخاص فقط ضد أناس آخرين».

ويستطرد الدكتور العبيدي قائلا:

إن الخداع والكذب في السياسة الأمريكية الحالية يأتي بكامله من نظرية ليو شتراوس الفاشية اليمينية المتطرفة التي وضعت أيضاً مقولة «الإيمان بكفاءة الكذب المتعمد في السياسة»، وبهذا فإن جميع من يرتبط باليمين المتطرف هم كذابون ملتزمون بهذه النظرية.

***

وثمة ملف هام في هذا الصدد عرف بملف (أطفال الشيطان) أعدته حملة لاروش لانتخابات الرئاسة الأميركية الماضية· تقول الدراسات إن هؤلاء الشتراوسيون لا يهتمون للمنطق الإنساني، ولا يعنيهم أن تكون أكاذيبهم مفضوحة فهم يعتبرون القوة وحدها منطقهم، ويرون في السلام طريقاً نحو الانحطاط، ومشروعهم هو الحرب الدائمة· وقد اختاروا للمواقع القيادية أناساً حسب توصيف ليو شتراوس (لايؤمنون بأية أخلاقيات، حيث يكفي أن يكونوا متفوقين ليمتلكوا حق التسلط على الآخرين) وهم كما تصف الدراسات، يعتقدون بأهمية وجود عدو خارجي فإن لم يكن موجوداً فإنهم يصنّعونه، وهم يبشرون بأنهم دعاة ليبرالية وديمقراطية في الوقت الذي يسعون فيه إلى تعميق الجوانب العدائية والعدوانية في السياسة الخارجية الأميركية.

***

الشتراوسية إذن رغم أنها تدعي المطلق إلا أنها انقلاب عليه وليست إلا توزيعا آخر لنفس اللحن الشيطاني الذي بدأه نيتشة الشهير بقوله أن «الله قد مات» (تعالى الله علوا كبيرا .. أستغفرك اللهم) .. والذي يعني أن كل الجوانب الروحية والأخلاقية في حياة الإنسان أصبحت لا ضرورة لها أو أنها مجرد شأن خاص لا علاقة له بحياة الفرد في المجتمع. ومن ثم وصل شتراوس إلى أحد بنود فلسفته عن فكرة إنكار النسبية الأخلاقية، مستندا إلى أن الحقيقة الفلسفية لا تقبل التسويات، وهي عندما تصل إلى السياسة من خلال فلسفتها فإنها تهبها مضامينها وقوامها الأخلاقي الذي تحتضنه النخبة وتسعى لتطبيقه من دون تنازلات أو مفاوضات أو تسويات. ويعني ذلك أن الليبرالية التي تقول بالنسبية والتعددية، هي فلسفة غير أخلاقية لأنها تجزئ الحقيقة أو تعددها، وهي عندما تصل للسياسة تتحول إلى براغماتية منحطة. وقد كانت هذه الفلسفة المنحطة محطة في الطريق المزيف إلى مفاهيم مغلوطة مثل «نهاية الأيديولوجية» و«نهاية التاريخ» والتي تعنى، في واقع الأمر، نهاية الفكر والتنظير بل والمنهج.

***

هذا هو الغرب إذن ..

هذا هو العدو الذي نواجهه ..

هذا هو العدو الذي سيطر على حكامنا وجيوشنا وشرطتنا وصحافتنا وتلفازنا ومفكرينا .. بل وشيوخنا أيضا ..

هذا هو العدو فهل نستسلم أم نجاهد؟!

أسأل نفسي وأسألكم يا ناس ..

أسأل فيسقط الغطاء عن الجرح العاري ..

ويتأخر الجواب وتتلعثم الألسنة فأدرك كم كان الحصار من الحكام والعسكر والأمن والمثقفين ضاريا ومؤثرا وكم نال من الأمة ..

سقط الغطاء ..

***

سقط نفس سقوطه يوم رحت قدرا – لا أقول صدفة- أستمع إلى خطاب أبي لهب، وكان يومها يلمز ياسر عرفات – ولا أملك إلا الدعاء له بالرحمة (لياسر عرفات

وليس لأبي لهب)، فالرجل وإن بدا كثيرا على تخوم الخيانة وحتى الفسوق أفضل ممن بعده وكان أفضل ممن حوله – وكان أبو لهب يلوم ياسر عرفات، لماذا؟ .. لأن ياسر عرفات لم يوافق على التنازل عن القدس لإسرائيل .. والأمر الذي جعل المشكلة غير قابلة للحل .. كما قال أبو لهب لأمريكا .. هو أنه لا يوجد زعيم عربي يجرؤ على المجاهرة أمام شعبه بموافقته على التنازل عن القدس .. وكان مفهوم هذا الكلام الخسيس الخائن .. أن أبا لهب كان يريد من ياسر عرفات أن يبادر هو بتحمل المسئولية وحده، فيتنازل عن القدس .. دون أن يورط الطواغيت العرب في المجاهرة بهذه الفاحشة .. وهي فاحشة لا أظن أحدا يرتكبها إلا من خرج من الملة.

لم يقل أبو لهب لأولياء نعمته في واشنطن وتل أبيب أنه لا يستطيع التنازل عن القدس من أجل عقيدته .. ودينه .. ولا حتى من أجل عروبته .. ولا حتى من أجل الأمن القومي لدولته ومجالها الحيوي (تقول إسرائيل أن مجالها الحيوي يمتد من جاكرتا إلى طنجة .. لكن الأمن القومي لدولنا لا يتعدى قصر الحاكم ..) .. لم يقل ذلك .. وإنما قال أنه لا يستطيع مواجهة شعبه .. خوفا لا حياء ..

كان التصريح فجا وخسيسا .. وذكرني بجمل هابطة في بعض أفلامنا ومسلسلاتنا التلفازية .. عندما يحاول الداعر غواية فتاة فتتمنع .. لا من أجل تقوى لله .. ولا خوفا من النار .. ولا رغبة في الجنة .. ولا حرصا على الخلق القويم .. ولا حتى لدواعي الكرامة وعزة النفس .. وإنما لأنها تخشى أن يراها الناس!! ..

هذه الفتاة زانية وإن لم تزن ..

أما أبو لهب فهو أشد سوءا وأكثر خسة ..

***

لم يقل لنا أبو لهب .. ولم يقل لنا أقرانه الطواغيت إلى أي مدى ينبغي علينا الانسحاب والتراجع والتنازل.

وهل يرضي الصليبيون منا منزلة دون الكفر كله؟ ..

هل يرضى عنا اليهود والنصارى إلا أن نتبع ملتهم؟ ..

فإن كان القرآن يخبرنا بذلك .. فلماذا يدفعنا أبولهب وأبو جهل خطا وراء خط .. وخندقا خلف خندق .. وانسحابا بعد انسحاب ..

أإلى الكفر يدفعوننا؟ ..

وأنت يا أمة تستجيبين ولا تقاومين ..

***

ما أقوله ينطبق على الأمة انطباقه على الأفراد ..

فلو أن نشالا أو قرصانا أو قاطع طريق خطف حقيبتك من يدك، فهل تسكت على ذلك وتستسلم لما حدث حتى لو كانت الحقيبة فارغة؟ .. وماذا لو لم تكن فارغة، بل كانت تحتوى على كَدٍّ عمرك وكَبَدِ أيامك ..

فهل تسكت؟ ..

ولو أنه لم يكتف بذلك، فخطف - مع الحقيبة التي تحتوي على الكَدِّ والكَبَدِ -امرأتك أيضا ..

ثم لم يكتف بذلك فخطف أبناءك .. ثم أباك وأمك ..

فهل تسكت ..

هل تستطيع أن تسكت؟ ..

ولو أنه بعد أن فعل ذلك استولى على بيتك وطردك منه بعد أن حول زوجتك إلى محظية وأبناءك إلى عبيد وقتل أبويك ..

ولو أنه راح بعد ذلك يعتبر كل محاولة للمقاومة منك إرهابا، وكل محاولة للبحث عن أكثر الأسلحة بدائية كي تواجه بها أعتى الأسلحة تطورا، جرائم تهدد السلم العالمي ..

ولو أنه راح بعد ذلك يبيع ممتلكاتك بأبخس الأسعار كي يسدد بها تكاليف عدوانه عليك وخطفه حقيبتك وانتهاك زوجتك واسترقاق أبنائك وقتل أبويك وغصب بيتك، على اعتبار أن ذلك كله كان خدمة كبرى أداها لك وله أن يتقاضى مقابلها بأعلى سعر، بل وأن يغالط في الحساب كما يشاء.

إلا أن الأمر لا يتوقف عند هذا ..

فهل تسكت؟! ..

هل تستطيع أن تسكت؟ ..

ذلك أن أي اعتراض منك سوف يفهم منه على الفور أنك تحتاج إلى مزيد من الترويض، وإلى تعليم كي تفهم أن كل ما حدث إنما كان في صالحك، فإن لم تفهم ذلك، وإذا لم تبادر بطلب الصلح فإنك إرهابي. وسيكون العالم أفضل بدونك.

فهل تسكت؟ ..

وهل تسكت إذا علمت أن هذا الصلح لن يعيد إليك بيتك المغتصب ولن يعوضك عن ضحاياك ولا هو سيعيد إليك بنيك أو امرأتك، ولا حتى حقيبتك، لن يعيد إليك أيا من ذلك، بل إن أول شروط هذا الصلح أن تتعهد بأنك لن تطالب أبدا بأي شيء من ذلك، وأنك تدرك أن ما حدث كان في صالحك، وأنك ممتن ؟؟ ..

ثم .. وهذا هو الأهم .. أن تدرك أن السبيل الوحيد لكي يبقيك القرصان على قيد الحياة، هو أن تترك ملتك وتتبع ملته.

***

نعم ..

هذا هو المطلوب يا ناس ..

هذا هو المطلوب ..

فهل نسكت؟ ..

***

وإذا كنتم قد استطعتم أن تعيشوا دون أمن ودون كرامة ودون حرية، إن كنتم قد استطعتم أن تبيتوا على الطوى، وأن تمسوا على العطش، وأن تسكنوا المقابر، وأن يحاصركم الفساد والعفن لكي تعيشوا بلا أمل .. فهل تستطيعون الحياة بلا دين؟ ..

هل أنتم مستعدون لدفع الثمن؟؟ ..

أن تتبعوا ملة اليهود والنصارى ..

هل أنتم مستعدون يا ناس للحياة دون ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي؟ ..

هل تستطيعون الحياة دون البخاري ومسلم؟ ..

هل تستطيعون الحياة بغير أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد؟؟ ..

هل تستطيعون المواصلة بدون أبى بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم

أجمعين؟؟ ..

هل تستطيعون الحياة دون صلاة الفجر ورواء الروح بها؟؟ ..

هل تستطيعون الحياة دون «آمين» تزلزل الأرض حين تجتمعون في المساجد؟؟ ..

هل تستطيعون؟؟ ..

هل تستطيعون الصبر على أكاذيبهم الخسيسة الفاجرة عن سيد البشر وخاتم الرسل .. وأنه لم تكن هناك رسالة ولا نبوة وإنما هو – غفرانك اللهم- كذاب كذب على ربه؟؟ ..

هل تستطيعون المضي في هذه الحياة دون الأحاديث النبوية؟؟ ..

هل تستطيعون الاستمرار في هذه الحياة دون القرآن؟؟ ..

إن الحيوان الأعجم قد يسلمه خوفه وجبنه إلى الفرار نشدانا للسلامة فيهلك. ولكنه عندما يدافع عمن يحب يبذل حياته راضيا وسعيدا.

***

هل تستطيعون يا ناس أن تعيشوا دون الإيمان بالله، إيمان الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، هل تستطيعون الاحتمال لحظة واحدة إذا تجردتم من الشعور بأنكم كأنكم ترونه، فإن لم تكونوا ترونه فإنه يراكم، هل تستطيعون المواصلة دون الأمل في مغفرته ورحمته وجنته ولقائه؟ ..

عدوكم يريد أن يجردكم من هذا كله ..

عدوكم يريدكم أن تنسوا هذا كله ..

عدوكم يريد منكم أن تنكروا القرآن (لأنه نص بشري كما يقول المرتد – بحكم محكمة – نصر حامد أبو زيد) ..

عدوكم يريدكم أن تتركوا السنة ..

وأن تكذّبوا محمدا .. صلى الله على محمد ..

عدوكم يريدكم أن تخرجوا من الإسلام ..

فهل تستطيعون الاحتمال ثانية واحدة ؟؟.

***

هل تستطيعون؟

هل تستطيعون؟ ..

هل تستطيعون؟ ..

فإن لم تكونوا تستطيعون فلماذا استسلمتم ولماذا تستسلمون ولماذا لا تقاتلون؟ ..

***

هل تستطيعون؟ ..

جيفري لانغ يفضل الموت ..

وجيفري لانغ (أستاذ الرياضيات في جامعة كنساس الأمريكية) هذا لم تخطف حقيبته، ولا زوجته، ولا أبناؤه ولا أبويه ولا اغتصب منزله، ولا روع ولا اضطهد، ولا هدد بالقتل، لكنه عندما طرح الاختيار على نفسه، وهو المرفّه الآمن القوي، عندما طرح على نفسه الاختيار بين الحياة دون إيمان أو الموت .. اختار الموت ..

يصف جيفري لانغ أول محاولة له للصلاة فيقول:

.. « .. وانحنيت راكعاً حتى صار ظهري متعامداً مع ساقي، واضعاً كفي على ركبتي وشعرت بالإحراج، إذ لم أنحن لأحد في حياتي. ولذلك فقد سررت لأنني وحدي في الغرفة. وبينما كنت لا أزال راكعاً، كررت عبارة سبحان ربي العظيم عدة مرات. ثم اعتدلت واقفاً وأنا أقرأ: سمع الله لمن حمده، ثم ربنا ولك الحمد .. أحسست بقلبي يخفق بشدة، وتزايد انفعالي عندما كبّرتُ مرةً أخرى بخضوع، فقد حان وقت السجود. وتجمدت في مكاني، بينما كنت أحدق في البقعة التي أمامي، حيث كان علي أن أهوي إليها على أطرافي الأربعة وأضع وجهي على الأرض. لم أستطع أن أفعل ذلك ! لم أستطع أن أنزل بنفسي إلى الأرض، لم أستطع أن أذل نفسي بوضع أنفي على الأرض، شأنَ العبد الذي يتذلل أمام سيده. لقد خيل لي أن ساقيّ مقيدتان لا تقدران على الانثناء. لقد أحسست بكثير من العار والخزي وتخيلت ضحكات أصدقائي ومعارفي وقهقهاتهم، وهم يراقبونني وأنا أجعل من نفسي مغفلاً أمامهم. وتخيلتُ كم سأكون مثيراً للشفقة والسخرية بينهم. وكدت أسمعهم يقولون: مسكين جف، فقد أصابه العرب بمسّ في سان فرانسيسكو، أليس كذلك ؟

وأخذت أدعو: أرجوك، أرجوك أعنّي على هذا. أخذت نفساً عميقاً، وأرغمت

نفسي على النزول. الآن صرت على أربعتي، ثم ترددت لحظات قليلة، وبعد ذلك ضغطت وجهي على السجادة. أفرغت ذهني من كل الأفكار وتلفظت ثلاث مرات بعبارة سبحان ربي الأعلى. الله أكبر. قلتها، ورفعت من السجود جالساً على عقبي. وأبقيت ذهني فارغاً، رافضاً السماح لأي شيء أن يصرف انتباهي. الله أكبر. ووضعت وجهي على الأرض مرة أخرى. وبينما كان أنفي يلامس الأرض، رحت أكرر عبارة سبحان ربي الأعلى بصورة آلية. فقد كنت مصمماً على إنهاء هذا الأمر مهما كلفني ذلك. الله أكبر. وانتصبت واقفاً، فيما قلت لنفسي: لا تزال هناك ثلاث جولات أمامي وصارعت عواطفي وكبريائي في ما تبقى لي من الصلاة. لكن الأمر صار أهون في كل شوط. حتى أنني كنت في سكينة شبه كاملة في آخر سجدة. ثم قرأت التشهد في الجلوس الأخير، وأخيراً سلَّمتُ عن يميني وشمالي.

وبينما بلغ بي الإعياء مبلغه، بقيت جالساً على الأرض، وأخذت أراجع المعركة التي مررت بها. لقد أحسست بالإحراج لأنني عاركت نفسي كل ذلك العراك في سبيل أداء الصلاة إلى آخرها. ودعوت برأس منخفض خجلاً: اغفر لي تكبري وغبائي، فقد أتيت من مكان بعيد، ولا يزال أمامي سبيل طويل لأقطعه. وفي تلك اللحظة، شعرت بشيء لم أجربه من قبل، ولذلك يصعب علي وصفه بالكلمات. فقد اجتاحتني موجة لا أستطيع أن أصفها إلا بأنها كالبرودة، وبدا لي أنها تشع من نقطة ما في صدري. وكانت موجة عارمة فوجئت بها في البداية، حتى أنني أذكر أنني كنت أرتعش. غير أنها كانت أكثر من مجرد شعور جسدي، فقد أثّرت في عواطفي بطريقة غريبة أيضاً. لقد بدا كأن الرحمة قد تجسدت في صورة محسوسة وأخذت تغلفني وتتغلغل فيّ. ثم بدأت بالبكاء من غير أن أعرف السبب. فقد أخَذَت الدموع تنهمر على وجهي، ووجدت نفسي أنتحب بشدة. وكلما ازداد بكائي، ازداد إحساسي بأن قوة خارقة من اللطف والرحمة تحتضنني. ولم أكن أبكي بدافع من الشعور بالذنب، رغم أنه يجدر بي ذلك، ولا بدافع من الخزي أو السرور. لقد بدا كأن سداً قد انفتح مطلِقاً عنانَ مخزونٍ عظيمٍ من الخوف والغضب بداخلي. وبينما أنا أكتب هذه السطور، لا يسعني إلا أن أتساءل عما لو كانت مغفرة الله عز وجل لا تتضمن مجرد العفو عن الذنوب، بل وكذلك الشفاء والسكينة أيضاً ظللت لبعض الوقت جالساً على ركبتي، منحنياً إلى الأرض، منتحباً ورأسي بين كفي. وعندما توقفت عن البكاء أخيراً، كنت قد بلغت الغاية في الإرهاق. فقد كانت تلك التجربة جارفة وغير مألوفة

إلى حد لم يسمح لي حينئذ أن أبحث عن تفسيرات عقلانية لها. وقد رأيت حينها أن هذه التجربة أغرب من أن أستطيع إخبار أحد بها. أما أهم ما أدركته في ذلك الوقت: فهو أنني في حاجة ماسة إلى الله، وإلى الصلاة وقبل أن أقوم من مكاني، دعوت بهذا الدعاء الأخير:

«اللهم، إذا تجرأتُ على الكفر بك مرة أخرى، فاقتلني قبل ذلك -- خلصني من هذه الحياة. من الصعب جداً أن أحيا بكل ما عندي من النواقص والعيوب، لكنني لا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً آخر وأنا أنكر وجودك »

***

أحسها الأجنبي الذي يصلي أول مرة فبماذا تحسون يا من تصلون منذ عشرات الأعوام ..

والذي يجرب الإيمان لأول مرة دعى الله أن ينهي حياته إذا قضى عليه أن يفقد هذا الإيمان مرة أخرى ..

بماذا تحسون أنتم يا ناس .. بماذا تحسون وأنتم تدركون يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة أن المطلوب منكم يتجاوز حريتكم وأرضكم وشرفكم وعرضكم إلى دينكم ونبيكم وقرآنكم؟ ..

وليس الأمر أمر هواجس أو ادعاءات فكتبهم المنشورة تعرض ذلك كله دون خفاء أو حياء.

نعم ..

لم يكفوا عن الجهر بذلك ..

ولم يكف علمانيونا وحداثيونا في نفس الوقت عن التمويه على مخططاتهم حتى لا تدركها الأمة .. حتى لا تنهض وتقاوم ..

***

لقد بدأ العداء الغربي للإسلام منذ ظهور الإسلام وتحريره الشرق والشرقيين من هيمنة الرومان .. وفي هذا المقام يقول الكاتب والقائد الإنجليزي (غلوب باشا) (١٨٩٧ - ١٩٨٦) كلمته التي توقظ النيام: «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد!!».

يقـول مـراد هوفمـان في كتابـه (رحلـه إلى مكـة): (إن الغـرب يتسـامح مـع كـل المعتقدات والملل، حتى مع عبدة الشيطان، ولكنه لا يظهر أي تسـامح مـع المسـلمين. فكل شيء مسموح إلا أن تكون مسلمًا).

***

أما محمد أسد (ليوبولد فايس) فيسلط الضوء على سبيل النجاة من واقعنا المـتردي فيكتب: «ليس لنا للنجاة من عار هذا الانحطاط الذي نحن فيـه سـوى مخـرج واحـد ؛ علينا أن نُشعر أنفسنا بهذا العار، بجعله نصب أعيننا ليل نهار! وأن نَطعـم مرارتـه ... ويجب علينا أن ننفض عن أنفسنا روح الاعتذار الذي هو اسم آخر للانهـزام العقلـي فينا، وبدلاً من أن نُخضع الإسلام باستخذاء للمقاييس العقلية الغربية، يجب أن ننظـر إلى الإسلام على أنه المقياس الذي نحكم به على العالم ..

أما الخطوة الثانية فهي أن نعمل بسنة نبينا على وعي وعزيمة ..

***

ثم يوصينا محمد أسد بهذه الوصية: «يجب علـى المسـلم أن يعـيش عـالي الـرأس، ويجب عليه أن يتحقّق أنه متميز، وأن يكون عظيم الفخر لأنه كذلك، وأن يعلـن هـذا التميز بشجاعة بدلاً من أن يعتذر عنه !».

من كتاب الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد

***

نعم ..

ذلك هو الطريق الذي رسمه القرآن لنا ..

الطريق الذي رسمه الخلفاء الراشدون المهديون ..

الطريق الذي وضحه لنا علماؤنا عبر التاريخ ..

طريق الجهاد ..

طريق « أتيـتكم بالـذبح» لأعـداء الله الـذين جاسـوا في ديارنـا واغتصـبوا نسـاءنا وهتكوا أعراضنا واغتصبوا أموالنا .. ..

طريق الجهاد ..

وطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

يقول شهيد الإسلام عبدالقادر عودة : «ومن المتفق عليه بين الفقهاء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حقا للأفراد يأتونه إن شاءوا, ويتركونه إن شاءوا وليس مندوبا إليه يحسن بالأفراد إتيانه، وعدم تركه, وإنما هو واجب على الأفراد, ليس لهم أن يتخلوا عن أدائه، وفرض لا محيص لهم من القيام بأعبائه».

***

لعل القارئ يلاحظ كثرة الاستشهادات – خاصة الأجنبية – في هذا المقال .. والحقيقة أنني بهذه الاستشهادات أهدف أمرين: أولهما أن موقفي من الغرب ليس موقفا عنصريا، , إنما أقول لمن أحسن أنه أحسن ولمن أساء أنه أساء، كاشفا في نفس الوقت أن الحقيقة ليست عصية على من يبحث عنها. أما الهدف الثاني فهو أن أحاول كشف علمانيينا الأشرار الكذبة .. الذين لا يتوقفون عن الكذب أبدا ولا ينتقون من المستشرقين إلا من هاجم الإسلام .. أما من يناصر الإسلام فهم لا يذكرونه أبدا .. وهذا بالتمام ما يفعلونه في مصر. إن خالد محمد خالد لا يذكر إلا بكتاب كفر هو «من هنا نبدأ» أما كتب توبته وعودته إلى الإيمان والصواب فلا تذكر أبدا .. وهكذا دواليك.

إنهم يحتفلون- مثلا- بهجوم الفيلسوف الفرنسي (فولتير) على الإسلام لكنهم لا يذكرون عودته عن هذا الهجوم، فالأضواء لا تسلط إلا على أقواله الأولى، أما أقواله الأخيرة فقد طُمست! إذ يعترف فيها بأنه كان ضحية الأفكار السائدة الخاطئة: «لقد هدم محمد الضلال السائد في العالم لبلوغ الحقيقة، ولكن يبدو أنه يوجد دائماً من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ ! »

***

ولقد وجد من المستشرقين أنفسهم من ينحازون للحق والصدق ضد بني جلدتهم، يقول توماس كارليل: «إن أقوال أولئك السفهاء من المستشرقين في محمد، إنما هي نتائج جيل كفر، وعصر جحود وإلحاد، وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر، وموت الأرواح» ...

وتقوم بيانكا سكارسيا بتحليل عميق لهذه الفئة فتقول: «عمل الاستشراق لصالح الاستعمار بدلاً من إجراء التقارب بين الثقافتين. إن إنشاء هذا العلم لم يكن إلا من

أجل تقديم أدوات للاختراق أكثر براعة، فهناك فعلاً عملية ثقافية مستترة ماكرة ومرائية، وهذا ما يفسر ريبة المسلمين حيال كل ما يقال عنهم في الغرب»، ويقول جورج برناردشو متأسفاً: «مضت على الغرب القرون وهو يقرأ كتباً ملأى بالأكاذيب على الإسلام».

***

هذه الكتب الملأى بالأكاذيب هي ما يراد لها أن تدرس تحت راية التنوير والتطوير.. !! ..

وهو ما تبنته الحكومات العميلة ..

ولقد أتيحت لي الفرصة للاطلاع على مناهج كلية الآداب في مصر ..

وكأنهم – كلاب النار – قد اكتشفوا أن الإلحاد هو الحقيقة الوحيدة المطلقة ..

ليست هناك من كلمة واحدة تدعو إلى الإيمان ..

وليس هناك كلمة واحدة تشكك في إمكانية أن يكون الكفر خطأ .. ولو بالاحتمالات الفلسفية والرياضية ..

***

لقد كانت مهمة المستشرقين باختصار كما أرادها لهم المبشّر الصهيوني صموئيل زويمر تحويل المسلم إلى لا ديني .. فيقول في محاضرة لتلاميذه المبشرين:

«مهمّتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الاستعمار ..

استمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب!!».

***

تنطلق هذه الزمرة من المستشرقين وكلابهم المحليين من المبدأ الذي يقول: اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدّقك الناس ! وإذا كان الكذب شعاراً فكل شيء متوقع بعد ذلك ..

وهؤلاء المستشرقون وتلاميذهم يصطنعون في بحوثهم – كما يقول الدكتور إبراهيم

عوض- سمت العلم والموضوعية والبراهين، وهذا أخطر ما فيهم ومن خطورتهم التلطف في دس السموم مع التدرج، وذلك بعد منافقة القارئ بكلمات معسولة كي يَركَن إليهم.

ومن وسائلهم اللعب بالتاريخ، فيصححون الأخبار الكاذبة، ويطمسون الأخبار الصحيحة، ويضخمون الأخطاء الصغرى، وما أسهل تغيير مجرى التاريخ على قلم المؤرخ الكذوب ! فقد جعل هؤلاء المتعصبون من التاريخ هواية يتم من خلالها التنفيس عن الأهواء والأحقاد الإيديولوجية.

ومن وسائلهم وضع الفكرة مقدَّماً ثم البحث عن أدلة تُعزّزها مهما كانت واهية على أسلوب (محاكم التفتيش) حيث كانت توضع التهمة أولاً ثم تثبت بالشهود الذين ينوب عنهم التعذيب ! وليس هذا الأسلوب غريباً عمن يكون شعاره: «اعتقد أولاً ثم افهم ما اعتقدت !».

يقول محمد أسد « ليوبولد فايس اليهودي النمسوي قبل أن يسلم»: «إن أبرز المستشرقين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام ! وإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع (دواوين التفتيش) ».

«لا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام، لأنها إن فعلت غير ذلك تنكّرت للغتها وثقافتها ومؤسساتها !. إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وإن قيام إسرائيل هو جزء من المخطط، وليس إلا استمراراً للحروب الصليبية »

لم يصرح بالجملة الأخيرة حاخام أو قسيس وإنما يوجين روستو، رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية سابقاً. وتؤكد رئيسة وزراء بريطانية السابقة مارغريت ثاتشر هذه المخططات فتقول: «يقف الغرب اليوم مع الشرق الأرثوذكسي والكاثوليكي في خندق واحد لمجابهة العدو، وهو الإسلام».

وينفخ المستشرق المعاصر فرانسيس فوكوياما نار الصراع ليزيد من الرُّهاب المرضى الغربي من الإسلام Islamophobia فيقول: « إن هناك عدواً قادماً للحضارة الغربية هو الإسلام ... وهذه الإيديولوجية ستصبح النقيض للإيديولوجية الغربية، وبالتالي لا بد أن ينتصر أحدهما وينهزم الآخر، لأن العالم لن يستمر في حالة صراع بين

العقيدة الغربية والإسلام»!.

وأكد هذه الحقيقة د. مراد هوفمان فكتب ساخراً: «لم يتدخل العالم المتحضر عسكرياً لإنقاذ مسلمي البوسنة، ولكن انشغل بالمساعدات الإنسانية ! وعمل بجد واجتهاد حتى يضمن للمسلمين أن يُعذَّبوا أو يُغتصبوا أو يموتوا وهم شبعانون ! لقد سمّت وسائل الإعلام الغربية ضحايا البوسنة بالمسلمين، ولكنها أغفلت تماماً الإشارة إلى ديانة القتلة المعتدين» !.

ويتساءل وزير الخارجية السوري الأستاذ فاروق الشرع: «لو كان مسلمو البوسنة الذين يتعرضون لعمليات التطهير العرقي والترحيل الجماعي والاغتصاب الوحشي ينتمون إلى عرق ودين آخر هل كانت هذه المذبحة ستستمر؟! إننا لا نستطيع أن نثق بأن الغرب يستهدف فعلاً رفع الظلم عن الإنسان، وإحقاق حقوقه في كل مكان وزمان .. إن من يخرق الحقوق الأساسية للشعوب، هم أولئك الذين يرفعون شعار حقوق الإنسان».

هذه الروح المتوحشة انتشرت في أوربا، ففي فرنسا صدر أمر بابوي بطرد رئيس الكنيسة الكاثوليكية بمدينة (افروه) من أسقفيته لأنه أعلن تأييده للمسلمين في البوسنة والشيشان.

أما عالم الاجتماع الأمريكي نيكولاس هوفمان فيقول: «لا توجد ديانة أو قومية أو ثقافة كثقافة العرب والمسلمين تتعرض في الولايات المتحدة لمثل هذا التشويه الفظيع».

ويعترف المستشرق غوستاف لوبون بهذا العداء الكبير: «تراكمت أوهامنا الموروثة ضد الإسلام بتعاقب القرون، وصارت جزءاً من مزاجنا، وأضحت طبيعة متأصلة فينا تأصُّلَ حقدِ اليهود على النصارى الخفيّ أحياناً والعميق دائماً».

وهذا المعنى أكده محمد أسد (ليوبولد فايس) بقوله: «إن روح الحروب الصليبية ما تزال تتسكع فوق أوربا، ولا تزال تقف من العالم الإسلامي موقفاً يحمل آثاراً واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال».

و يرسم د. مراد هوفمان صورة دقيقة فيقول: «إذا سبرت غور النفس الأوربية ولو بخدش سطحي صغير، لوجدت تحت الطبقة اللامعة الرقيقة عداء للإسلام».

وفي محاولة لرصد من يقف وراء تأجيج هذه الروح العدائية تقول المفكرة الشهيدة الإسبانية (صبورة أوريبة): « قد أعلن الدساسون من الغربيين المتلاعبون بالضمائر

عداوتهم للإسلام، لأنه ينزع أقنعتهم، ويقاوم شعوذتهم الخادعة».

ويقول السيناتور الأمريكي (بول فندلي): «هناك الكثير من رجال الدين المسيحي في أمريكا يقومون بتشويه صورة الإسلام ... وإن الإسلام ليس خطراً على المسيحية أو الحضارة الغربية، وإن كُتّاباً غير مسلمين هم الذين شوهوا صورته في الغرب».

(جملة اعتراضية: لكن الطابور الخامس من العلمانيين والحداثيين والتغريبيين هم الذين يقومون بالمهمة الآن وليس الكتاب من غير المسلمين ..)

أما عالمة الاجتماع المسلمة (ديانا روتنشتوك) فترى: « أن أهل أوربة في أمسِّ الحاجة إلى الإسلام، ولكن الوضع السياسي حالياً يشوّه الإسلام».

ويقول كارل بروكلمان: لقد حورب الإسلام كثيراً وما زال يُحارب، ولكن النصر دائماً للحق، وما جاء محمد إلا بالحق والحقيقة. لقد شاع في الفكر الغربي ولدى المتأثرين بتعاليم الكنيسة النصرانية ورواسب الأفكار الشعبية المنحرفة التي روجتها أوروبا عن الإسلام ونبيّه وعن المسلمين إبّان وبعد الحروب الصليبية، أن الفتوحات الإسلامية قامت على السيف والقهر والتسلط والقسر، ولم تقم على الكلمة الطيبة والدعوة الرفيقة والعقيدة الواضحة، لكن فئة عادلة من مفكري الغرب لم يقتنعوا بهذه الشائعات ورحلوا يتأملون في تلك القدرة العجيبة للمسلمين على نشر دينهم بتلك السرعة المدهشة، وذلك الزحف للدخول الكبير للناس أفواجا في دين الله، فعادوا إلى رسالة النبي ﷺ ليجدوا أنها تقوم على الدعوة اللينة لا على القسر الخشن.

ويقف المفكر (لورد هدلي) مندهشا عند معاملة النبي (صلى الله عليه وسلم) للأسرى من المشركين في معركة بدر الكبرى، ملاحظا فيها ذروة الأخلاق السمحة والمعاملة الطيبة الكريمة، ثم يتساءل: «أفلا يدل هذا على أن محمدا لم يكن متصفا بالقسوة ولا متعطشا للدماء؟، كما يقول خصومه، بل كان دائما يعمل على حقن الدماء جهد المستطاع، وقد خضعت له جزيرة العرب من أقصاها، وجاءه وفد نجران اليمنيون بقيادة البطريق، ولم يحاول قط أن يكرههم على اعتناق الإسلام، فلا إكراه في الدين، بل أمنهم على أموالهم وأرواحهم، وأمر بألا يتعرض لهم أحد في معتقداتهم وطقوسهم الدينية».

ويقول الفيلسوف الفرنسي (وولتر): «إن السنن التي أتي بها النبي محمد كانت كلها

قاهرة للنفس ومهذبة لها، وجمالها جلب للدين المحمدي غاية الإعجاب ومنتهى الإجلال، ولهذا أسلمت شعوب عديدة من أمم الأرض، حتى زنوج أواسط إفريقيا، وسكان جزر المحيط الهندي».

أما العالم الأمريكي مايكل هارت فهو يرد نجاح النبي (صلى الله عليه وسلم) في نشر دعوته، وسرعة انتشار الإسلام في الأرض، إلى سماحة هذا الدين وعظمة أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام الذي اختاره على رأس مائة شخصية من الشخصيات التي تركت بصماتها بارزة في تاريخ البشرية، ويقول:« إن محمدا هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح مطلقا في المجالين الديني والدنيوي، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا».

ويقول الفيلسوف والكاتب الإنجليزي المعروف جورج برنارد شو:« إن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد، وبدأت تعيش دينه، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما اتهمتها بها من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى»، ويضيف قائلا: «ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول: إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة، وإني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم، لتم له النجاح في حكمه، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة».

ويقول المستشرق الفرنسي بارتيملي سانت هيلز في كتابه «خواطر شرقية»: «من العجيب حقاً أن نتطاول اليوم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى دينه والأعجب من ذلك تلك النظرة الحمقاء التي نرى من خلالها المسلمين حيث تناسينا أن العلوم التي نباهي بها العالم اليوم هي نتاج تطور العلوم التي ألفها العرب والمسلمون الذين ساروا على نهج محمد صلى الله عليه وسلم بحرفية دقيقة فأنبتوا لنا نبت الحضارة التي نقطف ثمارها الآن، ومن الشرف والوفاء الأخذ بأيديهم والشعور بالامتنان نحو نبيهم العظيم وأجدادهم المبدعين». ويؤكد هذه الحقيقة المستشرق الفرنسي ديمومبين فروا حيث يقول: «أقام العرب والمسلمون منائر العلوم في مختلف الفروع في أسبانيا وقد استقت أوروبا الأسس التي قامت عليها حضارتها من ذلك الجيل الذي تربى على يد علماء الإسلام ومن هنا انطلقت النهضة الأوروبية في مسارها حتى اليوم».

مصدر الأقوال من كتاب «ربحت محمداً ولم أخسر المسيح »

***

لماذا إذن ونحن نملك هذا المجد كله نشعر بالخزي؟ ..

لماذا ونحن لدينا هذه القوة كلها نشعر بالضعف؟ ..

لطالما سألت نفسي:

- ثمة يقين لا شك فيه أن ديننا هو الحق، والعيب لا يمكن إلا أن يكون في واحد أو أكثر من ثلاثة: الحكام والنخبة والأمة ..

نعم .. الحكام والنخبة والأمة ..

فساد الحكام لا شك فيه .. بل إننا نظلم كلمة فساد عندما نستعملها في هذا المجال .. فليس لخستهم حد ولا لخيانتهم حد ولا لإجرامهم حد ولا لفسادهم حد ولا لجشعهم وطمعهم حد .. بل وأكاد أقول:

- ولا لكفرهم حد ..

نعم .. يحذرني الخلان دائما من الإسراف في التكفير فأصرخ في وجوههم:

- هل الإسلام إلا كفر بالطاغوت وإيمان بالله؟ ألا تعلمون أن عدم تكفير الكافر كفر بالله تعالى؟.

ثم أروح أحدث نفسي .. حتى متى نصمت .. إن العلمنة والحداثة والتبشير والتنصير كلها أوجه متعددة لعملة واحدة .. أوجه لما أراده المنصر صمويل زويمر .. إخراج المسلمين من الإسلام .. وهاهم للمرة الأولي بعد محاولات القرون يحققون نجاحات واضحة ..

نعم ..

فهل نستمر على صمتنا حتى ينجحوا في تنصير المسلمين ..

في تكفيرهم؟؟ ..

لقد وصل الأمر بهم – لعنهم الله- إلى أن تكفير المسلمين جائز أما تكفير الكفار فدونه خرط القتاد ..

وصل الأمر بهم – لعنهم الله- إلى أن وزيرا من عبدة الشيطان قد اتهم المجاهدين

الذين تسنموا ذروة سنام الإسلام بالكفر .. ولم يكتف بذلك بل صرح أنه ليس لهم عنده إلا السيف .. ولم يكن على قوله من تثريب .. بينما لو وصفنا شارون أو بوش بالكفر لانقلبت الدنيا علينا ..

وصل بهم الأمر لعنهم الله – وهم الذين لا يكفون عن تقديس القضاء ما دام يحكم لصالحهم – إلى أن لعنوا أعلى محكمة مصرية – محكمة النقض- لأنها حكمت على الكافر نصر حامد أبو زيد بالردة ..

ووصل بهم الأمر لعنهم الله إلى استدراج شيخ من شيوخ الأزهر- عليه من الله ما يستحق - إلى الحكم على حسن الهضيبي وعبدالقادر عودة وسيد قطب بالخروج من الإسلام .. ولم يعلق أحد .. وعندما أفتى بعض العلماء بكفر الحاكم الذي يرفض الحكم بما أنزل الله انقلبت الدنيا عليه.

وصل بهم الأمر لعنهم الله إلى الحد الذي أصبح فيه وصف « مفكر إسلامي» لا يكاد يلحق إلا بكافر ..

وصل بهم الأمر لعنهم الله إلى الدفاع عن حسن إيمان فرج فودة الذي كتب آخر مقالاته في رثاء كلب له دهمته سيارة .. وكانت آخر كلمة له في آخر ذلك المقال أن ذلك الكلب كان أقرب إليه من حبل الوريد (اقرأ: من قتل الكلب: أبو إسلام أحمد عبدالله) ..

حتى متى نصمت؟ ..

حتى ينجحوا في إخراج المسلمين جميعا من الإسلام؟! ..

حتى متى نصمت؟ ..

إن عدم تكفير الكفار، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم من نواقض الإسلام الجلية، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، فمن لم يكفر اليهود والنصارى مثلاً مع الأدلة الكثيرة التي وردت في ذلك فقد كذّب القرآن والسنة وأنكر ما هو معلوم من الدين ضرورة.

يقول الدكتور عبدالله قادري الأهدل إن أمر التكفير خطير، كما أن التساهل الذي يؤدي إلى عدم تكفير الكافر خطير كذلك. والواجب الوقوف عند نصوص الشريعة وقواعدها، دون إفراط أو تفريط، والحكم في ذلك لله وليس لغيره، والمرجع في تكفير

الشخص المعين هم لعلماء الذين تفقهوا في دين الله، وتمكنوا من معرفة نصوص القرآن والسنة وفقهوا معانيهما، وتبينوا من واقع الأشخاص الذين يراد الحكم عليهم وظروفهم، ثم التحقق من صحة تنزيل الحكم على كل شخص بعينه. ولا يجوز أن يترك الحكم بتكفير المسلم لمن يدّعي العلم وهو منه خليّ، ممن لم يتفقهوا على أيدي العلماء الذين أخذوا العلم عن أهله في الكتاب والسنة، وما يخدمهما من علوم الآلة، كأصول الحديث، وعلوم التفسير، وقواعد اللغة العربية، وقواعد الضرورات ... وأقوال أهل العلم وأوجه استدلالاتهم من مصادرها الأصلية.

ثم إن الذي نهينا عن تكفيره هو المسلم – بشروطه – لا الكافر.

و إلا فإنه كان على المسلمين أن يصدقوا نابليون عندما قال أنه مسلم .. وأن هتلر قد غير اسمه إلى الحاج محمد هتلر!!

لقد وصل الأمر إلى أن نخبتنا العلمانية الحداثية الكافرة أصبحت تتناول هذا الأمر على سبيل السخرية المكشوفة والتندر فتنقض عرى الإسلام كلها .. فإذا ما واجههم أحد صرخوا:

– هلا شققت عن قلبه؟! ..

***

ثم إن الفقهاء حين تحدثوا عن الضوابط التي يضعها علماء المسلمين في دولة الإسلام للتكفير قد افترضوا وجود الدولة الإسلامية وعلماء الدين الأحرار الذين لا يرهبهم سيف المعز ولا يغويهم ذهبه .. بل وأظنهم قد افترضوا الطبيعية الرسمية لهيئة العلماء تلك ..

ثم إنني أظن أولئك الفقهاء لم يتخيلوا أبدا أن يكون حاكم الدولة المسلمة مرتدا وخائنا وعميلا وقد باع أمته ودولته ودينه للكفار لكنه حريص طول الوقت على تسمية الأشياء بغير أسمائها حتى لا يبدو منه ما هو خروج على المعلوم من الدين بالضرورة .. فتراه يسمي الالتزام بالدين تطرفا .. والجهاد إرهابا .. والتوحيد غلوا .. والتفريط تحضرا والكفر حداثة .. ويظل ينخر كالسرطان في جسد المسلمين ..

فهل عجز فقهاء الإسلام عن مواجهة مثل ذلك الحاكم .. ؟! ..

أسأل والسؤال ليس تزيدا ولا ترفا ..

بل لعله المفتاح الوحيد الباقي لنا للإفلات من مقتلة هائلة للإسلام والمسلمين ..

أقول هذا وأنا أعلم أن عظَمة هذا الدين قد اقتضت أن من تسمّى بالإسلام ولو منافقا كاذبا, حرم دمه وماله وعرضه, وحفظت حقوقه, فكيف بمن ينتسب للإسلام صادقا.

تقتضي عظمة الدين ذلك لكن ما العمل إذا اقتضى أمنه غير ذلك والضرورات تبيح المحظورات.

***

لطالما أنحيت باللائمة على الحكام .. وكنت على صواب ..

ولطالما اعتذرت عن الأمة وكنت على خطأ ..

ثم أدنت الأمة وكنت على صواب ..

لكنني أعتقد أن من يستحق الإدانة أكثر من الحكام والأمة هم العلماء.

***

الرئيس صدام حسين- فك الله أسره[1]- وبغض النظر عن اختلاف الآراء فيه، ليس أقوى من أمريكا .. ومع ذلك كان قادرا على ضبط الأمن في العراق .. بينما يمرغ المجاهدون أنف أمريكا في الطين والدم كل يوم ..

الفارق في القوة بين القرصان المجرم بوش والرئيس الأسير لا يحتاج إلى بيان .. ولكن النتيجة العكسية تعود إلى أنه مع صدام فقد كان هناك عند الأمة شبهة أنه حاكم مسلم وإن عصى .. وكانت هناك دائما شبهة الخروج على حاكم مسلم .. وقد عصمته هذه الشبهة من الخروج عليه.

مع أمريكا حدث ما حدث ..

هذا يعني إذن أن العلماء لو اتفقوا على رأي لحرموا الحاكم المرتد من عصمة لا يستحقها .. ولحموا الأمة من ردته وخيانته وجنونه ..

***

(١) الآن .. رحمه الله ..

أستعيد الماضي .. أتذكر على سبيل المثال الكافر كمال أتاتورك .. فلو أن العلماء تنبهوا لكفره في الوقت المناسب لحموا الإسلام من جنونه وخيانته وكفره ..

لكن تردد العلماء وعدم حسمهم قد مكن للطاغية الكافر من النيل من الإسلام ومن المسلمين ومن عاصمة الخلافة ما نرى وما نعلم ..

ولقد وضعت اسم كمال أتاتورك .. ليس على سبيل المثال فقط .. بل إيثارا للسلامة أيضا .. وإن كان يمكن رفع اسم أتاتورك ووضع جل حكام المسلمين مكانه ..

تردد العلماء إذن وضعفهم هو ثالثة الأثافي التي يرتكز عليها انهيارنا ..

تردد العلماء وعدم حسمهم هو الذي يؤدي إلى تمييع الموقف من الجهاد ..

وتردد العلماء وعدم حسمهم هو الذي محا الفرق بين الشيخ والحاخام .. وهو الذي يسقط الأمة بحكامها وعلمائها في الضلال المبين ..

أما فقهاء السلطان الذين يدعون ألا جهاد إلا بوجود إمام وراية فليسوا إلا ضالين مضلين .. وقولهم ذلك لا أصل له بإجماع الأئمة وسلف الأمة بل هو قول ظاهر البطلان مصادم للنصوص القطعية والأصول الشرعية والقواعد الفقهية.

***

وحاسرتاه وحاخام شيوخنا يُستفتى في الجهاد فيفتي بأن أهل العراق أدرى بشعابها طبقا لشعاب سايكس بيكو وحدودها!!- وحين يستفتى في انتخابات العراق يفتي بوجوبها طبقا لحدود بوش- شارون! ..

واحسرتاه وأهل الفلوجة يذهبون إلى شيخ الحرم يستصرخونه الدعاء والقنوت من أجل أبطال الفلوجة فيأبي .. ثم يؤمر أن يدمغ المجاهدين بالإرهاب فيرضى ..

واحسرتاه ..

***

لقد بلغ من تردد العلماء أن عجزوا عبر ما يقرب من قرن من وضع الفتاوى الرادعة التي تمنع التعذيب ..

بعض علماء الشيعة أفتى بإهدار دم من يعذب ..

أما علماء السنة فواحسرتاه عليهم ..

***

إنني أعلم أن التعذيب مهما بلغت ضراوته، حتى وإن أدي إلى الموت، إذا تم بجهل أو لمجرد السلوك الحيواني الوحشي الشرس الشاذ المجرم، فهو كبيرة من الكبائر لا تخرج من الملة.

أما أن يكون التعذيب مهما بلغت درجته- لصرف المسلمين عن الإسلام .. أو لمنعهم من الجهاد .. فإن لم يكن الكفر هذا فماذا يكون؟! ..

لماذا لم يتصد العلماء للجلادين الكفرة الذين حاربوا الإسلام والمسلمين ..

لماذا لم يتصدوا للكفرة الذين قتلوا وعذبوا المجاهدين في مصر وليبيا والسعودية والكويت والمغرب .. و .. و .. و .. لصرفهم عن نصرة الإسلام ..

لو أنهم تصدوا منذ البداية لما كانت تلك النهاية ..

ولو أنهم تصدوا في مصر لما جرؤ ذلك الأمير المجرم على اتهام المجاهدين بالإرهاب ودمغهم بالكفر وقتلهم على الشبهة ..

ولو أنهم تصدوا في بلد ذلك الأمير المجرم لما حدث ما حدث للشهيد الشيخ/ عامر خُليف العنزي الذي استشهد تحت وطأة التعذيب أثناء احتجازه لدى الأجهزة الأمنية في الكويت.

في الكويت أيضا يسمّمُ كلاب النار المجاهدين بعقاقير الهلوسة وعقاقير أخرى تسلب إرادتهم فيعترفون ويبوحون .. وعندما يشرفون على الموت بسبب زيادة الجرعة يذهبون بهم إلى المستشفيات ويتخرّصون – لعنهم الله – بأن المجاهدين يتعاطون المخدرات.

لا تكف مباحث أمن الشيطان عن الكذب .. ولم يسأل أحدهم نفسه لماذا أخون الله ورسوله؟ .. لماذا أرتد عن الإسلام بقتل رجل لمجرد أن يقول ربي الله .. والأفظع أن يكون من المجاهدين؟.

***

خلافنا مع كلاب النار من حكام ونخبة وأمن وفقهاء سلطان لم يكن أبدا خلافا في الرؤى، ولا بحثا عن الحقيقة، ولا تصادما بالفكر، وإنما هو التصدي لمجموعة من الخونة والعملاء والجواسيس الذين ينخرون كالسوس في دين الأمة .. أي في وجودها كله ..

خلافنا مع أوغاد قذرين في الداخل والخارج.

والتعبير ليس من عندي وإنما من هانز بليكس كبير مفتشي الأمم المتحدة عن أسلحة الدمار الشامل العراقية المزعومة الإدارة الأمريكية الذي في تصريحات لصحيفة الجارديان البريطانية ويوم ١٢ يناير ٢٠٠٣ « أن الأمريكيين أوغاد قذرون لم يكفوا عن وضع العقبات في طريقي»

ولم يكتف بليكس باستخدام كلمة « قذرون» بل مضي يقول « هناك طغاة في واشنطن، إنهم أوغاد يروجون للأكاذيب وبالطبع يزرعون أشياء مروعة في وسائل الأعلام ».

***

نعم ..

أوغاد قذرون ..

هناك .. كما هنا ..

ولقد كان منهم من فضحهم شارون في خطاب أخير بقوله لهم: - لتضعوا أيديكم في يدي لمحاربة التطرف الإسلامي الذي يستهدفنا جميعا!!

وكان شارون صادقا .. فعداء أولئك الحكام للإسلام لا يقل عن عداء شارون نفسه له ..

لكن إن كان شارون يعتبرهم حلفاء فكيف نرتضيهم ملوكا ورؤساء؟!

***

وفي ظل هؤلاء وأولئك فإن أخشى ما أخشاه أن ما أخشاه سيحدث!! ..

أخشى ما أخشاه أن الدول الإسلامية كلها لم تدرك بعد – كيف؟ .. لا أدري- أن الحرب ليس مقصودا بها بترول العراق ولا أفيون طالبان ولا قنابل إيران ولا إرهاب السعودية ومصر .. ولا .. ولا .. ولا ..

المطلوب هو القضاء على الإسلام وجميع ما يقع في أيديهم أثناء ذلك هي غنائم وجوائز الانتصار .. لكنها لو لم توجد لما نكصوا عن خطتهم للقضاء على الإسلام قيد أنملة ..

إنني أسألكم يا ناس: ماذا يمكن أن تقولوا حين تشاهدون إنسانا يصلي إذا لم تكن

عندكم فكرة عن الإسلام .. ستقولون أنه يؤدي بعض التمارين الرياضية وستعرضون عليه تمارين ترون أنها أفضل.

أسألكم يا ناس: ماذا يمكن أن تقولوا حين تشاهدون إنسانا يصوم إذا لم تكن عندكم فكرة عن رمضان .. ستظنونها حمية غذائية ستوصون بسواها مع التوصية بكثرة شرب السوائل أثناء الصوم؟! ..

أسألكم يا ناس: ماذا يمكن أن تقولوا حين تشاهدون إنسانا يحج إلى بيت الله الحرام إذا لم تكن عندكم فكرة عن الحج .. ماذا ستقولون إلا أنها طقوس وثنية كما قالت الفاسقة المرشحة ..

أسألكم يا ناس: ماذا يمكن أن تقولوا حين تشاهدون إنسانا يستشهد في سبيل الله إذا لم تكن عندكم فكرة عن جنة عرضها السماوات والأرض وعن رب يعرف وإله مألوه يؤله وأسماء وصفات تصدق وغيب وكتب ورسل يؤمن بها .. ماذا يمكن أن تقولوا عمن يفعل ذلك إلا أنه إرهابي أو مجنون ..

يا ناس .. الصليبيون والصهاينة يروننا كذلك ..

رغم أنني لم أفهم أبدا كيف يمكن لمن آمن بالله أن يؤمن به على شريعة موسى وعيسى ثم يكفر به على شريعة سيد المرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يقول الكاتب المسيحي الشهير نظمي لوقا في كتابه محمد الرسالة والرسول: « أن التسليم بوجود رسل ونزول وحي يجعل من الصعب التسليم برسالة ورفض الأخرى، والإقرار بظهور رسول ونفي ذلك عن آخر» (ولأنه تحدث عن نبي الإسلام بموضوعية وإجلال في كتابه« محمد الرسالة والرسول» فقد طرده البابا شنودة شر طردة، وحرم الصلاة عليه في كنائسه، ودارت أرملته الكاتبة صوفي عبدالله على الكنائس دون فائدة: راجع المقال بالغ الأهمية للأستاذ جمال سلطان- مجلة المنار الجديد – شتاء ٢٠٠٥).

وأعجب من ذلك تحالف الصليبيين واليهود رغم ما بينهم من عداوة ضد المسلمين. وهو التحالف الذي يحمل لنا الكاتب المغربي الرصين الموسوعي حسن السرات بعضا من تفاصيله في مقال له بصحيفة التجديد المغربية نقلته لنا مجلة الوحدة الإسلامية بتاريخ ٢٥-١-٢٠٠٥ إذ يقول أن الأمر يعود إلى أكثر من خمسة قرون .. في الأندلس! .. حيث انطلقت أول بعثة مسيحية لاكتشاف قارة أمريكا على يد كريستوفر

كولومبوس بمشاركة ومساعدة من مسيحيين ذوي أصول يهودية. فقد تعرض المسلمون وأهل ذمتهم من اليهود إلى الإكراه على التنصير، ثم ما لبث اليهود المتنصرون أن نجحوا في تهويد الفضاء الديني المسيحي بأوروبا خاصة بعد أن أصبحوا مستشارين لرجال الكنسية ومعابر لنقل التراث التوراتي وتعاليم اليهودية. ومن أهم ما تم تسريبه ترقب اليهود وانتظارهم للمسيح المنقذ الذي سوف يعود في آخر الزمان وينتهي بعده التاريخ في الألفية السعيدة، وبذلك «تحقق الإدماج بين المسيح اليهودي العائد لتجديد دولة اليهود بالحديد والنار والمسيح العائد في آخر الزمان للدينونة الكبرى كما عبرت عن ذلك رؤيا يوحنا التي قدمت تحت عنوان «أبوكاليبس» أي النهاية المرعبة للعالم». وترتب على ذلك أسطورة كاذبة تتلخص في أن المسيح لا يمكن أن يعود إلا بعد إرجاع كافة يهود العالم إلى أرض فلسطين، وفي اعتقاد المسيحيين البروتستانتيين أن اليهود الموجودين هم شركاء لا غنى عنهم في الأحداث العظمى المقبلة قبل مجيء المسيح.

من هنا جاء اتحادهم واجتماعهم على الإسلام والمسلمين ..

المهم أن هذه الخراف، بل الخنازير الضالة تري في سيد الرسل دعيا على الله وترى أن القرآن من تأليفه، وترى أنه قد آن الأوان ليخرج المسلمون من الإسلام أفواجا .. إن لم يكن بالاقتناع فبالصواريخ والقصف السجادي.

نعم .. ترى تلك الفئة أن القرآن تأليف سيدنا محمد وليس كلام الله رب العالمين .. (وأنه إنما أملاه عليه أناس عديدون منهم ورقة بن نوفل ومنهم سلمان الفارسي رضى الله عنه .. وتنشر هذا الكلام الساقط السافل مجلات وجرائد حكومية .. أو ما هو أشد كفرا كالصحف اليسارية) أما الردود البسيطة الساحقة الماحقة كردود الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض: إذا كانا أملياه القرآن فقد كان عليهما أن يكونا أول من يكفر برسالته لا أول من يؤمن بها!! .. لكن هذا الكلام لا يجد من ينشره .. ولا نعثر عليه إلا بالجهد الجهيد.

أتباع اليسار والعلمانية والحداثة .. من هم أسوأ من مشركي الجاهلية من نخبتنا التي جعلتها أجهزة الأمن في الصدارة كخليل عبدالكريم- شيخ مشايخ صحيفة الأهالي- وسيد القمني حاخام روز اليوسف جاهزون لتلقي وساخات المستشرقين لكي يقدموها بأسمائهم ..

كما يتصدى كاتب كجمال الغيطاني – دفاعا عن الفراعنة – في إنكار قصة خروج

بني إسرائيل من مصر!! وهو بهذا لا يدافع عن الفراعنة .. وإنما يدافع عن بني إسرائيل لأنه يكذب القرآن .. والقرآن هو أشد ما أدان بني إسرائيل ويحافظ على مشاعر المسلمين ضدهم ..

ولقد تعلموا من تجربة طه حسين في الشعر الجاهلي أن ينطقوا بمضمون الكفر دون لفظه لأنهم يعلمون القيد الصارم الذي يضعه القرآن على تكفير الكافر .. وأنه – على سبيل المثال – إذا ما وجد في كلام الغيطاني تسعة وتسعين بابا للكفر وبابٌ واحدٌ للإيمان فإن باب الإيمان هو الذي يعتبر.

والكلام صحيح بالقطع .. لكن في الظروف الطبيعية ..

الرياضة البدنية مفيدة جدا .. لكنها لمريض القلب قد تكون قاتلة .. ونحن – أمة المسلمين – مرضى ..

(ذكرني بالغيطاني الذي لا يكف عن الحديث عن الكتاب المؤسس الركن: أصل الأنواع لتشارلز دارون ويتباكى على الفكر الظلامي الذي أخر طباعته ونشره .. ويطالب بأن يمنع أساتذة الجامعة الذين لا يؤمنون بها وما على شاكلتها من التدريس .. ولا تعليق سوى الاشمئزاز والقرف .. وتذكيركم بمبرر منحهما الصحف والقنوات التي ينفثون فيها السموم)

- لطالما حذرتكم يا قراء من جمال الغيطاني وصلاح عيسى والمزارع التي يربون فيها العلمانيين والحداثيين كما تربى الخنازير .. ولا تنسوا أنهما حكوميان- ..

نعود إلى الكلاب الجاهزة المتلمظة إلى تحريف القرآن .. فبعد أن فشلت كل خططهم لتحريف القرآن وتصحيفه والتشكيك فيه .. بعد هذا الفشل انتقلوا إلى فشل آخر هو محاولة عزل اللغة العربية كلها – انظر مثلا محاولة حكومي آخر هو شريف الشوباشي- ومحاولة إلغاء الفصحى واستعمال العامية .. لكنهم فشلوا في كل هذا ليقدم لهم الخنازير العرب حلا آخر .. وهو أن حكم النسخ ما يزال قائما وأنه إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فعله لتغير الظروف الاجتماعية فإن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء-!!- من حقهم النسخ الآن .. وتتجاهل الخنازير أن الله هو الذي نسخ وهو الذي أثبت .. وهذا المعنى هو القابع خلف مصطلحات فاجرة كـ:تاريخية النص .. بمعنى أن النص القرآني مرتبط بتاريخ معين .. وأنه لا يلزم إلا من عاشوا في هذا التاريخ .. أما من يعيشون في العصور التالية فليس لهم أن يتبعوه .. وهو طريق يا

قراء ملتف جدا .. لا يدفعهم إليه إلا خوفهم من رد فعل الناس إذا ما قالوا أن سيد البشر وخاتم الرسول – غفرانك اللهم – كذاب وأن القرآن كله موضوع.

هذه الخنازير على دين المستشرقين – وجل المستشرقين جواسيس وموظفون في الهيكل الحكومي الصليبي الاستعماري- أو بالأحرى هم صبيانهم .. وهؤلاء الصبيان ينشرون بين الناس بصورة غير مباشرة أننا ما زلنا نصدق بالقرآن والحديث لمجرد تخلفنا .. وأن « التنوير» هو الذي سيخرجنا من ظلاميته ..

وهذا هو التنوير وتلك هي الظلامية لكل من يردد مثل هذه الألفاظ دون أن يدري معناها ..

على أن هذه الخنازير الضالة تغالط نفسها حين تصر على إخراج المسلمين من الإسلام بينما تترك الوثنيين يرتعون في وثنيتهم بل وتقدم لهم آيات التبجيل والاحترام.

إنهم يفعلون ذلك لأنهم يدركون أن الوثنية ليست خطيرة عليهم .. أما الإسلام فلو تركوه وشأنه فسوف يكتسحهم اكتساحا .. إذ لا توجد فكرة ولا نظرية ولا فلسفة تصمد له .. لسبب بسيط هو أنه حق بذاته.

إحدى خريجات مدرسة الخنازير كانت وزيرة في مصر وكانت قريبة جدا من رأس السلطة، وقفت في منتدى بدار خديجة بنت خويلد رضي الله عنها – في جدة – تسب الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم وتكفر بالإسلام ..

خريجة مدارس الخنازير اسمها ميرفت التلاوي .. كانت تتحدث في ندوة تتبع الأمم المتحدة صباح يوم الأحد ٢٢ شوال / هـ١٤٢٥الموافق ٥ ديسمبر/ ٢٠٠٤م حيث سخرت هذه المجرمة الآثمة من رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ومن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه وأخذت في التقليل من السنة الشريفة والسخرية من شيخ الإسلام ابن تيمية ..

شددت ميرفت التلاوي على أهمية اختراق المجتمع السعودي من الداخل (راجع كل ما قلناه!!) .. .. حيث ثبت نجاح الاختراق من الداخل مقارنة بالاختراق من الخارج الذي سيرفضه أكثر أي شخص (...) .. فسألتها إحدى الحاضرات عن مدى تقبل المجتمع لذلك، خاصة وأن الإسلاميين وجدوا أنهم متهمون بالعنف والإرهاب .. وأجابت الدكتورة مرفت « وبصراحة لا تنقصها الوقاحة » بقولها: الله ابتلاكم في السعودية بجهلة ومتخلفين يتبعون أفكار المتخلف ابن تيمية .. حيث أن أفكاره المتخلفة

والجاهلة هي التي نشرت الإرهاب في السعودية .. ومشكلتكم في السعودية تشبه مشكلة مصر عندما سادت أفكار « متخلف هندي » اسمه أبو الأعلى المودودي صاحب الفكر التكفيري ومورده .. حيث بدأ المجتمع يتأثر بهذا الفكر فحاول البعض توعية المجتمع من خلال المقالات والمسرحيات والأفلام ونجحوا بتوعيتهم. ولكن لم تستطع الدولة تجفيف منابع الفكر التي كانت تتم من خلال خطب المساجد والدروس والمحاضرات. والسعودية الآن مبتلاة بفكر المتخلف ابن تيمية ويجب أن تبادروا بتجفيف منابع هذا الفكر الذي سيرجع المجتمع للوراء .. حيث أوقف الاجتهاد والفقه الذي يجب أن يواكب التغيرات .. وعندما تتحدثين مع هؤلاء يقولوا لك: قال أبو هريرة .. وروى أبو هريرة ..

وقالت بلهجتها: (هو من ده أبو هريرة ؟ وآية التخلف ده لما راجل ميت من ١٤ قرن يحكمني وهو في قبره ؟ ده تخلف لما أعطل عقلي وأسيب الراجل الميت يحكمني بعقلية عمرها١٤ قرن وما أعطي المجال لأي تقدم وتطور واستمر في التخلف)!

***

نعم .. يصرون (الأساتذة وصبيانهم) على إخراج المسلمين من الإسلام .. لكن مبشرهم الأكبر صمويل زويمر يعزيهم عن فشل خطتهم في تنصير المسلمين بقوله أن هدفهم كان إخراج المسلمين من الإسلام فقط .. وأنهم قد حققوا نجاحا باهرا في ذلك .. أما الدخول في المسيحية فشرف لا يستحقه من كانوا ذات يوم مسلمين ..

نعم ..

يصرون على ذلك ..

فإن عجزوا عن بلوغه بالتطوير والتنوير والإصلاح والعلمنة والحداثة – لا التحديث- فسوف يفعلونه بالصواريخ والنابالم والغزو العسكري بتهمة الإرهاب وحيازة أسلحة الدمار الشامل ..

لم يسأل الحداثيون والعلمانيون أنفسهم عن المدى المسموح لنا به كي لا نتهم بالإرهاب

هل مسموح لنا مثلا بتطوير قواتنا للدفاع عن أنفسنا .. لمجرد الدفاع .. ليس للدفاع المتكافئ .. بل لمجرد إشعار العدو أنه حين يقتلنا سنصيبه بجرح ..

هل هذا هو المسموح لنا به في إطار الدفاع عن أنفسنا؟ ..

هل مسموح لنا مثلا أن نواجه ٢٠٠ قنبلة نووية عند إسرائيل بقنبلة نووية واحدة؟ ..

فلنقلع عن ذكر السلاح النووي لأنه يثير غضب الشياطين في واشنطن وتل أبيب ..

فهل مسموح لنا بقليل من السلاح الكيماوي والجرثومي .. ولو عشر معشار ما لدى إسرائيل؟ ..

بل هل المسموح للعرب والمسلمين أن يسلحوا جيوشهم دون عمولات هائلة لأسلحة يراعى فيها أنها لا تصلح أبدا لمواجهة إسرائيل (دعنا من المواثيق الغليظة في عقود الشراء بألا تستعمل هذه الأسلحة ضد إسرائيل .. فهي منذ البداية لا تصلح) .. وإنما تصلح لمواجهة الشعوب الغاضبة أو للحروب بين الدول الإسلامية وبعضها البعض ..

أتصور .. أن الدول الإسلامية لو قررت إعلان الحياد السلبي .. وتسريح الجيوش .. لكان هذا سببا للغزو العسكري الأمريكي لإعادة تلك الجيوش .. فهم من ناحية لا يستغنون عن المكاسب الاقتصادية الهائلة التي يجنونها من تسليح تلك الجيوش .. ومن الناحية الأخرى لا يستغنون عن خدماتها لمواجهة الشعوب وللحروب العنترية التي يشعلون أوارها بين الدول الإسلامية ..

ولاحظوا أن جيش مصر وجيش الأردن وجيش سوريا – وليس جيش إسرائيل – هي التي تحمي حدود إسرائيل!! .. وأن الضغط الواقع على سوريا الآن بسبب اتهام جيشها أنه لا يقوم بواجبه كما يجب .. واجبه في حماية الأمريكيين!! ..

دعنا من الجيوش ..

هل مسموح لنا – حقا وفعلا- بإقامة حكم ديموقراطي صحيح؟ ..

هل المسموح لمن يحوزون ثقة الشارع أن يصلوا إلى الحكم؟ ..

ألم يكن أبو لهب هو الذي حذركم من أن الانتخابات غير المزورة ستحمل الإسلاميين إلى الحكم؟ .. ..

هل المسموح لنا به أن نحترم ونطبق مواثيق حقوق الإنسان فعلا؟ ..

هل مسموح لنا بالإفراج عن المعتقلين دون أحكام قضائية (ودعنا الآن من تساؤل آخر عما إذا كان مسموحا لنا بقضاء حقيقي وليس بمجرد قلم يتبع البوليس اسمه النيابة وقلم يتبع النيابة اسمه القضاء) ..

هل مسموح لنا بالتوقف عن تعذيبهم وقتلهم وتلفيق التهم لهم؟! ..

ألا تعرف المخابرات الغربية تفاصيل التعذيب؟ ..

بل من علم كلاب صيدنا فنون التعذيب إلا خنازيرهم ومعاهـدهم وعلـى رأسـها معهد فورت بنينغ ..

من علم الكلاب فنون الكذب والتشويه إلا الخنازير؟ ..

في سـبق صـحافي غـير منكـور تمكـن المرصـد الإعلامـي الإسـلامي مـن لقـاء «الدوسري» المطلوب الأول في الكويت ليكشف أكاذيب مباحث أمن الشيطان ونيابـة أمن الشيطان وقاضي أمن الشـيطان، وليعطـي المثـل والنمـوذج لمـا يحـدث في الـبلاد العربية الأخرى (تذكروا أن أجهزة أمن الشيطان تلك قد اتهمت الإسلاميين في مصـر أنهم يريدون قتل المطربات .. وفي السعودية قتل الحجاج .. وفي الكويت قتل المدنيين) .. وكانت كلها أكاذيب .. وما يحدث في الكويت لم يكن إرهابا وإنما كان جهادا ..

ولنفهم .. أن الإرهاب ليس ممنوعا .. الجهاد هو الممنوع ..

والدليل أن أمريكـا وصـبيانها مـن رؤسـاء وملـوك وأمـراء هـم الـذين يمارسـون الإرهاب ولا تثريب عليهم!!

ولقد كشف الدوسري أن الشـهيد عـامر العنـزي- الـذي قتلـه كـلاب أمـن الدولـة الكويتيون .. رحمه الله – ورفاقه كانوا ينوون الذهاب للعراق ولكن السلطات وبأمر مـن أمريكا قتلتهم .. ووصف الدوسري ما نشره ضباط أمن الدولة وإعلام أمن الدولة بأنهـا مزاعم وادعاءات باطلة، وأنه لا يوجد شيء اسمه خلية أسود الجزيرة في الكويت.

كان الدوسري كما يقول بيان المرصد الإسـلامي قـد اعتقـل في المغـرب مـن قبـل الأجهزة الأمنية لمدة أكثر من شهرين لوجوده أثناء تفجـيرات الربـاط الـتي اسـتهدفت كنيسا يهوديا ومرافق سياحية، وتعرض خلالها لتعذيب جسدي ونفسي وأفرج عنه لعـدم ثبوت شيء ضده. وقد ذكر أنه تعرض للتعذيب في المغرب خلال فترة اعتقاله من تـاريخ ١١/ ٦/ ٢٠٠٢ إلى ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢ تمثلت الوسائل في الضرب والجلد والحـرق بأعقـاب السجائر والحرمان من الطعام والنوم والإضـاءة العاليـة وتكـرار الضـرب علـى الـرأس ووضع صافرة في الزنزانة وشرب سـائل يـؤثر علـى الـدماغ والسـب والشـتم والإهانـة والإجبار على تقبيل أرجل المحققين والابتزاز والمساومة والإجبار على الإدلاء بمعلومـات كاذبة مثل الانتماء لأمن القاعدة واللقاء بمسؤول مخـابرات عراقيـة ومسـؤول في حمـاس. وأكد أنهم طلبوا منه أن يصرح بوجود علاقة بين القاعدة والنظام العراقي مقابل الإفراج عنه. الدوسري يرفض الاحتلال الأمريكي ككل عربي ومسلم غيور ويـدعو إلى خـروج

الاحتلال من العراق لذا اتهموه بأنه يمول ويجهز كل شاب يريد الذهاب إلى العراق للمشاركة في القتال ضد قوات الاحتلال (...) وخالد عبدالله الدوسري عمره ٣٢ سنة وهو يكشف ما حدث لعامر العنزي – رحمه الله – فيقول:

« الشيخ عامر العنزي رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته رجل ورع ودمث الأخلاق وطالب علم متمكن ومحبوب، معرفتي به بدأت منذ أن تم اعتقاله في ٢٠٠٣ من قبل جهاز أمن الدولة حيث قاموا بتعذيبه من دون تهمة سوى أنهم يبحثون عن شخص مطلوب !! وبعد خروجه من المعتقل زرته في بيته وأخبرني أنه تعرض لانتهاكات صارخة في جهاز أمن الدولة، واتفقت معه على ضرورة أن نعمل من أجل وقف هذه التجاوزات عبر توصيل الشكاوى وأصوات المظلومين إلى المسئولين، وكان يعتقد انهم – أي السلطات - لا يعلمون شيئاً عما يحصل في دهاليز معتقل أمن الدولة. وبالفعل بدأنا الاتصال بالمسئولين في الدولة وتحدثنا عبر وسطاء عن هذه التجاوزات الخطيرة التي تحدث في داخل أقبية جهاز أمن الدولة .. وبعد فترة من الزمن ومن المحاولات .. وفي نهاية المطاف اقتنعنا بأن ما يحدث من انتهاكات بحقوق الإنسان في الكويت تحدث بعلم ومباركة الحكومة وأعني هنا صباح الأحمد حيث أنه هو المسئول عن هذه التجاوزات خصوصاً أنه يحتقر شريحة وقطاع كبير من الشعب وهم أبناء القبائل .. كما أنه معروف عنه كرهه لمظاهر الإسلام والتدين وكل ما هو إنسان محافظ، وهذا الشيء يعرفه الشارع الكويتي (...)

ويواصل الشيخ خالد الدوسري حديثه عن عامر العنزي:

« لقد خدعه وخانه عذبي الصباح فقد كان يقول لعامر دع الشباب يسلمون أنفسهم وسوف يذهبون إلى النيابة مباشرة، وهذا ما حدث أيضاً عند مداهمة المكان الذي اعتقل فيه، ولكن المفاجأة أنه قام بتصفية البدون والسعوديين لاعتقاده أنهم لقطاء وليس لهم أحد يثأر لهم !. أضيف هنا أنه قبل حوالي خمسة أيام من مداهمة مكان عامر اتصل بي عامر وقال لي أنه رأى رؤيا وجد أن كلاباً تنبح وتذهب وتعود .. (...) وقاموا باقتحامه والشباب لم يقاوموا لأن عذبي الصباح عبر مكبرات الصوت أعطاهم أمان كاذب .. وعامر وثق به لذا لم يقاوم ومن معه لأنهم وثقوا وصدقوا عذبي الصباح وأعلن عامر استسلامه والشباب فما كان من عذبي والقوة المرافقة وبمجرد أن خرج الشباب وألقوا سلاحهم انهالت عليهم اللكمات والركلات من كل حدب وصوب .. (...) عامر – رحمه الله – ورفاقه كانوا ينوون الذهاب

للعراق ولكن السلطات وبأمر من أمريكا قتلتهم. (...) هم لا يريدون أي شخص يغرد خارج سربهم، فالنظام اتخذ قراراً مصيرياً يتعلق بحياة شعوب المنطقة ولم يعر هذه الشعوب أي احترام لإرادتها، فهو قد فتح الطريق لجيوش الاحتلال لتحتل المنطقة، ومن يعارض هذا النظام يكون مصيره السجن أو القتل .. وأقول لهم إن الأيام دول، وستكنسون مع فلول الجيوش المنهزمة إلى مزبلة التاريخ. (...) .. وكذلك هناك محتل عابر للمحيطات يقبع في أرضنا مدجج بشتى وأحدث أنواع الأسلحة وله حصانة في الدستور الكويتي كحصانة الأمير حيث أن الجندي الأمريكي يفعل ما يشاء في البلد ولا يحق لك الاعتراض، فأصبحت البلد ولاية أمريكية ولم تعد ذات سيادة (...) وجلاوزة التعذيب في جهاز أمن الدولة يستخدمون جميع الوسائل والأساليب الدنيئة لكسر إرادة المعتقل فهم يجبرونهم على تعاطي مواد وشرب سائل يؤثر على الدماغ من أجل سلب إراداتهم كما يحدث للمعتقلين في جوانتنمو وكما حدث لي شخصياً عندما اعتقلت في المغرب حيث أجبرت على شرب سائل يؤثر على الدماغ، فهم يسممونهم ويقتلونهم ويدعون أنهم كانوا يتعاطون مؤثرات عقلية قبل اعتقالهم!! .. أسلوب جديد قديم وهذا الأسلوب مرتبط باللواء عبدالله الفارس - وكيل وزارة الداخلية لشئون أمن الدولة – فهو أول من استخدمه في منتصف التسعينيات مع المعتقلين الإسلاميين .. وقد ذكر لي الأخ / مطر المطيري - رحمة الله عليه وقد كنت زرته بالسجن قبل أن تعدمه السلطات الكويتية - أن عبدالله الفارس كان يرغمه على استنشاق مادة دخانية حتى يهذي ويتكلم من غير شعور حتى يهلوس بالكلام وليحصل على اعترافات نتيجة ذلك .. فها هم يعيدون الكرة .. وحسبنا الله ونعم الوكيل. (...) لا يوجد شيء اسمه خلية أسود الجزيرة .. وهذه التسمية من فبركة جهاز أمن الدولة، وهؤلاء الشباب قرروا الخروج للجهاد في سبيل الله في العراق وعلمت السلطات بنواياهم فأرادوا اعتقالهم والآن تقوم السلطات بتصفيتهم جسدياً لأنه لو تم تقديمهم للقضاء لا توجد أدلة ضدهم. (...) .. العراق بلد مسلم جريح محتل من قبل جيوش عابرة للمحيطات لتسرق خيراته وتقتل شعبه، وموقفي من هذا واضح وهو وجوب إخراج الغزاة وطردهم من العراق وجزيرة العرب.

***

مرة أخرى .. ما هو المسموح به لنا كمسلمين؟؟ ..

لن أتكلم أنا .. ولن أستشهد بواحد من الإسلاميين (أستعمل المصطلح مضطرا ..

وصحته المسلمين وليس الإسلاميين .. لكنني أقصد بالإسلاميين من يطالبون بـالحكم بمـا أنزل الله .. وأخشى أن أقول المسلمين فأضطر إلى ما يبدو أنه تكفير للآخرين) .. أستشهد بكاتب قومي موضوعي متزن: تبدو الكلمات غريبة .. فكيف يكون القومي موضوعيا .. وكيف يكون موضوعيا دون أن يكتشف أن القومية كانت جزءا من المؤامرة الكبرى على المسلمين .. وقد شجعتها بريطانيا بالجامعة العربية.. وأمريكا أيضا.. وكيف يدعي البعض أنهم قوميون مسلمون.. والأمر لا يصح إلا إذا صح أن هناك مسلم كاثوليكي**!!** .

يقول الكاتب محمد عبدالحكيم دياب بصحيفة القدس العربي:١٩-٢-٢٠٠٥ عـن المطلوب أمريكيا من المنطقة:

« فبضاعتهم المراد تسويقها للمنطقة هي الديمقراطية، بمعناها الأمريكـي، وتقـوم علـي عدة ركائز، الأولـي: القبـول بالدولـة الصـهيونية، كدولـة طبيعيـة في المنطقـة، والتخلـي بالكامل عن كل طموح عربي أو إسلامي لتفكيك نظـام التمييـز العنصـري (الأبارتايـد) الصهيوني وتحرير فلسطين، وهذا المخطط يقوم علي ضرورة تحمل المنطقة مسؤولية حماية الدولة الصهيونية وضمان أمنها. والثاني: هو الحفاظ علي مصالح أمريكا، وتمكينهـا مـن مصادر الطاقة، كأحد أدواتها في معركتها المتوقعة مع القوي الدوليـة الكـبرى الصـاعدة، مثل الصين والاتحاد الأوربي، والثالث: تصفية الثقافة العربية والإسلامية، باعتبارها ثقافة مفرّخة للإرهاب، وهـي في حقيقتهـا معاديـة لمخطـط المحـافظين الجـدد، واسـتخدام كـل الوسائل الممكنة في ذلك، مثل التطهير العرقي كما هـو جـار علـي السـاحة الفلسـطينية، وضد جماعات المقاومة المسلحة، وطنية وقومية وإسلامية، والغزو والاحتلال المباشر، كما حدث في أفغانستان والعراق، وكمـا هـو متوقـع للسـودان وإيـران وسـورية والسـعودية ومصر، وبتزكية النعرات العرقية والمذهبية، وتفتيت المنطقة، وفق خريطة عرقية ومذهبيـة، وإفقار اقتصادي، وإضـعاف عسـكري، وتجهيـل تـاريخي وثقـافي، وعـودة فـرق التبشـير ومدارس الإرساليات، وهيمنة التعليم الأجنبي، وتغيير منـاهج التعلـيم الـديني والـوطني والقومي، ونشر الانحلال والإباحية والعري في أجهزة الإعلام العامة والخاصة. » ..

ويواصل محمد عبدالحكيم دياب قوله:

«وجمال مبارك لا يرفض خدمة هذه التوجهات، ووالده لا يمانع من تبنيها، وإذا مـا نظرنا إلى تفاقم مشكلة الحريات وزيادة مستوي الاستبداد الذي أصبح لا يحتمل .. »

***

هذا هو المطلوب إذن على لسان كاتب قومي لا إسلامي ..

ومن المؤكد أن المطلوب أكثر مما قال ..

وبعد أن نحيّي موضوعيته دعونا نواصل التساؤل ما هو المسموح به لنا كمسلمين ..

هل مسموح لنا بالإعلام الحر .. ؟ ..

هل قلت لنا؟! ..

بل هل مسموح لهم؟!.. للأمريكيين أنفسهم.. ؟!.. هل مسموح لهم بالإعلام الحر؟! ..

لقد أرغموا مدير الأخبار في شبكة CNN التلفزيونية للأنباء «إيسن غوردان» على الاستقالة بسبب اعترافه في منتدى دافوس السويسري بقيام الجيش الأميركي بقتل ١٢ صحفيا بالعراق كما كشف النقاب عن قيام القوات الأميركية بإيقاف مراسل لقناة الجزيرة بالعراق ثم احتجازه بسجن أبو غريب وإجباره على أكل حذائه، مشيرا إلى أن هذه القوات قامت بالتهكم على المراسل والسخرية منه أثناء اعتقاله بمناداته بـ«صبي الجزيرة».

وذكرت المصادر الصحيفة الأمريكية أن غوردان قال أثناء مناقشة بعنوان «هل تنجو الديمقراطية من الإعلام؟» إنه ليس على علم بمقتل ١٢ صحفيا على يد القوات الأميركية في العراق فحسب، بل أكد أن استهدافهم كان سياسة متعمدة.

إن تدمير مكاتب الجزيرة في أفغانستان والعراق غنية عن إعادة السرد ..

فهل مسموح لنا بالإعلام الحر حقا؟! ..

يقول الإذاعي العربي الأشهر والأذكى الدكتور فيصل القاسم أن الغرب يفرض على إعلامنا أن يقوم بمهمة تفكيك المجتمعات العربية .. ويصرخ فيصل القاسم في صحيفة الشرق القطرية:

« إنه الإعلام وليس أي إعلام بل الإعلام الترفيهي التجهيلي الهابط المعتمد على إثارة الغرائز ومسح العقول وتغييب الوعي خاصة وأن المهمة أمامه شاقة للغاية وتحديداً في البلدان التي حملت مشعل الإسلام الأصولي. فليس من السهل تحويل اتجاه المتزمتين دينياً باتجاه العولمة إلا بفضائيات رخيصة تنتشر كالفطر البري في السماوات العربية وتغزو عقولهم وقلوبهم بما لذ وطاب من أغان ومسلسلات محلية ومدبلجة وغانيات كاسيات عاريات وراقصات ومطربات ماجنات واحتكارات فنية شيطانية» ..

ثم يواصل فيصل القاسم نزيفه:

«إن ما يحصل في هذه الكباريهات التي يقولـون إنهـا محطّـات فضـائية يسـيء إلينـا للغاية حين يتمّ تفسير هذه الممارسات الساقطة على أنها أحد أشكال التحرّر؛ وهكذا، يسقط المواطن العادي في شرك الخلط بين التحرّر والتحلّل؛ بين الفجور والسفور؛ بين هيفاء وهبي وهدى شعراوي؛ وبين هذا المتمول التليفزيوني والمصلحين والمفكرين. إن أبسط قواعد التحرّر، وفق أبسط المعايير، تعني احترام الإنسان، جسداً وروحاً، رجـلاً وامرأة، طفلاً وكبيراً. » ..

دعنا الآن مـن أنـني لا أعـرف هيفـاء وهـبي .. لكـن أغلـب الظـن أنهـا كاعتمـاد خورشيد ونانسي عجرم (أعرف اسميهما لا رسميهما!!) .. دعنا أيضا من أن فيصـل القاسم لم يدرك رغم ذكائه أن هدى شعراوي هي الوجـه الآخـر لهيفـاء وهـبي .. بـل كانت هي التي مهدت الطريق إليها .. (إحدى داعيات تحرير المـرأة اكتشـفت الحقيقـة فجأة .. حقيقة أن الأمر لم يكن تحرير المـرأة بـل تعهـير المـرأة .. أدركـت المـرأة ذلـك فصرخت: يا إلهي .. هل ظللنا مائة عام – منذ قاسم أمين – نناضل لكي نخلـع ثيابنـا ونتعرى .. بضع دقائق فقط كانت تكفينا!!) .. أقول دعنا من كل ذلك ولنتساءل مـع الإذاعي والإعلامي الأشهر فيصل القاسم: هل مسموح لنـا بـإعلام لا يفكـك الأمـة وينشر بينها الفحشاء والتحلل والشذوذ والعهر؟! ..

هل مسموح لنا بذلك؟

***

دعنا من الإعلام الحر ..

هل مسموح لنا بتعليم حر ؟..

تعليم نعرف فيه عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قدر ما نعـرف عـن نـابليون أو واشنطن؟.

هل مسموح لنا أن نعلم ونتعلم التاريخ الحقيقي غير المزيف؟ ..

هل .. وهل .. وهل .. وهل ..

***

باختصار .. المطلوب والمستهدف هو القضاء على الإسلام كله ..

ولكن هذا لا يكفي .. فلابد إذن من تمزيق الدول وشرذمة الأمة حتى لا تعود أبدا

كما كانت ..

ولقد أغرى الخنازير سقوط القاهرة والرياض وبغداد ودمشق، وليس لدي أي قدرة على الخداع، لذلك أقر وأعترف أن ما سقط حديثا كان ساقطا منذ البداية، وأن هذه العواصم الأربعة بالذات قد سقطت منذ بدايات القرن العشرين، ويمكن للمراقب الحصيف أن يلاحظ أن حركتها طول القرن الماضي كانت تجاه العلمانية والكفر .. وكان ذلك في اتجاه إسرائيل حتى قبل أن تولد إسرائيل.

ثورة الشريف حسين كانت ولاء للطاغوت وبراء من الله وكانت اقترابا من إسرائيل .

تكوين المملكة السعودية كانت كذلك وكانت اقترابا ..

حزب الوفد المصري كان كذلك وكان اقترابا ..

القومية كانت اقترابا والناصرية والبعث كانت سقوطا داويا مهد لكل ما جاء بعده (خلاصة الناصرية وبقاياها السامة تتركز الآن في القذافي ووليد جنبلاط، وخلاصة البعث وبقاياه في بشار الأسد).

[القارئ أحمد عبدالله .. قارئ مثقف دمث يواظب على مهاتفتي طيلة سنوات لخص الأمر بعد قراءات طويلة ومعاناة هائلة بقوله: خلاصة الأمر أن عبدالناصر باع الدين، والسادات باع الدولة، ومبارك باع الشعب، وقد باع كل واحد منهم ما باع، لمجرد استمرار حكمه] ..

نعم .. سقطت الرؤوس ..

بعد سقوط الرؤوس أصبح الأمر أمام أمريكا سهلا ..

تماما كما حدث عند تدمير الطيران المصري عام ٦٧ ..

أصبح الأمر بعدها تحصيل حاصل ..

وأصبحت القوات فريسة لكل ما يريدون أن يفعلوه بها ..

وهكذا تظن أمريكا الآن أن الأمور قد دانت لها وأنه لم يبق إلا التمشيط!! ..

ما تعمى عنه أبصار وبصائر الأمريكيين أن الإسلام أصلب من أن يكسر .. وأن المسلمين أكثر من أن يبادوا .. وأنه لو بقي على ظهر الأرض مسلم واحد فسيظل واثقا أن الله سيجدد شباب الإسلام على يديه وأنه في النهاية سيقضي على أمريكا.

ما تعمى عنه أبصار وبصائر الأمريكيين أن الحضارة الأمريكية بثقافة: منجم الذهب وقطع رأس الهندي و«السوبرمان». بينما تشبعت حضارة الإسلام بقول النبي الكريم : «**الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار**» وقوله : «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» و«**من تواضع لله رفعه الله**».

ما تعمى عنه أبصار وبصائر الأمريكيين أن أخطر ما يواجه الولايات المتحدة هو إفلاسها الأخلاقي على المستوى الدولي في ظل سياستها الخارجية غير الحكيمة وبسببها. وهو البعد الأساسي الذي قد يساعد على سقوط الإمبراطورية الأمريكية.

***

في وضع كهذا لن يردع أمريكا عن محاولة القضاء على الإسلام رادع .. إلا الجهاد ..

الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام .. الجهاد الذي يقتل فيه كل معتدٍ أينما ثقفناه ..

قال لي صديق:

- ليتك تركز على الجهاد السلمي الآن وتنبذ العنف ..

ورددت عليه في مرارة:

- أأنبذ ذروة سنام الإسلام ..

ثم رددت ساخرا:

- ومع ذلك لا أخفيك أنني كنت أفضل عدم الجهاد كله .. لا سلما ولا حربا .. كنت أتمني أن يظل اليهود في بلادهم فلا يتجمعوا من أصقاع الأرض ليسرقوا بلادي .. وكنت أتمنى أن تظل أمريكا في بلادها فلا تحتل بلادي .. ساعتها لم أكن لأجاهدهم جهادا سلميا أو عسكريا .. لكنهم جاءوا .. فما حيلتي ..

ثم واصلت:

- ثم ماذا لو لم ينجح الجهاد السلمي .. وهو بالقطع لن ينجح .. هل نستسلم؟؟ ..

ثم قلت إزاء ذهول الصديق:

- طريق بن لادن هو الطريق .. وحله هو الحل .. ليس اختيارا بل إجبارا ..

ورحت أتلو على الصديق قوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة].

***

نعم ..

طريق ابن لادن هو الطريق .. وحله هو الحل .. ليس اختيارا بل إجبارا ..

.. ولقد قالها واحد لا أكاد أعرف عنه شيئا هو عبدالستار قاسم .. مرشّح انتخابات الرئاسة الفلسطينية .. الذي اعترف أخيراً – كما اعترف محمد عبدالحكيم دياب!!- وانسحب من الترشيح قائلاً:

ابن لادن هو الحل !!!

وواصل قوله:

لسان أعمال أمريكا يقول للعرب: ابن لادن أو منهجه هو الحل. من تجربتي في الانتخابات الرئاسية الفلسطينية، ترسخت لدي قناعة سابقة بأن الولايات المتحدة لن تترك أحدا في العالم وشأنه، وهي تصر على التدخل في مختلف الأمور بهدف خدمة مصالحها ورؤيتها لما يجب أن تكون عليه أوضاع العالم. إنها تتدخل في الانتخابات الفلسطينية مباشرة وبصورة غير مباشرة بهدف الوصول بالسيد محمود عباس إلى رئاسة السلطة الفلسطينية. لقد تدخلت بداية بتقديم معونة سريعة بمقدار ٢٠ مليون دولار للسلطة الفلسطينية عقب تسلم عباس رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية، ووعدت بتقديم المزيد من المساعدات المالية إذا قرر الشعب الفلسطيني أن ينتخب شريكا لإسرائيل في المفاوضات (...) .. أمريكا تريد ديمقراطية مفصلة حسب مقاييسها هي بغض النظر عن مصالح الشعوب. إنها تعتبر نفسها صاحبة الحقيقة المطلقة، ولا حقيقة سوى الحقيقة التي ترى هي أنها الحقيقة (...) بمنهجها الاستبدادي العدواني هذا، أمريكا تزرع بذور كراهيتها وتنمي الأحقاد ضدها (...) لقد داست على كبرياء الأمة ونهبت ثرواتها وأمعنت في إذلالها حتى ظهر ابن لادن لينتقم، وليكسب قلوب مئات الملايين من العرب والمسلمين الذين يريدون رؤية البيت الأبيض ملفلفا بالسواد، وبأمريكا أياما عصيبة يرتعش الحزن من آلامها. لقد أيقنت أن ابن لادن لم يتصرف إلا بعد أن أدمت أمريكا قلبه وقلوب مؤيديه بأعمالها الإجرامية الدموية البغيضة. وأمريكا ما زالت تصر على

نهجها الذي لا يدع مجالا أمام العرب إلا الالتفاف حول ابن لادن أو السير على نهجه. إنها تدفع الناس دفعا نحو السير خلف ابن لادن وانتهاج نهجه في الدفاع عن الأمة والانتقام. إنها لا تترك حلا أمام الناس إلا ابن لادن.

***

نهج ابن لادن لا يستقطب فقط المسلمين الذين يدافعون عن الدين وإنما يستقطب كل الذين يشعرون بالظلم والسطوة الأمريكية الصهيونية على العرب والمسلمين.

***

نعم .. لم تترك أمريكا لنا خيارا ..

إنها تتصرف كقرصان دموي مجرم .. وكانت آخر آيات إجرامها – كما تقول قناة الجزيرة ومفكرة الإسلام – أن بدأت حملة من خلال تلفزيون وإذاعة باكستان، للإعلان عن مكافآت بملايين الدولارات لمن يدلي بمعلومات تقود إلى القبض على أسامة بن لادن وزعماء آخرين في تنظيم القاعدة. وتظهر في الإعلان التلفزيوني ـ ومدته ٣٠ ثانية ويذاع باللغات الأوردية والباشتو والبلوش والسندية ـ صور لابن لادن وساعده الأيمن أيمن الظواهري اللذين رصد مبلغ ٢٥ مليون دولار مكافأة للقبض على أي منهما أو قتله، وكذلك ١٢ آخرين منهم الملا محمد عمر زعيم حركة طالبان الأفغانية.

قلت لنفسي .. أنني أعرض أنا الآخر مكافأة مني .. دراهم معدودة لمن يقتل قرصانا دمويا مجرما آكلا للحوم البشر ..

أما اسمه فهو جورج بوش ..

جورج بوش .. الذي يدفع الأمة كلها إلى إدراك أن ابن لادن هو الحل .. ولا طريق غير طريقه ..

خريطة شارون – بوش لبلقنة وتقسيم العالم الإسلامي (١)

■ إسرائيل تسيطر على كل مساحة الدولة العثمانية

■ محو الأردن من الخرائط وملكها يستعيد ملك جده في الحجاز وتهجير الفلسطينيين إليها وإلى العراق.

■ ضرب العراق وحصاره جزء من الخطة ..

■ ضرب سوريا وإنشاء حكم عميل وضم لبنان والأردن إليها لتكوين سوريا العظمى حليفة إسرائيل الكبرى ..

■ آل سعود يعودون لحكم نجد فقط والمنطقة الشرقية تنضم إلى جزء من العراق المقسم لتكون دولة شيعية.

■ تقسيم مصر والسودان وتركيا إلى إمارات متناحرة ..

■ الخطة ليست مخفية في أضابير المخابرات بل منشورة في الكتب!! ..

■ إن كان حكامنا يعلمون فتلك مصيبة وإن كانوا لا يعلمون فالمصيبة أعظم ..

■ ولا عذر لهم أمام الله ..

صدقت ..

صدقت يا سيدي .. يا حبيبي .. يا مولاي .. صلى الله عليك وسلم:

.. « وإن هذه الأمة جعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور ينكرونها، وتجيء فتن يُرَقِّقُ بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن باللّه واليوم الآخر .. »

صدقت ..

***

عندما سمعته قلت: هذه مهلكتي ..

كان النداء هو النداء الأخير للشيخ جمال أبو الهيجا إذ راح يقول:

« ربما تكون هذه المرة الأخيرة التي تتحدثون بها معي ... لا عذر لكم أمام الله ... لا يوجد عندنا طلقة واحدة والشاحنات تنقل الشهداء إلى مقابر جماعية » ... هل سمع وزراء الدفاع العرب بذلك؟!!

لا عذر لكم أمام الله ..

لا عذر لكم يا ولاة أمورنا .. يا رؤساءنا وملوكنا وأمراءنا وقواد جيوشنا وشرطتنا ونواب عمومنا ومجالس شعوبنا وقضاتنا ورؤساء تحرير صحفنا ورؤساء إعلامنا وكبار كتابنا ..

بل لا عذر لك يا أمة ..

***

وعندما صرخت المرأة في جنين أنهم جرفوا جثث الشهداء بالجرافات وألقوا بها في المجاري .. بكيت ..

وقلت لنفسي كان الأولى أن تجرف الجرافات جل رؤساءنا وملوكنا وأمراءنا وقواد جيوشنا وشرطتنا ونواب عمومنا ومجالس شعوبنا وقضاتنا ورؤساء تحرير صحفنا ورؤساء إعلامنا وكبار كتابنا لتلقى بهم حيث ألقت ..

جرافات تقودينها أنت يا أمة لا جرافات يقودها الأعداء.

***

قلت لنفسي: حسبت أنك خبيرة بالألم لطول مكابدتك له ..

لكن ..

لكأنك لم تعرفي الألم إلا الآن ..

لم تعرفي الألم إلا الآن ..

لم تعرفي الألم إلا الآن ..

***

قلت لنفسي: ظننت أنك غضبت كثيرا في الله ومن أجل عباد الله ..

لكأنك يا نفس لم تعرفي الغضب حق المعرفة إلا الآن ..

لم تعرفيه إلا الآن ..

ولا الذل ولا القهر ولا العار ولا العجز ..

كنت كثيرا – مع عجزي وعجز الأمة عن التغيير- أدعو الله أن يدرك الموت ولاة أمورنا ..

الآن أتراجع ..

أريد أن أراهم في الأقفاص يحاكمون ..

أريد أن أسألهم كيف قادونا إلى كل هذا الخزي والضعف والهوان .. وكيف سببوا لنا كل هذا العار ..

***

أشعر بالاشمئزاز والقرف من أولئك الذين يختزلون المجزرة في مشاعر النخوة والشهامة والنجدة والرحمة والشفقة أو نصرة الشقيق حتى حماية المجال الحيوي للوطن ..

فالقضية في فلسطين ليست قضية إخوتنا الفلسطينيين .. بل هي قضية الإسلام ذاته .. قضية كل مسلم على ظهر هذه الأرض ..

والأمر ليس أمر مجال حيوي لأمن الوطن .. فالإسلام هو الوطن .. وكل أرض إسلامية هي مسئولية المسلمين أنى كانوا .. لا تتميز بقعة عن بقعة .. لكن فلسطين تتميز على باقي بلادنا بالمسجد الأقصى .. لذلك وجب أن تكون أغلى وأقدس وأعز .. وأن يسبق دفاعنا عنها الدفاع عن القاهرة والرياض وطرابلس وطهران ..

الأمر أمرنا نحن .. لكننا بمنتهى الخسة والعجز تركنا الأضعف يدافع عن الأقوى .. والذي يموت جوعا يدافع عن الذي يموت تخمة .. والذي لا يجد رصاصة يطلقها يدافع عمن يكدسون في مخازنهم سلاحا بآلاف المليارات ..

منتهى الخسة ..

***

ولو أن ما حدث قد حدث فجأة لالتمسنا المعاذير أنه فاجأ ولاة أمورنا وقواد جيوشنا فلم يعدوا له العدة ..

لكنه موجود.. ليس في أضابير المخابرات بل في الكتب المطبوعة والصحف السيارة ..

ولقد نشرت الشعب في عدد سابق تقريرا عما سيحدث في جنين ونابلس ورام الله من مذابح ..

لم تعرفه « الشعب » رجما بالغيب .. بل هو بذاته كان منشورا في صحيفة إسرائيلية منذ أكثر من شهر ..

نعم .. كان منشورا – يا أجهزة أمننا القومي – في الثامن من مارس الماضي في مقابلة أجراها جيورا أيلون من صحيفة «إمتساع حضيرة» مع البروفيسور مارتين فان-كرفيلد أحد كبار المتخصصين في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية حيث قال الأخير بالحرف الواحد:

– ثمة ضرورة لإعادة ميزان الردع، بيننا وبينهم (يقصد الفلسطينيين والإسرائيليين)، وهنا فأنا اقصد توجيه ضربة قاسية نوجهها قبل أن نخرج ... لا يمكننا أن نوجه لهم الضربة القاسية ونحن في الخارج، بل نحتاج إلى الفرصة المناسبة، بكلمات أخرى نحتاج إلى حدث موضعي إرهابي ضدنا، إذ كلما استمرت الانتفاضة فنحن بحاجة إلى أن يكون هذا الحدث كبيراً. لقد كان بالإمكان قبل سنة ونصف أن ندخل بهم بقوة، وذلك في أعقاب غسلهم أياديهم بدماء أبنائنا في مجزرة رام الله (المقصود الجنود الذين قتلوا وشُوهت جثثهم في شرطة رام الله). ولكننا اليوم نحتاج إلى حدث أكبر بعشرات المرات حتى نشكل مصداقية لرد فعلنا، وقد يكون الحدث أكبر مائة مرة مما نتصور لأننا تعودنا مشاهدة الموت».

س:ماذا مثلاً؟

ج:مثلاً صاروخ ستريلا يطلق على طائرة جامبو لشركة آل-عال وعليها ٤٠٠ مسافر يقتلون أو ناقلة كبيرة تحمل متفجرات تنفجر في المجمع التجاري الإسرائيلي وتنهار على عشرة آلاف شخص يكونون في داخله ... المقصود إننا نحتاج إلى فرصة.

(لنلاحظ أنه فكر بنفس الطريقة الإجرامية التي تصرف بها شيطان العصر بوش .. عندما دبرت إدارته أحداث ١١ سبتمبر وألصقتها بالمسلمين كي توجه إليهم ضربة هائلة)

س:وعندها ماذا سيحدث؟ هل سنلقي قنبلة إسرائيلية كقنبلة دريسدن أو أن تقصف طائراتنا سكان نابلس؟

ج:لا ... إن هذه الأمور يجب أن ننفذها علانية. فأنا من أنصار مكيافيلي فقد درَّست كتابه «الأمير»، وثمة فصل فيه: «كيف نستعمل البطش». هذه الأمور يجب أن ننفذها بسرعة مطلقة وبقوة ودون أن نتأسف ... فأنا في مثل هذه الحالة سأستعمل المدفعية وليس الطيران لأنني أريد أن أنظر إليهم في عيونهم إذ لا فائدة من هذه الحملة

إن لم تبرهن بأعمالك أنك يمكن أن تعمل كل شيء.

ويسأله الصحافي:

– أي أن نقذف نابلس بالقاذفات على مدار ٢٤ ساعة؟

ج:علينا أن نضربهم بقسوة بكل ما بوسعنا حتى لا نعود إلى ذلك وحتى لا يهاجموننا من الخلف عند خروجنا، علينا أن نضرب بكل قوة وقسوة بحيث لا نحتاج إلى ضربة ثانية، إذ يمكن نقتل منهم ٥٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ وإن لم يكن هذا كافياً عندها علينا أن نقتل أكثر.

س:عندها فإن مصر وسوريا ولربما الأردن يشنون علينا حرباً؟

ج:علينا أن ننفذ المهمة (ضد الفلسطينيين) بسرعة مذهلة وبقوة ... بسرعة مثل البرق، حتى إذا ما استوعب العرب ما حدث تكون المهمة قد انتهت، وعندها نعلن عن عزمنا الانسحاب الأمر الذي سيجعل عندهم (أي عند العرب) الحجة لعدم خوض الحرب ... بشكل أو بآخر ما سنفعله بالفلسطينيين هو ما قام به الملك حسين عام ١٩٧٠ في أيلول الأسود، وهو بالتالي فرض سلطته وقعدها، أو ما فعله الأسد عام ١٩٨٢ عندما قتل ٣٠ ألفا من أبناء شعبه ... يحدثونني أنهم عندما يذهبون إلى حماة ويمرون من جانب المسجد الكبير لا ينظرون إليه لأنه مُدّمر، وشاهد على الدمار الذي حلّ بهم، إن هذا الأمر له اثر كبير.

س:هل هذا سيحولنا إلى صادقين؟

ج:صادق، لقد قلت لك أن الصدق ليس له دور هنا ... يدور الحديث حول جريمة ضخمة ... ولكن الذي لا يريد أن يمارس الجريمة لإنقاذ دولته فعليه ألا يمارس السياسة ... إن ما تقوم به الآن هو سلسلة غير نهائية من الجرائم المستمرة التي ستقتلنا– وهي تقتل ...

من الأفضل جريمة واحدة وثقيلة نخرج بعدها ونغلق الأبواب من خلفنا ..

س:إن الذي سيرتكب جريمة بشعة سيصل إلى المحكمة الدولية في لاهاي؟

ج:لماذا؟

لقد مات الحسين ميتة هانئة على فراشه، وكذلك الأسد. فأنا لا أوافقك، الناس يمكنهم أن يسامحوا على جريمة كبيرة واحدة شريطة أن تنتهي (ولا تتكرر) إنهم

يسامحون إن كانت الجريمة سريعة ومختصرة إذا كانت ناجحة .. ولكن إن فشلت فعندها سيكون الدمار.

س:لقد قلت أنه إذا حدث قتل سياسي مرة أخرى في البلاد فإنك سترحل، على اعتبار أن هذا الأمر بالنسبة لك خطٌ أحمر ... ماذا ألا تجتاز دولتك الخط الأحمر عندما ترتكب جريمة بشعة في مثل هذه الحالة؟

ج:لا، فالجرائم البشعة والضخمة هي جزء من التاريخ، وعلى هذه الجرائم يسامحون فأنا على استعداد للعيش في بلد ارتكب جريمة لينهي كل الجرائم ... وإلا فماذا كانت حرب الاستقلال إن لم تكن لإنهاء كل الجرائم؟ ... فأنا لا أستطيع أن أعيش في دولة ترتكب دائماً جرائم.

س: وأنا على استعداد لئن أتبع لشعب سُجن وأبيد في مخيمات الإبادة النازية وليس لأولئك الذين وقفوا على الأبواب والأبراج وشَغّلوا غرف الغاز؟ ..

ج:أنا أوافقك، وأنا شخصياً بطبعي إنسان سلمي وغير عنجهي، واعتقد أن من الأفضل أن أُقتل على أن أقتُل، ولكن هذا ليس الحل لصناع القرار، انه لي ولك، مع أنه ليس بالحل الذي يمكن أن أفرضه على أبنائي وعائلتي كأب ...

إن رئيس الحكومة ووزير الدفاع وقائد هيئة الأركان الذين يفكرون بهذه الطريقة (أن أقتُل ولا أُقتل) إنما هم مجرمون.

س:ألا يوجد عندك بديلاً سلمياً؟

ج:لماذا؟بعد جيل أو جيلين فان كل الأيتام سيقيمون عائلات، وكل الأرامل إما أن تتزوج أو تست سلم لقدرها، هناك سلام في أوروبا جاء بعد مخيمات الإبادة والحرب على بريطانيا.

س:هل قدمت خطتك لصناع القرار؟

ج:لقد قدمتها لمن يجب أن تُقدم إليه.

س:هل حصلت على جواب!

ج:مرتين، مرة بشكل عام: الذي يجب أن يقرأها قرأها، والثانية جاءت بشكل ملتو وقالوا لي أن فان كرفيلد له أفكار مختلفة.

ممكن أن يكون ذلك؟

كانت الخطة كاملة .. وواضحة .. ومكشوفة .. ومنشورة .. وكانت ردود فعل أولياء أمورنا معروفة ..

***

أكظم غيظي .. أكبت غضبى .. أبلع قهري .. أتغاضى عن خزيي وعاري .. فعلى الرغم من بشاعة ما حدث بالأمس وما يحدث الآن فإن ما يتوقع أن يحدث غدا أشد بشاعة بكثير ..

المتوقع أن يحدث غدا هو محاولة تنفيذ الخريطة التي يحلم بها الغرب منذ قرنين من الزمان .. وهى المحاولة التي تقدمت أحيانا وتراجعت أحيانا لكنها الآن قيد التنفيذ الفعلي من المجرم بوش والسفاح شارون ..

خريطة شارون- بوش تهدف إلى بلقنة أو أفغنة وتقسيم العالم الإسلامي .. والهدف هو أن تسيطر إسرائيل على كل المساحة التي كانت تشكل حدود الدولة العثمانية .. لقد ظلت هذه المنطقة الشاسعة موحدة لمدة خمسة عشر قرنا من الزمان .. وإسرائيل تريد الآن أن تقودها .. وفي سبيل ذلك فسوف يتم محو الأردن من الخرائط وتهجير الفلسطينيين إليها وإلى العراق أما ملكها فسوف يعيدون إليه ملك جده في الحجاز.

لقد كان ضرب العراق عام ٩١ وحصاره حتى الآن والعزم على ضربه غدا جزءا من الخطة .. ساهم فيها من ساهم بغفلة وحماقة أو بخسة وخيانة .. والخطة تقضى ضرب سوريا وإنشاء حكم عميل وضم لبنان والأردن إليها لتكوين سوريا العظمى حليفة إسرائيل الكبرى ..

أما آل سعود فسوف يعودون طبقا لخريطة « بوش – شارون » لحكم نجد فقط .. أما المنطقة الشرقية التي كان يحكمها في بداية القرن: « آل رشيد» فسوف تنضم إلى جزء من العراق المقسم لتكون دولة شيعية .. لتزيد من فسيفساء العالم العربي وعجزه ..

تقضى الخطة أيضا بأن يتم تقسيم مصر والسودان وتركيا إلى إمارات متناحرة ..

الخطة ليست مخفية في أضابير المخابرات بل منشورة في الكتب!! ..

يعرفها رجل الشارع العادي ..

فإن كان حكامنا يعلمون فتلك مصيبة وإن كانوا لا يعلمون فالمصيبة أعظم ..

***

الخطة قديمة ومنشورة .. ولقد قرأتها في عام ١٩٨٢ حين نشرتها رابطة خريجي الجامعات الأمريكية العرب وأعادت نشرها مجلة الثقافة العمالية في عددها السابع للسنة الثانية .. لقد كشف هذه الخطة إسرائيل شاحاك ووصفها بأنها «تظهر بوضوح وبشكل تفصيلي مشروع النظام الصهيوني المتعلق بالشرق الأوسط والقاضي بتقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة، وذلك بعد تفكيك كل الدول العربية بصيغتها الحالية». ويتابع شاحاك فيقول: «هذه النظرية تحكم الاستراتيجية الصهيونية بشكل دائم). وتقضي هذه الاستراتيجية باعتبار إسرائيل قاعدة للأقليات ولتحرير الأعراق القديمة في المنطقة منذ استعمار العروبة والإسلام !.

وفي نفس العام صرح شارون أن الخطة الصهيونية للشرق الأوسط هي أن الواقع العربي تتنازعه الانقسامات الطائفية في الدرجة الأولى، كما تسيطر على معظم سكانه مجموعات مستبدة تتمتع بامتيازات خيالية. وانطلاقا من هذا الواقع فان على الكيان الصهيوني أن يعمل بكل طاقاته العسكرية والسياسية على إنهاء الدول العربية وتجزئتها إلى دويلات طائفية لا حول لها ولا قوة، تدور في فلك الإمبراطورية الإسرائيلية .. ويضرب شارون أمثلة بلبنان وسوريا والعراق.

***

هذا إنذار وتحذير وبيان إلى العالم الإسلامي كله .. محكومين ولمن شاء أن يتوب من الحكام ..

نحن في مأزق بالغ الخطورة، الأمر ليس أمر الفلسطينيين فقط .. بل أمر العروبة والإسلام والأمة جميعا.

كل بلد وكل مدينة وكل قرية وكل أسرة ..

نحن أمام هجمة أشد عنفا وعنصرية ووحشية من هجمة التتار وإن لم نتكاتف ضعنا جميعا .. هجمة تقوم إسرائيل فيها بدور القاتل المأجور الذي اتفقت مصالحه مع مصلحة المجرم الأصلي: الغرب كله ..

ليس لدى تقارير سرية .. ولا أقول ما أقول رجما بالغيب .. لكنني فقط أعود إلى ملفات قديمة .. تعود إلى عقود مضت ..

أعود مثلا إلى ثيودور هيرتزل في مذكراته عام ١٨٩٥، حيث قال أن «الطريقة الوحيدة»، لبناء دولة يهودية نقية عرقيا، هي التهجير القسري لكل العرب إلى شرق

الأردن. وأن هذه الفكرة التي اقترحها ارييل شارون على ضباطه عندما كان عقيدا عام ١٩٦٤.

وأعود إلى كتاب « كشف الغمة عن علماء الأمة» للشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي والصادر عام ١٩٩١م.

يورد الكتاب عن مجلة (EIR FEETURE) مقالات في غاية الخطورة ننقل بعض ما جاء فيها:

ففي مقال بعنوان «القوى العظمى تعد لحرب شرق أوسطية. حل نهائي للمشكلة العربية».

قالت فيه أن السياسة الغربية: «تستهدف منذ مدة طويلة قيام دولتي إسرائيل الكبرى وسوريا الكبرى .. عندما تتحقق هذه الأهداف فإن سوريا وإسرائيل ستعملان على جعل الأردن وطناً للفلسطينيين الذين سيطردون من الضفة الغربية والقطاع وستعمل سوريا على ضم لبنان إليها وستصبح الأردن مجرد دُمية يتم إدارتها من قبل المحور السوري الإسرائيلي، وستكون الأردن نقطة الانطلاق لمغامراتهم العسكرية المستقبلية. (يعني ضد العراق والسعودية).

نعم .. منذ عشرة أعوام والخطة واضحة ومكتوبة ومفضوحة فماذا فعل العالم العربي كي يقاومها؟!

وفي مقال آخر تقول المجلة نفسها:

إسرائيل تجهز لقيام حرب أخرى في منطقة الشرق الأوسط لإيجاد حل نهائي للمشكلة العربية ... وهذا يعني فيما يبدو الحرب ضد العراق ودول أخرى وتدمير الأردن.

وتسخر من مزاعم بوش أنه يسعى للسلام في المنطقة قائلة:

هذا هراء فالولايات المتحدة ملتزمة بقيام حرب في الشرق الأوسط وربما كان الشيء الوحيد الذي لم يتحدد هو تاريخ اندلاعها، أما الإسرائيليون فهم مستعدون للحرب ولِما يُسمى بالحل النهائي.

نواصل تقليب الملفات القديمة:

ففي الفاينانشيال تايمز نُشر ما يشبه ذلك وترجمته مجلة التضامن في عددها بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٤١٠هـ:

تعهد الجناح اليميني الإسرائيلي بتحويل الأردن إلى فلسطين وبطرد الشعب العربي من الضفة الغربية إلى الشرق عبر نهر الأردن. وأكدت الصحيفة إن ما تريده إسرائيل ليس تفكيك الصواريخ العربية بل تفكيك الدول العربية إلى دويلات.

نقلب الملفات أيضا لنقرأ لمحمد حسنين هيكل:

« إن طرد العرب من المناطق المحتلة سيشكل أحد المطالب التي سيتقدم بها الكيان الصهيوني لقاء استعداده للتوصل إلى سلام مع الدول العربية، فضلاً عن المطالبة بثروات عربية مثل مياه النيل ونفط السعودية وغاز الجزائر وأن أقصى ما سيتنازل عنه مسئولو هذا الكيان سيتمثل بموافقتهم على فكرة الحكم الذاتي عقب إجراء تعديلات هائلة على الحدود ».

***

ونعود إلى ملفات أخرى للدكتور عبدالوهاب المسيري حين يتحدث في الموسوعة عن استراتيجية «إسرائيل» المستقبلية فيوجزها في ستة مداخل أساسية:

١- تجزئة الدول العربية وبلقنة الوطن العربي.

٢- تمكين الدولة اليهودية النقية من التكامل.

٣- تحويل «إسرائيل» إلى قلعة صناعية ودولة خدمات سياحية.

٤- ربط الاقتصاد العربي بالاقتصاد «الإسرائيلي» من منطلق السيطرة ومبدأ التبعية.

٥- تجزئة دول المنطقة غير العربية.

٦- تحويل القدس إلى عاصمة عالمية: مصرفية وصناعية.

ويستطرد المسيري:

وأول أهداف السياسة «الإسرائيلية» في الأعوام القادمة هو بلقنة المنطقة العربية. فالقناعة «الإسرائيلية» هي أنها لن يحميها في الأيام القادمة إلا تجزئة الدول العربية (...) ومن ثم ولضمان أمنها ليس أمامها سوى تفجير العالم العربي وتحويله إلى العديد من الكيانات ذات الطابع الطائفي أو الديني (...) لتلهي القيادات لمدة خمسين عاماً في خلافات محلية حول الحدود والأطماع المتعلقة بالممرات المائية والثروات البترولية وما عداها. وفي خلال ذلك تستطيع أن تؤمن لنفسها التطور الذي سوف يسمح لها بأن تحقق أهدافها البعيدة المدى والمتعلقة بالسيطرة الكاملة والتحكم في

المنطقة الممتدة من المحيط الهندي حتى المحيط الأطلسي.

ولا يستثني هذا التصور مصر، رغم أنها الدولة الوحيدة في المنطقة التي ظلت ستة آلاف عام تمثل تماسكاً قومياً ثابتاً. «فإسرائيل» تعلم أن المخاطر التي يتعرض لها الكيان الصهيوني إن ظلت مصر في تماسكها أولاً، وفي تضخمها الديموجرافيا ثانياً، وفي تقدمها التكنولوجي ثالثا هي مخاطر قاتلة. فمصر وحدها تستطيع، إذا قدرت لها القيادة الصالحة على تعبئة القدرات والاستخدام الأمثل للإمكانيات، أن تقضي على «إسرائيل». وهي لذلك أكثر إلحاحاً في تطبيق مفهومها للتجزئة على مصر.

***

منذ عام ١٩٨٢ وأنا أكتب في هذا الأمر وأحذر وأحذر وأحذر ..

وكنت أحذر من كارثة حرب الخليج الأولى .. ومن قارعة حرب الخليج الثانية .. وكنت أرى الكوارث قادمة فتستبد بي الدهشة فأسائل نفسى: هل الحكام خونة؟ .. هل هم أغبياء هذا الغباء التاريخي الذي يجعلهم يسملون أعينهم بأيديهم؟! ..

والآن يحدث كل ما حذرنا منه .. ليواجهنا ولاة أمورنا بعجزهم المهين .. وكأنما تستند شرعية حكمهم على العجز .. وكأنما لم يكونوا هم أهم الأسباب فيما وصلنا إليه ..

***

كنت أسأل نفسي: هل اتفق ولاة أمورنا مع أعدائنا على تمهيد الأمة وتجهيزها للتقسيم والذبح .. وأنهم من أجل هذا راحوا يهدرون كل طاقات الأمة كل هذا الوقت ..

هل كان ذلك لمجرد الحفاظ على عرش أو كرسي حكم؟ ..

لماذا لم يتعظوا بما حدث للشريف حسين ..

أوجه حديثي لكل أنظمة الحكم في العالم الإسلامي .. وخاصة للقاهرة والرياض ..

سوف أتجنب الخوض فيما يثير الاختلاف الآن .. والحكاية باختزال قد يكون مخلا أن بريطانيا خدعت الشريف حسين كي يتحالف معها ضد أمته الإسلامية .. وأسرفت في بذل الوعود له وصدق المسكين – ولا أستعمل تعبيرا آخر– لينتهي به الأمر منفيا وبأبنائه قتلى وبأمته ممزقة .. كان منطقيا جدا أن تفعل به بريطانيا ذلك فما حاجتها لحاكم لا ينفك يذكرها بوعودها له .. ويعاتبها لخيانتها لتلك العهود ..

فهل ابتلع النظام في القاهرة والرياض نفس الطعم ..

تعج وسائل الإعلام الغربي الآن بضرورة – وقرب – تغيير النظم الحاكمة في كثير من بلاد العالم الإسلامي .. وعلى رأسها القاهرة والرياض ..

ونحن لسنا أبدا ضد تغيير نظم الحكم بل نود أن تجرف الجرافات جل .. .. وقواد جيوشنا وشرطتنا ونواب عمومنا ومجالس شعوبنا وقضاتنا ورؤساء تحرير صحفنا ورؤساء إعلامنا وكبار كتابنا لتلقى بهم حيث ألقت ..

لكن الكارثة الماثلة – أنه إن لم تستيقظ الأمة لتقود التغيير بنفسها – فإن النظم التي ستستبدل سيتم استبدالها باللوبي الصهيوني في كل بلد ..

لوبي لا يطالب بوعود ولا يعاتب على خيانة .. (لوبي أي جماعة ضغط سياسي)

الأمة في أزمة وفي خطر ..

تغيير الأنظمة هو السبيل الوحيد ..

لكنه محاط أيضا بمخاطر محدقة ..

***

لم أعد الآن آمل في حل كان يمكن أن يوفر على الأمة كثيرا من العناء والدماء .. أن يدرك الحكام وقد تهددت عروشهم أن الخطر يصل أخيرا إليهم .. وأن يدفعهم هذا الإحساس بالخطر إلى العودة إلى شعوبهم واستمداد الشرعية منها بدلا من استمدادها من أعداء أمتهم ..

***

يا أمة لم يعد فيها ولى أمر رشيد ..

أنت في خطر ..

أنت في خطر ..

أنت في خطر

خريطة شارون بوش (٢)

كل من ساعد ويساعد على ضرب العراق وحصاره شريك في المؤامرة ..

وهو إما مغفل يستحق العزل أو خائن يستحق المحاكمة

بقاء إسرائيل هو الضمان الوحيد لاستمرار الحكام العرب

كل من استبعد خيار الحرب خائن لأمته

نعم ..

لماذا نطيل الكلام ..

القضية واضحة:

وأنّ هذه أمتكُم أمةً واحدة ..

قاتلوا الذين كفروا كافة كما يقاتلونكم كافة ..

انتهت القضية!! ..

***

يسألني القراء والأصدقاء:

- ما هو الحل؟! ..

فأدرك من السؤال أن السائل لم يدرك بعد خطورة ما نحن فيه ..

لأنه إذ يسأل، ويظن أن لديّ إجابة نتجت عن علم لم يحط به، أو خبرة لم تصل إليه، أو فكرًا لم يطف بخلده، ولو أنهم أنصفوا ما سألوا، فقضيتنا، والقارعة التي توشك أن تقرعنا، ليس لها في التاريخ ولا في الفكر ولا في كتب الفقه ما يمكن أن نرجع إليه لنضبط أفعالنا عليه.

لقد تناول الفقه الحاكم الغاصب والحاكم الظالم والحاكم الفاجر الفاسق والحاكم الذي لا يقيم شرع الله. واحتوت تجارب التاريخ على كيفية التصرف مع مثل هؤلاء ..

ولقد حرص الفقه دائما في سمو لا يبارَى على درء الحدود بالشبهات، على ألا

يظلم بريئا ولو أفلت بسببه مائة فاجر. لكنه لم يتناول قضايا من تلك التي تواجهنا الآن.

ربما لأن فترات كتابة الفقه كلها تمت والدولة الإسلامية أقوى دولة في العالم، أو على الأقل من أقوى دوله. كان بعض الأمراء يخونون الدين والأمة، وكانت الخيانات سافرة، وكان الجزاء هو القتل.

لم تتناول كتب الفقه وضعا كالذي نعيشه، وضع الحاكم العميل والجاسوس، الذي دلس على أمته فأوهمها أنه يهديها سبيل الرشاد، وكرس حوله حاشية خائنة تخفي عن الأمة حقيقته، وإعلاما يلبس الباطل ثوب الحق، وكتابا أشد علينا من أعدائنا، وعلماء استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

***

تناول الفقهاء والمفكرون أوضاعا صحيحة كما تناولوا الانحرافات عنها، لكنهم لم يتناولوا أوضاعا مقلوبة. وليس ذلك لقصور فيهم، وإنما جدّ ما لم يخطر ببال.

تناولوا أن يكون الحاكم لصا، وأن يكون قاتلا، وأن يكون فاسقا، وأن يكون مجرما، وأن يكون كاذبا، وأن يكون فاجرا، وأن يكون حتى كل ذلك، لكنهم لم يضيفوا إلى ذلك أن يكون كل من يصطفيهم حوله كذلك، وأن يكون الإعلام والصحف بيده، والكتاب ملك يمينه، والعلماء رهن إشارته، إلا من يعترض عليه فهو يفرض عليه صمت القبور فلا يصل صوته إلى الناس أبدا، وأن تكون الأمة ليست مغلوبة على أمرها فقط، بل مغيبة، تساق إليها الوقائع عكس الحقائق.

***

لقد قال محمد حسنين هيكل أنه ذهل – وربما قال أنه ذعر – عندما اكتشف أنه لا توجد محاضر لاجتماعات السادات بحكام أمريكا وإسرائيل، وأنه لذلك اضطر في كتبه إلى الاعتماد على محاضر الجانب الآخر .. (و أظن أن الوضع الآن كما كان وربما أسوأ) ..

ولقد ذهلت وذعرت عندما قرأت عن اجتماعات منفردة بين المجرم بوش والأمير عبدالله .. اجتماعات منفردة لم يحضرها أحد سواهما ..

وبعد الاجتماعات خرج المجرم ليصرح:

«أبلغت ولي العهد أن لنا علاقة فريدة مع إسرائيل وأن هناك شيئا واحدا يمكن أن يعول عليه العالم وهو أننا لن نسمح بتدمير إسرائيل».

ولم يعرف أحد بِمَ رد الأمير .. ولن يعرف أحد أبدا ..

كل ما سنعرفه هو ما ستطلقه علينا أجهزة إعلام الأمير.

***

لقد غلّب بعض الفقهاء استمرار الحاكم الظالم- الذي لم يظهر منه كفر بواح- على الفتنة، لكنهم لم يناقشوا الحاكم الذي هو فتنة، والذي يعد كل يوم لاستمراره في الحكم خطرا ماحقا على الإسلام والمسلمين.

لم يتناول الفقهاء فيما أعلم الوضع حين يستولى قرصان على سفينة كيف يكون تصرف أصحاب السفينة.

وأظن أن وضعنا الآن كذلك ..

وأظن أن الخطوة الأولى إنما هي على الفقهاء ..

نعم .. أحسب أن عليهم الآن اعتمادا على الشرع أن يستنبطوا لنا فقها جديدا يواجه واقعا جديدا ..

فقه جديد لا أستطيع أن ألم به فلست بفقيه، لكنني أحسب أن مقاومة القرصان تكون واجبة على أهل السفينة جميعا، بكل حيلة وبكل وسيلة، فليس ثمة أهل حل وعقد، فلقد قضى القرصان عليهم، ثم ألبس أغواته وخصيانه ملابسهم كي يتخيل الناس أنهم هم، ليس هناك قاض يلجؤون إليه، فالقرصان هو القاضي، وهذا الحال هو حال يتحول فيه فرض الكفاية إلى فرض عين، ويكون تخليص السفينة من القرصان فرضا على كل واحد من أهل السفينة وبكل طريقة، وليس له أن ينتظر القوة لتجنب الفتنة، فالفتنة كلها في استمرار القرصان وأي فتنة دونها أقل.

***

كنا نفهم أن ينخدع حاكم وربما أكثر، وكنا نفهم أن يستمر الخداع بعض الحكام لبعض الوقت أو حتى طول الوقت، لكن المستحيل أن ينخدع كل الحكام طول الوقت.

***

مراجعة التاريخ المكتوب تكشف كم هو مخز تاريخ حكامنا ..

فترى .. ما هو حجم العار الذي يخفيه تاريخ غير مكتوب.

***

سوف أتجنب أي قدح في أي حاكم رغم أن القلب مكتظ ..

لكنني أستطيع أن أتفهم على سبيل المثال كيف انخدع الشريف حسين قائد الثورة العربية الكبرى في مفاوضات الشريف- مكماهون ..

لكنني فقط أريد أن أركز على معنى مهم .. مهم جدا ..

أن التخطيط لتفتيت العالم الإسلامي مستمر منذ ألف عام ..

والأدوار الناقصة التي لم يكملها الاستعمار في القرن التاسع عشر تقوم أمريكا الآن بإكمالها ..

سبق أن قلت مرات عديدة أن (لويس التاسع) ملك فرنسا بعدما هزم جيشه في مصر وسجن في سجن المنصورة وأفرج عنه فذهب إلى تونس ليقيم بها عاما وإلى القدس ليقيم بها أعواما ثم عاد إلى فرنسا وقد نصبوه قديسا ليكتب في مذكراته بعد طول تأمل (إنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب والقوة وذلك بسبب عامل الجهاد في سبيل الله .. وأن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولاً من تزييف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والمقاومة .. ولا بد من التفرقة بين العقيدة والشريعة).

ولقد طبق كرومر هذه الرؤية فقال عندما قدم إلى مصر كحاكم عسكري لها عن طريق بريطانيا (جئت إلى مصر لأمحو ثلاثا: القرآن والكعبة والأزهر).

وقبلها كان (نابليون) عام ١٧٩٨م قد قدم بونابرت لليهود إغراءات وأخذ يغازلهم بتقديم الوعد لهم بتمكينهم من القدس في حال مساعدتهم له في محاصرة مدينة (عكا) الفلسطينية وقد قدم لهم هذا الوعد رسميا بتاريخ ٢٠ أبريل ١٧٩٩م. والأمر يعود إلى ما قبل ذلك ليتصل بالحروب الصليبية التي توهمنا كتب التاريخ التي تدرس في جامعاتنا ومدارسنا ومعاهد تعليمنا أنها – أي الحروب الصليبية – قد انتهت عام ١٢٩١م .. رغم أنها لم تنته قط .. ولا يوما واحدا .. وفي الفترة ما بين ١٢٩١ و١٩٢٤: نهاية الدولة العثمانية كانت هذه الدولة الإسلامية قد خاضت أكثر من

ستمائة معركة صليبية .. لكـن فجارنـا العلمـانيين لا يعتـبرون الحـروب مـع الدولـة العثمانية حروبا صليبية.

وفجارنا العلمانيون هؤلاء هم تلاميذ كرومر وصبيان كبير المبشرين زويمر.

يقول زويمر كما في كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) (تبشير المسـلمين يجـب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجـب أن يقطعهـا أحد أعضائها) ويقول كما في كتاب (الإسلام في وجه التغريب) (إن الغاية التي نرمـي إليها إخراج المسلمين من الإسلام ليكـون أحـدهم إمـا ملحـداً أو مضـطرباً في دينـه، وعندها لا يكون مسلماً له عقيدة يدين بها، وعندها لا يكون للمسلم من الإسلام إلا الاسم ..)

ويقول المستشرق غيب في كتابه (وجهة الإسلام) « تغريب الشـرق إنمـا يقصـد بـه قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع، في كل ناحية من النواحي .. حتـى إذا أمكـن صبغ ماضي الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله، فقدت شـعوب الشـرق صـلتها بماضيها، ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتهـا، .. وتـرى في خضـوعها لـه شـرفاً كبيراً) ..

لقد اصطنع كرومر ورجال الاستعمار والماسونية غطاء من الدعم والمكانة المرموقة لمروجي هذه الأفكار لتتسرب مبادئها إلى المجتمعات الإسـلامية، ولا زال هـذا الـدعم متواصلاً ومكثفاً من قبل أبناء كرومر الذين ما يزالون يحكمون بلادنا ويشكلون نخبها.

***

كانت الهجمة الصليبية الإنجليزية هي التي تصدت لتفتيت دول المسلمين منذ ثلاثـة قرون، واستمرت لتغرق المنطقة منذ مطلع القرن العشرين في سيناريوهات التقسيم .. وظلت بريطانيا تمهد وتنفذ تلك التقسيمات بعد معاهدة «سـايكس ــ بيكـو» وكانـت هي التي أغرقت المنطقة في مشكلات الحدود .. ونزعت العرب من انتمائهم لأرضـهم الواسعة إلى حدود الانتماء للأقطار العربية الضيقة وكان إنشاء الجامعة العربية لهدفين: الهدف الأول هو التفريق ما بين العـرب وبـين المسـلمين والهـدف الثـاني هـو تحديـد الأسس التي ستشتعل على أساسها الحروب الحتمية بين العرب وبين إسرائيل .. كانوا يخططون وكنا نندفع كالعجماوات .. وكان تخطـيطهم إبعـاد الحميـة الدينيـة للمطلـق الإسلامي من الدخول في المعركة ضد إسرائيل .. وفي نفس الاتجاه كان تلاميذ دنلوب

وخلفاء كرومر وصبيان زويمر من مثقفينا يدفعون في ذات الاتجاه. فتقلبوا ما بين الليبرالية والشيوعية والقومية والاشتراكية والعلمانية والفرعونية وكل اتجاه إلا الإسلام .. كانوا وما زالوا ينفذون سياسات كرومر ودنلوب وزويمر.

تكمل أمريكا الآن ما لم تنجزه بريطانيا ..

وتتكرر المأساة ..

وما كان يمكن أن نغفره بسبب الجهل والغفلة لا يمكن الآن أن يعزى لشيء سوى الخيانة ..

حكام العرب يثقون اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية كما وثقوا بالإنجليز فحملوا نيابة عنهم عبء قتال الأتراك المسلمين فيما عرف بالثورة العربية الكبرى ... حيث أجهض الحلم الهاشمي وذهبت وعود «مكماهون» أدراج الرياح وتقاسم أبناء الشريف ملك أجزاء من ارض العرب تحت حماية «تاج ويستمنستر» ... والشريف حسين يجتر في منفاه في قبرص مرارة فقدان حلمه الكبير بملك يرث به ممتلكات السلطان العثماني الممثل لدولة الإسلام في بلاد العرب كما كانت وعود المندوب السامي البريطاني في القاهرة ..

نفس المأساة تتكرر .. والعرب قد حاربوا العراق وأفغانستان نيابة عن أمريكا .. أمريكا التي تخطط لسايكس بيكو الثانية.

يتحدث الدكتور محمد عمارة في مقالة نشرت في باب «نظرات إسلامية» بمجلة «عقيدتي» عدد الثلاثاء غرة ربيع الأول١٤٢٠هـ، ١٥ يونيو ١٩٩٩م عن المخطط المعادي لوحدة الأمة الإسلامية منذ الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة والمحاولة البونابرتية التي أرادت سلخ مصر باسم الاستقلال .. عندما أخذ مخطط بونابرت مع اليهود – والذي تبناه الإنجليز إبان تصاعد دورهم الاستعماري في الوطن العربي – عندما أخذ هذا المخطط طريقه إلى التطبيق في أرض الواقع .. عبر وعد بلفور سنة ١٩١٧م .. والانتداب البريطاني على فلسطين (١٩٢٠ – ١٩٤٨م) .. وقيام الدولة الصهيونية سنة ١٩٤٨م .. أصبح لهذه الدولة – كقاعدة غربية في قلب وطن الأمة – مخططها للتفتيت والتفكيك، والذي يستهدف إلغاء الأمة، وتحويلها إلى ركام من الطوائف والملل والنحل والمذاهب والأقوام والأعراق.

ولأن الإسلام هو عامل التوحيد الأول لهذه الأمة، فلم يقف مخطط التفتيت

الصهيوني عند دائرة الأمة العربية، وإنما امتد ليشمل عـالم الإسـلام، مـن شـبه القـارة الهندية إلى المغرب الأقصى علـى شـاطئ الأطلسـي! .. فكانـت الخطـة الـتي صـاغها المستشرق الصهيوني برنارد لويس «Bernard Lewis » والتي نشـرتها مجلـة Executive Intelligent Research Project والتي تصدرها وزارة الدفاع الأمريكيـة - البنتـاجون - والتي يخطط فيها - «لتقسيم الشرق إلى دويلات (أثنية) عرقية أو مذهبية» .. وبموجب تلك الخطة يدعو برنارد لويس إلى:

- ضم إقليم بلوشستان الباكستاني إلى مناطق البلـوش المجـاورة في إيـران، وإقامـة دولة بلوشستان.

- ضم الإقليم الشمالي الغربي من الباكستان إلى مناطق البوشتونيين في أفغانستان، وإقامة دولة بوشتونستان.

- ضم المناطق الكردية في إيران والعراق وتركيا، وإقامة دولة كردستان.

- أن اقتطاع المناطق الكردية والبلوشية من إيران، يفـتح ملـف التقسـيم الـداخلي لإيران، في ضوء الواقع الإثني، مما يحقق إقامة الدويلات التالية:

أ. دويلة إيرانستان.

ب. ودويلة أذربيجان.

ج. ودويلة تركمانستان.

د. ودويلة عربستان.

- وإقامة ثلاث دول في العراق:

أ. إحداها كردية سنية في الشمال.

ب. والثانية سنية عربية في الوسط.

ج. والثالثة شيعية عربية في الجنوب.

- إقامة ثلاث أو أربع دويلات في سوريا:

أ. منها واحدة درزية.

ب. وثانية علوية «نصيرية».

ج. وثالثة سنية.

– تقسيم الأردن إلى كيانين:

أ. أحدهما للبدو.

ب. والآخر للفلسطينيين «دون الإشارة للضفة الغربية للأردن، .. التي ستضمها إسرائيل» ..

– أما العربية السعودية، فسوف يحسن إعادتها إلى الفسيفساء القبلية التي كانت فيها قبل إنشاء المملكة سنة ١٩٣٣م، بحيث لا يعود لها من الوزن سوى ما للكويت والبحرين وقطر وإمارات الخليج الأخرى! ..

– يعاد النظر في الجغرافيا السياسية للبنان، على أساس إقامة:

أ. دويلة مسيحية.

ب. ودويلة شيعية.

ج. ودويلة سنية.

د. ودويلة درزية.

هـ. ودويلة علوية.

– تقسيم مصر إلى دولتين على الأقل:

أ. واحدة إسلامية.

ب. والثانية قبطية.

– يفصل جنوب السودان عن شماله، لتقام فيه:

أ. دولة زنجية مستقلة في الجنوب.

ب. ودولة عربية في الشمال.

– يعاد النظر في الجغرافيا السياسية للمغرب العربي، بحيث تقام للبربر أكثر من دولة حسب التوزع والانتماء القبليين.

كذلك يعاد النظر في الكيان الموريتاني، من خلال الصراع القائم بين العرب والزنوج والمولدين وبعد هذا التخطيط، الذي يضيف إلى «تجزئة وتفتيت »سايكس – بيكو« سنة ١٩١٦» أكثر من ثلاثين دويلة عرقية، ودينية، ومذهبية .. يضيف برنارد

لويس قوله: «إن الصورة الجغرافية الحالية للمنطقة لا تعكس حقيقة الصـراع، وأن مـا هو على السطح يتناقض مع ما هو في العمق: علـى السـطح كيانـات سياسـية لـدول مستقلة، ولكن في العمق هناك أقليات لا تعتبر نفسـها ممثلـة في هـذه الـدول، بـل ولا تعتبر أن هذه الدول تعبر عن الحد الأدنى من تطلعاتها الخاصة»! ..

فالمخطط لا يرى إلا الصراع .. وهـو يريـد تفتيـت الأقـوام والملـل والمـذاهب إلى دويلات، ليس لها أدنى مقومات الدول .. كل ذلك لحساب جعل الطوائف اليهوديـة، التي لا تجمعها روابط الأمة الواحدة، والتي لم تقم، عبر تاريخها الطويل دولـة متحـدة، كل ذلك لحساب أن تصبح هذه الطوائف الدولة المهيمنة علـى وطـن العروبـة وعـالم الإسلام! ..

نعم، يفصح برنـارد لـويس عـن هـذا المقصـد، فيقـول في هـذا المخطـط: «ويـرى الإسرائيليون أن جميع هذه الكيانات، لن تكون فقط غـير قـادرة علـى أن تتحـد، بـل سوف تشلها خلافات لا انتهـاء لهـا علـى مسـائل الحـدود وطرقـات وميـاه، ونفـط، وزواج، ووراثة، الخ .. ونظراً لأن كل كيان من هذه الكيانات سـيكون أضـعف مـن إسرائيل، فإن هذه ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل»! ..

ففي سبيل العلو الإسرائيلي، الموظف لحساب المشـروع الغربـي، يكـون التخطـيط والتنفيذ لتفتيت وحدة الأمة الإسلامية إلى ذرات من الأقوام والملل والنحل والمذاهب والطوائف والأعراق والألوان! ..

***

الحقيقة واضحة وجلية إذن ..

والعذر الذي يمكن أن نلتمسه للشريف حسين لا يمكن أن نلتمسه للـرئيس مبـارك أو الأمير عبدالله أو الملك الحسن .. أو .. أو ..

الحقيقة واضحة وجلية ..

أمريكا هي العدو وما إسرائيل سوى مخلب ..

والادعاء بغير ذلك غباوة توجب العزل أو خيانة توجب المحاكمة ..

والعلاقة الحميمة خيانة حميمة .. والعلاقة الخاصة خيانة خاصة ..

وكل من راهنوا على الحل الأمريكي أو الصديق الأمريكي يجب أن يحاكموا ..

في كتاب: النزاعات الأهلية العربية: الناشر مركز دراسات الوحدة العربية كتب كل من الدكتور محمد جابر الأنصاري والدكتور عدنان السيد حسين والدكتور عبدالإله بلقزيز والدكتور ساسين عساف بحوثا مستفيضة عن الخطة الأمريكية الصهيونية لتفتيت العالم العربي.

إذ يرى الفكر الصهيوني الأمريكي أن مصر – على سبيل المثال – قد فقدت قوتها السياسية القائدة في الوطن العربي. وهي تتخبط في حالة سياسية داخلية متأزمة.

«إن تجزئة مصر إقليميا إلى مناطق جغرافية متميزة هو الهدف السياسي لإسرائيل»

« إن انهيار مصر في الخطة الصهيونية هو بداية الانهيار الكبير الذي سيصيب دولا قريبة منها وأخرى بعيدة، فإذا ما تجزأت مصر فإن بلادا مثل ليبيا والسودان، بل وحتى الدول الأبعد عنها، لن يكتب لها البقاء على صورتها الحالية وستلحق بمصر عند سقوطها وانحلالها ... إن مسار تجزئة مصر وتفتيتها وانحلالها، لا بد آخذ طريقه إلى بلوغ ذلك مهما طال الزمن ! ! يجب أن تقسم مصر إلى دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر بجانب عدد من الدول الضعيفة ذات قوى محلية وبدون حكومة مركزية».

كانت السبعينيات أعوام النفط الذي يتحول إلى قذائف وصواريخ صهيونية في صدور العرب، وكانت أعوام المال العربي السائب في شرايين التقدم الغربي. ولكنها أولا وأخيرا كانت أولا وأخيرا السيطرة الغربية/ الصهيونية بقيادة أمريكا على السلطة في مصر. كان الغرب بكل أشكال الغزو الاقتصادي والسياسي والثقافي قد تمكن أخيرا من إقامة (سلطة الثورة المضادة) في وادي النيل وأخذ يستعملها لبلوغ غاياته أساليب ووسائل متنوعة.

وتقول مصادر مقربة من سلطات الأمن المصرية إن هذه السلطات ضبطت مرة كميات من المخدرات قادمة من إسرائيل، وكان من المقرر أن تستخدم العوائد من هذه المخدرات لتمويل الفئات المسؤولة عن الاعتداءات على أقباط مصر: صحيفة السفير، ٧/ ٧/ ١٩٩٣.

***

والفقرات السابقة واللاحقة بين علامات التنصيص نقلها مؤلفو الكتاب من تقارير استخباراتية في دوريات منشورة معظمها صدر في أمريكا وإسرائيل!! .. ويعود بعضها إلى أكثر من خمسين عاما ..

نعم ..

منشورة منذ أكثر من خمسين عاما .. !! ..

***

على الجبهة الشرقية (لبنان، سوريا والعراق) يشكل لبنان انطلاقة المشروع التفتيتي، فهو النموذج الذي به وعلى شاكلته يتحقق التقسيم والتجزئة:

***

وتجزئة لبنان بأكمله إلى خمس مقاطعات من شانه أن يخدم كسابقة للعالم العربي بأجمعه، بما في ذلك مصر وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية، بل هو بداية مسيرة في هذا الاتجاه .. وإذا كان لبنان هو الهدف القريب في خطة التجزئة، فإن سوريا والعراق يشتملان الهدف البعيد فيها.

***

والثروة النفطية في العراق والتمزقات الداخلية تجعله في صميم دائرة الاستهداف الصهيوني. وهو في مشروع التفتيت والتجزئة يتقدم على سوريا ويكتسب أهمية أوفر من أهميتها. فالعراق، بحسب «أوديد ينون»، أقوى من سوريا، وهو يختزن القوة الفعلية التي تشكل مصدر التهديد الفعلي للدولة العبرية. فالقضاء عليه يستدعي نشوب حرب عراقية – إيرانية تمزق العراق وتؤدي إلى سقوطه.

***

وليلاحظ القارئ أن هذا كان مكتوبا قبل نشوب الحرب العراقية الإيرانية!!

***

ويواصل الكتاب نقله عن المراجع الأمريكية والإسرائيلية:

إن حربا عراقية – إيرانية سوف تمزق العراق إلى أجزاء وتؤدي إلى سقوطه داخليا. وكل نوع من أنواع المجابهة العربية الداخلية ما بينهم سوف تساعد على المدى القريب وسوف تختصر الطريق إلى الهدف العام المتمثل في تقسيم العراق إلى طوائف، مثل سوريا ولبنان ».

«أما تقسيم العراق إلى مقاطعات وفق تقسيمات عرقية/ دينية كما حدث في سوريا أثناء العهد العثماني فأمر ممكن. وهكذا فان ثلاثة (أو أكثر) من الدول يمكن أن

تتواجد حول المدن الرئيسية الثلاث: البصرة وبغداد والموصل.

***

وليلاحظ القارئ مرة أخرى أن كل هذه المعلومات كانت منشورة قبل استدعاء القوات الأمريكية لضرب وحصار العراق ..

وكل الجيوش العربية التي شاركت في الكارثة إنما شاركت في خطة تفتيت العالم العربي والإسلامي ..

وبرغم ذلك كله لم يتورع أكثر من حاكم أكثر من صفيق أن يعتذر عن عدم نجدة الفلسطينيين بأن جيوشه لا تحارب خارج بلاده ..

ومسطول مصري – هل ينبغي عليّ حقا أن أصحح الكلمة إلى مسئول – يطلب مائة مليار دولار كي تفكر مصر في الحرب .. لا يدرك المسطول أنه بذلك وجه أكبر إهانة إلى جيش بلده وكأنه جيش مرتزق .. ولا يدرك المسطول أنه هو بالذات لا يمكن لأحد أن يأتمنه على مائة دينار لا مائة مليار دولار .. ولتجرب حكومة المسطول أن توسد الأمر إلى أهله .. أن تستدعى مثلا الفريق الشاذلى وتسند إليه قيادة جيش محمد الذي – لا ريب سوف يعود– .. لتجرب حكومة المسطول ذلك .. ساعتها لن تنتظر الأمة الحكومات .. وستجهز هي جيش محمد.

***

ولنعد إلى الكتاب الذي يواصل حديثه عن مشاريع تفتيت الدول العربية ..

وشبه الجزيرة العربية بأكمله مرشح طبيعي للتجزئة نتيجة لضغوط داخلية وخارجية، وهذا أمز حتمي، وبخاصة في العربية السعودية. وبغض النظر عما إذا كانت قوتها الاقتصادية القائمة على النفط ستظل على حالها لا تمس أو أن هذه القوة ستتقلص على المدى البعيد، فان الانشقاقات الداخلية والانقسامات هي تطور واضح وطبيعي على ضوء البنية السياسية الحالية.

***

أما بنية الأردن السياسية والبشرية الحالية فهي لا تضمن له البقاء إلى أمد طويل. إن نظام حكمه الحالي ليس في يد الأغلبية الفلسطينية، ما يجعل هذه الأكثرية مرشحة لتسلم السلطة عاجلا أم آجلا .. وهذا ما ينبغي أن يكون سياسة إسرائيل في الحرب

وفي السلام.

***

الكيان اللبناني من وجهة نظر صهيونية هو خطأ جغرافي/ تاريخي، والتعبير هو لموشي أرينز يوم كان سفيرا لإسرائيل في واشنطن، فهو، تاليا، كيان مركب يحمل في ذاته عطبه التكويني مند لحظة تأسيسه أو إعلانه (دولة لبنان الكبير) وهو كيان يجمع في داخله أقليات دينية صاحبة آمال وتطلعات قومية/ ذاتية.

***

أما بالنسبة للعراق فلقد كانت محاولات القيادات الصهيونية للاتصال بالحركة الكردية في شمال العراق قد بدأت منذ منتصف الأربعينيات.

«رؤوبين شيلواح ومردخاي بن فرات وشلومو هليل تولوا مهنة الاتصال بالحركة الكردية في العراق ونقلوا تصور بن غوريون للوسائل التي يمكن إسرائيل من خلالها دعمهم للحصول على الحكم الذاتي أو الاستقلال التام. أما العلاقات الجدية بين إسرائيل وبعض أكراد العراق، فلقد أخذت بعدها العملي على مستوى المساعدة اللوجستية في الستينيات، بعدما أرسلت إسرائيل في ١٩٦٥ ضباط مخابرات وخبراء عسكريين إلى كردستان العراق.

وقد تمت الزيارات المعلنة بين قيادات من الطرفين في النصف الثاني من الستينيات، وتحديدا بعد حرب الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٧. فالهزيمة التي ألحقها الجيش الإسرائيلي بالجيوش العربية شجعت بعض القيادات الكردية على تمتين علاقاتها المباشرة بالدولة الصهيونية، طلبا لمساعدات عسكرية لاستخدامها في حركة التمرد في شمال العراق.

إن المحاولات الصهيونية للاتصال بالحركة الكردية هي نموذج التدخلات الإسرائيلية في العراق ومن شانه، كما هو ماثل في التصور الصهيوني، تحقيق مصالح إسرائيل في المنطقة، وذلك يتم، كما عبر زئيف شيف، المراسل الحربي لصحيفة هارتس، والذي ربما كان من أكثر الناس اطلاعا في إسرائيل على هذا الموضوع، عن طريق تجزئة العراق إلى دولة شيعية وأخرى سنية، وكذلك فصل المنطقة الكردية ..

***

كل هذه المعلومات كانت منشورة أمام حكامنا الذين اشتركوا في تحالف الشيطان في حفر الباطن ..

***

إن وضع العراق اليوم، بعد تطورات حرب الخليج الثانية ونتائجها، ليس بعيدا أبدا عن هذه الصيغة التي تشجع جماعة من إسرائيل على السعي إلى تثبيتها بالتعاون مع القوى الدولية والإقليمية المتواطئة.

في بداية التسعينيات انسحب الوكيل «إسرائيل» أمام الأصيل « أمريكا»، ولأسباب موضوعية متعلقة بحساسية المنطقة إزاء إسرائيل، جاء الأصيل الأمريكي ليقول لوكيله: حرب الخليج ونتائجها توجب تخفيك وراء المشهد الإقليمي الجديد. وهكذا لم تعد إسرائيل القوة المؤثرة مباشرة في إثارة الاضطرابات العرقية في شمال العراق، إذ أصبح العراق كله تحت الرقابة الأمريكية وقوانين الحظر والتأديب والحصار الدولي.

يقول دانيال بايمن، من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، في عدد الخريف من نشرة المصلحة القومية: إن الالتزام بوحدة أراضي العراق كان خطأ (في حرب الخليج) ويبقى كذلك اليوم.

***

في السودان، وفي إطار استراتيجيتها لإقامة علاقات مع أقليات المنطقة وتوظيفها في مشروع التفكيك والهيمنة، طرحت إسرائيل نفسها حليفا طبيعيا للحركة السياسية التي تقودها منظمة «أنيانيا» الانفصالية، بادعاء أنهما معا في مواقع لمواجهة التسلط العربي / الإسلامي على شعوب المنطقة، فأقامت علاقات وثيقة معها في الستينيات وقدمت لها المساعدات العسكرية واللوجستية (الإمدادات)، خصوصا تدريب رجالها على حرب العصابات، وذلك عبر الأراضي الإثيوبية. وبعد عام ١٩٦٤ ظهر جليا التورط الصهيوني في أحداث جنوب السودان إلى جانب دول غربية.

إن السودان ليس من بلدان المواجهة، وعلى الرغم من ذلك أدخلته إسرائيل في صلب خطتها التفتيتية لأنه يشكل في حال توحده وتحالفه مع مصر، ظهرا لمصر ومساندا قويا لها. فمن مصالحها الحيوية استنزاف مصر في إحدى خاصرتيها، الخاصرة الجنوبية:

***

كل هذا كان مطروحا وحكامنا يتخلون عن إعداد البلاد عسكريا للمواجهة ويخونون الأمة باعتبار السلام هو الخيار الاستراتيجي الوحيد ..

وكانوا يعلمون بالمخطط الأمريكي الصهيوني لتفتيت الأمة ..

وكانوا يخونون الأمة ..

***

في تقرير نشرة إسرائيلية نشر مؤخرا يتحدث كاتب التقرير عن صراع مشروعين في البنتاغون لتفتيت العالم العربي. وتذهب هذه الدراسة إلى أن مبادرة الأمير عبدالله لم تكن موجهة إلى إسرائيل، فقد كانت السعودية واثقة من أن إسرائيل سترفض مبادرتها. إلا أن المبادرة قد قُدّمت بغية الرد على استراتيجيتين أميركيتين تتم مناقشتهما الآن في العاصمة واشنطن. فقد عانت المملكة العربية السعودية، منذ الهجوم على مركز التجارة العالمي، ضغوطا شديدة من جانب جماعة بول وولفوفيتس في البنتاغون. إذ يعرف عن نائب وزير الدفاع أنه تبنى آراء ارييل شارون، وأنه لا يكتفي بالاعتقاد أن الولايات المتحدة يجب أن تعود عن تحالفاتها مع الدول العربية المحافظة، بل يرى أنه يجب عليها كذلك أن تستولي على مواردهم النفطية (أي تسرقها). انطلاقا من اعتبارات استراتيجية مماثلة، صاغ وولفوفيتس وبعض المحيطين بنائب الرئيس ديك تشيني خطة استراتيجية تهدف إلى إعادة رسم خريطتي الشرق الأوسط وأوروبا الوسطى.

وتضع الخطة كلا من إسرائيل وتركيا في موقع الحليف الرئيسي للولايات المتحدة. وتظهر ازدراء حيال قدرة العرب على مساعدة الأميركيين في أوقات الأزمة. وهي طبعا مرتكزة بالكامل على مفهوم «الحملة الصليبية الأميركية»، وتحظى تاليا بدعم المتطرفين في البنتاغون وفي فورت براغ، وهو المقر الرئيسي لتدريب القوات الخاصة وملجأ لأولئك الذين ما زالوا يتوقون، في جهاز الدفاع، إلى فيتنام جديدة.

والخطة التي تستند إلى اقتراحات آرييل شارون وشاؤول موفاز المباشرة والمفصلة، تهدف في الدرجة الأولى إلى سلب الرياض كل نفوذها. ومما لا شك فيه أنه في حال تحقق خطة وولفوفيتس، فسوف تقسّم المملكة العربية السعودية أجزاء كثيرة: «دولة» أو محمية خاضعة مباشرة لسيطرة شركات النفط الكبرى وعلى رأسها أرامكو، ودولة سعودية أخرى تفتقر إلى النفط. وربما دول أخرى كذلك سوف تلحق باليمن

وبالعراق الجديد. بناء على هذا المفهوم، وبعد إطاحة القوات الأنجلو - أميركية صدام حسين في العراق، سوف يتم «إجلاء» الفلسطينيين - أي طردهم - من غرب فلسطين ومن المملكة الأردنية الهاشمية على حد سواء، وذلك سوف يتيح لإسرائيل بأن تصبح دولة يهودية «صافية العرق»، وسوف يتم ضم الأردن إلى إسرائيل الكبرى، وصولا إلى الحدود العراقية، ربما مع بعض التعديلات البسيطة على مستوى الحدود. وسوف تختفي المملكة الهاشمية «كونها عنصرا ضعيفا في أي حال».

سوف يتم إجلاء الفلسطينيين وترحيلهم إلى داخل الحدود العراقية وتوطينهم في مناطق عراقية متخلفة وغير مكتظة بالسكان. وفي الوقت نفسه أو في مرحلة لاحقة، سوف ينضم إليهم اللاجئون الفلسطينيون في سوريا ولبنان والأردن شاءوا ذلك أم أبوا. وسوف تتم الإطاحة بالنظام السوري بطرفة عين. من خلال هجوم إسرائيلي - أميركي سريع سرعة البرق، وسوف تؤسس بدلا منه دولة سورية مؤيدة لأميركا وذات سوق حرة.

ولقاء مشاركة تركيا في الحرب الجديدة، سوف تحظى هذه بالسيطرة الكاملة على الموارد المائية التي تتقاسمها أنقرة الآن مع سوريا والعراق، أي على نهري دجلة والفرات وسوف تعمل قوات أميركية خاصة على قمع الثورات الإسلامية في جميع أنحاء العالم العربي، تحت غطاء «الحرب ضد الإرهاب».

***

المشروع الثاني للتفتيت طبقا للنشرة الإسرائيلية يطلق عليه: الخطة الشريفي الجديدة: وهي خلق شريفية جديدة. إذ نعلم أن السلالة الهاشمية التي تحكم الأردن الآن كانت في ما مضى حاكمة ما يُعرف الآن بالمملكة العربية السعودية والكويت واليمن. إلا أن البريطانيين والفرنسيين غيروا هذا الواقع بعد الحرب العالمية الثانية، وتم نفي الحسينيين إلى فلسطين التاريخية - أي ما يعرف الآن بإسرائيل والأراضي والأردن - حين قررت الإمبراطورية البريطانية، في عهد رئيس الوزراء اللورد بلفور، أن تسمح لأقلية يهودية بإنشاء وطن لها في فلسطين وان تؤدي دور الأقلية الدينية التي أتاحت للحكام البريطانيين التقسيم والحكم والسيادة - على غرار الدور الذي أدته البهائية في إيران في ظل الاحتلال البريطاني لها.

أما الفئة المعارضة لشارون داخل الإدارة، فتود خلق شريفية جديدة، أي مملكة

أردنية تمتد من نهر الأردن إلى الحدود مع إيران. وتضم العراق المعاصر. وتتمتع هذه الفكرة في الواقع بعدد لا بأس به من المؤيدين. لا في أوساط النخب الأردنية الحاكمة ذات الجذور البدوية فحسب، وذلك أمر طبيعي. بل كذلك في بعض الأوساط العراقية، فتماما على غرار أفغانستان، أن ملكا مناصرا لأميركا قد يمنح المملكة الجديدة النفوذ والشرعية على حد سواء. أما في ما يتعلق بإسرائيل- فلسطين، فسوف تجبر إسرائيل على إجلاء المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية فحسب. وسوف ينقل الفلسطينيون الموجودون داخل قطاع غزة إلى الضفة الغربية أو إلى المملكة الهاشمية الجديدة الموسعة، التي سيعاد تحديدها كمملكة هاشمية- فلسطينية- عراقية. وسيشجّع المستوطنون اليهود على الانتقال إلى منطقة قطاع غزة الملحقة بإسرائيل، أو إلى منطقة النقب القاحلة جنوب إسرائيل. وإذا ما رفض الفلسطينيون، سوف يكون الحل الموقت لها أن تصبح الضفة الغربية التي أجلتها إسرائيل «دولة» خاضعة لحكم الأمر الواقع المؤلف من الشريفية الجديدة ومن حكومة إسرائيلية أكثر اعتدالا من حكومة شارون. وفي الوقت المناسب، وبعد فاصل زمني مقبول، سوف تلتحق بالمملكة الشريفية أما في شكل مقاطعة «مفدرلة»، أو كجزء من الاتحاد الكونفيديرالي المؤلف من كل من العراق والأردن وما تبقى من فلسطين.

ولقد أثارت الخطتان على حد سواء موجة ذعر في المملكة العربية السعودية. فالخطة الأولى قد تقضي بكل بساطة على السلالة الوهابية الحاكمة وتستولي على ما تبقى من السعودية. أما الثانية فقط تُضعفها إلى حد خطير، وذلك يصبّ في مصلحة المنافس الرئيسي للوهابيين، أي العائلة الحسينية. وسوف يتنافس كذلك النفط العراقي مع الموارد السعودية والكويتية، مؤدياً بذلك إلى خفض متزايد لأسعار النفط.

في تلك الأثناء، ما زالت المناقشات الجيوستراتيجية مستمرة في واشنطن داخل إدارة بوش غير المستقرة والمرتبكة والمنقسمة. فهناك تسود فوضى لا مثيل لها سوى عجرفة الحكام.

إن الرفض الذي واجهته الولايات المتحدة بإزاء نيتها شنّ هجوم على العراق في آبار ٢٠٠٢ أثار موجة من الحنق في البيت الأبيض والبنتاغون. إذ رفضت كل الدول العربية، ومعظم الحكومات الأوروبية - باستثناء بريطانيا - مساندة هذا الهجوم رفضاً قاطعاً. الكويت نفسها، التي انتقمت من العراق ومن عرفات طوال الأعوام العشرة الماضية، طالبت واشنطن في شكل واضح وعلني بعدم مهاجمة العراق. فأعلنت الإدارة

الأميركية بلهجة حاقدة أنه لم يتم اتخاذ أي قرار لمهاجمة العراق في «المستقبل القريب».

ويتنبأ الخبراء الأوروبيون بأن بوش لن يتخلى عن خطته إطاحة صدام حسين، وأن هجوماً أمريكيا – بريطانياً – إسرائيليا على بغداد سوف يجري فعلاً في أيلول أو تشرين الأول، ٢٠٠٢ أي قبل الانتخابات التشريعية الأمريكية التي تُعقد في منتصف عهد الرئيس. ويذهب تقرير النشرة الإسرائيلية إلى احتمال لجوء أمريكا إلى أسلحة غير تقليدية في إطار هجوم مماثل، مثل الأسلحة البكتيريولوجية أو الكيميائية أو حتى النووية.

***

هذا هو الوضع الذي اختار حكامنا فيه السلام كاختيار إستراتيجي وحيد.

وهذا هو الوضع الذي يفخر حكامنا فيه بعلاقتهم الخاصة مع أمريكا.

وكان كل هذا معروفا وحكامنا يخدعون ويخونون الأمة فيطلقون على أمريكا أسماء: كالوسيط النزيه والشريك العادل ..

***

الخطيئة الكبرى التي لم ينتقدها حاكم من حكامنا أبدا هي تفتيت الدول العربية بعد سلخها من الدولة العثمانية ..

كيف يمكن أن نفكر في انتصار أو مواجهة ونحن محصورون في الحدود التي نظمتها لنا اتفاقية سايكس بيكو .. وكان رسم هذه الحدود المصطنعة لتهيئة التربة لزراعة إسرائيل في قلب الأمة ..

هذه الحدود المصطنعة هي التي وسدت حكامنا عروشهم ..

وجودهم جزء من وجود إسرائيل ..

ووجود إسرائيل جزء من وجودهم ..

***

تصور أيها القارئ، أنه في وسط كل هذه المخاطر التي تستهدف أمة الإسلام أنه لا يوجد بلد عربي واحد يسمح للإسلام فيه أن يحكم ..

ولا يوجد بلد عربي واحد إلا وحاكمه يعتمد في استمرار حكمه على تعطيل

حكم الإسلام .. والتنكيل بالمسلمين .. تعاونه النخبة الحاكمة وخنازير العلمانيين .. تلاميذ كرومر ..

***

ولا ألتمس أي عذر لجرم حكامنا .. لكنني أريد أن أقول أن جرم كتابنا أشد وأنكى .. فشيمة معظم حكامنا الجهل .. حتى أنني عندما يتصادف – نادرا – أن أشاهد أحدهم يخطب – وهو خطب لا خطيب – أهتم بملاحظة ما إذا كان يقرأ خطبته أم يرتجلها، وليس السبب في ذلك ما قد يتبادر إلى ذهن القارئ من أنني أفكر أن الخطبة المرتجلة كلامه، وأن المكتوبة كلام غيره، وإنما لأنني أريد أن أعرف إذا ما كان يستطيع القراءة – مجرد القراءة – أم لا يستطيع ..

نعم يا قراء ..

بعض حكامنا حتى الآن لا يستطيعون القراءة .. !! ..

***

ومن فضول الكلام، أن نسجل هنا أن خنازير العلمانيين هؤلاء يتحكمون بصورة شبه كاملة، في العديد من المنافذ الإعلامية الرسمية في المجتمعات العربية، ويهيمنون على المراكز الحساسة في الجامعات والمعاهد العليا، وتحتكر فعالياتها مناطق النفوذ الفكري (القومية) مثل اتحاد الكتاب العرب ولجنة الثقافة والترجمة، التابعة لجامعة الدول العربية، بل إن الكثيرين منهم يعملون في وظائف رسمية، لدى مراكز التبشير الثقافي، من (السوربون) الفرنسية إلى الجامعة الأمريكية في (بيروت) وفي (القاهرة) فضلاً عن استثمار الإمكانات المادية والمعنوية، في نوادي الصداقة المتعددة، السوفيتية العربية، والفرنسية العربية، والأمريكية العربية، والبريطانية العربية، فضلاً عن عدد يصعب حصره من اللجان والنوادي الثقافية والمؤسسات والمنظمات ومراكز الدراسات والمؤسسات الإعلامية ودور النشر وغير ذلك.

***

يقول اللورد كرومر أول حاكم بريطاني في مصر: إن مهمة الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الإلهية على رأس هذه البلاد هو تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن بحيث تصبح هي الأساس في العلاقات بين الناس وإن كان من الواجب منعا من إثارة الشكوك ألا يعمل على تنصير المسلمين وأن يرعى من منصبه

الرسمي المظاهر الزائفة للدين الإسلامي كالاحتفالات الدينية وما شابه ذلك.

هكذا تحدد الهدف الإنجليزي بكل وضوح وهو اجتثاث الإسلام من نفوس الناس من قلوبهم وعقولهم وإحلال قيم المسيحية بدلا منها وبالطبع يقصد قيم المسيحية المحرفة وكانت الاستراتيجية البريطانية في ذلك الوقت slow but sure كما يقول الأستاذ محمد قطب وتحددت مسارات الحرب هذه في المسار الفكري والإعلامي والاقتصادي والسياسي.

***

يسألني القراء والأصدقاء:

- ما هو الحل؟! ..

فأدرك من السؤال أن السائل لم يدرك بعد خطورة ما نحن فيه ..

***

أحسب أن مقاومة القرصان تكون واجبة على أهل السفينة جميعا، بكل حيلة وبكل وسيلة، فليس ثمة أهل حل وعقد، فلقد قضى القرصان عليهم، ثم ألبس أغواته وخصيانه ملابسهم كي يتخيل الناس أنهم هم، ليس هناك قاض يلجئون إليه، فالقرصان هو القاضي، وهذا الحال هو حال يتحول فيه فرض الكفاية إلى فرض عين، ويكون تخليص السفينة من القرصان فرضا على كل واحد من أهل السفينة وبكل طريقة، وليس له أن ينتظر القوة لتجنّب الفتنة، فالفتنة كلها في استمرار القرصان وأي فتنة دونها أقل.

***

و ..

القضية واضحة:

وأنّ هذه أمتكم أمةً واحدة ..

قاتلوا الذين كفروا كافة كما يقاتلونكم كافة ..

انتهت القضية!! ..

- **شرف العسكرية العربية في خطر**
- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ﴾.
- **بل نستطيع القتال .. فإن لم نكن فكلّ الحكام والقادة خونة ..**
- **شارون ليس سوى قاتل مأجور قذر أما المجرم الحقيقيّ فهو بوش**[1] ..

نعم ..

مالكم لا تقاتلون في سبيل الله؟ ..

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾

وإن لم تقاتلوا اليوم فمتى تقاتلون إذن؟! ..

متى؟ .. متى؟ .. متى؟ ..

أي وضع أخطر من هذا يمكن أن نكون فيه ..

أي ذل أكثر من هذا يمكن أن نذلّه؟..

وأي هوان؟ ..

أين ذهبت المليارات التي أنفقت على الجيوش؟! ..

أين مخازن السلاح؟! ..

أين التدريبات والمناورات؟! ..

أين ادعاءات الشجاعة؟ ..

أين القسوة والجبروت التي تواجه بها الجيوش مجتمعاتها وشعوبها؟! ..

إن لم تحارب الجيوش الآن فمتى؟ .. وإن لم تحارب الآن فلماذا كانت من الأصل؟ ..

فيم كان كل شيء؟ ..

إن شرف العسكرية العربية كله في خطر ..

(١) بوش: أغبى حاكم غربي منذ لويس التاسع .. وقد فضح مخطط الغرب كله ..

شرف العسكرية العربية ينزف مع كل جريح فلسطيني ينزف ..

شرف العسكرية العربية يموت مع كل شهيد فلسطيني يموت ..

شرف العسكرية العربية يضيع مع كل رصاصة تواجه دبابة .. لِمَ لَمْ تعطهم الجيوش العربية صاروخا بدل الرصاصة، وقنبلة بدل الحجر؟

شرف العسكرية العربية يتلاشى مع تلك المرأة الفلسطينية المسنّة التي صرخت على شاشة الفضائيات أمس: أريد طعاما ..

شرف العسكرية العربية يحاصرُ مع الرئيس الفلسطيني المحاصر ..

شرف العسكرية العربية ينتهك مع انتهاك كرامة كل فلسطيني وفلسطينية ..

شرف العسكرية العربية يُغتصب .. كما قال العسكريُ العظيم الشهيد عبدالمنعم رياض: إذا لم نواجه إسرائيل فهذا يعنى اغتصاب شرف كل رجل وامرأة وطفل .. ثم استدرك – رحمه الله – قائلا: لا أقصد الاغتصاب المعنوي بل المادي ..

يا عساكرنا من أكبر رتبة إلى أصغر جندي: أما منكم من يغار على شرفه؟ ..

ما هي وظيفتكم؟ ما هو عملكم؟ .. الاصطفاف في التشريفات .. ولماذا تركتم للحكام أن يمتهنوكم هذا الامتهان؟؟ ..

لطالما في العالم الإسلامي كله أسأتم إلى أممكم لكننا احتملناكم وادخرناكم ليوم كريهة كهذا .. فأين أنتم؟ ..

أين؟ ..

أين؟ ..

أين؟ ..

وحين تأزف الآزفة فسوف يهرب الحكام – كما تعودوا دائما إلى أمريكا حيث سادتهم الذين باعوا لهم أوطانهم أو إلى سويسرا حيث أموالهم المهربة- ويتركونكم لمواجهة الهزيمة والعار.

***

يا معشر الحكام .. ويا جنرالات .. وليس لكم من الاسم إلا حرفه ورسمه .. نحن – الأمة – لم نقصر معكم .. لم نقصر في حشد كل قوانا وبذل كل دمائنا كي نواجه عدونا ونعلي كلمة الله ..

يا معشر الحكام والجنرالات نحن لم نبخل بشيء كي تقودونا إلى نصر طالما وعدتمونا به وأمرتمونا أن نحتمل القهر والطغيان والجبروت، وأن نخرس أصواتنا فلا صوت يجوز له أن يعلو على صوت المعركة ..

يا معشر الحكام نحن – الأمة – لم نبخل بشيء ..

إن بعض التقارير تقدر ثمن السلاح الذي استوردته دول البترول العربية فقط منذ بداية الصراع العربي الإسرائيلي بأكثر من أربعة آلاف مليار دولار بينما لا يتجاوز ما استوردته إسرائيل خلال نفس المدة ثمانين مليارا .. وهو رقم يقل عما استوردته سوريا ومصر والعراق كل على حدة، وأن حجم الإنفاق العسكري السنوي في شبه الجزيرة العربية يماثل الإنفاق العسكري في إسرائيل طوال حياتها. وفي عقد الثمانينات استهلكت الدول الرئيسية في الشرق الأوسط ٤٠٪ من مبيعات السلاح في العالم مقابل ١٠٪ لحلف الناتو و١١ ٪ لحلف وارسو (طبقا لإحصائيات وكالة مراقبة التسلح ونزع السلاح:ACDA !!).

وفي عقد التسعينيات زادت النسبة ..

لم نبخل بشيء ..

ومع ذلك تركتمونا نجلس أمام شاشات التلفاز طوال الأسابيع الماضية نغرق في عار العجز والخسة وإخوتنا في فلسطين يقتلون ومسجدنا الأقصى يدنس وما من أحد منكم بادر لنجدة أمته ودينه ..

بل لقد وَضَعنا الخنزير شارون في المكان الذي أحب أن يرانا فيه تماما تماما .. وضع العاجز المستغيث الضعيف الجبان ..

هل حدث ذلك لأننا نفتقد السلاح الذي نواجه به ..

كلا .. ألف كلا ..

أحد التقارير يقول أن لدى العرب ١٧٠١٦ دبابة مقابل ٦٦٠٠ دبابة لدى إسرائيل، ولديهم ٢٠٧٧١ مدرعة مقابل ١٢٠٠٠ لدى إسرائيل ولديهم ٧٠٤٦ قطعة مدفعية ميدان مقابل ١٥٠٠ لدى إسرائيل ولديهم ١٠٨٢٣ صاروخا مضادا للدبابات، ولديهم ٣٠٠ صاروخ أرض-أرض مقابل ١٠٠ قاذف لإسرائيل ولديهم ٢٩٣٧ طائرة مقاتلة مقابل٨٧٩ لإسرائيل، ولديهم ٤٠٠هليوكبتر هجومية مسلحة مقابل ٧٥ لإسرائيل، ولديهم ٢٩٧ سفينة قتال رئيسية مقابل ٥٨ لإسرائيل ولديهم

٧٩٢٣هاون مقابل ١٢٠٠ لإسرائيل.

***

ولقد أكد تقرير ميزان القوى العسكرية في الشرق الأوسط الصادر عن مركز «يافيه» للدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب في شهر أغسطس ٢٠٠١، أن السلاح البحري المصري يعتبر الأكبر في الشرق الأوسط، حيث يمتلك حوالي ٧٠ قطعة بحرية قتالية، منها ٤ غواصات حديثة.

وفي الوقت ذاته، أشار التقرير إلى أن إسرائيل تمتلك ٢٥ قطعة بحرية، منها ٦ غواصات، ثلاثة منها قديمة من طراز «جل»، وسيتم إخراجها من الخدمة قريبًا، بينما يعاني الأسطول السوري من تدهور شديد، حيث يمتلك حوالي ١٢ قطعة بحرية فقط، وليس لديه أي غواصات.

أما بالنسبة للسلاح الجوي، فتمتلك إسرائيل – وفقاً للتقرير - حوالي ٦٢٠ طائرة مقاتلة تعد جميعها حديثة تقريبًا، مثل «إف ١٦»، «إف ١٥»، وكورانس ٢٠٠٠ (فانتوم معدلة)، أما الجيش المصري فيمتلك حوالي ٤٦٠ طائرة مقاتلة، منها ٢٥٠ طائرة حديثة خاصة من طراز «إف ١٦»، في حين تمتلك سوريا نحو ٥٠٠ طائرة مقاتلة.

ويشير التقرير إلى أن إسرائيل لديها حاليًا حوالي ٤٠٠٠ دبابة، منها نحو ١٢٠٠ دبابة من طراز «ميركافا» بأنواعها، فيما تمتلك مصر حوالي ٢٥٠٠ دبابة منها نحو ٢٥٠ دبابة حديثة من طراز «إم آي ١»، وتمتلك سوريا أكثر من ٣٥٠٠ دبابة، منها ١٥٠٠ دبابة من طراز «تي ٧٢» الحديثة.

وفي مجال المدفعية فإن إسرائيل تعاني من نقص شديد، حيث تمتلك حوالي ٢٥٠ مدفعا فقط من كافة الأنواع، وذلك مقابل ٣٠٠٠ لسوريا، وحوالي ٣٥٠٠ لمصر.

وتشير أيضا أرقام التقرير إلى أن العراق وإيران ومصر وسوريا والسعودية لديها معًا ٨٠ منصة إطلاق صواريخ أرض ــ أرض، وتمتلك سوريا وحدها ٤٥ منصة إطلاق، كل واحدة منها تستطيع إطلاق عدد كبير غير محدود من الصواريخ، ولكن بمرور الوقت تقوم إسرائيل بتحسين قدراتها القتالية المضادة للصواريخ الباليستية، من ضمنها الصاروخ المضاد للصواريخ من طراز «حيتس».

في عام ٢٠٠٠ كانت ميزانية التسليح في دولة الإمارات العربية وحدها ٧. ١٤ بليون دولار (منها٦. ٤ بليون لطائرات إف١٦)، وكانت تسبق الهند .. الدولة النووية

التي لم تتعد ميزانية تسليحها ٤. ٨ بليون دولار في نفس العام.

***

وفي دراسة الدكتور نادر فرجاني أن العرب يستوردون نصف نصيب دول العالم الثالث من السلاح .. وفي الفترة بين ١٩٨٦ و١٩٩٤ زاد الانفاق العسكري لست عشرة دولة عربية على ٣٠٠ مليار دولار سنويا.

أما تعداد الجيوش العربية فيبلغ في أقل تقديراته:٢٦٨٧٠٠٠ مقابل ٧٨٦٠٠٠ لإسرائيل، وتعداد الأمة العربية أكثر من أربعين ضعف إسرائيل.

***

ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله؟ ..

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾

وإن لم تقاتلوا اليوم فمتى تقاتلون إذن؟! ..

تخافون من القنبلة النووية الإسرائيلية .. ؟

لماذا لم تصنعوها؟! ..

الباكستان، التي لا تملك عشر معشار ما نملك، أقسمت لتأكلن العشب كي تستطيع الاستجابة للتهديد الهندي، ولم تترك لها مضمار السلاح التقليدي ولا السلاح النووي فاستجابت كما ينبغي أن يستجيب بشر يعي ويحس.

الهند، التي كانت أقصى أمانيها – كما قال نهرو لعبدالناصر في بداية الستينات مدللا على حجم الصعوبات التي يواجهونها هناك – كانت أقصى أمانيها أن تصل بعد خطط للتنمية تستمر عشرين عاما إلى مستوى مصر آنذاك، والهند أيضا لا تملك معشار ما نملك ولكنها استجابت – ولو بالباطل – لما رأته تحديا.

لا ثروتهم أكثر ولا علماؤهم أمهر ولا تقدمهم الحضاري أكثر ولا شعوبهم أرقى. وكل مقارنة بيننا وبينهم تميل فيه كفة الميزان ناحيتنا إلا في وجود إرادة وزعامة وقيادة ونظرة استراتيجية حقيقية ..

لقد طارت في سماء القاهرة في مطلع ١٩٦٧ طائرة هندية بسرعة تفوق سرعة الصوت بمحرك مصري .. ولم تكن صناعة الصواريخ المصرية في ذلك الوقت تستحق السخرية المتعمدة التي عاملناها بها حينئذ، فقد كانت صناعة مبشرة وإلا لماذا قامت

المخابرات الإسرائيلية بإرسال الطرود المتفجرة للعلماء الألمان الذين كانوا يشاركون فيها في ذلك الوقت حتى توقفت هي وصناعة الطائرات في نهاية عام ١٩٦٧ بقرار كان المستفيد منه الإسرائيليون وتجار السلاح .. ولسنا في حاجة لفتح الجراح بالمقارنة بما توصلت إليه الهند التي بدأنا معها بعد ٣٠ سنة من هذا القرار التعس ... لقد فجرت الهند قنبلة نووية وصنعت صواريخ عابرة للقارات وكفت عن استيراد الطائرات.

***

نحن لا نطالب الآن بحرب شاملة نكصتم عن الإعداد لها .. وما كان لكم أن تنكصوا .. وفشلتم وما كان لكم أن تفشلوا ..

لكن هل يعجز كل هذا السلاح في أيديكم عن مجرد الصمود أو الردع؟ ..

هل يعجز أن يفعل بإسرائيل ما فعله بها حزب الله؟!

هل يعجز أن يصيب إسرائيل برعب كالذي أصابها به الفدائيون؟ ..

هل يعجز عن إقناع إسرائيل أنها حتى لو انتصرت في حرب فسوف تكون خسائرها فادحة ..

نحن لم نطلب منكم حربا شاملة فنحن نعرف مدى عجزكم وهوانكم ..

لكن .. هل تعجزون أيضا عن التخطيط لمد الفلسطينيين بالسلاح والصواريخ كي يحطموا الآلة العسكرية الإسرائيلية من داخلها ..

هل تعجزون عن حماية حدود أوطانكم دون قوات أمريكية؟

هل تعجزون عن حمايتها بأنفسكم كي تفتحوها للمجاهدين؟ ..

يا له من عار ..

يا له من عار ..

يا له من عار ..

يا له من عار يلوث شرف العسكرية العربية كلها ..

***

يقول الشيخ حسن نصر الله : إننا لو نجحنا في تدعيم المقاومة عسكريا لحققنا انتصارا حاسما على إسرائيل خلال أعوام قليلة ..

لكنه الوهن .. حب الدنيا وكراهية الموت ..

ليست الحكمة لكنه قصر النظر والحماقة والجبن .. عدم الرغبة في الانصراف عن متع الدنيا ونشواتها الحرام .. ذلك أن خطة كهذه ستشغل من يطبقها من الحكام والجيوش أعواما وأعواما في الجهاد .. فكيف يصبر وكيف يستمر .. نعم كيف يستمر وهو ما تعود أن يستمر إلا لأن أعداء الله والأمة يريدون له أن يستمر ..

***

هي الحماقة والخسة ..

نعم .. الحماقة ..

الحماقة التي جعلت نصف حكامنا يتورطون في أغرب عملية حماقة في التاريخ عندما استدعوا بأنفسهم عدونا الرئيسي لكي يحتل بلادنا .. ودفعوا له ثمن الاحتلال .. ولم يقتصر الأمر على ذلك .. بل دفعوا له ثمن تدمير السلاح الذي أنفقت فيه الأمة دم قلبها .. في العراق .. ولم يكن السلاح سلاح صدام حسين ولا العراق ولكنه كان عنصرا فاعلا في التوازن بيننا وبين إسرائيل فلم تر الحماقة – أو قل إنها الخيانة – أي ضير في مزيد من الإخلال بهذا التوازن.

وربما كان القائد المصري اللواء محمد بلال واحدا من قلة حافظت على النزر اليسير المتبقي من الشرف حين أدرك اللعبة فغلب شرفه العسكري طاعته لرؤسائه فقدم استقالته من قيادة القوات المصرية في حفر الباطن ..

***

كان العراق قد خرج من حربه مع إيران وهو في أقصى درجات الاستنزاف الاقتصادي، لكن جهازه العسكري كان قويا بدرجة تثير القلق حيث كانت القوات العراقية تضم حوالي ٥٥ فرقة و٥٠٠ طائرة متنوعة الطرازات علاوة على ٥٥٠٠ دبابة وآلاف من الوحدات المدرعة، كما تملك التنظيم الجيد والخبرة القتالية. لكن الأخطر من ذلك هو برامج التصنيع العسكري التي انطلقت الحكومة في تنفيذها وبخاصة في مجال أسلحة الدمار الشامل التي كانت مصدر إزعاج لأمريكا وإسرائيل. كان برنامج الصواريخ البالستية أكثر البرامج طموحاً في الشرق الأوسط، وكان العراق أكثر الدول استخداما للصواريخ في عمليات عسكرية فعلية، وقد وضعت ستة برامج على الأقل لتصنيع الصواريخ كان أكثرها تقدما هو صاروخ «الحسين» الذي

يصل مداه لأكثر من ٣٠٠ كم. كما كانت تخطط لإنتاج صاروخ آخر يصل مداه ألف كم، ومعظمها يقوم على تطوير الصاروخ الروسي سكود/ بي. وسعت بغداد لإنتاج قذائف مدفعية بعيدة المدى تركز على المدفع البرازيلي «ستروس ٢٠» ويصل مداه حوالى ٦٠ كم، وقذائف صاروخية أخرى سميت «أبابيل» يراوح مداها ما بين ٥٠ و١٠٠ كيلومتر، كما جرى تنفيذ برنامج لإنتاج مدافع طويلة المدى تتجاوز في مداها المئات من الكيلومترات كان من المتوقع أن تحمل رؤوساً كيماوية أو نووية. وكان العراق قد وضع برنامجين في المجال النووي أولهما طويل المدى يهدف إلى إنتاج الأسلحة النووية، وكان يركز على تطوير المعدات والخبرة اللازمة لإنتاج اليورانيوم عالي التخصيب، والثاني عبارة عن برنامج عاجل بدأ في شهر أغسطس ١٩٩٠ لإنتاج رؤوس نووية يمكن أن تحفظ التوازن الاستراتيجي لبغداد، وكان من المفترض أيضا أن يساعد هذا البرنامج على إنتاج مواد انشطارية كافية لإنتاج الرؤوس المطلوبة في ربيع ١٩٩١. (تم إحباط البرنامجين بالكامل بعد القصف الجوي الذي بدأ في ١٦ يناير/ كانون الثاني ١٩٩١). وكانت العراق قد بلغت مستوى عاليا في الأسلحة الكيماوية ..

كان كل هذا يمثل تهديدا لإسرائيل .. فتحالفت الدول العربية مع أمريكا للقضاء عليه!!

***

افتقاد مذهل للنظرة الشاملة ..

عدم فهم مخيف لاستراتيجية العدو ..

خيبة لا يتصورها عقل هي أشد سوءا من الخيانة .. ونحن لا نستبعد الخيانة ..

تآمر على وعي الأمة ..

كذب على الشعوب ..

ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

***

أيا كان ما سيحدث فإن ما حدث حتى الآن أخرج كل النظم الحاكمة في العالم الإسلامي من إطار الشرعية ..

كلها لا شرعية لها ..

وثمة حكم فقهي يتحدث عن عدم جواز الخروج على الحاكم الفاجر إن خيفت الفتنة .. لكن المطروح الآن ليس هذا .. المطروح هو الحكم في إثم الأمة كلها عن حاكم تعلم أن وجوده فتنة وأن استمراره في الحكم خطر على الإسلام والمسلمين.

الفتوى لا تتعلق الآن بحاكم مسلم فاجر ..

لكنها تتعلق بجاسوس أو عميل للأعداء تمكن من الاستيلاء على الحكم ..

وعلى علماء الدين أن يفتوا ..

***

نحن تكلمنا حتى الآن عن خطر يواجه دولا وشعوبا ..

ولم نتحدث عن الخطر الذي يواجه الإسلام نفسه .. فإذا كان الأمر واضحا هكذا .. جليا هكذا .. فما لكم لا تقاتلون في سبيل الله؟ ..

ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ..

و إن لم تقاتلوا اليوم فمتى تقاتلون إذن؟! ..

أين ذهبت المليارات التي أنفقت على الجيوش؟! ..

أين مخازن السلاح؟! ..

أين التدريبات والمناورات؟! ..

أين ادعاءات الشجاعة ..

أين القسوة والجبروت التي تواجه بها الجيوش مجتمعاتها وشعوبها؟! ..

إن لم تحارب الجيوش الآن فمتى .. وإن لم تحارب الآن فلماذا كانت من الأصل ..

فيم كان كل شيء ..

إن شرف العسكرية العربية كله في خطر ..

يا كل هذه الجيوش والعروش والكروش هل عجزتم عن مجرد الحفاظ على الحد الأدنى من كرامة إخوتنا وأبنائنا في فلسطين .. ؟! ..

هل قلت الحد الأدنى؟!

بل لا يستطيعون يا كل هذه الجيوش والعروش والكروش أن يجدوا ماء أو طعاما ..

بل لا يجدون يا كل هذه الجيوش والعروش والكروش سيارة إسعاف لا أقول لنقل جرحاهم بل أقول لدفن موتاهم ..

هذه الجيوش والعروش والكروش: خسئتم ..

خسئتم ..

خسئتم ..

***

ليست الحكمة بل الحماقة والجبن ..

فيم كان السلاح الذي استوردتموه إذن، فيم كان إهدار الاقتصاد والسياسة والاجتماع من أجل القوة، ولماذا وصلنا يا ولاة أمورنا إلى كل هذا العجز.

«العجز المطلق والهزيمة العربية الشاملة الكاملة» كما وصفها بن جوريون ..

العجز المطلق رغم أن تعداد العرب خمسين ضعف إسرائيل وتعداد المسلمين خمسة أضعاف العرب، وميزانيتنا في التسليح أربعون ضعفا وجيوشنا وسلاحنا أربعة أمثال ثم نعجز هذا العجز المطلق؟!.

يا معشر الحكام: العواصم تصرخ، والمدائن تصرخ، والحناجر والقلوب تصرخ، وثأر الله يستصرخنا ألا نصمت.

نحن لن نطالبكم الآن بحرب شاملة عجزتم عن الاستعداد لها رغم أننا – نحن الأمة – لم نبخل بشيء من تكاليفها .. أخذتم التكاليف أضعافا مضاعفة وأهدرتموها ..

لا نطالبكم الآن بحرب شاملة .. بل بمجرد ردع إسرائيل .. بالحد الأدنى من الكرامة .. وسوف نعوض – نحن الأمة– قصوركم وعجزكم بشهدائنا ..

لا نطالبكم بحرب .. لكن افتحوا الحدود وسلحوا المجاهدين ..

لكن ..

في البداية كانت الأسلحة الفاسدة ..

والآن: الضمائر فاسدة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

فلسطين عروس عروبتكم

شارون الأول ..

شارون الخامس والخمسون ..

■ **حكامنا ليسوا فاشلين ولا عجزة ..**

■ **إنهم يقومون بالعمل الذي جيء بهم من أجله : حماية إسرائيل ..**

■ **ونجحوا في قرن حيث فشل الغرب طيلة قرون : دمروا أمة الإسلام ..**

■ **الأمة هي العاجزة والفاشلة في تغييرهم والقضاء على حاشياتهم ..**

عجزت عن الكتابة ..

عجزت .. عجزت .. عجزت ..

فكرت في أن أعتذر إليكم يا قراء ..

لكنني أرى أن الأمة كلها محتاجة إلى كل اعتذاراتها كي تقدمها إلى فلسطيني واحد ..

ولو كنت مكانه لما قبلت الاعتذار ..

***

لقد راجعت مئات المقالات والأبحاث وكتبا عديدة كي أواصل ما كتبته في الأسبوع الماضي عن خريطة شارون- بوش لتقسيم العالم العربي .. ورغم أنني أكتب في هذا الموضوع منذ عشرين عاما إلا أنه قد هالني ما قرأت ..

هالني .. وأفزعني ..

فظيع أن يروعك أمر مفاجئ ..

لكن الأفظع والأمر .. أن يفاجئك أمر غير مفاجئ .. أمر يحاك منذ عشرات وربما مئات الأعوام ..

وأخذت أعد عدتي لكتابة المقال .. لكن الأحداث المروعة في فلسطين كانت تحتل كلَّ خلية في كياني ..

ورغم أنني أبغض أن أتناول الأمر من منظور غير جهادي .. لكن كيف أقنع قلبي ألا ينشطر وهو يرى يد ذلك الطفل المدفونة تحت الركام ..

لم أر إلا يده .. وكان الجسدُ كله مطمورا ..

وكان المسيخ الدجال في واشنطن – رأس الشر وخليفة الشيطان بوش- يراه إرهابيا لا يجوز إنقاذه ..

رأيت أيضا تلك المرأة التي تحثو على رأسها التراب الذي وددت لو أحثوه في وجوه حكامنا.

رأيت الجثث والأشلاء صفوفا خلف صفوف ..

خلف جثمان كل شهيد تحت الأنقاض في فلسطين رأيت وجهه ..

لا ..

ليس وجه الكلب المسعور شارون ..

بل وجه مولانا الفاسق ..

ووجه رئيسنا الضليل ..

ووجه أميرنا السكير ..

ووجه سلطاننا عاشق الأطفال ..

***

استرجعت صوت الصديق الغاضب يصرخ:

– لم نمر بهذه المهانة منذ غزو بغداد .. منذ التتار .. هذه أخطر فترة تمر بها الأمة منذ ألف عام ..

ثم واصلت استرجاع صوت الصديق:

– ماذا يفعل الرئيس مبارك في شرم الشيخ؟ .. وماذا يفعل الأمير عبدالله في أغادير؟ .. ماذا يفعل حاكما أهم بلدين إسلاميين خارج مقر القيادة العليا للجيش؟

وهمست لنفسي:

هذه الأواكس التي تحلق في سماء المملكة ليل نهار لم ترصد أبدا يد الطفل ذي الجثة المطمورة ..

وهذه البلايين والبلايين والبلايين عجزت أن تقدم كسرة خبز لتلك العجوز التي قالت أن فاها لم يلك طعاما منذ عشرة أيام ..

خلف كل جثمان كل شهيد رأيت وجه مولانا الفاسق الضليل السكير اللص الغبي الخائن عاشق الأطفال ..

وخلف كل شلو من أشلاء أحبابنا رأيت وجه ضابط أمن .. لا .. ليس إسرائيليا .. بل .. عربيا .. ويزعم أنه مسلم!! ..

ما فشل فيه جنود الأعداء من الصليبيين والتتار طيلة ألف عام نجحت فيه أجهزتنا الأمنية ..

دمرت روح الأمة ..

***

أيها المجرم السفاح قاتل طالب الإسكندرية وطالب البحرين .. هل تظن أنك أقل سوءا من أي ضابط إسرائيلي .. لا والله .. بل هو أفضل منك .. لأنه يسعى – ولو بالجريمة – لنصر بلاده وهى منتصرة .. وأنت يا سفاح يا عبد الشيطان تسعى بالجريمة لهزيمة أمتك .. وهى مهزومة .. أما وليك وآمرك والمتستر عليك فليس سوى عبد للشيطان مثلك ولن يغنى عنك من الله شيئا ..

***

خلف كل شلو رأيت قاضيا ذليلا .. أطلق سراح الخونة ودفع بالأبطال إلى غياهب السجون ..

وخلف كل شلو رأيت رئيس نيابة تحول من أمين على حرية الأمة إلى قواد تغتصب العدالة على يديه فلا تهتز له شعرة ..

وخلف كل صرخة عذاب وألم واستنجاد رأيت وجه قواد يرفع رايات الشرف وهو يمارس الدعارة بالكلمات حيث يعمل رئيس تحرير صحيفة أو مدير إذاعة أو تلفاز ..

***

وخلف كل كل ذلك رأيتك أنت أيضا يا أمة ..

أنت العاجزة الفاشلة وليس حكامك .. حكامنا ليسوا فاشلين ولا عجزة .. على العكس .. إنهم ناجحون تماما .. ولو لم ينجحوا ما استمروا قابضين على الحكم لحظة .. إنهم يقومون بالعمل الذي جيء بهم من أجله: حماية إسرائيل .. ولقد نجحوا في

قرن حيث فشل الغرب طيلة قرون: دمروا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله لتجد نفسها في هذا الخزي العاجز والعجز المهين .. ..

ليس العجز في مواجهة العدو الخارجي .. فكيف تواجهه وقد تحالفت كل نخبنا الحاكمة معه علينا!! ..

وإنما العجز في تغيير حكامها والقضاء على حواشيهم ..

***

في صلاة الجمعة هالني عدد الجنود في الشوارع .. لم أر هذا العدد في حياتي قبل ذلك .. وكانت معظم الشوارع مغلقة .. وكان الجنود يشهرون سلاحهم ..

وخفق قلبي ..

تساءلت: هل تحرك الجيش أخيرا؟ ..

وظل هذا الخاطر يلح عليّ حتى عدت إلى منزلي بعد الصلاة فهرعت إلى الفضائيات والإنترنت ..

واكتشفت أن كل هذا الاستعداد كان لقمع المظاهرات ..

وفقدت القدرة تماما على الكتابة فيما كنت قد انتويت الكتابة فيه ..

وجلست ساعات وساعات أراجع نفسي في ذهول: لطالما عقدت المقارنات بين قوة العالم العربي وإسرائيل .. أحصيت طائراتنا وطائراتهم .. وجنودنا وجنودهم .. ودباباتنا ودباباتهم .. وصواريخنا وصواريخهم .. وبوارجنا وبوارجهم ..

الآن أصرخ ..

ليس لنا طائرات ولا جنود ولا دبابات ولا صواريخ ولا بوارج ..

فكلها لهم ..

كلها لهم ..

كلها لهم ..

***

أدركت ما كنت أدركه لكنه روعني ..

ليس مطلوبا منا أن نُهرَعَ لنجدة إخوتنا في فلسطين!! ..

ولا أن نعبر الحدود إليهم ..

فمعركتنا هنا ..

معركتنا هنا ..

معركتنا هنا ..

تماما كمعركة كل شعب مسلم ..

وهؤلاء الجنود جنود شارون ..

شارون لا يحميه جنوده بقدر ما يحميه جنود حكامنا ..

لكم آلمني المشهد ..

رغم أنني أعرف منذ زمان طويل أن شارون ليس في إسرائيل فقط .. بل في كل بلد عربي .. وربما إسلامي .. بل إن هذا الكلب الشرس في تل أبيب أشرف منهم جميعا .. لأنه يعمل من أجل بلده .. وهم يعملون ضد بلادهم ..

***

لكم ذبحني صوت ذلك الفلسطيني وهو يصرخ على شاشة فضائية: لماذا يضرب الحكام العرب المتظاهرين من شعوبهم بالرصاص .. ليت شارون يفك عنا الحصار ساعتين كي نتظاهر احتجاجا على ضرب المتظاهرين بالرصاص!! ..

***

ليس لنا طائرات ولا جنود ولا دبابات ولا صواريخ ولا بوارج ..

فكلها لهم ..

كلها لهم ..

كلها لهم ..

قبل الوعد بسلخ فلسطين من الجسد الإسلامي كان التمهيد طويلا طويلا ..

وقبل خيانة الحكام كانت خيانة العلماء والمثقفين الذين ساعدوا الغرب علينا فروّجوا لأفكار شاذة كان كل همها هدم الإسلام وتحقير المسلمين ..

كان كل ذلك تمهيدا لما حدث بالفعل بعد ذلك من تشرذم العالم الإسلامي وضياع فلسطين ..

كان هدم الخلافة الذي هللوا له كثيرا ..

وكانت سايكس بيكو الأولى ..

لكن تزييف الوعي استمر بعد ذلك ليمهد لسايكس بيكو الثانية التي عبر عنها محمد حسنين هيكل في أحد كتبه وهو يتصور أن أحد السيناريوهات القادمة التي يخطط الغرب لها هو «التصور الصومالي» حيث تتحول كل الدول العربية كلها إلى نموذج الصومال .. دول تقسم .. وشعوب تشظّى .. وحكومات لا تحكم إلا جزءا من العاصمة .. وقبائل متناحرة .. وحضيض لا حضيض بعده ..

لم يستطع الغرب أبدا أن يغزونا فكريا ولا أن يهزم أرواحنا حتى حين هزم جيوشنا ..

لكن .. تكفل بالمهمة أبناء جلدتنا ..

في القرن التاسع عشر كان عملاء الاستعمار يقومون بالمهمة لكن رائحة عفن الخيانة صرفت الناس عنهم فلم يتبعهم إلا قليل ولم ينجح منهم في إخفاء عمالته إلا قليل ..

في القرن العشرين حمل الشيوعيون لواء تزييف وعى الأمة .. حملوه باقتدار لا يضاهيهم فيه إلا الشيطان ..

كانوا هم الوجه الآخر لليهود .. وكانوا – وما يزالون – امتدادا عضويا لهم ..

وتلقف القوميون الطعم منهم بغباء مطلق .. وما زالوا ..

***

تكفلت سايكس بيكو الأولى بتمهيد التربة لزرع إسرائيل ..

وكل خط وضع في الخرائط كان من أجلها ..

وكل حاكم جاء منذ ذلك الوقت لم يكن إلا خفيرا لحراستها .. بإرادته واختياره في معظم الأحوال .. وعلى الرغم منه في أقلها ..

***

تم تقسيم الدولة الإسلامية لتكون التربة المثالية لإسرائيل ..

وتم وضع الحكام المثاليين لحراسة إسرائيل ..

تم تدريب أجهزة الأمن لحماية إسرائيل ..

وتسليح الجيوش لتكريس هذا كله ..

وطوال الوقت .. تم حصار الفئة الوحيدة التي كانت تستطيع المواجهة بل النصر: الإسلام والمسلمين.

فكيف نتصور أننا يمكن أن نواجه ونحن في هذا الحال؟! ..

***

أما عن التساؤل عن حالنا لو استمر الأمر كذلك فليس سوى ذل الدنيا وخزي الآخرة.

***

سألت نفسي .. لو أن الجيش المصري في عام ٦٧ – رغم الكارثة – حارب كما حارب أهل جنين .. هل كان يمكن أن تكون إسرائيل الآن موجودة .. ؟

***

الحل واضح مهما كانت صعوبته ..

على الأمة أن تنهض ..

عليها أن تكنس حكامها .. وأن تمحو الحدود بين بلادها ..

وأن تلفظ كل تلك الأفكار الشاذة النجسة التي دمرت الأمة من يسار وقومية وعلمانية و .. و .. و ..

***

لقد قام أبناؤنا الطلاب بجزء من واجبهم .. أشعلوا الشرارة .. وكان على الأمة أن تتحرك .. فلماذا لم تتحرك؟ ..

***

هناك فتوى أريد أن أستفتي فيها ..

لكنني لن ألجأ إلى عالم دين ..

نعم ..

لن ألجأ إلى عالم دين .. بل إلى ضابط مخابرات!!

أريد أن أستفتيه:

كيف يكون التصرف إذا ما اكتشفنا أن الأعداء قد وصلوا إلى قيادة الدولة ليعينـوا ملكا أو رئيسا أو أميرا هو جاسوس لهم .. أو على الأقل عون لهم على أمته ..

وأريد أن أستفتيه .. حتى لو أحسـنّا الظـن حتـى البلـه .. وقلنـا أن الحـاكم لـيس جاسوسا ولا خائنا لكن طريقة قيادته للبلاد تهدد أمنها .. فماذا يجب أن نفعل؟ ..

أريد الفتوى ..

أريدها منكِ .. يا أجهزة الأمن القومي في عالمنا الإسلامي ..

***

لماذا نطيل الكلام ..

القضية واضحة:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾..

قاتلوا الذين كفروا كافة كما يقاتلونكم كافة ..

انتهت القضية!! ..

أزمــة المشــروعية في العــالم العربــي

لكم كان محزنا ومهينا ما نشرته وكالات الأنباء، وصحف مصرية، أن الغبي المجرم المجنون بوش، قد تعمد استدعاء الرئيس مبارك إلى واشنطن، يوم الخامس من يونيو، نكاية وزراية ومهانة.

وبرغم افتقاد أي نوع من التوافق مع الرئيس إلا أن الإهانة وصلت إلى نخاعي ..

لن أناقش الزيارة .. ولا أتوقع من نتائجها إلا شرا .. تطبيقا لقاعدة لم تكذبني قط .. وهى أن هذا النظام ما خيِّر بين أمرين إلا اختار أسوأهما .. والأمر الآن أسوأ حتى من ذلك .. فالرئيس لم يستدع لواشنطن للاختيار بل للإجبار .. إجبار يدفع الجزر المتناثرة المعزولة التي لم تستسلم بالكامل بعد إلى الاستسلام النهائي.

***

منذ أسبوعين كان فهمي هويدى يطرح تساؤلا داميا عن حالة الفصام التي أصابت الدولة، فالشعارات التي يرددها المسؤولون على شاشة التلفاز، يضرب الطلاب بالرصاص إذا ما رددوها في الشارع، تنكل بهم الشرطة وتحبسهم النيابة ويسجنهم القضاء، ويتساءل هويدي إذا ما كان في مصر دولتين؟ ..

والإجابة مريرة .. فليس في مصر دولتان فقط .. بل عشرات الدول .. !! فبرغم أن بلادنا قدمت أول حضارات الدنيا وأول دول في التاريخ، ومنها تعلمت القبائل كيف تصير دولا، إلا أن المأزق الذي يخنق الدولة ويكاد يهدد وجودها، يكشف مباشرة عن أزمة شاملة في العلاقة بين السلطة والمجتمع، واحتياجهما معا إلى مراجعة المبادئ الأولية لقيام السلطة والدولة، وبلدنا: أقدم حضارة ودولة في التاريخ، عليها أن تتعلم من جديد كيف تكون دولة.

***

إنني لا أقصد الرئيس مبارك بشخصه، ليس خوفا من مواجهته، ولا حتى عزوفا عنه ويأسا منه، لأن المأزق التاريخي الذي نندفع إليه، يضعه على الرغم منا وبالرغم منه، في نفس شبكة الصياد المتأهبة لابتلاعنا جميعا ..

الأزمة التي نواجهها أكبر بكثير من أن تتعلق بشخص رئيس هنا أو ملك هناك.

***

لست أعني أيضا أزمة أنظمة سياسية تحكم بأحزاب مزورة الأصوات، ولا خلل

بنيان اجتماعي وفكري جعل القانون سكينا في يد مجنون، وجعل تطبيق كل فكرة يؤدي عكس المستهدف منها تماما، فالاستفتاء الذي يقصد به أن تعمل الأمة كلها رأيها وفكرها وعقلها في مشكلة تواجهها قد أدى في التطبيق إلى تغييب الأمة وتغليب رأي النظام وقمع معارضيه، والقطاع العام الذي أنشأته بعض النظم العربية وقصد به الحفاظ على حقوق العمال، قد أدى إلى نشوء طبقة من كبار المنحرفين تحالفت مع السلطة بل وسيطرت عليها أحيانا، حيث أدت الآلة الاقتصادية الجبارة إلى تقوية السلطة لتسحق بهذه القوة العمال، مما أدى في النهاية إلى بيع القطاع العام نفسه، في أجواء فساد لا تتصور، أما نسبة الـ ٥٠ ٪عمالا وفلاحين التي ابتدعتها بعض النظم فقد استخدمت لإهدار حقوق العمال والفلاحين، وقوانين العيب صدرت لتستر العيب ولتحمى مقترفيه، وقانون الطوارئ الذي صدر بحجة حماية الوطن ينخر كالسوس في جسد الوطن، وقوانين التعليم لإفساد التعليم، وتحت راية العدالة تسحق العدالة، ويصفَّى المعارضون، وترتكب السلطة أفدح الجرائم التي يؤثمها قانونها الموضوع، وتوضع قوانين الصحافة لتفريغ الصحافة من كل قيمة.

لست أقصد أيضا المؤسسة العسكرية في العالم العربي .. والتي تحولت من وظيفتها المفروضة وهى حماية الاستقلال، إلى وظيفة بائسة وهى تكريس التبعية، وبدلا من أن تواجه العدو، راحت تمنحه منصات تدريب حية يتدرب فيها على غزو العالم العربي، وبالرغم من مئات المليارات التي تنفق عليها، فإنها خلال ما يقرب من ثلث قرن لم تطلق على العدو رصاصة، بينما كان ضحاياها من شعوبها بمئات الآلاف، والأرقام المنشورة، وهي بالطبع أقل بكثير من الأرقام الحقيقية، تظهر على سبيل المثال مائة وخمسين ألف ضحية في الجزائر فقط. حتى أن المحصلة النهائية تجعلنا نتمنى لو لم تكن لنا جيوش على الإطلاق، لأن ما قامت به هذه الجيوش أساسا، هو تدعيم أنظمة فاسدة دفعت بالأمة كلها للهزيمة والخراب، وأنه بافتراض عدم وجودها، لأمكن لكل شعب عربي أن يكون منظمات مقاومته، تماما كما حدث في لبنان.

***

يثور التساؤل أحيانا: لماذا نكصت كل الدول العربية عن مواجهة إسرائيل عدا لبنان وفلسطين؟ ..

والإجابة الدامية تقول: لأن لبنان وفلسطين فقط ليس فيهما جيش قوي ولا دولة مسيطرة ..

لشد ما هي مهينة تلك الإجابة لكل الدول .. ولكل الجيوش التي اقتصر جهدها على ضمان استمرار النظم الفاسدة لهذه الدول.

***

لا يفوق التأثير الضار للمؤسسة العسكرية في العالم العربي إلا مؤسسة أخرى هي المؤسسة التي يطلق عليها زورا مؤسسة الأمن، بينما هي مؤسسة الترويع والرعب والخوف.

والشرطة في الأصل مؤسسة مدنية، إلا أنها في عالمنا العربي تحولت إلى مؤسسة متوحشة، فقدت الضمير كله ولم يعد لديها أي وازع أخلاقي، تحولت إلى عصابة أشد إجراما من أعتى العصابات، ولسوف نحتاج، عند انفراج الغمة ولو قليلا، إلى مئات بل آلاف من الباحثين، ليكشفوا لنا كيف أمكن تحويل أفراد مؤسسات بأسرها إلى وحوش، لا أقول حتى إلى مجرمين، فالمجرم إذ يرتكب جريمته يعرف أنه يرتكب جريمة، فلا يفخر بها إلا بين مجرمين، وفي حوادث الاغتصاب مثلا، فإن المجرم الشاذ المجنون وحده هو الذي يستمتع باغتصاب امرأة أمام زوجها أو أبيها أو أخيها، بينما يفتخر رجال الأمن في عالمنا العربي بجرائمهم، بقدرتهم على اختراق القانون، وأما في جرائم الاغتصاب وهتك الأعراض فالأمر أشهر من أن يحتاج إلى تعليق.

في سوريا على سبيل المثال، نجحت أجهزة الأمن في تحقيق انتصار ساحق على الشعب السوري، فعدد القتلى والسجناء غير معروف بالضبط، لكن عدد المختفين يصل إلى خمسة عشر ألفا .. خمسة عشر ألفا من الشعب السوري لا الإسرائيلي. خمسة عشر ألفا هم المختفون فقط ..

ترى .. في تاريخ المواجهة التي تمتد نصف قرن أو يزيد .. كم كبدت سوريا إسرائيل من القتلى؟

***

وعلى الرغم من ذلك فإن أداء المؤسسة العسكرية، ومؤسسة الأمن المدنية التي تعسكرت أكثر من الجيش ليسا هما الأزمة التي نواجهها.

فالأزمة أبعد حتى من وقف التعذيب والتزوير والفساد، بل لعل التعذيب والتزوير مجرد عارض، ونتيجة لعدم حل الأزمة المستحكمة والمستفحلة.

الأزمة أبعد بكثير من محاولة حصرها في نطاق ضيق نستطيع أن نشير إليه لنقول هذا

هو الداء فهاتوا الدواء، إنها أزمة الأسس التي يقوم عليها توازن السلطة وتوزيع الصلاحيات والمسؤوليات ومعايير التداول الطبيعي والسلمى للسلطة، أزمة الخلل في بناء السلطة ونموذجها وقيمها، وطريقتها في ممارسة القيادة الاجتماعية في الحكم وفي المعارضة معا، فلو كان نظام الحكم سليما، لو لم يكن مصابا بسرطان يعبر عن نفسه بآلاف الظواهر التي قد تخدع بأن المرض سيزول حين نعالج الظواهر، ولو توفرت سلطة حقيقية راشدة عاقلة موضوعية لما قاد إخفاق الحكومة في فترة ما إلى أزمة في الحكم، ولما أدى فشلها إلى تفجر أزمة في الحكم والسلطة والمعارضة والمجتمع، بل إن هذا الإخفاق حين يحدث في نظام سليم الأسس، مكتمل المعايير، قد يمثل فرصة تاريخية للتغيير الإيجابي، وإلى انتقال السلطة دون مشكلة إلى فريق آخر أكثر كفاءة والتزاما.

لست أقصد بالسلطة شخص الحاكم، بل أعتقد أنه هو الآخر – في بعض من الجانب الفاجع للمأساة – ضحية لذلك الخلل الجسيم في النظام، كما لا نقصد أيضا مجلس الوزراء، ولا حتى السلطات الثلاث، بل نقصد – كما يعبر الدكتور برهان غليون في كتابه نقد السياسة – جملة المبادئ والمعايير العامة التي تحدد العلاقات بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع، والتي تتجسد عبر مؤسسات مختلفة ومحددة الصلاحيات، تضبط إيقاع المجتمع، وتساعده على تنظيم علاقاته وجنى ثمار نشاطاته وجهوده في تراكم كمي وكيفي، كما تمنع إهدار جهد الأمة، ونزفها في العمولات والرشاوى والفساد والتهريب والتصرفات الطائشة والقرارات الحمقاء واستغلال السلطة.

مفهوم السلطة الذي نقصده أوسع بكثير من منصب الحاكم وقواد جيشه ووزرائه وكبار مسؤوليه، ولقد سبق الحديث النبوي الشريف علوم السياسة والاجتماع حين قال: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»، فالسلطة التي نقصدها تشمل ضمن ما تشمل سلطة الأسرة والمدرسة والحى والقرية والمدينة والجماعة الدينية أو المذهبية أو الحزب، ثم الجماعة الوطنية ثم القومية ثم الإسلامية. وفي كل سلطة من هذه السلطات تتبلور المعايير التي تصوغ في النهاية وجدان الأمة، وتقوم كل سلطة من هذه السلطات على أنماط ومعايير لا يجب الخلط بينها، كالنمط الأبوي في الأسرة، والنمط العلمي في المدرسة أو الجامعة، والديني في المسجد والسياسي في الحزب والدولة. بيد أن كل هذه الأنماط والمعايير لا تتحرك في فراغ، وإنما يحكمها جميعا، يكفلها وينظم العلاقات بينها سلطة الدولة، وهى في النهاية الضامن الرئيسي لسلامة كل السلطات الأخرى، ومتى ضعفت هذه السلطة السيادية الكبرى، أو فقدت رشدها، ومقاييسها

الأخلاقية والعقلية، تعرضت جميع السلطات الأخرى للاهتـزاز، وفقـد معهـا المجتمـع اتزانه ووسيلته لترتيب أوضـاعه وحسـم خلافاتـه وتحديـد أولويـات نشـاطه وتحقيـق توازنه العام ومعرفة طريقته ووجهته.

كل الأزمات التي نواجهها إذن ليست إلا عرضا لمرض، وليست هي المرض، فعنـدما تفقد السلطة الكبرى المعايير والمنطق تفقد كل السلطات الأخرى اتجاهها كما تفقد القافلة المرتحلة قائدها ودليلها فتفقد الطريق، لتسير كـل مجموعـة في اتجـاه مختلـف، يسـبق ذلـك ويصحبه ويعقبه، صراعات دامية حول أيهم على صواب، وعلى اقتسام زاد الرحلة.

يشكل الحاكم – ليس كمجرد فرد – عنصرا من عناصر السلطة السيادية الكـبرى، عنصرا تختلف نسبة تأثيره فيها أو تأثيرها فيه طبقا لقوتـه، لا نقصـد بـالقوة هنـا قـوة الحرس ولا مناعة الحصون ولا ضخامة المخابرات والجيش والشرطة، بـل نقصـد بهـا قوة مبادئه ومعاييره وقيمه الأخلاقية والمعنوية وشخصيته، وقدرته على إقناع الأمة في الداخل والعالم في الخارج بمنظومتـه الفكريـة، والـتي تتشـكل مـن مجمـوع المنظومـات الفكرية لمختلف الاتجاهات في الدولة، إنه كالمايسترو في فريق موسـيقى، يمكـن بسـوء إدارته أن يفسد عمل المجموعة كلها مهما بلغت براعتهم.

إن عجز الحاكم في مثل تلك المجتمعات، وافتقـاد ه للمنطـق والمشـروعية، ونزولـه إلى حلبة الصراع بدلا من أن يظل حَـكَـــمْا، يعتبر عاملا من العوامل المهمة الـتي تـؤدى إلى عجز السلطة السيادية الكبرى في المجتمع حيث يترتب على هذا العجـز انفـلات عناصـر السلطة جميعا، وبحثها، كل على حدة، وحسب ما تقع عليه يدها على نسق جديد تستطيع من خلاله أن تعيد بناء علاقاتها بالواقع، وأن تعين معايير جديدة لسـلوكها كـي لا تفقـد توازنها الكامل وتفنى، ذاك العجـز وهـذا الانفـلات، وانعـدام القـيم والمعـايير والمنطـق والمنهج تؤدى في النهاية إلى نوع من التشتيت والضياع وفقدان القدرة عنـد كـل مؤسسـة على أن تتعرف على مكانتها ودورها ومسؤوليتها في مجمل النظـام الاجتمـاعي. خطـورة هذا الخلط، أن كل مؤسسة تفقد معرفتها للوظيفة الخاصـة بهـا، فتسـعى إلى القيـام بكـل الوظائف التي يمكنها من خلالها أن تثبت نفسها، وتضفي على وجودها الشرعية والنجاح وتؤمن لنفسها السيادة. وهنا ينفرط عقد الأمة، فمجلس الأمة أو الشيوخ مثلا بـدلا مـن أن يمثل الشعب ويحتفظ بعلاقات سليمة من الأخذ والعطاء وإرساء المعايير والقيم يصبح سيد قراره، يتحدى أحكام القضاء، ويسن القوانين التي تهدر حق الأمة في السيادة، ويفقد وظيفته كعين للأمة على السلطة. نفس الشيء يحدث لجهاز الشرطة، إنه يكف عن تطبيق

القانون العام، مهمته الأساسية التي أن شيء من أجلها، كي يصوغ لنفسه قانونه الخاص، الذي يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في البلاد، يعز ويذل ويعذب ويعفو ويحمى نهب السادة لممتلكات الآخرين بالسلاح (كتب د. محمد السيد سعيد تقريرا عن ذلك فاعتقل بسببه وعذب تعذيبا شديدا، اقتنع بعده بضرورة أن يتحول من أحد الكوادر الهامة في اليسار المصري إلى عضو نشط في الحلف الصهيوني الأمريكي)، إن جهاز الشرطة في مثل هذا المجتمع يستولى أيضا على اختصاص القضاء، ويصبح السلطة العليا في الجامعة فلا يعين فيها من لا يرضى عنه، بل ويتسلل إلى أماكن لا يمكن تصور تسلله إليها، كالأدب والفن والمسرح. وهو مع ذلك كله يتخلى عن واجبه الأساسي في حماية الناس وضبط العملية الانتخابية وتحقيق الأمن بمفهومه الذي يعرفه به العالم.

في ظل غياب السلطة، يتصرف المجتمع بكل هيئاته ومؤسساته وأجهزته، وصحافته وجامعاته، وحتى أحزابه المعارضة، تصرف طلاب مدرسة غاب عنها المدير والناظر والمدرسون والموظفون أو انشغلوا بمصالحهم الذاتية، حيث ينتفي الغرض، تتوقف العملية التعليمية وهي الهدف، ورغم وجود اللوائح والكشوف فلا شيء ولا أحد يبقى في مكانه، وحتى المعارضين لما يحدث، لا يبقون في أماكنهم، بل يحاولون شغل الأماكن المعنوية الخالية للناظر والمدرسين، فإذا أضفنا إلى ذلك، أن إدارة المدرسة، تقمع بكل الشراسة والعنف، وتفصل كل طالب ينادى بعودة النظام إلى المدرسة، استطعنا أن نكمل عناصر التشبيه.

***

يقع الحاكم في المصيدة التي أعدها لشعبه، لقد أقنعته مؤسسات السوء أن هذا الشعب خطر عليه، وتكفلت بموافقته في تدمير كل عناصر القوة في هذا الشعب، لكن الرئيس الأمير الملك لم يدرك أنه في اللحظة التي بدأ يفعل فيها ذلك، قد فقد مشروعيته، وتحول من مؤسسة ضابطة للسلطات جميعا إلى مؤسسة من المؤسسات التي تتصارع على السلطة، وفي أحيان كثيرة يكون الحاكم هو أقوى تلك المؤسسات المتصارعة على السلطة، وذلك ما يبقيه حاكما، لكنه في أحيان أخرى لا يكون الأقوى، ولا يبقيه في الحكم سوى لعبة التوازنات بين المؤسسات المتصارعة على الحكم، ولأنه لا توجد قوة منها قد حققت التفوق على مجموع القوى الأخرى، ولأن كل قوة تخشى من أن تستأثر القوة الأخرى بالسلطة، لتنكل بها، فإن الحل الأسلم للكل، وبصورة مؤقتة يكون هو الإبقاء على الحاكم الضعيف في الحكم.

والعلاقة بين هذه المؤسسات المتصارعة على الحكم علاقة وحشية دامية لا خلق فيها ولا ضمير، إنها ليست علاقة التنافس على بناء الوطن بل على نهبه، ولست العلاقة على ممارسة مكارم الأخلاق بل العكس، ليصبح على القمة في تلك المؤسسات: القاتل والسارق واللص.

كل مؤسسة من تلك المؤسسات، وكل قوة من تلك القوى، تدرك تماما أنها عدوة للشعب كما أن الشعب عدو لها، وأنها تفتقد كل مشروعية للحكم، ليست مشروعية الشريعة فقط، بل مشروعية القانون الوضعي ذاته، ولأنهم يدركون ذلك، ويدركون ضراوة الصراع الوحشي بينهم، والذي لن يزيح المهزوم عن الساحة فقط، بل سيقتله، نعم سيقتله بعد أن يفضحه ويشهر به ويسجنه، لذلك كله، فإن كل قوة من هذه القوى تسعى إلى مزيد من القوة، تبحث في الداخل عما يقويها، وفي كثير من الأحيان يكون الحاكم هو مصدر تلك القوة، لكن لفترة مؤقتة فقط، فمع ازدياد ضراوة الصراع، وازدياد قوة تلك الأطراف، يزداد ضعف الحاكم، وتضمحل قدرته على مد الآخرين بالقوة، وعندئذ، تمتد أعين تلك القوى إلى الخارج لتستمد منه القوة، فإذا كان الخارج عدوا، يريد بالأمة شرا، كما هو الواقع في أحوالنا في العالم العربي، فإن التنافس بين مؤسسات الحكم في كل دولة، شاملة الرئيس الملك الأمير، لا يكون على خدمة الوطن، أو التفاني في سبيله، بل يكون على خيانته، والتضحية به، ذلك أن الأمر عندما يصل إلى تلك الدرجة، فإن قوانين اللعبة في المجال الداخلي تنقلب إلى عكسها، فالداخل عاجز عن إعطاء ميزة رئيسية تمكن إحدى القوى من الحكم وحدها، أما الخارج، فهو قادر على ذلك، وعند هذه النقطة، تنهار كل السدود المانعة للخيانة والتدني والانحطاط، وتسقط المحرمات جميعا، فما من دنية تمنعهم ولا من خيانة تمنعهم، ويتحول الحاكم الرئيس الأمير الملك الخليفة، من مصدر القوة الرئيسي إلى مركز الضعف الأكبر، لأنه لم يعد لديه مزيد يحققه، وأقصى ما يتمناه هو الحفاظ على الوضع القائم، أما الفئات التي حوله، تلك التي أغرته بالشعب حتى حرمته العافية والسلامة والصحة والقوة، والتي امتصت الشعب حتى نضب، قد حولت قرون استشعارها نحو الخارج، لتصبح عنصر التهديد للحاكم، والبديل المتاح له.

في هذه اللحظة يضيع الوطن على مائدة اللئام، فمصدر القوة، وهو الخارج، العدو المتربص، يجد من يتوسلون إليه، ويعرضون البيع بأرخص الأسعار، والحاكم أيضا يشارك في المزاد، لكنه يدرك، أنه محكوم بجدود معينة سيفقد بعدها الحكم، لذلك، وليس بسبب أي داع من دواعي الأمانة والشرف، أو الإحساس بالمسؤولية، تكون

مرونته أقل، والخيارات المتاحة أمامه أكثر محدودية من تلك المرونة والخيـارات المتاحـة أمام المؤسسات التي صنعها هو بنفسه.

***

في علم الأمراض، لا يمكن أن تشاهد كل أطـوار المـرض في نفـس المـريض، وإنمـا ترى المراحل المختلفة في مرضى مختلفين، وبالدراسة الفاحصـة، تسـتطيع أن تشـخص المرض في بداياتـه، كمـا تسـتطيع التنبـؤ بمسـاره ونهاياتـه. وتسـتطيع أيضـا أن تـدرك الاحتمالات المختلفة للصور الخادعة لهذا المرض، عندما يقترن بمرض آخر، أو عنـدما يخفف من ظواهره قوة احتمال المـريض مـثلا. والطبيـب الـذي ينتظـر كـي يشـخص المرض عند اكتماله لا يصلح طبيبا بل حفار قبور.

في السياسة أيضا يجرى الأمر على نفس المنوال. وينطبق عليها نفس المعايير.

وما أريـد أن أقولـه : إن السياسـة في عالمنـا العربـي كلـه – والإسـلامي أيضـا – مريضة. وربما يكون النموذج المكتمل منها هو نموذج السلطة الفلسطينية، حيـث يبـدو الرئيس عرفات هو الأضعف، وتبدو أكثر العناصر خيانة وارتباطـا بالعـدو الخـارجي هي بالذات أكثرهـا قـوة. لكـن حفـاري القبـور فقـط هـم الـذين يعتـبرون السـلطة الفلسطينية هي المريض الوحيد، ولا يدركون أن الأمر ليس مرضا وإنما هو وباء.

***

ترى .. هل أجبت على تساؤل فهمى هويدي حـين تسـاءل كيـف تقتـل الشـرطة طالب الإسكندرية الذي لم يفعل سوى أن رفع في الشارع الشعارات التي يرددها كبار المسئولين في أجهزة الإعلام.

***

أعتقد أنني أجبت على تساؤل فهمى هويدي ..

و أعتقد أنني قدمت دراسة أكاديمية لم أدخل فيها العنصر المقصى والـذي يجـب أن يكون هو الحاكم المهيمن .. ألا وهو الدين.

كما أنني تحدثت عن مؤسسات الحكم والجيش والشرطة، ولم أتحدث عن فئة أشـد سوءا منهم جميعا .. ألا وهى فئة النخبة .. تلك الفئة التي تقوم بـدور القـواد في زمـن سلطان العهر ..

أحزان عربية

■ يا له من عار

يزعمون أن الأمن المصري سيشرف على الأمن الفلسطيني لتصفية الانتفاضة ..

ولست مستعدا لتصديق هذا الخبر إلا إذا قرأت أن كل ضباط الأمن قد قدموا استقالاتهم احتجاجا .. أو خرجوا في مظاهرات صاخبة كما فعلوا عام ١٩١٩ وعام ١٩٥٢ لينضموا إلى الأمة .. فلقد خدعوهم كثيرا بأن كل هذا العنف والعسف والبطش والترويع والقهر والتزوير إنما هي للمحافظة على الاستقرار والاستمرار .. وليس معقولا أن يرتفع برقع الحياء إلى الدرجة التي يكلف فيها رجال الأمن المصري بتهديد الأمن المصري .. خدمة لأمريكا وإسرائيل ..

لقد كان هذا كله مبررا – والتبرير مرفوض بالطبع- بأنهم يروضون الأبناء لأبيهم الجاهل القاسي الغشوم .. وكان هذا هو الإطار – مهما بلغت درجة رفضه –، الآن حصحص الحق .. والترويض لم يعد ترويضا للأبناء كي يطيعوا أباهم .. بل أصبح إرغاما للرجال أن يبيعوا رجولتهم وللنساء أن يبذلن عرضهن لأصدقاء أبيهم .. أو من كان مفترضا أن يكون أبوهم.

لا يعقل أن قطاعا من الشرطة .. التي واجهت جيش الامبراطورية التي غربت الشمس عنها يكون تابعا ذليلا لليهود .. وخائنا لأمته ..

لا أصدق ..

فإن كان الخبر صادقا .. فإنني أرشح لقيادة هذا الفرع المصري للأمن الإسرائيلي: الجاسوس عزام عزام.

موقف نبيل لمجلس الشعب المصري

رفض مجلس الشعب المصري مشروع قرار بأن يكون منصب شيخ الأزهر بالانتخاب، بحجة أن الانتخاب لا يفرز دائما أفضل العناصر.

والحقيقة أن الشعور المبدئي الذي اجتاحني فور سماع النبأ كان الاستياء البالغ .. إلا إنني سرعان ما استدركت لأدرك كم في موقف مجلس الشعب من نبل ..

فمجلس الشعب يعرف أكثر من أي واحد منا ما يجرى في الانتخابات .. يعرف قدر التزوير .. وكم الهمجية .. وكم المذابح .. وكم الداعرات اللائى يكلفن بمنع وصول النساء إلى صناديق الانتخاب .. وكلاب الشرطة التي تتكفل بمنع الرجال ..

ورجال الشرطة الـذين يحاصـرون مقـار الانتخـاب فـلا يسـمحون أبـدا للمعارضـين بالوصول إليها ..

مجلس الشعب الذي يدرك كل هذا قرر أن ينزه المنصب الجليل لشيخ الأزهـر عـن الخوض في كل هذا الدنس.

ثم إن الحجة الدامغة التي ساقها المجلس الموقر، من أن الانتخابات لا تفـرز أفضـل العناصر، هي حجة صحيحة تماما .. بل لعل الأمر يتجـاوز ذلـك .. فالانتخابـات في عالمنا العربي تفرز أسوأ العناصر .. أما الدليل القاطع الجامع المـانع علـى كـل هـذا: فهو مجلس الشعب نفسه.

ولعل المجلس .. في لحظة صفاء وتوبة .. قرر أن يجنـب المنصـب الجليـل كـل هـذا الدنس وكل هذا العار الذي يرزح هو نفسه تحت وطأته ..

ولعل المجلس الذي لم يقل أبدا: « لا » .. قرر أن يقولها بطريقتـه الخاصـة .. ولعلـه علم أن قطاعا في السلطة قد ناء بعار الاختيار السـيئ للمنصـب الجليـل .. وأن بقايـا إحساس عند هذا القطاع جعلته يأنف من استمرار هذا العار .. فأراد أن يتنصـل منـه .. وأن يلقى بالمسئولية على الانتخاب لا على القرار .. وهنا تصـدى مجلـس الشـعب لهذا القطاع من السلطة دفاعا عن الشـعب .. ولكـى يظـل الجـرس في عنـق القـط .. والعار من نصيب مصدر القرار ..

ولعل القارئ يدرك الآن مدى نبل المجلس .. الذي لا يقل أبـدا عـن نبـل مـريض الإيدز الذي يقاطع أهله كي لا ينتقل المرض الخبيث منه إليهم.

سبعة!! ..

كدت أنفجر ضاحكا عنـدما سمعـت أصـداء مـا رددتـه الأنبـاء مـن قيـام الأمـن السعودي بإلقاء القبض على سبعة من تنظيم القاعدة .. وقلت لنفسي لا بد أن هنـاك خطأ .. وأن صحة الرقم هو سبعة ملايين سعودي أعضاء في تنظيم القاعدة .. ولـيس مجرد سبعة .. !! ..

و إنني أعتذر مقدما لشعبنا الأبي في أرض الحرمين .. والذي سيعاتبني لأنـني قلـت أن الرقم سبعة ملايين .. فقط .. !! ..

النبأ ..

يا له من عار..

صحيفة النبأ، صاحبة الخبر الفاضح عن الراهب المشلوح عادت إلى الصدور بعد الحكم الابتدائي الأول .. عادت إلى الصدور ورئيس تحريرها مسجون .. أما صحيفة الشعب، رائدة الدفاع عن « لا إله إلا الله» ممنوعة من الصدور بالرغم من أربعة عشر حكما نهائيا .. أما قضية الوليمة التي أغلقوها بسببها فقد كانت كل أحكام القضاء مؤيدة للصحيفة ومدينة للسلطة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ريان

أقيل اللواء ريان من رئاسة مصر للطيران بعد عشرين عاما من سوء الإدارة والانتقاد، وهذا يعطى أملا .. فلقد لاحظت أن السلطة عندنا لا تفهم إلا بعد عشرين عاما من الإلحاح عليها، وتحاول أن تطبق الصواب لكن بعد أن يفوت الأوان.

لم تقم السلطة بإقالة رئيس مصر للطيران إلا بعد خراب مالطة وانهيار الشركة وسقوط طائرتين.

لكننا نحتفظ بالأمل .. فكما أن السلطة فهمت اليوم ما كنا ننادى به منذ عشرين عاما .. فمن المحتمل أنها ستفهم ما ننادى به اليوم بعد عشرين عاما أخرى .. وربما ترجع صحيفة الشعب للصدور إذن بعد عشرين عاما .. وربما تقتنع السلطة بضرورة ما كانت الصحيفة تنادى به وهو المواجهة ..

سوف تتبنى السلطة هذا الموقف .. بعد عشرين عاما .. وربما بعد أن نفقد سيناء .. و .. الوجه القبلي ..

كاتب أردني كبير

من المؤكد أنه كاتب كبير جدا، ولا يؤثر في ذلك إنني نسيت اسمه بالكامل، والحكاية إنني منذ عامين أو ثلاثة، كنت أكتب حلقات عن الحروب الصليبية التي شنها علينا الغرب بحضارة الإجرام والنهب، وإذا بالكاتب الأردني الاستراتيجي يطالب بإلغاء تاريخ الحروب الصليبية وحذفه من المناهج التعليمية. ولقد بلغ من خطورة الكاتب وأهميته إلى أن المخابرات الأمريكية ووراءها الغرب كله قد تبنت مقولته بعد ثلاثة أعوام كاملة فراحوا يطالبون بتغيير المناهج في شتى أركان العالم الإسلامي .. بل وكرروا نفس مقولة إلغاء تاريخ الحروب الصليبية .. فتأملوا في عجائب الصدف ..

وتيقنوا من أن عبقرية بعض كتابنا تفوق عبقرية المخابرات الأمريكية نفسها ..

حصانة الشيطان

مأمون فندى .. رئيس حزب أمريكا في مصر والشرق الأوسط (!) وجه خطابا جارحا إلى مصر يطالبها بالكف عن صياغة مبادرات سياسية وأن تعود إلى ريادتها الثقافية لتنتج مثقفين كبار كرفاعة الطهطاوي وأحمد لطفي السيد وسلامة موسي وطه حسين .. فأمثال هؤلاء هم الذين سيقودون العالم العربي لتقبل الغرب.

تصدى عدد كبير من الكتاب للكاتب المصري الأمريكي .. منهم الكاتب الكبير فهمى هويدي .. لكن أحدا منهم لم يلاحظ الملاحظة الهامة .. وهى أن جميع من ذكرهم فندى قد بنوا شهرتهم على تقويض الأمة العربية والإسلامية وتقديم القومية كبديل للإسلامية ثم القطرية كبديل للقومية .. حتى فقدنا الجميع .. وأن مصر تحت ريادتهم كانت موظفة لإغواء العالم العربي والإسلامي ودفعه إلى فقدان دينه وهويته .. وأنهم جميعا يستحقون أقصى درجات الإدانة ..

لم يوجه أي من الكتاب الذين ردوا على مأمون فندى أي إدانة لهؤلاء الذين صنعهم الغرب وألبسهم مسوح القداسة .. فلا يهاجمهم أحد أبدا .. وكأنما منحهم الشيطان الحصانة ..

الغريب أن دعاة القومية والقطرية هؤلاء قد جعلوا من حدود سايكس بيكو هي الحدود الشرعية الوحيدة التي يقدسونها ويكفرون بما عداها .. ولم يفكر أحد منهم أن الوطن الإسلامي أو حتى العربي الكبير – دون تقسيمات سايكس بيكو- يستحق نفس العصبية والولاء!! ..

ماليزيا

جزى الله رئيس وزرائها كل خير ..

كان هو الوحيد من بين كل المسؤولين في بلاد المسلمين الذي صرح بأن ماليزيا ليست دولة معتدلة وإنما هي دولة أصولية ..

ثم راح يعيد للأصولية كرامتها التي سلبها السفهاء ..

ماليزيا ليست معجزة .. وفيها من الفساد ما في بلادنا .. حتى الشذوذ الجنسي – كما عندنا – اتهم به كبار المسؤولين فيها ..

الفارق: أن فيها رجل رشيد.

مشرف ..

حتى برويز مشرف الذي أساء إلى الإسلام كما لم يسئ إليه أحد منذ كمال أتاتورك .. تصرف مع الهند كرئيس دولة .. ورد على الابتزاز النووي بتهديد نووى ..

هل بلغ بنا الحال أن نتمنى حاكما عربيا مثله .. يواجه تهديد إسرائيل النووي بقوة نووية؟ ..

نعم .. نطالب بحكام يكونون فعلا رجال دولة حتى ولو كانوا خونة ..

غليظ المستوى

جهاز أمنى غليظ المستوى – وليس رفيع المستوى كما يقول الخطأ الشائع- منع نشر نعى لشقيقة مسئول كبير .. وامتلأت الصحف بالتعازي دون أن يكون هناك نعى أولى .. والسبب الذي حدا بالجهاز غليظ المستوى لمنع النعي هو أن نشره كان فضيحة .. حيث احتوى على خريطة كاملة للأصهار والأقارب الذين يحتلون كل المواقع في المؤسسة السيادية الهامة ..

وعلق أحد الظرفاء على الأمر قائلا أنه كان يظن أن السلطة تنتقل بالوراثة فقط .. لكنه اكتشف أنها كالأمراض السرية .. تنتقل بالعلاقات الجنسية أيضا!! ..

مثلث الشيطان

قلبي ثقيل هذا المساء يا قراء ..

قلبي مفعم بالحزن والألم والانكسار وقد أدرك اكتمال الحصار ..

لا عن شك في نصر آت بوعد الله يقيني به أكثر من يقيني بما أسمع وأرى ..

ولكن شكي كله ينصب على أن يرى جيلنا بوادر هذا الانتصار الذي لم يعد يشير إليه سوى شعاع ضوء وحيد يسطع من العمليات الاستشهادية التي يحاول الخونة بل الكفرة إدانتها والنيل منها ..

العمليات الاستشهادية: هي الدليل الوحيد الباقي على رجولتنا وكرامتنا ..

هي دفقة النور الباهر وسط دياجير الظلام

وهى الشهقة الوحيدة التي تمنحنا هواء غير مسموم ..

هي التي تطهرنا من دنس الواقع ..

ولولاها لقتلنا الذل والقهر قبل أن يقتلنا الأعداء.

***

قلبي ثقيل ..

منذ الصباح الباكر تأتيني رسائل بالبريد الإليكتروني من الإسكندرية حيث تجرى هناك الانتخابات التكميلية لمجلس الشعب ..

تابعت الرسائل حتى وصل عدد المعتقلين ثلاثمائة معتقل وثلاث معتقلات ذهبوا بهم إلى معسكرات الأمن المركزي في سيدى بشر ..

رسالة من تلك الرسائل قالت أن الشرطة تعامل المعتقلين كما عامل اليهود الصهاينة أهل جنين ..

أما الرسالة التي طفح بها كأس الألم فانفطر لها قلبي فكانت تقول أن الشرطة المصرية استعملت كل الأسلحة والوسائل للقهر والتزوير .. استعملت كل الوسائل ما عدا وسيلة واحدة ربما يستعملونها في الجزء الباقي من النهار .. وهى طائرات

الأباتشي.

***

قلبي ثقيل ..

بالأمس وصلتني رسالة من قارئ سعودي ..

يقول:

المكرم الكاتب محمد عباس

نشكر لك نحن السعوديون (وإن كنا لسنا من هذه العائلة)على حسن ظنكم في أهل الحرمين. ولكن الأغلب منا ليس كذلك إنما شعب جبان يعيش تحت هيمنة العبودية مستسلما كالولايا (النساء اللاتي ليس لهن عائل)لا تنبس ببنت شفه. لقد كرهنا الصحافة والكتاب وأصبحت شعوب الأمة متخبطة لا يعرفون الصادق من الكاذب، لقد أصبح الشعب من مؤيد للتخاذل العربي والمفروض أن لا نقول عربي كما يريد الصهاينة وزبانيتهم ولكن نقول للتخاذل الإسلامي تجاه دينهم أولا وأوطانهم ثانيا. أنا أكتب لك وأخاف على نفسي وعيالي من أن يصل الخبر إلى السلطات فقد يكون الناقل أنت ومن يدرى (ولكن كتاباتك لا تدل على ذلك) أو مراقبي الإنترنت. المهم كل ما أريد قوله إن الشعب السعودي شعب أرغم على أن يكون جبانا أستغفر الله مسالما، صدقني العالم ما ترحم ولكن هذا الشعب لو وجد من يكفل عياله فهو جندي إن شاء الله من جنود الرحمن وإذا دعى الأمر وتعرض إحدى الحرمين الذين نجاوره فساعتها لا نحتاج لمن يكفل عيالنا فنحن وهم على الله وأنا آسف لأن أقول الحرمين حيث أن العتاولة لا يسمحوا لأحد الوصول لثالث الحرمين ونشكرك على حسن الظن.

***

قلبي ثقيل ..

زاد من وطأة الألم عليه مقالة للكاتب البريطاني الشهير روبرت فيسك يقول فيها:

من الواضح أن عرفات لم يفشل في واجباته كزعيم فلسطيني، ولكنه فشِل في واجباته كلعبة لإسرائيل والولايات المتحدة في الضفة الغربية وغزة.

وأضاف فيسك: «لقد حصل عرفات على فترة زمنية ليثبت إخلاصه للغرب

وأمريكا وإسرائيل وكان من المفترض أن يضمن الأمن والسلام للمستوطنات، لكنه الآن لم يصبح قادرا على السيطرة على شعبه».

***

أنّ قلبي:

حكامنا لم يفشلوا .. ولقد لعبوا الدور الذي كلفوا به تماما .. أصبحوا – وأصبحنا معهم- لعبة بين الأمم ..

عرفات فشل – وأنا أبعد الناس عن أي محاولة للدفاع عنه .. بل لعلى أذكر من نعم الله عليّ إنني لم أقل عنه كلمة ثناء قط- بل كانت كل كتاباتي عنه منذ عشرين عاما في الاتجاه الآخر ..

عرفات فشل في السيطرة على شعبه ..

لكن حكامنا لم يفشلوا ..

أمسك إذن عن إدانة عرفات الذي مهما بلغت خيانته فلم تبلغ أبدا المدى الذي بلغته خيانة حكامنا ..

وتوقف إذن عن إحساس الذبح الذي يعتريك كلما تابعت ما يفعله الصهاينة بإخوتك في فلسطين .. توقف .. لأن لنا هنا أمر وأنكى .. وما زال إخوتنا في فلسطين يقاومون .. أما نحن فقد همدنا تماما وكففنا عن المقاومة ..

أقصى ما يطمح إليه المجرم بوش وتابعه شارون الآن أن يصبح ياسر عرفات كأي حاكم من حكامنا ..

و أقصى ما يمحون إليه أن يصبح الفلسطينيون مجردين من النخوة والكرامة والمقاومة كأي شعب من شعوبنا

***

قلبي ثقيل ..

ثقيل للدرجة التي لا يجرؤ معها على التوغل في الجرح المنكوء في فلسطين وأفغانستان والشيشان وكشمير .. لذلك يستعيض عن حمل الهم الأكبر بحمل هموم أصغر .. كمن لا يجرؤ على الخوض في غيابات البحر المحيط فيروح يعبث في برك المياه

الآسنة ..

برك المياه الآسنة التي يربض فيها حكامنا وأجهزة أمننا ومثقفونا كالوحوش الضارية ..

***

يا قراء أنا لا أعرف أنصاف الحلول ولا أنصاف الكلمات ولا عبارات وظيفتها إخفاء المعنى لا إبدائه ..

لا أعرف دعارة الكلمات ..

وأنا أعلم أن المؤمن كيس فطن لكنني أعلم أيضا أن الحق أحق أن يتبع .. وأن يقال ..

يا قراء:

النخبة التي ذكرتها لكم على التو نخبة خائنة ..

لا أقولها بالمعنى الإسلامي فذلك أمر مفروغ منه وقد تعددت فيه الفتاوى أن من يصر على ألا يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ..

و إنما أقولها بالمعنى الدنيوي العلماني – قبح الله العلمانية وقبح معتنقيها- .. لأنني يا قراء أريد أن أدينهم بدينهم العلماني الكافر لا بديننا الحنيف .. وأريد أن أقول أن هذه النخبة خائنة بتطبيق قانون نابليون ومواثيق الأمم المتحدة .. بل خائنة باستعمال القانون المحلى .. وأنه كان على الشرطة في عالمنا الإسلامي .. بدلا من أن تقوم بعملها الذي لا يهديها إليه سوى الشيطان .. كان عليها أن تجمع أدلة اتهامهم .. ثم كان عليها أن تلقى القبض عليهم وأن تقدمهم للمحاكمة ثم تنفذ فيهم القصاص ..

وكان على مثقفينا ومفكرينا أن يفضحوهم ..

لكنهم أخزاهم الله شاركوهم بدلا من أن يفضحوهم.

***

لا أظن أن عربيا مسلما واحدا يمارى الآن في خيانة الحكام والعسكر ..

لكن الذين دلسوا علينا وخدعونا أكثر من الحكام والعسكر هم المفكرون والكتاب .. خدعونا ..

وما كان يجب أن ننخدع ..

لأن الطاغوت الذي اختار قرصانا كرجل شرطة لم يكن له أن يختار ملاكا ككاتب أو مفكر أو رئيس تحرير ..

الكفر ملة واحدة ..

ومقاييس الاختيار واحدة ..

***

ربما .. لو لم يخن المفكرون والكتاب ما تمكن الحاكم الطاغوت بكل عسكره من خداع الأمة ..

لعبوا دور المحتال الذي تسلل إلى الأمة وهى غافلة تظن أنه منها ولا تدرك أنه ثعبان سام وحية رقطاء .. وصوت سيده وسوط مولاه ..

***

في كتاب بالغ الأهمية بعنوان « حصوننا مهددة من داخلها» بقلم الدكتور محمد محمد حسين- الطبعة ١٢- دار الرسالة- المملكة العربية السعودية يفضح الكاتب أمثال هؤلاء فيقول : إن الجديد في أمر هؤلاء الدعاة أن شرهم لم يعد مقصورا في هذه الأيام على الكلام، فقد انتقلوا من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل بعد أن نجحوا في التسرب إلى الحصون التي تحمي قيمنا، وأصبح كثير منهم في مناصب تمكنهم من أن يدسوا برامجهم وخططهم على المسؤولين من رؤسائهم وينفذوها في صمت، ودون أن يثيروا ضجة تلفت إليهم المعارضات. ولهؤلاء المفسدين عصابة تشد أزرهم وتشيد بهم وتنوه بذكرهم وتحميهم من كل خصومهم وتقطع ما يهاجمون به مما ينبه الناس إلى شرهم عن كل وسائل النشر، فلا يصل إلى آذان الناس أو عيونهم شيء منه. وأنا حين أزعم أن هؤلاء الدعاة ينتمون إلى عصابة ذات خطر إنما أعني بالعصابة كل مدلولها وكل حرف من حروفها وكل مفهوم من مفاهيمها.

هذه العصابة قليلة العدد. ولا ترجع قوتها إلى كثرة عددها. ولكنها ترجع إلى تماسك أفرادها وتضامنهم، يساعد بعضهم بعضا، ويحمي كبيرهم صغيرهم، يمهد السابق منهم لّلاحق، ويهيئ له فرص الظهور والترقي، بينما يحاصرون كل الخصوم الذين يعارضونهم والذين يقفون في وجه خططهم. يحدث ذلك كله في الظلام

والصمت. وقد لا يكون هناك تنظيم واحد معروف بعينه يضمهم، ولكن المهم في الأمر أنهم جميعا، على اختلاف نزعاتهم وعلى تباين ساداتهم وشياطينهم، متعارفون متضامنون. والمتدبر لخططهم وتحركاتهم في إحكامها، وفي تناسقها، وفي وحدة أهدافها، وتشابه أساليبها في كثير من الأحيان، وفيما تستند إليه من نفوذ واسع، -لا بد أن ينتهي إلى أن هناك هيئات منظمة تنظيما دقيقا من وراء هذه الحركات، وأن بين هذه الهيئات قدرا كبيرا من التفاهم واتفاق المصالح. تستمد تلك العصابة قوتها وخطورتها من هذا التنظيم من ناحية، ومن أنها مجهولة الرأس والحدود والأطراف والأساليب والأعوان من ناحية أخرى. وهذا التنظيم وهذه السرية هما مصدر قوة هذه العصابة التي لا تفترق عن عصابات السطو والإرهاب في شيء. فهي لا تعتمد في تنفيذ خططها على الإقناع شأن أصحاب الرأي، ولا على الانتخابات كأصحاب (الديموقراطية) المزعومة، ولكنها تعتمد على العمل في الظلام وعلى البطش بالخصوم والتخلص من المعارضين ومؤازرة الأولياء والأصدقاء وتمكينهم من مقاليد السلطة. وهم يسلكون لذلك كل سبيل، ويستغلون فيه كل وسيلة، وعلى رأس هذه الوسائل الصحافة والإذاعة والمنابر ودور النشر وشراء الذم والتهديد بالفضائح.

ويواصل الدكتور محمد محمد حسين فضحه لأساليب هؤلاء الخونة فيقول:

ومن هذه الأساليب التي لا تحصى أسلوب مشهور معروف لم يعد يخفي على بصير، يلقي أعضاء هذه العصابة شباكهم حول أصحاب النفوذ والسلطان ويدخلون إليهم من أقرب الأبواب إلى قلوبهم وأضعف الثغرات في نفوسهم، ثم يتظاهرون بالتفاني في حبهم والإخلاص في خدمتهم، فيلازمونهم ملازمة الظل، لا يغادرونهم طرفة عين، ويراقبون منهم الإشارة والبادرة، مراقبة الكلب الأمين لصاحبه، حتى يصبح التابع منهم لازمة من لوازم سيده ووهما مسلطا عليه لا يتخيل إمكان الاستغناء عنه، وبمرور الأيام تتحول هذه البطانة إلى سور ضخم شاهق يحجب عن بصر صاحب النفوذ كل شيء عداه، فحيثما وجه البصر لا يرى إلا هذا السور، وتصبح هذه الدائرة الضيقة هي دنياه، لا يعرف شيئا مما يجري وراءها في دنيا الناس. وعند ذلك يصبح صاحب النفوذ في حقيقة أمره سجينا من حيث لا يدري، لأنه لا يرى إلا ما يسمحون له برؤيته، ولا يسمع إلا ما يسمحون له بسماعه وحسبك بهذا سجنا، ثم يصل به الأمر إلى أن يصبح صنما معبودا كعجل الكفار من الفراعنة، يحبس في الظلام، ولا ينتفع بعبادته وتقديسه إلا سدنته. وأخطر ما في أمر هذه العصابة أن

أفرادها يتمتعون بكل ما في حرب العصابات من مزايا. ومن أخطر هذه المزايا أن الجهاز الحكومي - وهو يشبه الجيش النظامي - لا يستطيع توجيه الضربة القاضية إليهم.

***

بعض هذه الكلاب هي التي تتصدى – لمصلحة الحكام وشارون وبوش – لكي تسلب من العمليات الاستشهادية مبررها ورونقها وبهاءها ..

***

قلبي ثقيل يا قراء ..

فالفادح أن هذه المعلومات المروعة التي كشفها لنا الدكتور محمد محمد حسين منذ نصف قرن لم يثبت الزمن أنها صحيحة فقط .. بل لقد تعداها إلى ما هو أبعد منها بكثير .. وأصبحت هذه العصابة التي كانت دائمة الاستخفاء تجاهر بل وتباهى بالخيانة والفحشاء، ومضى الزمن الذي كانوا يتسربلون فيه بعباءة الإسلام كي يطعنوه من داخله .. الوقت الذي جهدوا فيه أن يدلسوا على الأمة بأن الاشتراكية والرأسمالية وتحرير المرأة والديموقراطية من الإسلام .. ولم يكن الخونة المارقون يقصدون مصالحة وتنويرا وتطويرا بل كانوا يقصدون استبدال الإسلام كله .. وهو ما يجهرون به الآن .. منددين بديننا .. مسفهين ثقافتنا .. مطلقين عليها أسماء علمها الشيطان لهم: منها الثقافة الرعوية .. نسبة إلى أن عددا كبيرا من أسلافنا العظام، وعلى رأسهم أشرف المرسلين وخاتم النبيين قد اشتغلوا كرعاة في بعض فترات حياتهم .. ومنها أيضا: ثقافة البدو المتخلفة .. كما يهاجمون القرآن جهارا والسنة ليلا ونهارا ..

***

قلبي ثقيل يا قراء ..

إذ إنني أتساءل ماذا كان الدكتور محمد حسين سيقول لو رأى ما نراه اليوم ..

ماذا كان سيكتب حينما يرى «الجهاز الحكومي» الذي ودّ أن يتصدى للخونة المارقين قد انضم إليهم ..

***

ربما أختلف مع الدكتور محمد محمد حسين قليلا في ترتيب الأمور لا في فحواها

ولا في نتائجها ..

فالأمر كما يبدو لي الآن في غاية الوضـوح هـو أن قـوة خارجيـة، والشـيطان قـد قررت حصارنا بالكامل .. فوضعت خطة ذات أضلاع ثلاثة:

الضلع الأول : هو الحكام .. الذين اتفقوا مع الغـرب سـرا علـى بيـع الأمـة لهـم مقابل توليهم الحكم واستقرارهم فيه.

والضلع الثاني : هو العسكر من شرطة وجيش التي تكفلت بقمع الأمـة وسـحقها وتمكين الطواغيت منها ..

الضلع الثالث : هو ضلع الكتاب والمفكرين ..

***

وبين الأضلاع الثلاثة اكتمل حصارنا ..

في مثلث الشيطان

أصمت .. أم أشمت .. أم أنوح ..

فلسطين عروس عروبتكم

أصمت ؟..

أم أشمت؟ ..

أم أنوح وأصرخ؟ ..

فها هي ذي أمريكا التي راهن حكامنا ومفكرونا عليها، وخدعونا بها، بعد أن فعلت كل ما فعلت، تعلن في جبروت فاجر لا يوصف، أنها توشك على ضرب العراق.

وهاهي ذي الأنباء تتردد على أن الدور بعد العراق على السعودية .. التي تتلقى المهانة والإدانة فلا يدفعها ذلك إلا لمزيد من التفريط والاستكانة .. ويردد رجع الصدى المهانة التي تتلقاها مصر مغلفة في أوامر بما يجب عليها أن تفعل .. وليس مطلوبا منها سوى أن تقوم بدور الديوث المحلل لتمرير علاقات محرمة غير مشروعة ..

***

مصر والسعودية ..

فرسا رهان العالم الإسلامي اللذان جريا في عكس الاتجاه .. ولم ينالا مكافأة العميل بل جزاء سنمار.

فها هي ذي مشاريع التفتيت والتقسيم تملأ الأفق .. ليكتشف القارئ أن هذه المشاريع لم تكن في أضابير المخابرات تغلفها السرية والكتمان بل كانت منشورة منذ أكثر من سبعين عاما ..

السابقة التي سمحت بها مصر والسعودية لأمريكا سابقة تبيح لها هدم العالم العربي كله.

فماذا يمنع من استدعى لقتل إخوتنا من المواصلة لقتلنا .. ونفس الانصياع لما يسمونه زورا قرارات الأمم المتحدة – ملعونة هي الأمم المتحدة – سوف يمارس في الغد وربما اليوم ضدنا ..

إن كنا لا نقاوم تقسيم العراق فلماذا نقاوم تقسيم السعودية؟ ..

و إذا كنا لا نقاوم ادعاءات أمريكا بحماية الأكراد فكيف نجرؤ على منعها غدا إن هي تقدمت لحماية الأقباط في مصر؟ ..

و إن كنا نقوم بدور المحلل الديوث في مسألة السلطة الفلسطينية اليوم فأنى لنا الاحتجاج على السيطرة على كل أمورنا من فصل الملوك وتعيين الرؤساء والأمراء إلى متابعة أصغر مخبر أو موظف ..

***

مصر والسعودية فعلتا ذلك ..

ومصر والسعودية هما أكثر من يتلقى الآن التنديد والتهديد والإدانة ومشاريع التقسيم والتفتيت ..

فهل أصمت أم أشمت أم أنوح وألطم؟ ..

***

يا إلهي .. لقد بلغت بنا المهانة، بدلا من أن نستشهد لطرد القوات الأمريكية من سيناء والظهران أن نتوسل إليها لتبقى ..

وبلغ بنا الأمر أن أمريكا تهدد بسحب هذه القوات فنهرع وقد ملأنا الهلع واستبد بنا الفزع نرجوها أن تبقى ..

***

وكان ذلك تماما ما حذرنا منه منذ اثنا عشر عاما في بداية حرب الخليج .. وهو مكتوب ومنشور .. ولست أدرى كيف يفكر الذين فخروا ذات يوم بفجرهم آنذاك فراحوا يتيهون فخارا على العالمين بأنه لولاهم لما استطاعت أمريكا أن تحشد قواتها في الخليج لتفعل ما تفعل ..

نعم .. حذرناهم فما صدّقوا أبدا ..

***

مصر والسعودية، أو السعودية ومصر كانتا أكثر الجميع عمى عن مخاطر دعوة الذئب ليحرس الحمل ..

ولو أن الخطر كان بعيدا لالتمسنا المعاذير ..

و لو أن فكرة قيام الذئب بالتهام القطيع كله لأمكن لنا أن نتسامح وأن نعفو ..

لكن الخطر لم يكن ماثلا فقط ..

كان أكيدا .. ويقينا .. وواقعا تراه البصيرة قبل البصر ..

***

في علوم الطب توجد نوع من الأخطاء يسمى الأخطاء القاتلة: Fatal mistakes

وهى تشمل تلك الأخطاء التي لا يمكن التسامح معها لأثرها البالغ الذي قد يبلغ

حتى الموت .. ولأنها من الناحية الأخرى كان يمكن تجنبها .. من هذه الأخطاء على سبيل المثال أن يقوم الجراح بفتح ما يرى أنه تجمع صديدي، فإذا به تمدد دموي لشريان رئيسي .. فما أن يضع الجراح مبضعه حتى ينزف المريض دمه كله في دقائق معدودة ..

وفي قانون الطب، فإن مثل هذا الطبيب الجراح يمنع من ممارسة الطب مدى الحياة، بالإضافة إلى السجن والتعويض المادي الهائل ..

***

دعوة أمريكا للخليج كانت خطأ قاتلا استنزفت الأمة كلها وتكاد توردها موارد الهلاك ..

وعلى الأمة أن تحاكم – ولو في ضمائرها – كل من شارك في هذه الجريمة .. محاكمة لابد أنها أشد من محاكمة طبيب قتل مريضا .. مريضا واحدا وليس مئات الملايين.

***

كل من ساهم وروج وحبذ وفضل وأيد مجيء أمريكا إلينا .. وكل من راهن عليها من حكام ومفكرين وكتاب يجب أن يلقوا ذات المصير ..

يفيض بي الألم ..

وتصبح أقصى وأقسى الكلمات غير كافية .. لا للتعبير ولا للإدانة ..

أحاول التوسل بالأدب لتصوير ما نحن فيه بالرمز ما دمت قد عجزت عن تسجيل هوله في الواقع .. أكتب قصة في خيالي .. قصة لم يتح لي الألم والذل والإحباط والعار أن أتفرغ لتدوينها فأكتبها في خيالي .. قصة – أعترف - أنها تصور حال حكامنا .. قصة لا تستمد رموزها من الفكر ولا من الفلسفة بل تماهى الأدب الوضيع والفن الرقيع الذي فرضه علينا حكامنا ونخبنا العميلة .. والقصة ككل القصص التي تروج لها مراجعنا الأدبية والثقافية .. قصة امرأة يغرر بها رجل .. يخدعها بمعسول الكلام .. يوهمها بأنه شريف راق متحضر ولا يكذب أبدا .. وتصدق المسكينة ما يقول .. تنخدع .. لا أطيل عليكم .. بل أستعمل الجملة المكررة الممجوجة .. إذ تستمر العلاقة والانبهار حتى: « يسلبها أعز ما تملك» .. وبعدها لا يعود الرجل الداعر إلى إخفاء طواياه ولا ستر نواياه، وإنما يسفر عن حقيقته البشعة المجرمة

.. والمرأة المسكينة تتحول من طور الإعجاب والانبهار والعشق والوله .. إلى طور آخر يعلوه شعار لمرحلة جديدة .. شعار لم يعد يطمح أو يأمل في إزالة آثار العدوان .. بل شعار يقول: « إنقاذ ما يمكن إنقاذه» .. لكن الداعر الوقح، لا يكف أبدا، في كل مرة عن سلبها أعز ما تملك، بعد أن لم يعد عزيزا عليه ولا أثيرا لديه، والمرأة تعزى نفسها أنها ستستطيع إقناعه ذات يوم، إن لم يكن بتدارك الأمر، وتنفيذ ما سبق من وعود معسول الكلام بما يحفظ عليها كرامتها وعزتها، فبمجرد وثيقة تستر الفضيحة، لكن الداعر الوقح، الذي تحول إلى حيوان مجنون، لا يستجيب أبدا، بل يواصل ويواصل ويواصل، ويصل به الأمر، إلى اعتبار سلب المرأة أعز ما تملك مكرمة منه، عليها أن تشكره عليها، وأن في تكرار السلب زيادة في التكريم، والمرأة التي فقدت شرفها لا تكف عن الاستجابة، في البداية على أمل ما، ثم تتلبسها شخصية المقامر الذي يطمع في تسوية كل خسائره بعملية واحدة تكون الأخيرة، فتعطيه مصوغاتها وثروتها، وترهن عنده ممتلكاتها، وتأتمنه على كل أسرارها، وتعطيه مفاتيح بيتها، ولكن ذلك كله بلا جدوى، فالوحش المسعور يزيده كل شراب ظمأً وكل طعام جوعاً، وفي النهاية تصدق مرغمة أن اغتصابها مكرمة منه وفضل عليها ألا تكف عن التسبيح بحمد سيدها شكرا عليه.

وطوال هذا .. كان هناك من لا يكف عن الاحتفال بهذا الاغتصاب مدعيا أنه انتصار .. بالمهانة على أنها فخار .. بالمذلة على أنها عزة .. وبسفح الشرف على أنه شرف .. وكان أولئك للمأساة هم كتابنا ومثقفونا.

هل اكتملت القصة؟ ..

وهل يجوز لي أن أتركها بلا نهاية؟ ..

وكيف أسد ما بها من ثغرات .. ؟! ..

ثم هل هربت المرأة إلى الرجل .. ؟! ..

أم استدعته إليها .. في بيتها .. في حفر الباطن والنجم الساطع أم ذهبت هي إليه في مضاجعه في كامب ديفيد ومدريد وأوسلو؟! ..

وهل يجوز أن أغفل – في القصة– موقف أهل المرأة؟ .. أولئك الذين لم يكفوا أبدا عن التغني بأن الشرف الرفيع لا يسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم. هل تتسع القصة لمقاومتهم المأساوية .. ولحكايات الدم الذي أريق لكنه كان دمهم لا دم الغاصب الداعر .. وكيف أحافظ على اتساق القصة والمرأة كانت هي التي كشفت

لمغتصبها الداعر ثغرات أهلها وثغورهم وسلمته مفاتيح بيوتهم .. ؟ .. وهى التي أتت به إليهم .. ليمارس الفحشاء في مخادعهم .. في البداية سرا .. وفي النهاية جهارا نهارا .. واتفقت الداعرة والداعر على عقاب كل من يحتج على ممارسة الفحشاء على مرأى منهم ومسمع.

وتستمر القصة .. وتنزف الحروف وتبكى الكلمات وتنوح المعاني .. لكن المعنى يتمرد فجأة: فهل كانت المرأة شريفة غلبت على أمرها خدعها داعر محتال فسلبها أعز ما تملك فراحت في مأساوية لا توصف تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه؟ .. هل كان الأمر كذلك فعلا، أم أن المرأة كانت منذ البداية داعرة، خائنة وعميلة، وأنها دبرت الأمر كله مع العشيق الداعر، الذي سئمها في النهاية واشمأز منها، لكنها، كي تحتفظ ببعض تأثيرها عليه، تحولت من داعرة إلى قوادة، وراحت كل ليلة تقدم له فتاة جديدة، من بناتها وأخواتها.

هل تنتهي القصة عند ذلك .. أم أن المجنون الداعر كان شاذا أيضا .. فراح يطلب الغلمان والرجال .. وامرأة السوء لا ترفض له طلبا أبدا .. أبدا .. أبدا ..

***

أصرخ أم أشمت أم أنوح وألطم؟ ..

هذه الداعرة ليس لها إلا أن ترجم ..

***

يا لها من قصة بشعة ملكت عليّ عقلي وسدت عليّ آفاق الكتابة في موضوع آخر ..

نعم .. حاولت أن أكتب عن وزراء خارجيتنا وما يفعلون في واشنطن فلم أر إلا القصة ..

حاولت أن أكتب مطالبا بمؤتمر قمة فلم أجد إلا القصة ..

حاولت أن أناشد .. أن أفسر .. أن أشرح .. أن أحتج .. أن أندد .. أن أرفض .. أن أعترض لكن القصة ملأت عليّ أقطار الأرض فلا أجد أمامي إلا داعرا مجنونا وقوادة وأمة تغتصب .. ولم يكن لي أن أتوجه إلى أي منها ..

لم يكن ذلك متاحا ولا هو مقبول ولا هو متصور ..

لم يكن أمامي إلا أن أصمت .. أو أشمت .. أو أنوح وألطم .. !!

بكائية بين القراء وبيني

لا أنكر ولا أخفي .. ولا أخجل ..

فقد بكيت ..

مع رسائل « رائد » الفلسطيني بكيت ..

لا أنكر ولا أخفي ولا أخجل ..

الذين لا يبكون هم الأولى بالخجل ..

منذ أسابيع طويلة لم أكتب عن سويداء القلب وقلب الروح .. عن فلسطين ..

ولم يكن ذلك عن انشغال ولا عن سهو ولا عن تجاهل وإهمال .. ولا حتى عن تكالب المصائب وتهاطل الابتلاءات التي ينسي بعضها بعضا .. إلاك يا فلسطين .. يا جرح القلب النازف الذي لم يكف نزيفه أبدا .. ولن يكف يا حبيبة القلب حتى يرحل آخر يهودي عن أرضك .. أقول آخر يهودي .. آخر يهودي وليس آخر صهيوني أو آخر إسرائيلي .. فالتزامنا نحوك يا حبيبة القلب هو العهد العمري .. نقسم يا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنك أن نعيدها كما أودعتناها وبنفس الشروط .. وما توقفت عن الكتابة يا حبيبة القلب يا فلسطين إلا خجلا وخزيا وعارا .. فماذا أكتب وماذا أقول .. وأنا في عار النجاة الدنيئة أرفل .. وفي خزي السلام المدنس المزيف أخب .. وفي أوطان ترتدي لباس الذل والمهانة أعيش .. وتحت وطأة حكام ليسوا أقل إجراما من شارون أتنفس .. وأمشي في الأسواق وأذهب إلى مكتبي .. وأكتب .. ولكنني لم أجرؤ يا حبيبة القلب أن أكتب إليك .. ولا أن أكتب عنك .. ماذا يمكن أن أكتب .. هل أرتدي ثوب الحكمة المزيف لأوجه نصائح إلى أبنائك؟ .. هل كان ذلك يجوز إلا إذا جاز للصعاليك أن ينصحوا الأئمة؟ .. كلنا حولك يا فلسطين أسوأ من الصعاليك .. أولنا الحكام وآخرنا آخر فرد في الأمة .. أنت فقط يا حبيبة القلب التي تجسدين الحكمة والشجاعة والصبر والإيمان ..

حكمة وصبر وشجاعة وإيمان؟! ..

آه من لغة لا تسعفني بما أنت به جديرة من صفات تضطرم بها روحي فكأنما الكلمات سجن يخفي وقيد يعرقل ..

ما ذا كان يمكن أن أكتب أو أقول؟ ..

ماذا كان يمكنني أن أقول لأم الشهيد الفلسطيني وهي تهاتفني على الهاتف: (هل

تسمع صوت المجنزرات؟ .. وهل تسمع هذا الهدير أيضا؟ .. إنه صوت الدبابات .. ولكن هذه الزمجرة ليست لدبابة ولا مجنزرة .. إنها زمجرة جرافة عملاقة .. أتت لكي تهدم منزلنا الذي نعيش فيه .. سوف تهدمه الآن انتقاما من الشهيد ومن أهله) ..

هل يمكن للقارئ أن يتصور أي نوع من الألم الوحشي أحسست به؟! ..

ألم ..

ألمٌ أيتها الألفاظ القاصرة العاجزة ..

هل يمكن للقارئ أن يتصور أي كم من اللعنات صببتها؟ .. وعلى من؟؟ ..

منذ تلك اللحظة أذلني عار لم أشعر بمثله أبدا فشلّ أناملي وكسر يراعي وما عدت أستطيع الكتابة عنك يا حبيبة قلبي.

أتجرع الذل والعار مع كل نشرة أخبار .. وحتى أخبار العمليات الاستشهادية البطولية التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا .. حتى تلك .. أشعر أمامها بالتضاؤل .. فليس من حق الأذلاء المهانين أن يفرحوا ببطولة لم يشاركوا فيها .. بل وقفوا يتفرجون على أنهار الدم والأشلاء وجبال الأنقاض .. وأولئك الحمقى لم يستثمروا حتى بمقاييس الدنيا لا الآخرة عظمة وبطولة شعبك يا فلسطين .. ولو أن جيوشنا لم تحم حدود إسرائيل .. ولو أن شرطتنا – أعوان الظلمة كلاب النار – لم يحاصروا وينكلوا بشعوبنا لصالح إسرائيل لكانت إسرائيل الآن علي وشك الانهيار .. ولسقط ذلك السفاح المجرم شارون .. لم يدرك الحمقى أنكم خط الدفاع الأول .. وأن ما يحدث لكم اليوم سيحدث لنا غدا .. هذا بمقاييس الدنيا ولم أتحدث عن خزي الآخرة.

يقول رائد في رسالته:

سيدي: كل هذا ونحن لا نملك إلا أجسادنا نجعلها قنابل ندافع بها عن أطفالنا ونسائنا وأهلينا وجعلنا من غرف نومنا معامل لتصنيع الألغام ونخبئها تحت سرر أطفالنا لحين الحاجة عندما عز علينا إخواننا بها خوفا من اليهود وأنصار اليهود وأصبحت الحدود العربية نيرانا علينا جنانا لأعدائنا.

يا رائد ..

تناديني بسيدي .. !! ..

بل أنت سيدي ..

بل كل فلسطيني سيد لكل هؤلاء الأرقاء المستذلين الذين يخالون أنهـم يعيشـون في دول حرة مستقلة ..

ليس كل فلسطيني فقط .. بل كل شلو .. وكل قطرة دم ..

والله الذي لا إله إلا هو لبيت شهيد هدمته جرافات الشيطان لأعظم عنـد الله مـن كل قصور حكامنا ..

هل قلت قصورا؟ ..

ألم يكن الأولي أن أقول: جحورا ..

فهم فيها يا رائد لا يحكمون بل يختبؤون كالأرانب قصارى أمل كل واحد فيهم أن يكون موعد ذبحه – أو بالأحرى ذبح شعبه – بعد غد وليس غدا ..

ظلمات فوقها ظلمات
فاخرجي يا أمة .. تتكشف الغمة

هذا القرصان الغبي المجرم الذي يحكم الولايات المتحدة الأمريكية أقوى من الشيطان وأشرس، أو قل أنه هو الذي حول الولايات المتحدة الأمريكية من قوة شيطانية إلى ما هو أشد شرا ودموية وخسة، فالله لم يعط للشيطان على الإنسان من سلطان سوي سلطان الغواية، التي يستطيع الإنسان مقاومتها، لكن هذا الشيطان القرصان، يملك فوق سلطان الغواية سلطان أقوى قوة عسكرية في التاريخ.

ولقد دأبت الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأتها الإجرامية بسرقة أرض وإبادة شعب واستعباد شعب آخر على محاولة تشويه الدنيا برؤاها الشيطانية، التي يغذيها خليط دنس من الفلسفات والأساطير التي تنتمي زورا إلى اليهودية أو المسيحية. فهذا القرصان المسعور الذي يأمره دينه أن يدير خده الأيسر لمن يضربه على خده الأيسر يعيث في العالم فسادا ويسفك أنهارا من الدماء لم يسبق عبر التاريخ أن سفك مثلها.

هذا الوحش الغبي المسعور لا يفعل ذلك لمجرد أنه وحش وغبي ومسعور، وإنما اختارته الحكومة الخفية التي تحكم الولايات المتحدة، ومن خلالها تحكم العالم، اختارته لأنه غبي، فأي ذكي ما كان له إلا أن يرفض تنفيذ رغبات هذه الحكومة الشيطانية، وأي إنسان ما كان له أن يسبب هذا القدر من الشقاء والدمار للعالم، وأي عاقل كان لا بد سيدرك، أن هذه السياسة الطائشة المجنونة لا بد أن تعود في النهاية بالدمار علي من يرتكبها.

***

وإذا شئنا أن نلخص هدف السياسة الأمريكية في جملة جامعة مانعة، لما كانت هذه الجملة إلا: إنما أتيت لأدمر مكارم الأخلاق .. !!

ولأن الإسلام نزل على البشرية ليتمم مكارم الأخلاق فليس ثمة قوة في العالم بقادرة على وقف هذا الوحش الغبي المسعور إلا الإسلام والمسلمين.

إن إدراكنا لحتمية الصدام هو سبيلنا الوحيد لا إلى الانتصار فقط .. بل إلى مجرد

حماية وجودنا وديننا. لذلك فإن كل القوى الإسلامية الداعية إلى الحوار والتقريب وإزالة أسباب الخلاف إنما هي – علمت أم لم تعلم – تقوم بدور النخاس الذي يقوم بترويض العبيد كي يحسنوا خدمة زبائنه وسادته الراغبين في بضاعته.

***

وما دام الصدام حتميا فإن علينا أن ننظر إلى وضع الكارثة الذي نجد الآن أنفسنا فيه بعد أن خاننا الحكام والنخبة وظلوا كل تلك الفترة يتخلصون من كنزنا الإسلامي ليستبدلوه بالوباء الغربي.

نجح الغرب أن يحاصرنا في حلقات .. حلقة خلف حلقة .. كظلمات فوقها ظلمات .. وقد تواكب مع ذلك ضرائب حروب لم نحاربها في الوقت المناسب، وجهادا لم نجاهده كما ينبغي للجهاد أن يكون، فإذا بالعالم يتداعى علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

فالهند على سبيل المثال، الهند التي لم نجاهد فيها كما ينبغي للجهاد أن يكون، تحولت من مملكة إسلامية إلى خطر علي الإسلام. والصين، التي غزت بلادا إسلامية يوجد فيها الآن أكثر من مائة مليون مسلم، تخشى اشتداد ساعد الإسلام الذي سيطالب حين استعادة قوته بعودة بلاده، وروسيا التي تشكل البلاد الإسلامية المحتلة ٩٣٪ من مساحتها (نعم .. مساحة الاتحاد السوفيتي في القرن الخامس عشر كانت ٧٪ من مساحتها الآن .. أما الـ ٩٣٪ الأخرى كلها فهي بلاد إسلامية استولت عليها روسيا تماما كما استولى اليهود على فلسطين) .. و .. و .. و ..

يترتب علي هذا أن العالم كله يخشى أن يستعيد المسلمون قواهم، ليطالبوا بحقوقهم المغتصبة.

يتكالب العالم كله على العالم الإسلامي تكالب الفريسة على الضحية التي عجز رعاتها عن حمايتها .. بل خانوا وهانوا فساهموا في اصطياد الفريسة .. وكان ما كان فتكالبت الوحوش على الغنيمة ..

دائرة حصار تشمل العالم كله .. داخلها دائرة حصار أخرى تشمل حكام العالم الإسلامي الذين أوصلوا الأمة إلى ما وصلت إليه قرنا بعد قرن عن طريق الجهل والخيانة والسطحية والأنانية وقصر النظر .. داخل دائرة حصار الحكام دائرة أخرى هي دائرة الجيوش .. التي تركت مهمتها الأساسية لحماية بلادها لتكون وحدات

متخلفة سيئة التدريب تابعة للجيش الأمريكي ولا تتحرك إلا لصالح أمريكا أو لحماية أنظمة الحكم التي ترضى عنها أمريكا.

داخل دائرة الحصار تلك توجد دائرة حصار أخرى أخس وأشرس هي دائرة أجهزة الأمن التي دمرت وجدان شعوبها خدمة للموساد والسي آي إيه .. دائرة بلا دين ولا خلق ولا ضمير .. دائرة لا تقل وحشية وشيطانية عن الوحش الأمريكي نفسه .. بل ربما تزيد.

داخل دائرة حصار الأمن توجد دائرة حصار الإعلام الذي تكفل عبر القرن الماضي على الأقل بغسيل مخ أمته وتزييف وعيها خدمة للحاكم النخاس وللقرصان الغربي. إعلام لم يتورع طيلة الوقت عن الكذب المجرم ترويضا للأمة.

داخل دائرة الإعلام يوجد دائرة المثقفين، وهم في الغالب الأعم ليسوا مثقفين بأي معنى، فما هم سوى موظفين عينتهم جهة الإدارة التي تعين رجال الأمن (أو بالأحرى وحوش الأمن) وبنفس المنهج، وهم أيضا وحوش وذئاب ضارية كانت وظيفتهم نهش عقيدة الأمة وتسفيه لغتها وأخلاقها .. لا أقول لمصلحة العقيدة الغربية أو الأخلاق .. بل أقول لمصلحة انعدام العقيدة الغربية وانعدام الأخلاق.

في عام ١٩١٢- على سبيل المثال – كانت المظاهرات الحاشدة تخرج في العالم العربي تأييدا لكوسوفا وكان عشرات الشعراء يكتبون فيها القصائد العصماء .. وسنة ١٩٩٥- على سبيل المثال أيضا- لم يكن أحد من معظم الناس قد سمع مجرد سماع عن كوسوفا ولا أحد كان يعرف مكانها على الخريطة بله تاريخها الإسلامي .. وكان عشرات الشعراء مشغولون بكتابة قصائد تمجد الشذوذ الجنسي وتجترئ على الله سبحانه وتعالى وتسخر من القرآن الكريم وتسب الرسول صلى الله عليه وسلم.

في عام ١٩١٢ كان العالم هو القدوة وفي عام ١٩٩٥ كانت الراقصة هي القدوة ..

في عام ١٩١٢ كان المجاهد هو المثل الأعلى وفي عام ١٩٩٥ كان الخائن هو المثل الأعلى أما المجاهد فقد تحول إلى إرهابي يطارد.

حاصل الطرح بين عامي ١٩١٢ و١٩٩٥ هو ثمرات خيانات حلقات المثقفين والإعلام.

بالتوازي مع كل هذه الحلقات كان التعليم يجهل الأمة ..

وكانت حلقة الفساد والكذب تتخلل هذا كله وتستنزف الأمة المحاصرة في مركز الدائرة التي تحيطها كل هذه الحلقات من الحصار.

***

إنني أقدم لكم يا قراء هذه الصورة القاتمة البالغة السواد لا لكي أبث اليأس في قلوبكم بل لأزرع الأمل .. ولأقول لكم أن أمة احتملت كل هذا الحصار والنزيف والخيانة والقهر ولم تمت هي أمة موصولة بحبل السماء وستنهض لتنتصر .. إن شاء الله ..

***

عبر التاريخ كله كانت الدولة الغازية تتحمل نفقات الغزو كي تنهبه بعد ذلك .. حتى بريطانيا المجرمة فعلت ذلك .. أما أمريكا الأكثر إجراما فقد قلبت الآية وأصبحنا نحن الذين نمول لها حروبنا ضدنا!! ..

***

انظر أيها القارئ في أي بقعة من بقاع عالمنا الإسلامي إلى حكومتك وقارن كيف تسوسك ثم قارن كيف تسوس أمريكا عالمنا الإسلامي؟ .. انظر وقارن .. وستكتشف على الفور أن الكفر ملة واحدة.

حاكم سند حكمه الوحيد هو رضاء أمريكا عنه، ولكن دعنا من ذلك الآن – وعلى أي حال فقد تحدثت في هذا الأمر في مقالات سابقة- .. هذا الحاكم يعامل شعبه كعدو أعزل، أما هو فيملك الدبابات والطائرات وفرق الأمن والأسلحة التي يستوردها من أمريكا طبقا لحاجة الاقتصاد الأمريكي وليس طبقا لاحتياجات بلده .. وتسهل له أمريكا الحصول على العمولات والرشاوى لتكون نقطة ضغط عليه في أي وقت. هذا الحاكم سيعين وزراء ومساعدين علي شاكلته، وسيدرب جهاز أمن قوي شرس في أمريكا .. وسيستورد أجهزة التعذيب من أمريكا .. وسيقرب ويعلي كتابا منافقين مزورين يعلون من شأنه .. وسيعين معارضة مستأنسة هزيلة وهزلية للديكور أمام الغرب .. وستحلل له أمريكا ما يفعل .. ٤٠٪ من ميزانية أي دولة إسلامية تنفق على تأمين البيت الحاكم: ابتداء بالجيش والأمن والأحزاب المصطنعة والصحف الحكومية التي تخسر المليارات بغير حساب وانتهاء بالسرقة والأموال المهربة .. وبلد يستنزف ٤٠٪ من ميزانيته فيما لا طائل خلفه لا يمكن أن يحقق أي تنمية اقتصادية .. وتتدهور الأحوال ويزيد السخط على الحاكم فتزداد حاجته إلى الأسلحة والجيش

والأمن ليتفاقم الوضع ويتفاقم الانتقاد فلا يجد الحاكم إلا تفتيت قوى شعبه كي يتناحر كل فصيل منها مع الفصيل الآخر ..

كل هذا يتم على حساب الشعب وبماله .. حصار الشعب وترويعه وقتله وتهديد أمنه يتم على حسابه وبماله.

***

والآن انظر أيها القارئ إلى أمريكا .. إنها تتعامل بنفس المنهج .. التفتيت .. استثارة العداوات التي زرعتها بريطانيا المجرمة كألغام موقوتة .. محاباة الفاسدين أعداء شعوبهم .. تسليط كل دولة على الأخرى .. أما عندما تقوم هي بمهمة الغزو والدمار فإن البلد الذي لا يدفع نصيبه في الفاتورة يكون مهددا هو الآخر بغزوه وتغيير نظامه .. وحتى عندما يدرك الحكام خطورة الوضع عليهم فإن كل حاكم منهم يرتاب في شقيقه فيسارع إلى مزيد من التورط والخيانة كي يحظى عند القرصان الأمريكي بالحماية.

***

كان الاستعمار دائما كذلك .. كان شيطانا .. وكان كالشيطان يغطي غواياته بالشعارات والمواثيق والقوانين حتي لو كانت زائفة .. حتى جاء القرصان بوش .. ليتصرف لأول مرة في التاريخ على مستوى الدول كقرصان وقاطع طريق وبلطجي .. ولم يعد يسعى لتغطية غاياته ولا لتسويغ سلوكه إلا كما يلجأ القرصان وقاطع الطريق والقاتل المأجور لتفسير لماذا يرتكب جرائمه.

***

إن حرية السوق – أساس النظرية الرأسمالية كلها – لا تؤمنها حركة السوق التي خدعونا بها عشرات العقود بل تؤمنها البوارج والصواريخ والطائرات والانقلابات العسكرية التي يقوم بها ضد الحاكم الخائن جنرال أشد خيانة .. والانقلاب خلفه أمريكا ..

وشفافية البورصة تسفر عن عمليات النصب والاحتيال والتهديد والخطف والاغتصاب .. والاحتيال خلفه أمريكا ..

أما حرية المرأة فهي وسيلتهم لهدم مؤسسة الأسرة توسلا إلى هدم المجتمعات ونشر الدعارة والشذوذ ..

وأصبحت حرية الفكر لا تعني إلا حرية الكفر .. بل إنها ليست حرية بل حتمية الكفر لأن من لا يكفر سيعاقب بالبند السابع من قرارات الأمم المتحدة وسيقصف باليورانيوم المشع ليدمر الوطن والأمة والأجيال ..

وفي هذا كله تفوق بوش – كرمز لحضارة الغرب – على الشيطان ذاته والذي لم يكن يملك من وسائل الإفساد سوى الغواية ..

***

كشف هذا القرصان المجرم زيف الحضارة الغربية كلها ..

ولو أننا أنفقنا كل ما نملك كي نكشف منها ما كشف لعجزنا ..

***

الآن تبدأ الحلقات في الانهيار ..

ولكي تعلموا كيف: انظروا إلى أي بلد إسلامي .. أي بلد فيها يستطيع جيشه أن يفديه بروحه وهو الذي تم تدجينه وإفساده فلم يعد يصلح لخوض حرب مع جيش آخر .. وإنما لمجرد مواجهة المظاهرات بالدبابات والطائرات .. ..

أي حاكم في أي بلد إسلامي يضمن ألا تقوم قوات أمنه التي دربها على تعذيب شعبه لن تعذبه هو شخصيا راضية مسرورة تحت إشراف ضابط أمريكي ..

بل أي نائب أو وزير يأتمنه وأي صحيفة من الصحف التي نماها ورعاها لن تكون أول من يمزق لحمه عندما تقترب القوات الأمريكية ..

أي حزب من الأحزاب العميلة التي رباها الحاكم العميل لتكون سندا في الخيانة لا تتلمظ الآن لخيانته والوصول إلى مقعد الحكم على أسنة الرماح الأمريكية ..

أي رئيس تحرير من الذين يقبلون كل صباح حذاءه لن يكون مستعدا غدا مع الإشارة الأمريكية المدعمة بقوات الغزو لأن يصفع رأسه بحذائه ..

***

إن الخيانة التي كانت تحمي وترسخ الاستقرار في السلطة هي بذاتها الآن هي الخيانة التي تهدد ..

الآن تدرك الأمة كما لم تدرك أبدا أن عدوها أقرب من أمريكا بكثير ..

والآن يدرك الحكام أن الخطر عليهم إنما هو من أمريكا ومن عملائه المقربين ..

أكلت الخيانة نفسها .. والأخلاء الآن بعضهم لبعض عدو ..

وتلك بداية انعكاس الدورة ..

***

أما أنت يا أمة فعليك أن تواجهي حلقات الحصار .. الأقرب فالأبعد ..

عار علي كل شعب مسلم ألا يواجه حكومته ويقصيها إذا ما شاركت في غزو العراق ..

الدور الآن دور الأمة ..

ويا له من عار عليك يا أمه أن يقولها لك إنجليزي .. أن الأمة تستطيع منع غزو العراق إذا ما خرجت بالملايين في الشوارع ..

فاخرجي يا أمة ..

اخرجي ...

إن العمليات الاستشهادية ليست شرفا يقتصر على أبطال فلسطين وأفغانستان والشيشان وكشمير ..

فاخرجي يا أمة ..

قدمي شهداءك ..

ألف شهيد منك يا أمة سيمنعون تدمير الأمة وقتل ملايين دون شهادة .. فالناكص الآن عن الجهاد فار من المعركة .. والفرار لا يكونون شهداء وإن قتلوا ..

ألف شهيد في الميادين والشوارع قد ينقذون الملايين من الموت تحت الأنقاض ..

ألف شهيد يردون عنا عار الدنيا وخزي الآخرة ..

فاخرجي يا أمة ..

اخرجي ..

اخرجي ..

اخرجي ..

ويلك آمن .. إن وعد الله حق ..

كنت أنوي أن يكون هذا المقال والمقالات التالية عن رحلتي للحج والعمرة ..
عن انفعالاتي بالكعبة وبالروضة الشريفة ..
وعن طوفان دموعي ..
قلت لنفسي: دعك من دوامة الحاضر وتيهه .. ثم إن غيرك يكتب فيه ..
وقلت لنفسي أعبر الأسباب إلى مسبب الأسباب بلا سبب ..
أعبر ..

و ليهدأ بالك وليطمئن قلبك .. لأن الله لم يوكل مصير الإسلام والمسلمين إلى مؤتمر القمة العربي، بل مؤتمر العار والخزي والخسة والخيانة، لم يوكل الله إليهم ولا إلى شارون وبوش ورامسيفيلد وكونداليزا .. ولا حتى إلى فيتو فرنسي أو روسي أو صيني .. لأن الله جل وعلا هو الذي يحمي هذا الدين ولم يوكل تلك الحماية إلى أحد سواه .. ولا حتى إلى أنبيائه فاهدأ بالا واطمئن قلبا ..

نعم .. انظروا إلى ما رواه لنا القرآن الكريم عن قوم نوح .. وثمود وعاد وشعيب ولوط .. انظروا إلى تيه بني إسرائيل ورفع المسيح عليه السلام .. تنظروا إلى ذلك كله وليهدأ بالكم ولتطمئن قلوبكم فالله هو الذي يحمي هذا الدين .. وهذا الدين بذاته لا تقويه مؤازرتنا ولا يضعفه انصرافنا .. ونحن لا نحميه عند الشدائد بل نحتمي به ..

***

قلت لنفسي: دع الأسباب إذن وانطلق إلى مسبب الأسباب بلا سبب .. وهذا مجال تهفو إلى الكتابة فيه منذ أعوام وأعوام ولكن ضراوة الحادثات وتعاقب العاديات تصرفك عنه .. فعد إليه الآن وقلبك حديث عهد بالمسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

***

عد إلى مسبب الأسباب بلا سبب ..

فماذا سيفيدك أو يفيد الأمة الآن وقد سبق السيف العذل أن تقول للقراء أنك مرعوب من اجتماعات شرم الشيخ، فحكامنا ما عادوا يجتمعون إلا للخيانة، خيانة الله ورسوله والمؤمنين ..

ماذا سيفيدك تناوله وأقصى ما يمكن أن يجمح بك الخيال المريض لقرارات مؤتمر القمة لا يستحق منك سوى أن تصرخ في وجه جلالة الجلالات وفخامة الفخامات وسمو السموات قائلا:

شاهت الوجوه ..

تخيل أقصى ما يمكن أن يصل إليه المؤتمر في الخيال لا في الواقع .. أن يرفع الحصار عن العراق ..

شاهت الوجوه .. ولماذا حاصرتموه

***

دع الأسباب إذن وانطلق إلى مسبب الأسباب بلا سبب ..

ماذا سيفيدك الآن أو يفيد الأمة أن تقول أنك لم تعد تثق في الرئيس مبارك ولا في دعواته، وأنك تعتبره أخطر من أساء للإسلام والمسلمين بعد كمال أتاتورك، وهو الذي لم يشهد المسلمون عبر التاريخ كله تنكيلا كذلك الذي شهدوه في عهده، بل إن إحصائية منشورة ذكرت أن أحكام الإعدام السياسي في عهد الرئيس مبارك تتجاوز أحكام الإعدام السياسي في التاريخ المصري المكتوب كله .. منذ عهد الأسرات الأولى للفراعنة حتى بداية حكمه .. فماذا سيفيدك أن تقول للقراء أنك تخشى أن يكون دوره في هذه القمة مشابها لدوره في قمة عام ٩٠ .. مجرد قنطرة يعبر عليها الأمريكان ليسحقوا الأمة.

(مجرد خاطرة: تولى مبارك حكم مصر وسعر الريال السعودي ١٧ قرشا .. وبعد نيف وعشرين عاما من حكمه أصبح سعر الريال يقارب ١٧٠ قرشا).

ماذا سيفيدك أن تقول أنك تخشى من انعقاد القمة العربية في شرم الشيخ التي باتت شرما للعار وعبادة الشيطان ..

(مجرد ملحوظة: كانت صحيفة الأهرام لا نحن هي التي كتبت مقالة مستفيضة تدق نواقيس الخطر لأن شرم الشيخ قد تحولت إلى مدينة لعبادة الشيطان لا على

سبيل المجاز والخيال والرمز بل على سبيل الواقع، ولقد علقت أنا على هذا المقال من الأهرام في حينه).

***

ماذا سيفيدك أن تقول أن العالم الإسلامي قد تعرض في القرن الماضي لأكبر خدعتين: الخدعة الأولى حين ظن مصر رائدة للمعارف والتنوير .. والخدعة الثانية حين ظن أن المملكة العربية السعودية دولة إسلامية!!: وهل ستكون ظالما حين تقول أن دور المملكة في الإساءة للمسلمين لا يفوقه إلا دور إسرائيل؟!.

كانت وظيفة إسرائيل الإساءة الإيجابية ..

وكانت وظيفة السعودية الإساءة السلبية دائما والإيجابية أحيانا.

***

ماذا سيفيدك أن تناشد فقهاء وعلماء ما كان لهم أن ينتظروا مناشدتك لهم لتكفير المعيّن!! .. نعم كان عليهم أن يسموا الأمراء والقادة اسما اسما ليقولوا: هذا كافر لأنه استعان بالكفار على المسلمين ويجب خلعه ولا بيعة له ولا طاعة. نعم .. فعدم تكفير المعين قد يكون صحيحا في الدولة الإسلامية عندما يكون الكفر هو الشذوذ والاستثناء، لكن عندما يحدث العكس، ويكفر الأمير، ويخرج الحاكم على الدين ويستعين بالكفار لإهلاك المسلمين فإن واجب الفقهاء جميعا أن يعيّنوه وأن يحكموا بكفره ..

ماذا سيفيدك الآن أن تقول أن حكومات الخليج العربي كله قد خانت الله والأمة ومرقت من الدين، وأنها حين تأزف الآزفة ويستدير الزمان دورته، فإنها، تلك الحكومات كلها، ستهرب إلى مراقص الغرب ودور قماره وحانات خموره، وستترك شعوبها فريسة لثأر لا يعرف الارتواء .. ثأر لا يقتل فيه المسلم إلا مسلما والعربي إلا عربيا والأخ إلا أخاه ..

فإن قلت ذلك عن حكام الخليج فماذا عن الجزيرة؟ .. وإن قلت مثله عن المشرق فماذا عن المغرب؟ ..

***

ماذا سيفيدك أو يفيد القراء أن توجه نظرهم إلى موقع للعقيد القذافي على شبكة

الإنترنت، والأصل أن الإنترنت هو ملجأ المقهورين والمطاردين الذين تصادر صحفهم فلا يملكون إعادتها أو الكتابة في سواها كما لا يملكون وكالات أنباء أو محطات تلفاز فضائية وأرضية لنشر ما يريدون نشره، هذا هو الأصل ..

وكان الغريب جدا أن يلجأ رئيس جمهورية إلى إنشاء موقع على الشبكة ..

وكان المنسوب إليه في الموقع غارقا في الكفر ..

وكنت واثقا – رغم أنني لا أظن به خيرا – أن الموقع مدسوس عليه، فحتى لو كانت هذه الكفريات تمثل رأيه وعقيدته فما حاجته إلى فضح نفسه على الملأ، خاصة وأن غيره، من أقرانه، أشد كفرا ونفاقا، لكنهم أحرص ما يكونون على إخفاء ذلك.

كنت واثقا أن الموقع مدسوس على الرجل حتى وجدته يعلن عنه إعلانات تجارية في قناة الجزيرة.

أصرخ فيكم يا فقهاء هل أصدرتم فتوى تجيز كفر حاكم المسلمين؟

فإن لم تكونوا قد فعلتم بعد فأين فتاواكم فيمن لم يعد حريصا على إخفاء كفره.

***

قلت لنفسي: دع هذا كله واكتب عن وقفتك أمام المسجد الحرام .. تقدم رجلا وتؤخر أخرى .. يشملك الرعب .. يملؤك الخجل .. يفزعك الجزع .. يغرقك العرق .. ينهشك القلق ..

كيف تقصر في حقه سبحانه وتعالى هذا التقصير كله ثم تجرؤ على القدوم ..

كيف خذلت عباده والمجاهدين في سبيله ثم تجرؤ على القدوم ..

كيف تخذل الفلسطينيين والأفغان والشيخ أسامة بن لادن وأهلنا في الشيشان والفليبين وكشمير و .. و .. و .. ثم تجرؤ على القدوم ..

كيف تتركهم على وشك التهام بغداد ثم تجرؤ على القدوم ..

كيف جرؤت على ترك الطواغيت يحكمون بلادنا بغير ما أنزل الله فيوردونها موارد الهلاك لتأتي ..

***

ليست المرة الأولى التي أحج فيها إلى بيت الله الحرام .. بل الثالثة ..

لكن .. لم تكن الأرض قد انشقت تحت أقدامنا كما انشقت في الأعوام الخوالي .. ولا كنا قد أدركنا حجم الفتنة وعمق الابتلاء .. ولم نكن قد علمنا ما يحاك لنا وما يجب علينا وكنا نستمتع بإيمان العامة وكان أملنا أن نُعذر بالجهل ..

الآن نحن نعلم ..

نعلم علم اليقين ..

ولن يكون من حقنا أبدا أن نظفر بالأمل في الاستجابة لدعوة تقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ..

ليس لنقص في الرجاء .. ولا ليأس من الإجابة .. ولكن .. لأننا نعلم .. نعلم .. نعلم .. نعلم ..

ليتنا كنا ممن لا يعلمون ..

والويل لنا فنحن نعلم .. ولا نعمل ..

***

كنت أود أن أكتب عن هذا أو بعضه حتى أتتني رسالة رائد الفلسطيني فقلبت الوضع كله ..

***

إذ كيف أستطيع أن أكتب عن بيت الله الحرام وأدع ما هو أشد حرمة على الله منه ..

دم المسلم ..

***

هل تعرف يا رائد ماذا فعلت؟ ..

مددت يدك يا بني الحبيب .. يدك العارية .. غرستها في لحمي فاخترقت عظامي ونزعت قلبي من جذوره .. فظل معلقا في الفراغ ينزف فلا هو يحيى ولا هو يموت.

نعم يا رائد .. أذكرك .. وأذكر رسالتك الدامية في رمضان الماضي .. وأذكر كم بكيت عندما وجدتك تخاطبني: بـ:« سيدي» فصرخت فيك: بل أنت سيدي .. وأصغر طفل فلسطيني هو سيدي وسيد كل الأسياد من حكام ورؤساء وملوك وأمراء وقادة ووزراء ورؤساء تحرير وكتاب ومفكرين .. و .. و .. و ..

لا ..

بل والله لا يصلحون جميعا خدما ولا عبيدا لأصغر طفل فلسطيني .. فأصغر طفل فلسطيني يبذل حياته في سبيل وطنه أما هؤلاء جميعا فما أرخص ما باعوا أوطانهم وشرفهم.

***

أتذكر رسالتك الأخيرة وخاتمتها الدامية:

سيدي / أنت ضمير الأمة لا تسكت ولا تيأس ولتحمل اللواء فاليوم نكون أو لا نكون فالأمر جد خطير وليس ثم والله إلا الصبر والثبات فلتستنهض الأمة ولتصرخ فأنت المسؤول عن الأمر بعد أن سقط حكامنا وسقط علمائنا وسقطت أمتنا فكان الله في عونك.

أما نحن وبالرغم من سواد ما ينتظرنا وما يتوعدنا اليهود بعمله فينا لحظة انشغال العالم بضرب العراق فإننا والحمد لله صابرون وثابتون ولن يفارق سوادنا سوادهم حتى يموت الأعجل فينا فيا الله أنصر دينك.

ابنكم رائد أبو القسام / غزة / فلسطين ٢٧ فبراير ٢٠٠٣

***

انتهت رسالة رائد ..

أما أنا فلم أعد أملك إلا طوفانا من الدموع .. وعينين أجاهد في إخفائهما عن الصحاب .. لأنهما إما تنتحبان وإما تقاومان النحيب ..

أملك ذلك ..

***

هل تعرف يا رائد ما زاد من بكائي ..

تصورت أن استغاثتك هذه وصلت إلى رسول الله ﷺ..

كم كانت عيناه الشريفتان ستبكيان ..

بماذا كان سيحكم على حكامنا .. حاكما حاكما .. رئيسا رئيسا .. ملكا ملكا .. أميرا أميرا .. قائد جند قائد جند ..

وبماذا كان سيحكم علينا يا رائد؟ ..

بماذا كان سيحكم علينا؟ ..

بماذا كان سيحكم علينا؟ ..

***

يا رائد الفلسطيني لا أملك إلا أن أصرخ في نفسي قبل أن أصرخ فيك وفي العالمين:

ويلك آمن إن وعد الله حق ..

ويلك آمن فإن من قبلنا كانوا ينشرون بالمنشار فلا يرجعون ..

ويلك آمن فإن النصر قادم وإن وعد الله حق والله لم يكل مصير الإسلام والمسجد الأقصى إلى شارون .. إنما كل شيء بقدر ..

يا رائد الفلسطيني: أتظن أن ما يحدث إنما يحدث ضد المشيئة أم بالمشيئة يحدث ..

يا رائد الفلسطيني لا يملك قلبي المذبوح إلا أن يجيب عليك بما أجاب به سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين حين استغاثوا به وهو يطلب الغوث ولا يغاث فيجيبه: عز والله على عمك ألا يجيبك في يوم كثر واتره وقل ناصره ..

يا رائد الفلسطيني عز والله عليّ ألا أجيبك .. ولكم وددت أن أستطيع تنفيذ ما طالبتني به رسالة أخرى وصلتني من خالد من الرياض يقول:

سيدي ... لقد قلت فبينت .. وشرحت فأوضحت ..

ولم يبق لك سيدي مجال لأن تقول أكثر..

فنصيحتي أن تحمل سلاحك وتلحق بالمجاهدين .. لتموت مع الشهداء..

ساعتها فقط سيفهم الناس كلامك..

خالد – الرياض

***

يا رائد الفلسطيني اصبر فإنه الابتلاء .. ثم رضوان الله وجنة عرضها السموات والأرض ..

يا رائد الفلسطيني كانت رسالتك هي السبب في أن أترك تحت وطأة الألم العاتي الجبار كل ما انتويت الكتابة فيه لأغرق في محيط من النار والألم ..

في رسائل القراء ..

فاقرأ معي .. وتألم معي ..

اقرأ معي – على سبيل المثال – هذه الرسالة من بغداد:

***

اللهم أيدهم بروح القدس

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الدكتور محمد عباس أيده الله

السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد:

فلقد كنت عازفا عن قراءة الصحف فترة طويلة لأن الصوت الأمين فيها مفقود

قرأت أول مقالاتك حول وليمة الأعشاب ففجرت أحاسيسي وبكيت ثم انقطعت عنك لأسباب يطول شرحها منها أن البلد الذي كنت فيه لاتصل مقالاتك إليه إلا بصعوبة بالغة ثم قدر لي أن انتقل إلى بلد آخر وأن تصلني رسالة من أخ حبيب يتابع مقالاتك ويخبرني أن الجريدة باتت على الانترنت فكان أول مقال قرأته هو نصف رسالة إلى صدام ثم قرأت الأخرى بعنوان منتهى الخسة ولا شك أنها أيقظتني وأخبرتني أنني كنت مخطئا حينما ظننت أن مصر قد بيعت إلى الشيطان وأن أهلها لا يحسنون إلا الرقص وهز البطون وعرض بضاعتهم الرديئة موميات مصر وقبور الكفرة وأعداء الله هكذا يصور الإعلام المصري لنا مصر كما أنها لا تملك إلا قبور وجثث الذين لعنهم الله وتريد أن تدخل التاريخ الحديث بهذه التفاهات

نعم يا أخي محمد لقد غسلت يدي من مصر ومن إخوان مصر الذين كانوا فيما سبق هم أمل الأمة فإذا بهم وللأسف الشديد يؤثرون السلامة ويتصورون أن القوادين وأخدان العاهرات سوف يتوبون كما الفنانات ويقولون لهم تعالوا احكموا علينا بالرجم واقطعوا أيدينا التي سرقت أموال الأمة سيقولون لهم تعالوا أقيموا علينا حدود الله وانشروا الفضيلة إذ عجزنا في مكافحتها ؟

نعم كنت قد غسلت يدي من مصر كما يغسل الابن أباه العزيز ليصلي عليه صلاة

الجنازة لا سيما لا يخرج لنا تلفزيون الجزيرة وتلفزيون مصر وكل القنوات الأخرى أقول لا يخرجون لنا إلا الخونة والزبالات التي بغضت إلى مصر وأصبحت أقرف من أي مصري _سامحني يا أخي _لأنني أتصور حينما أتعرف عليه انه سيعرض علي بعد قليل عاهرة أو زجاجة خمر.

نعم يا أخي محمد إني أتوب إلى الله على يديك وعلى قلمك البتار من ظني الذي لم أصنعه أنا إنما صنعته الأفلام المصرية والمسلسلات المصرية والسياسيون المصريون.

نعم يا أخي محمد لقد أرجعت إلى الوعي لا وعي توفيق الحكيم الذي لم يرزق الحكمة في يوم من أيام حياته ولكن الوعي بأن الإسلام العظيم لا يزال يقدر على إحياء الأموات ولا يزال يقدر أن ينور العميان كما قال المولى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾

نعم لا يزال الإسلام يخرج من ظلمات مصر أمثال يوسف وموسى والعز بن عبدالسلام وحسن البنا وسيد قطب ومحمد عباس

نعم أخي محمد انت اليوم تؤدي رسالة لا تقل عن رسالات هؤلاء الرواد انك تحيي مصر من جديد أنك تقف أمام حركة التزوير والتشويه لوجه مصر الجميل الذي يريد الدعارون تلويثه وتسويده سود الله وجوههم انك اليوم تقوم مقام حسان مع محمد ص في مقارعة أعداء محمد المعاصرين

ولا أقول لك إلا كما قال رسول الله ﷺ لحسان اهجهم حسان وروح القدس معك إن مقالاتك الرائعة أفتك بهم من النبال والسهام نعم إنها من جند الله نعم أخي محمد اهجهم وجبريل معك

اللهم أيد عبدك محمد عباس بروح القدس واجعل له من لدنك سلطانا ونصيرا

اللهم أيد عبادك محمد عباس ومجدي حسين وكمال حبيب ومن معهم بروح القدس

اللهم أيدهم بروح القدس

اللهم أيدهم بروح القدس

اللهم أيدهم بروح القدس

أخوك من بغداد الرشيد

د. سامي

وبعد بغداد تأتي هذه الرسالة البلسم من الكويت، لتعيد إلى شعبها الحبيب طهرا دأب حكامها على أن يدنسوه ..

تقول الرسالة الكويتية:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلي سيدي الفاضل/ الدكتور محمد عباس .. ..

اسأل الله العزيز أن يطيل في عمرك ويبارك في حياتك ويكثر من أمثالك لأنك اليوم تمثل البقيه الباقية لشرف الصحافة وتحمل سيف الذود عن رموز الأمة فصدقني يا أستاذي العزيز إن العمل الذي تقوم به من كتابات لا يقل أهمية عن أي عمل بطولي آخر ... نعم لا يقل عن غزوه منهاتن ولا عن أي عمليه استشهادية يقوم بها إخوتنا في فلسطين أو الشيشان ولا عن أي مجاهد في سبيل الله في أي أرض إسلامية فأسال الله العلي العظيم أن يبارك في عمرك ...

تلميذك المخلص / أبو يوسف من الكويت

حي على الجهاد
واجهوا الشيطان القرصان الطاغوت المجرم

أستميح عذركم يا قراء .. فلكم كان بودي أن أسبح بكم في عوالم أخرى .. وكان تخطيطي أن أكتب مقالات عديدة عن الحج أنهيها بملاحظاتي التي تشمل الإشادة بالجهد المشكور الذي تبذله السلطات السعودية لرعاية الحجاج، لكنها تشمل أيضا أوجه القصور التي تجشم الحجاج عناء لا مبرر له ولا غاية منه، بل وضحايا يحمل دمهم من أساء التخطيط.

كنت أقدر ذلك .. لكن النوازل الهائلة والهوائل النازلة تملي عليّ أولوياتها .. !!

ولم يكن من المستساغ أن أبتعد عن عارنا الموشك على الاكتمال، فالغالب أن الشيطان القرصان الطاغوت المجرم سيبدأ سطوه المسلح على العراق هذا الأسبوع. سيبدأ سطوه، بينما حكامنا ونخبتنا، جلالة الجلالات وفخامة الفخامات وسمو السموات، وقادة الجيوش، والمخبرون الدعار اللصوص الذين عينتهم السلطات العميلة المخترقة رؤساء تحرير صحف، ومديري قنوات فضائية، وأرباب فكر، كل أولئك لن يكونوا – كما وصفهم مظفر النواب – سوي أبناء قحبة، نعم أبناء قحبة، سوف تعلو أصواتهم كي تغطي على أصوات اغتصاب العراق ..

أقول لنفسي: ارفع اسم القدس من قصيدة الشاعر .. وضع مكانها أسماء عواصم العرب عاصمة بعد عاصمة .. ولن يختل المعنى أبدا .. أبدا .. أبدا

بغداد عروس عروبتكم ..

فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها ..

...

...

هذى الأمة لا بد لها أن تأخذ درسا في التخريب ..

***

ماذا نفعل؟ ..

وماذا سنفعل .. ؟ ..

كنا مجموعة من الأصدقاء وكان كل واحد يطرح السؤال بصورة أو بأخرى .. ثم يجيبه بصورة أو بأخرى.

كان الكل يعتبر أن احتلال العراق كأنما أصبح أمرا واقعا لا شك في حدوثه ولا سبيل إلى توقيه لذلك فإن علينا ألا نضيع الوقت في الجدل فيه، وعلينا أن نناقش ما سيحدث بعده.

وقال أحدهم أن انفراجة ستحدث بين الحاكم والمحكوم، حيث سيشعر الحاكم أن الخطر الذي يهدد المحكوم أصبح يهدده، وأن فترة المواجهة بين الشعب والطاغوت توشك على الانقضاء ليعقبها نوع من التحالف البناء ..

***

صرخت: كلا ..

ألف كلا ..

إن العراق ما يزال قادرا على مواجهة هذا الشيطان القرصان الطاغوت المجرم جورج بوش ومن يمثلهم من الأمريكيين والغرب ..

بضعة عشرات من الآلاف في أفغانستان هزمت الجيوش الجرارة للاتحاد السوفيتي، وبضعة آلاف من الشيشان أذلت روسيا، وبضعة آلاف في لبنان فعلت باليهود الصهاينة الأفاعيل، وكبدت إسرائيل أول هزيمة كاملة في صراعها مع المسلمين.

إنني أدعو الله أن يقاوم الشعب العراقي وأن يصمد، فإن صموده بضعة أسابيع كفيل بعكس الدورة تماما وربما يكون له من الآثار ما كان لمعركة السويس التي أزاحت بريطانيا وفرنسا من مكان الصدارة، وكبدتهما خسائر سياسية فادحة.

إن أمريكا المجرمة تفقد قبضتها على العالم .. وسياسة القطب الواحد التي عاثت بها في العقد الأخير فسادا توشك على الانتهاء .. بل انتهت بالفعل .. وهناك بالفعل أقطاب عديدة على استعداد للمواجهة توحدها وتقويها مقاومة بطولية من الشعب العراقي ..

يملؤني الخزي من مواقف حكامنا لكنني لا أملك إلا أن أناشدكم يا أهلنا في العراق: قاوموا ..

اقتلوا الأمريكيين والبريطانيين حيث ثقفتموهم.

لم يكن عند الشيشانيين جيش ولم يكن الجيش في لبنان هو الـذي حـارب، فقـاتلوا نصركم الله.

إنني أناشد أيضا الأمة أن تقاوم الغزو بقدر ما تستطيع ..

إن العمليات الاستشهادية لا يجب أن تكون مقصورة على المدنيين فقط ..

إن عملية استشهادية يقوم بها عسكريون ضد الجيش الأمريكـي سـوف يكـون لهـا آثارها الهائلة مهما كانت محدودة، ويجب أن نحرم القوات الأمريكية مـن الشـعور بـأن ظهرها مؤمن ..

إن مائة من العسكريين الشجعان يقتلون ألفا من الأمريكان قد يسقطون جورج بوش ويعكسون مجرى الانهيار ويرغمون أمريكا على سحب قواتها من المنطقة كلها ..

أما من راغب في الجنة؟ ..

أما من بائع يبتغي أن يربح بيعه؟ ..

أما من طيار كويتي بطل يفجر طائرته في حاملة طائرات أمريكية ..

أما من طيار سعودي بطل يسقط طائرة أواكس ..

أما من غواص مصري بطل يلغم مدمرة أمريكية ..

أما من بطارية صواريخ أردنية تطلق صواريخها على طـائرات الشـيطان القرصـان المجرم ..

لكن .. طريقة وضراوة المقاومة العراقية قادرة على تغـيير مسـار التـاريخ .. وهـي التي ستستثير وحدات أو أفراد في الجيوش العربية – ليتهـا كانـت لنـا لا للأمريكـان- لتقوم بعمليات مؤثرة في مؤخرة الجيش الأمريكي، وهي الـتي سـوف تتـيح للأقطـاب الناشئة كسر عنق الطاغوت الأمريكي.

***

وواصلت الحديث إلى الأصدقاء قائلا:

أما عن حكامنا ونخبنا فلم يكن الخـلاف بيننـا وبيـنهم إلا الامتـداد للخـلاف بـين المصريين وبين الجنرال الخائن المعلم يعقوب ..

حكامنا لم يخطئوا الطريق عفوا .. بل كانوا نخاسين خونة اتفقوا منذ البداية مع أعداء الأمة على إهدار طاقات الأمة وعلى تضليلها لدفعها إلى هلاكها كقطيع يندفع إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان.

نعم .. لم يكن الأمر أمر خطأ في الحسابات .. بل أمر قطاع طرق .. قطعوا على أمتهم طريق النجاة .. وليس لهم عندنا من جزاء إلا جزاء من يحاد الله ورسوله ..

الحكام والنخبة جميعا ..

و أيضا: أجهزة الأمن الخائنة التي دمرت الأمة وأفقدتها القدرة على المقاومة.

تلك الأجهزة يجب أن تطارد ويقتص منها كما اقتص الشعب الإيراني من السافاك المجرمين.

نعم .. هذا هو الحكم .. لا يمنعنا من الجهر به عدم القدرة على تنفيذه .. لكننا نتركه لأبنائنا واضحا وجليا ..

***

نعم ..

تذكري ذلك يا أمة ..

تذكريه ولا تنسيه أبدا ..

إن الهزيمة لا تحيق بك .. ولا بالإسلام .. إنما تحيق بمجمل السياسات التي وضعها جواسيس وخونة وقطاع طرق وقراصنة تمكنوا من حكمك ..

لم يهزمك الأمريكيون ولا البريطانيون ولا الصهاينة .. وإنما هزمك جلالة الملك وفخامة الرئيس وسمو الأمير ..

لم تهزمك – يا أمة – حاملات الطائرات ولا قاذفات الصواريخ .. بل هزمتك مباحث أمن الدولة والحرس الوطني ..

ولم يكسرك – يا أمة – طوفان الكذب منهم .. بل طوفان الكذب من صحفك أنت ومن إعلامك أنت ..

هزمك يا أمة ذلك السعودي الخسيس الذي أعلن أن القوات الأمريكية في شمال السعودية إنما جاءت لحماية السعودية من إسرائيل!! ..

وهزمك يا أمة ذلك المصري الخسيس الذي ادعى أن مصر ستبدأ في نقل الرعايا المصريين في العراق (الخسيس يعلم أن ذلك لن يحدث فمتي اهتمت مصر برعايا الداخل أو الخارج).

وهزمك يا مصر ذلك الكويتي الأشد خسة الذي راح يدافع عن انطلاق الهجوم على العراق من بلاده، وراح يدعو الأمريكيين لجلب المزيد من القوات، بل وراح أحدهم يتهم العلامة الشيخ يوسف القرضاوي في دينه لأنه يدافع عن العراق .. ويقول ذلك الخسيس وأظنه الغامدي: «هذا الشيخ الذي يرتكب جرما ما بعده جرم في حق الشعب العراقي بالدعوة المشبوهة للإبقاء على هذا النظام المجرم. ولا أدري كيف يرتاح ضميره بالدفاع عن هذا النظام وهو يعلم جيدا أنه نظام كافر ورئيسه كافر وكل من يؤيده كافر مثله».

هذا الغبي الخسيس لا يدرك أن الكويت قد انتهت أيا كانت الأحوال ..

انتهت تماما ولن يظل اسمها سوي أعوام معدودة ..

وهذه المرة ستتكفل أمريكا نفسها بضمها للعراق .. وسيدفع الشعب الكويتي ثمن ثأر دفعه إليه حكامه وخسة بعض كتابه ..

سيدفع الشعب الكويتي الثمن .. أما الحكام .. وأمثال هذا الكاتب الخسيس فلن يدفعوا شيئا .. لأنهم سيهربون – كالعادة – إلى الخارج.

نعم ..

وسيتذكرون لكن بعد فوات الأوان ذلك المثل الذي ضربه ذات يوم شيخ من شيوخنا لواحد من خلفاء بنى العباس حين رآه يسرف في تجنيد الترك – الذين قتلوا الخليفة والتهموا الخلافة بعد ذلك – فقال له:

مولاي: كان هناك راع، ساءه أن تفترس الذئاب بعض غنمه فأسرف في تربية الكلاب لكي تذود الذئاب، لكن الكلاب احتاجت إلى طعام، فأخذ يذبح كل يوم من غنمه حتى يطعمها، حتى انتهت غنمه، فيا مولاي، ماذا يفعل الراعي إذا أكلت كلابه غنمه ؟

نعم يا حكام الكويت ويا حكام العرب والمسلمين .. أكلت الكلاب الغنم، لم تأكلها الذئاب، ولا وحوش الفلاة، ولم يسرقها اللصوص، وإنما أكلتها الكلاب.

نعم يا أمة ..

كانت خطيئتك التي تكاد الآن توردك الهلاك أنك لم تكتشفي أن حكامك – منذ قرنين على الأقل- كانوا هم أعداءك الخونة .. وكانوا هم الأخطر من كرومر واللنبي وشارون وبوش ..

فالاختلاف بيننا وبين حكامنا لم يكن اختلافا مطلوبا في الآراء والرؤى .. بل كان اختلافا في الولاء والبراء ..

كان الله ولينا وكان الأمريكان والصهاينة أولياؤهم .. وقد باعونا .. وباعوا دينهم .. وسمح لهم الغرب بكل ما يشاءونه من فساد وإفساد مقابل أن يقيدوا له الأمة ..

وتلك هي الخطيئة التي تدفع بالشيطان القرصان لأن يصرح الآن علانية: «مهما فعلنا فإن تلك الدول ستبقى تحت سلطة طغاة فاسدين، وعليه فإن هدف سياستنا الخارجية يجب أن يكون ضمان أن يكونوا طغاة أصدقاء وليس معادين».

***

أما هذا الشيطان القرصان الطاغوت المجرم جورج بوش وتابعه الخسيس بلير فقد كشفا للعالم ما يحرص الغرب على إخفائه طيلة خمسمائة عام.

إن العالم يرى الآن مشدوها كم الكذب الحقير الخسيس، ويري وهو لا يكاد يصدق نوع الابتزاز الدنيء الذي تمارسه أمريكا على العالم .. ويري الديموقراطية بوجهها الحقيقي، وجه تدبير الموافقة أو الحصول على الإجماع بالتهديد بالويل والثبور وعظائم الأمور.

يرى العالم ذلك ولم يكن كله يدرك كما أدرك أسامة بن لادن ط مدي بشاعة وإجرام الحضارة الأمريكية خاصة تحت قيادة الأمريكيين .. أسامة بن لادن .. ذلك البطل العبقري الذي أدرك أن غزواته الأمريكية ستسقط القناع عن وجه الحيوان المسعور ليراه العالم على حقيقته.

يرى العالم ذلك .. فتختلف الحسابات والرؤى .. ومهما حدث في الأسابيع والشهور القادمة .. فإن نهاية أمريكا أصبحت وشيكة في بضع سنين .. فالعالم لا يمكن أن يحترم، ولا أن يطيق استمرار هذا الوحش المسعور قائدا للعالم.

***

نخبتنا السافلة الخائنة التي تضلل الأمة منذ قرنين حرصت على أن تـزين لنـا وجـه الشيطان القرصان الطاغوت المجرم، فحرصت على ألا تنقل لنا ما ينشر حتى في كتـب أمريكية تصف مدى الشذوذ في تربية الفئة المسيحية الصهيونية التي ينتمي إليهـا شـواذ مجرمون كبوش. ولولا أن كاتبا جادا كالأستاذ محمد يوسف عدس قد نقل إلينـا ذلـك ما كنا عرفناه. وما كنا عرفنا أن هذا الإجرام الذي يمثل بوش رأسه الطافية ليس خطرا على العالم فقط، بل إنه يدمر أمريكا والأمريكيين.

في كتاب نشر عام ١٩٧٧ بعنوان «كيف تهذب طفلـك » تحـث فيـه الأبـوين عـن معاقبة أطفالهم على العصيان بأن يكـون العقـاب ضـربا لا رحمـة فيـه ولا تـردد، وأن يتكرر الضرب كلما دعت الحاجة إلى عقوبة، وينصح ألا يكف الأبوان عـن الضـرب إذا بكى الطفل غضبا أو غيظا بل ينبغي الاسـتمرار في الضـرب الموجـع حتـى يكـف الطفل عن البكاء، فالعقوبة البدنية العنيفة وسيلة ليست مقصودة فقط لفرض الطاعـة وإنما لإجبار الطفل أيضا على إنكار ردود فعله التلقائيـة لهـذه المعاملـة الـلا إنسـانية. ويوضح هذه النقطة القس «جاك هايز» حيث يقول: «المقصـود بالعقوبـة البدنيـة هـو كسر إرادة الطفل، ومن ثم لا بد من إيقاع الضربات بشدة وإيلام .. ويجب أن يسـتمر الضرب حتى تنكسر إرادة الطفل فيبكى .. ولكن ليس بدموع الغضب والثورة ولكن بدموع الاستسلام والإرادة المنسحقة .. فطالما ظل الطفل متصلبا يضرس علـى أنيابـه من الغيظ متمسكا بإرادته فلا بد أن يستمر الضرب ».

ويعتقد البروتستانت الأصوليون عموما أن ضرب الأطفال ضرورة لازمـة لإنقـاذ أرواحهم من عذاب جهنم. وفي كلام قادتهم تأكيـد علـى جانـب آخـر مـن جوانـب العقوبـات البدنيـة لا يتوقـف عنـد كسـر الإرادة والاستسـلام فقـط، وإنمـا لا بـد أن يصـحب ذلـك ويتبعـه الإذلال والمهانـة. وفي هـذا المجـال تـذكر «روث ويلكرسـون هاريس»، أخت القس « ديفيد ويلكرسـون » أن أباهمـا كـان يسـتخدم الصـلاة بعـد الضرب المبرح وسيلة لتحقيق هذا الهدف .. تقول: لم يكن أبى يسمح لنا بالبكـاء، بـل يمعن في إذلالنا بأن يطلب منا أن نطوق عنقه وبأمرنا أن نقول : (أنا أحبك يـا أبـى .. اغفر لي يا أبى لعصيان أوامرك). وهنا يقول لنا : (أنا أحبك كما أيضا .. ولكن علينا الآن أن نطلب من الرب أن يساعدكما للتغلب على عنادكما) !!

وهكذا يتحول الطفل المعاقب إلى رهينة مهددة بمزيد من الضـرب دائمـا .. ولـيس للطفل اختيار آخر للخروج من هذه الحالة التعيسة إلا بإنكار حقيقة ما حدث لـه مـن

عنف وإرهاب على يد والديه، وأن يقبل بحقيقة أخرى مختلفة وزائفة يصنعها له الأبوان، مؤداها أن الأبوين ليسا غولين مفترسين وإنما حبيبان رحيمان وأنهما طبيعيان سويان، وأن الطفل هو الشخص السيئ الشرير ومن ثم على الأبوين واجب حمايته من غضب الأب السماوي».

(أليس هذا بتمامه ما يطلبه الصهاينة من الفلسطينيين، مع فارق واحد، هو أن الأمر هنا لا يتعلق بالضرب، بل بالقتل).

(أليس هذا أيضا ما يطلبه الشيطان القرصان الطاغوت المجرم من الشعب الأفغاني ومن الشعب العراقي أيضا: إنكار حقيقة ما حدث له من عنف وإرهاب على يدها) ..

***

هل قرأتم يا قراء .. ؟؟ ..

هكذا يفعلون مع أبنائهم ..

فماذا يمكن أن يفعلوا مع أعدائهم .. ؟! ..

هل لاحظتم يا قراء ذلك اليقين الوثني الذي يتحدث به ذلك الشيطان القرصان الطاغوت المجرم جورج بوش عن الإسلام والمسلمين .. عن العراق وفلسطين .. عن رجل السلام شارون والإرهابي محمد الدرة ..

نعم .. يقولون : إنه أغبى رئيس أمريكي .. وذلك حقيقي .. إلا أنه لا ينفي تورط الغالبية من المجتمع الأمريكي في دعم فكره الدموي الوحشي المجنون .. ثم إن هذا الفكر الدموي الوحشي المجنون نفسه لم ينبت نبتا شيطانيا .. بل إن جذوره عميقة في الفكر الصليبي الذي ورثه جورج بوش

***

في كتاب: محاكم التفتيش للدكتور رمسيس عوض –دار الهلال- نجد الأصول النظرية الكاملة لفكر الشيطان القرصان الطاغوت المجرم في محاكم التفتيش. محاكم التفتيش التي لم تجد حلا لمشكلة إنكار ضحاياها أنهم مذنبون غير الالتجاء إلى ما يعرف في تاريخ القانون بالمحاكمة عن طريق وضعهم في محنة Trial by ordeal للتأكد من براءتهم إذا اجتازوها أو عدم براءته إذا فشل في اجتيازها. وتمخض القانون الأنجلو ساكسونيا عن أربعة أنواع من هذه المحاكمات التي تضع المتهم في امتحان، أولها

وضع كرة ملتهبة أو قطعة من الحديد المحمى في يدي المتهم ليسير بها لمسافة تسع خطوات فإذا تقيحت جروحه فهذا دليل على إدانته. وثانيها وضع يده في الماء المغلي حتى يصل إلى معصمه أو كتفه طبقا لخطورة الجرم المرتكب، وفي كلتا الحالتين يقوم القسيس بتقييد المتهم لمدة ثلاثة أيام يفحص القسيس بعدها يدي المتهم فإذا ظهرت أية أعراض للتقيح فهي إشارة من الله إلى أن المتهم مذنب. وإذا لم تظهر أعراض التقيح فهي دلالة على براءته، والنوع الثالث من هذه المحاكمات فيتلخص في إلقاء المتهم في ماء مثلج فإذا غاص فيه فهو برئ وإذ ا طفا فوقه فهو مذنب. أما النوع الرابع فيتلخص إعطاء المتهم لقمة خبز كبيرة تزن أوقية فإذا عجز عن ابتلاعها ووقفت في زوره فهو مذنب وإذا ابتلعها دون مشاكل فهو برئ. وكانت هذه الاختبارات خارج العالم الأنجلو ساكسوني تتخذ أشكالا أخرى منها وضع عصابة على عيني المتهم حتى يسير معصوب العينين بين محاريث ملتهبة مثل الجمر. فإذا كان المتهم بريئا وفقه الله ألا يحترق بجمرها وإذا لم يوفق أصابته الحروق بالأذى فإن المحكمة تعتبره مذنبا وتوجه الاتهامات إليه.

(ألا تشعرون يا قراء أن المعين النجس الذي يطفح بمثل هذا هو نفس المعين النجس الذي تطفح منه قرارات محاصرة العراق، ومطالبته بإدانة نفسه، ومطالبة رئيسة بالاعتراف بالكذب على شاشة التلفاز، نفس الإجرام والوحشية وانعدام المنطق).

***

ألا تشعرون يا قراء أن مجرمين كجورج بوش وتوني بلير وإيريل شارون ينتمون إلى هذا الفكر الشيطاني المجرم.

ألا ترون يا قراء أنهم يتعاملون معنا بنفس الفكر .. بل بنفس الكفر الشيطاني المجرم.

يواصل الدكتور رمسيس عوض وصفه المرعب لمحاكم التفتيش، والمرعب في الأمر أنه بدا كما لو كان يصف الإدارة الأمريكية الراهنة لا محاكم التفتيش منذ قرون ..:

فقد أقسم الضحايا على عدم الاعتراف أمام محاكم التفتيش، ولكن البعض منهم تخاذل وخار وتطوع للشهادة ضد الآخرين طمعا في كسب رضاء السلطة الكنسية، وقام المفوض البابوي بجمع هذه الشهادات وحملها معه من تولوز إلى مونبلييه. ولكن بعض المتهمين أصروا على الدفاع عن أنفسهم طبقا لما يكفله لهم القانون من حماية

وطالبوا بأن يروا بأنفسهم أسماء الشهود، ولكن المفوض البابوي رفض الاستجابة إلى طلبهم متعللا بأن هذا يشكل خطرا على الشهود ويعرض حياتهم للاعتداء وبهذا أصبح المتهمون عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم. وقام المفوض البابوي بنقل جميع أوراق التحقيق إلى روما حتى لا تقع في أيدي الأشرار فيعتدون على حياة الذين شهدوا ضدهم.

أليس هذا بتمامه، بل وربما أسوأ منه ما تفعله أمريكا الآن من أدلة مكذوبة لا تعلن مستنداتها أبدا خوفا على مصادرها.

سوف نعود إلى هذه النقطة كثيرا لنثبت أن أصولية جورج بوش ومن معه إنما هي أصولية الشيطان ..

أصولية الكفر كاملا والشرك غير منقوص ..

أصولية الوحشية والحيوانية والجنون ..

أصولية الشر والدنس والدم وقرابين البشر إلى وثن دموي شرير يعبدونه ويدعون أنه الله .. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

***

قلت للأصدقاء : إنه ليس أمام الأمة سوي الجهاد في مواجهة انحراف التاريخ بالكفر والطغيان والكذب اعتمادا على مجرمين مثل بوش وبلير وشارون .. وحكامنا ..

ليس أمامنا سوي الجهاد ..

الجهاد .. وإلا نلنا ذل الدنيا وخزي الآخرة ..

***

صديق آخر، وهو صحافي كبير، يبدو أنه سئم الأمر كله فراح يحدثني عن قضية رأى أنها بعيدة تماما عن كل ذلك ..

وبمجرد أنه انتهى من الحكاية أدركت أنها تمثل الوضع كله .. أنها تشبه الرمز في العمل الأدبي العظيم حيث تختزله كله في واقعة مختزلة محددة تبدو كما لو أنها منقطعة الصلة .. ويكون الأمر على عكس ذلك تماما.

قال الصديق : إنه انتقل للسكني في عمارة هادئة بعيدا عن ضجيج وسط المدينة، ولاحظ والسكان أن ساكنا في الدور الأرضي يبالغ في المستوى الفاخر لتأثيث شقته،

وسرعان ما اكتشفوا الأمر، فالرجل قواد، ولكن حمية الحارس – البواب- أبت عليه أن يكون مساعد قواد، فهرع إلى سكان العمارة الذين تجمعوا على الفور لمحاصرة وكر الفساد وطرد الداعرات منه، وتكرر الأمر أكثر من مرة، فجاء القواد إلى فناء العمارة وهو مسلح بمختلف أسلحة البلطجية وأخذ يهدد سكان العمارة بالذبح.

أدرك البلطجي أخيرا العلاقة بين الحارس وسكان العمارة، فدبر لتلفيق اتهام له، وقدم رشوة إلى أميني شرطة لمساعدته على ذلك، وتم القبض على حارس العمارة فعلا، إلا أن سكان العمارة سرعان ما أدركوا الأمر فهرعوا إلى قسم الشرطة .. وكان البلطجي واثقا من علاقاته وتأثير رشوته فأصر على تقديم بلاغ في السكان أيضا، أصر السكان على المواجهة حتى النهاية، وأدرك البلطجي أن الدائرة ستدور عليه (ليس بسبب الدين ولا الأخلاق ولا الأسرة بل بسبب قضية أمن دولة لتأجير شقة لأجانب دون إخطار أجهزة الأمن!) فراح يتراجع مؤكدا أنه أول من يحرص على الأخلاق وأنه لم يكن يعلم بما يحدث و .. و .. و ..

وتنازل القواد عن شكواه ضد الحارس وانسحب من الشقة ليعرضها بعد ذلك للبيع.

(قال لي الصحافي الصديق أن المؤلم في الأمر، أنه كلما حكى هذه المشكلة لصديق، فاجأه ذلك الصديق أنه يعاني نفس المشكلة في عمارته، لكن في العمارات الأخرى، لم تنته القصة هذه النهاية السعيدة، فقد تحالف القواد مع الحارس ضد السكان).

***

هل يحتاج القارئ أن أفسر له الرمز؟!

لا أظن ..

لكن هاكموه ..

فالقواد هو جورج بوش ..

والسكان هم الأمة ..

والحراس الذين تواطئوا مع القَوّادِ هم ..

هم ..

هم ..

هم حكام بلادنا ..

فلسطين عروس عروبتكم

نهاية أمريكا وسقوط الأذناب

أعتقد أن القارئ، ذلك القريب الذي تربطني به تلك العلاقة الحميمة، سيتفهم سر تأخري عن كتابة مقالي العادي .. فقد كنت – وما زلت – أرى بغداد الحبيبة الحميمة تقصف ذلك القصف الهمجي الوحشي المجنون المجرم .. وللوهلة الأولى ظننت مع الدخان الذي تشكل على هيئة عش الغراب أن المسيخ الدجال بوش قد قصفها بقنبلة نووية.

كنت أراها ..

وكنت أري وجه الخنزيرين بوش ورامسيفيلد فأكاد أقرأ على جبهة كل واحد منهما كلمات:

« كافر ..

آيس من رحمة الله» ..

مكتوبة .. يقرأها الأعمى والمبصر .. والمؤمن والكافر ..

***

كان المجرمون ينفذون ضربتهم الهائلة، وكنت أتطلع في الغيب كأنما أتشوف إلى أبي عبيدة بن الجراح يحمل الراية، أو إلى سعد بن أبى وقاص يقود المسيرة، أو إلى خالد بن الوليد يلتف حول العدو، أو صلاح الدين يسحقهم أو سيف الدين قطز يحصيهم عددا ويشتتهم بددا ..

وكنت أتطلع إلى الغيب فكأنما أقرأ رسالة يقول سطرها الأول: من أمير المؤمنين إلى كلب الروم بوش ..

وكنت أدعو الله أن يمن علينا بمعجزة أعلم أننا لا نستحقها ..

لكنني كنت أدعوه متوسلا بذلك الجهاد البطولي لشعب العراق المسلم الأبي ..

لم أجرؤ على أن أقول إخوتنا في العراق ..

وكيف أجرؤ ..

***

وليس معنى هذا أنني أشعر بأي يأس ..

على العكس ..

على العكس تماما تماما ..

فو الله الذي لا إله إلا هو إني لأرى بشائر النصر لا ريب فيها وأكاد أرى نهاية أمريكا الموشكة، بل إنني أري في كل هذا العنف والإجرام والجبروت إحساسهم بدنو نهايتهم، وكأي مجرم، فإن شراسته تزداد كلما أحس باقتراب نهايته.

نعم ..

فهذه معركة تتحدد نتائجها من بداياتها لا من نهاياتها ..

ولقد تحددت .. !!

لقد انهار الحلم الأمريكي بعد أن أماط اللثام عنه هذا المجرم جورج بوش ..

انهارت منظومة الديموقراطية والحرية والعدل والشفافية والأمل لتسفر عن ذلك المسخ الشائه المرعب لأسوأ ما في تاريخ البشرية من إجرام ووحشية وجنون ..

تماما كما حدث عند انهيار الحلم الشيوعي .. عندما بدا الشيوعيون في وضع مأساوي، وقد تخلى عنهم وثنهم الذي كانوا يعبدونه ..

الآن .. في العالم كله .. وفي أمريكا نفسها .. ينهار الحلم .. ويسقط المثال .. ويبقى الكابوس ..

كان العالم -بالخديعة- يلهث خلف الحلم .. لكنه بالتأكيد سيلفظ الكابوس ..

لقد كانت أمريكا على سبيل المثال تغوي العالم بادعاء انفصالها عن الأديان واحترامها لحقوق الإنسان، وأنها تمثل خليطا يتشكل من الأديان جميعا والأجناس جميعا ..

وكان كل هذا مغريا بالغواية والكذب .. وكان يجذب من له دين ومن لا دين له على حد سواء ..

نعم .. كان الإلحاد جاذبا وكان التدين جاذبا وكانت العلمانية جاذبة وكانت البراجماتية جاذبة وكانت نداءات النشوة واللذة والغني والقوة جاذبة ..

لكن كل هذا انحسر فجأة ليبدو المجتمع الأمريكي تحت سيطرة عصابة مجرمة متعصبة عنصرية شديدة التخلف من المسيحيين الصهاينة ..

فكيف يكون مغريا اتباع تلك الفئة المتعصبة المجنونة المتخلفة الغارقة في أساطير

شيطانية تغذي الانحراف الشيطاني للمسيحية الصهيونية .. كيف يكون هذا النموذج النجس مثالا .. وكيف ينجح مهما كانت الغواية والكذب على جذب الناس ..

كيف ينجح وهو حتى بالنسبة لباقي المسيحيين يشكل الكفر الفاجر.

***

أحد معارفي، من المنبهرين بالنموذج الأمريكي حتى النخاع، بذلت معه فيما مضى جهدا كبيرا حتى أفتح عينيه لكنه كان مصرا على انبهاره الأعمى، وكان ذلك بلا جدوى حتى كففت. كان كل أمله أن يهاجر إلى هناك ..

في الأسبوع الماضي، فوجئت به في حالة يرثى لها، كان ينظر نحوي نظرات منكسرة، وبدا أنه يشعر بتأنيب ضمير لا حد له، ووجدته يتطوع فيبادرني:

– لو أنني كنت أمريكيا لشعرت بالخزي والعار.

و أظن أن ما قاله هذا الشاب لا يمثل صدمته وحده .. بل صدمة العالم كله .. نعم العالم كله .. مليارات لا ملايين ..

***

نعم ..

سقط النموذج .. وقد يستغرق الانهيار أعواما لكنه تحصيل حاصل ..

لن ينسى التاريخ أبدا مشهد ذلك الغبي المجرم المجنون بوش وهو يخدع العالم بدعاواه الكاذبة عن أسلحة الدمار الشامل في العراق، فلما جاراه العالم اضطر ليسفر عن نواياه الوحشية الهمجية ..

في كتاب «كنيث بولاك»: « العاصفة المهددة» يكشف الكاتب سر الحرب ضد العراق وخلاصته : « إن العراق اليوم ضعيف ... بلا أسلحة نووية .. وقيادته غير شعبية» .. .. ويذهب الكتاب أن الحرب آتية لا ريب فيها وأن المواجهة قادمة ولذلك فإن أمريكا ترى أن تخوضها الآن في ظل الاختلال الهائل في القوى.

***

سقط النموذج أيضا فكشف عن انهيار شرعية النظام العربي كله ..

أقول: فكشف ولا أقول فأسفر ..

باختصار شديد: كل النظم التي سبقت سايكس بيكو خائنة فقد أدت سياساتها الجاهلة العاجزة الخرقاء إليها .. وكل النظم التي جاءت بعدها خائنة لأنها لم تر سوى تقسيمات سايكس بيكو أساسا للعمل!! ..

وباختصار أشد: كل من ابتعد عن المرجعية الإسلامية خائن أو جاهل .. وكافر أو منافق ..

بل إنني أصاب بالذهول عندما أتأمل في الكلمات الأولية: النظام العربي، لأكتشف أنه لا هو نظام ولا هو عربي!! ولأكتشف أن أعداءنا قد نجحوا في أن يولوا علينا حثالة هي أسوأ من فينا وأجهل من فينا وأشد من فينا كفرا وأكثرنا خيانة ..

***

لقد انكشف هذا كله .. ومن المستحيل أن يستمر .. ومن المستحيل أن تستمر أنظمة حكم: الحكم فيها بالقانون الوضعي هو الخيانة، وبأحكام الشريعة هو الكفر!! ..

نعم .. مستحيل أن تستمر ..

***

إنني أشعر بالحيرة لأن الألفاظ الواردة في المعاجم لم تعد كافية للتعبير عن المعاني .. وأن التشبيهات قد باتت قاصرة وعاجزة ومثيرة للسخرية، فالمشبه به يجب أن يكون أقوي حالا وكذلك الصفة، والخيال يجب أن يكون أكثر غرابة من الواقع، فإذا انعكس كل ذلك، كأن تقول أن الشمس ساطعة كالشمعة، وأن الصاروخ سريع كالسيارة أو السهم، أو أن الرجل قوي كالنملة فإن الأمر يتحول إلى سخرية مريرة تصاب اللغة فيها بالعجز والخرس.

وكذلك ..

عندما تحاول أن تصف حال حكامنا .. فماذا يمكن أن تقول عنهم؟

خونة؟! ..

ما أشد رأفتك ورقتك .. لكأنك تستعيض عن صفات الداعرة بأن شعرها مكشوف .. !! ..

***

بماذا يمكن أن نصف العائلة الحاكمة في الكويت على سبيل المثال؟ ..

العائلة التي ينطلق منها الهجوم الأمريكي على العراق ..

وهذا فعل لا يفعله إلا كافر ..

بماذا يمكن أن نصفهم؟ ..

هل نشبههم بأبي رغال؟

و أبو رغال هذا عربي خائن رضي أن يكون دليلا لأبرهة الحبشي في طريقه لهدم الكعبة، ومات الخائن في الطريق فظل قبره إلى يومنا هذا ملعونا من الناس، وما زالوا يرجمونه.

لكننا حتى في هذا التشبيه نظلم أبا رغال .. فهو بتصرفه هذا قد أساء إلى نفسه فقط .. أما العائلة الحاكمة الخائنة في الكويت فقد جلبت اللعنة على شعب الكويت كله ولشد ما أخشى أن تستمر هذه اللعنة الظالمة تطارد إخوتنا في الكويت أبد الدهر، ولست أشك في إخلاص معظمهم، فيما عدا خمسة آلاف من العائلة الخائنة وعشرة آلاف أو عشرين ألفا من خدمهم وحاشيتهم من خدم خدم وخدم صحافيين وخدم كتاب .. هؤلاء تحيق لعنتهم بشعب يقارب المليون .. وعندما تقع الواقعة فإن هذه الفئة الخائنة ستكون هي الفئة الوحيدة التي ستنجو من اللعنة .. لأنها ستهرب إلى الغرب .. وستترك الإسلام الذي لم تخلص له يوما وستتنصر .. تماما كما فعلت عائلة الملك فاروق ..

هذه العائلة الخائنة أبا عن جد ..

هل أكتفي بوصفها بالخيانة؟ ..

ما أبأس الألفاظ إذن وما أعجز المعاني .. !! ..

***

نعم ..

سقط النموذج ..

والحكم في المملكة العربية السعودية لم يفقد شرعيته فقط .. بل فقدت العائلة والدولة كل شرعية .. والدولة التي خدعت الأمة بأنها بديل عن دولة الخلافة لتكون في النهاية محلا لتنزيل الحكم بكفر من يعاون الأمريكيين على المسلمين لم يعد لها أن تستمر.

كيف أصف وماذا أقول؟ ..

إن انخفاض سعر النفط أثناء الحرب على العراق يلطخ وجه دول النفط العربية بعار لن يزول أبدا ..

لقد انتهت السعودية .. انتهت قبل أن ينتهي العراق .. فسبحان الله ..

لكم هو محبط ألا أجد كلمات تعبر عما يحدث أشد من العار والخزي ..

***

نعم ..

سقط النموذج ..

ففي مصر كان الطلبة يهتفون:

يا علاء قول لأبوك: كل الطلبة بيكرهوك ..

كيف استطاع الشباب الغض أن يعبر بكل هذا الإيجاز البليغ عما في قلب الأمة كلها لا الطلبة فقط؟! ..

وفي لندن كانت صحيفة القدس العربي تقول : إن الرئيس المصري قد جلب العار لمصر بخطابه الأخير الذي ردد فيه اتهامات بوش لصدام حسين .. وزاد عليه أن صدام حسين هو سبب وجود أمريكا في المنطقة ..

لكن صحيفة القدس العربي نفسها قد جلبت هي الأخرى العار للأمة عندما اتخذت في معظم تاريخها موقفا معاديا للإسلام والمسلمين .. وكان هذا الموقف امتدادا لمواقف أخرى هي التي قادتنا في النهاية إلى كل هذا الذل وكل هذا العار ..

ورغم ذلك فقد كانت القدس العربي أفضل بكثير من سواها .. أفضل بكثير جدا من الأهرام والحياة والشرق الأوسط .. ومن صحف كانت الصغيرة فيها أشبه بالمومس والكبيرة أشبه بالقوادة .. وكانت المومس والقوادة تبيعان شرف الأمة؟؟ ..

***

نعم .. كان خطاب الرئيس مبارك الأخير كارثة .. وليته صمت .. وليته حين ابتلي استتر.

منذ عشرة أعوام كنت أكتب نفس الكلمات .. ونشرتها في صحيفة الشعب التي

يصر الرئيس مبارك على مواصلة إغلاقها رغم ١٣حكما قضائيا نهائيا .. كنت أكتب نفس الكلمات تعليقا على خطاب للرئيس أيامها (عام ٩٣) .. وكان الرئيس يقول بالحرف أنه لولا موقف مصر عام ١٩٩٠ما استطاعت الولايات المتحدة الحضور إلى المنطقة!! ..

لقد نشرت الواقعة كلها في أحد كتبي .. ولقد فكرت أن أعود إليه لأنشر نص التعليق أو المقال ..

لكنني أشعر بالاشمئزاز والقرف ..

***

كان عضو مجلس الشعب الذي سحلته قوات الأمن في الشارع في مظاهرات يوم الجمعة الماضية يقول لي أن لواء الشرطة سبه على أمه سبابا قبيحا وهو يقول له أنه لا يهمه مجلس الشعب ولا الحكومة كلها .. فهم – أي الشرطة – هم الدولة كلها والباقي كله وعلى رأسه مجلس الشعب مجرد ديكور لا قيمة له ..

وعلق أحد الحاضرين فناشدنا ألا نعترض على بذاءة سيادة اللواء مؤكدا – جادا لا مازحا- أن الكلب بوش لا ينادي حكامنا جميعا وبلا استثناء إلا بهذا السباب القبيح على الأم .. !! ..

***

كان القارئ على الهاتف يبكي وهو يقول:

– هل تعرف لماذا احتلت الخنازير هذا المحل البشع الحقير في وجدان الناس؟ ..

وواصل دون أن ينتظر مني إجابة:

– إنه – بالإضافة إلى كل الأسباب الأخرى- لا يغار على عرضه أبدا .. حتى أنه يمسك بنفسه أنثاه ويقيدها كي يهيئها لذكر آخر .. ويظل مستمتعا بمعاشرة الآخر لأنثاه ..

واشتد انفعال القارئ وهو يصرخ:

– أتخيل كل حكامنا خنازير لا يغارون أبدا على شرف أمتهم .. بل على العكس .. يقتاتون من تقييدها للآخرين ..

***

قارئ آخر اتصل يقول:

- هل تعلم أن من علامات الساعة أن يقوم بعض الناس بصبغ شعر رءوسهم باللون الأسود. قال ﷺ : «**يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة**» ..

وراح القارئ يردد:

- لا يريحون رائحة الجنة ... لا يريحون رائحة الجنة ... لا يريحون رائحة الجنة ..

***

أليس عجيبا أن العسكريين الذين تولوا الحكم لأن الوقت وقت حرب، وخاصة في اللحظات المصيرية الكبرى التي تعيشها الأمة (ولست أدري كيف تمتد اللحظة مائة عام) .. أو في المنعطف الحاسم (كيف يمكن أن يكون الطريق كله منعطفا لا ينتهي أبدا .. أقول أليس عجيبا أن العسكريين الذين تربعوا على العروش استعدادا لقيادة المعارك كانوا أجبن الناس عن خوض المعارك وأعلى الناس صوتا في التحذير منها ..

***

احرصوا من قناة الجزيرة ..

لم أكن بالخَبِّ الذي أمنحها كل ثقتي ولم يجرمني شنآنها ألا أعدل ..

لكن الرائحة الأمريكية في الفترة الأخيرة قد فاحت وزادت .. وليست هذه هي قناة الجزيرة التي كانت تذيع أخيار طالبان ..

المتأمركون منذ البداية ازدادوا فجرا ..

أما الجدد فقد تم اختيار غالبيتهم وعليهم الخاتم الأمريكي ..

وليس هذا موقفا عابرا أو فلتة هنا وهناك ..

لكنه التيار العام كله ..

ثمة تعليمات .. ربما .. مقايضة .. ربما .. تهديد .. محتمل .. ثمن مدفوع .. يجوز ..

ولكم هو محزن أن تظل بالرغم من هذا كله أفضل القنوات ..

إنها قناة يديرها محترفون وليست قنوات يديرها قواد أو شاذ ..

قناة متفوقة بالمفهوم الغربي ذاته وليست « كباريه » أو بيت دعارة متضخم ..

أحد النماذج المضحكة في قناة الجزيرة مذيع اسمه عمرو الكحكي، ولقد كانت فضيحة عندما أكد تمام الاستيلاء على ميناء أم القصر، ليصدر بعده بلحظات تصريح من المسؤول الأمريكي نفسه أنهم استولوا على الجزء الشمالي من الميناء فقط وأنهم يأملون الاستيلاء على باقي المدينة هذا اليوم.

لقد ذكرني هذا المذيع بفتيات الإعلانات المستعدات لبيع كل شيء – نعم: كل شيء- في سبيل ترويج بضاعتهن والاحتفاظ بوظائفهن ..

***

يا عمرو موسي:

عار عليك ألا تستقيل .. عار عليك ألا تستقيل .. عار عليك ألا تستقيل ..

***

موجز الحوارات بيني وبين القراء والأصدقاء:

وما النصر إلا من عند الله ..

إيماننا ليس متعلقا بنصر ولا بهزيمة .. ولو أن كل المسلمين على ظهر الأرض قتلوا إلا واحدا لظل هذا الواحد الباقي مؤمنا بالله واثقا في وعده بالنصر ..

نهاية أمريكا قادمة لا ريب فيها وفي وقت أقصر بكثير مما كنا نظن ..

أيا كانت النتيجة النهائية فلقد علم أبطال العراق- بارك الله فيهم وأعزهم بالنصر أو الشهادة- أمريكا درسا لن تنساه أبدا ..

لقد دخلت أمريكا الحرب بوهم أنها ستجد جيشا يتصرف بطريقة الجيش المصري عام ٦٧ .. فإذا بها تواجه أداء أفضل من أداء الجيش المصري عام ٧٣ ..

و أيضا .. انتهت النظم العربية جميعا .. وهى الآن متعفنة في مواقعها .. ولم يبق إلا سقوطها ..

وعندما تسقط فإنني أوصيكم ألا تأخذكم بالمجرمين رحمة ..

***

نداء أخير لمن يهمه الأمر ..

و لأكن محددا فأقول أنني أوجه حديثي إلى أجهزة الأمن القومي .. وإلي الجيوش

التي لم يبق لها الحكام أي شرف ..

أجهزة الأمن القومي لا أجهزة الأمن .. فالأخيرة ليست سوى فروع حقيرة للموساد والسي أي إيه .. فروع خائنة عميلة ..

أما النداء فيقول : إن الكلب الأمريكي بوش يأمل في أن يعقب انهيار النظام الصامد في العراق انهيار كل الأنظمة العربية – بطريقة الدومينو- ليكون على رأس كل حكومة عربية وإسلامية قرضاي آخر (هل لذلك علاقة بالحكم ببراءة سعد الدين إبراهيم؟).

هكذا يأمل الكلب الأمريكي ..

و أنتم وحدكم الآن تستطيعون أن تجعلوا حركة الدومينو في الاتجاه المعاكس ..

فهل تفهمون. الويل لكم إن لم تفهموا ..

الويل لكم ..

الويل لكم ..

سقوط بغداد.. أم سقوطنا..

لم تكن ضربة المعول الأخيرة هي التي أسقطت الشجرة الهائلة .. إنما كانت الشجرة منذ البداية آيلة للسقوط، بعد أن جفت الجذور، ونخر السوس الجذع، ولم يبق منها إلا هيكل عريق محنط لأغصان وأشكال ثمار تحمل من الموت أكثر مما تحمل من الحياة.

وكلنا .. كلنا .. كلنا ساهمنا في ذلك، من كان يستطيع أن يمنع فلم يمنع، ومن كان يستطيع أن يعالج فما عالج، ومن كان يستطيع أن يستشهد فغلبته شقوته ووهنه.

نعم ..

لم تسقط الشجرة فجأة، مالت قبل أن تسقط، وقبل ضربة أي معول.

لم تسقط بغداد تلكما الدبابتان البائستان اللتان رأيناهما مترددتين في منتصف الطريق على معبر، ولم تجرؤا حتى على عبوره .. وكانت هذه القوة فقط هي آخر مشهد شاهده العالم قبل انهيار عاصمة الدنيا وحاضرة العالم مدينة السلام.

ولم تسقط بغداد فجأة، كانت قد انهزمت قبل أن تسقط، وقبل هجوم تيكما الدبابتين البائستين.

***

انسحقت بين يقيني من الهزيمة ويقيني بإمكانية الانتصار .. انتصار تحمل الآن بوادر تمكينه المقاومة العراقية البطلة.

تلك المقاومة التي أخجل والله من تقريظها وتشجيعها أو الإشادة بها، فهذه المقاومة هي التي تحكم علينا ولسنا نحن الذين نحكم عليها .. نعم .. أخجل من عجزنا وتقصيرنا .. وأخجل من أن يقرظ الأقزام العمالقة .. ولا أملك إلا الدعاء لهم بالسداد وبالنصر، مقررا أن يوما يمر دون قتل خنزير أمريكي هو يوم أسود على أمتهم العاجزة .. أو بالأحرى أشد سوادا ..

ولم يكن ما بي جزع بل غضب من أمة عاجزة.

نعم .. غضب جامح هائل لا يعرف الغفران .. ولست مستعدا أن أرشو مشاعر القارئ لأحدثه عن المبشرات، قبل أن أوضح بمنتهى الصرامة والجلاء آليات الهزيمة الكامنة فينا. كنت أرقب صراخ المتشنجين تأييدا للعراق، كانوا يطمئنون الأمة، بأن بغداد لن تسقط أبدا، وأن الأرض ستنفجر في وجه الأمريكان، وأن الهواء سيشتعل وأن غضبة الشارع العربي ستزلزل القلوب والأقدام، وأننا لن نسمح .. ولن نستكين

.. وأن الخليج ثائر لا فاجر .. وأن المحيط هادر لا غادر .. وأن العرب لـن .. ولـن .. ولن .. ولن ..

وسقطت بغداد ..

فانظر إليهم ماذا يفعلون الآن .. ؟ ..

لا شيء ..

سوي انتظار النادبات لرثاء مُلك آخر ..

تذكروا يا قراء ما كتبته في هذا المكان منذ عامين .. حين كتبت أنني لو كنت مكـان بوش وشارون لشـجعت القـوميين واليسـاريين في العـالم العربـي .. ذلـك أن القـوي الموجودة الآن ثـلاث: قـوة الأمـة العـاجزة المقيـدة المقموعـة وهـذه تصـب في مجـرى الإسلام، وقوة الخونة والعمـلاء المباشـرين مـن عمـلاء الغـرب والصـهاينة، وهـؤلاء بالطبع هم الأقرب إلى قلب شارون وبوش لولا أنهم لا يضـمنون رد فعـل الأمـة لـو أطلقوا لهم العنان (انظروا مثلا رد فعل الفلسطينيين تجاه البهائي محمود عبـاس، أو رد فعل العراقيين تجاه مجلس الحكم العميل) .. إذن فالأنسـب لبـوش وشـارون أن يظـل الحكـام الخونـة كمـا هـم، وأن يطلـق الحبـل علـى الغـارب للشـيوعيين والحـداثيين والقوميين، ليمثلوا دور الأحزاب الحاكمة والمعارضة جميعا، وليسيطروا علـى وسـائل الإعلام والتعليم والثقافة، لا كطرف أصيل في المعادلة، وإنما كممثل بـديل « دوبلـير» يقوم بالدور الخطر حتى يعود الممثل الأصلي للقيام بدوره.

الشيوعيون والحداثيون يقومون بـدور الخيانـة هـذا بـوعي كامـل ويقبضـون ثمـن خياناتهم عدا ونقدا ..

القوميون بعضهم لا يرتدي رداء القومية إلا ليخفي عورة إلحـاده، أولئـك ينتمـون إلى القسم السابق، والباقي منهم أحمق، لأنه يقوم بدور «الدوبلير»، ويواصل القيام بـه حتى الموت، دون أي حق في أجر، ودون أي أمل في انتصار، خسروا الدنيا والآخرة.

***

تذكروا أيضا يا قراء أنني كتبت لكم في هذا المكان منذ أعوام أنني أتوقع أن يشـجع الغرب الشيعة ضد السنة، والصوفية ضد أهل السنة والجماعة، لا انتصـارا لهـذا ضـد ذاك .. وإنما لمجرد الترتيب في طابور الذبح.

شكر الله سعيكم ..

أستغفر الله ..

بل شكر الشيطان سعيكم يا كل من نحيتم راية الإسلام ..

شكر الشيطان سعيكم يا كل من ضرب بمعاوله في المرجعية الإسلامية ..

لا يقاتل اليوم إلا الإسلام ..

الشيوعيون عادوا إلى رحم أمهم الأولى: اليهودية والصهيونية ..

والقوميون أيضا عادوا إلى رحم أمهم: الصليبية والمسيحية الغربية ..

وبقي الإسلام وحده يحارب.

***

شكر الشيطان سعيهم ..

أعدوا العدة كي يشكر الشيطان سعيكم على كل دولة عربية دولة بعد دولة ثم على كل دولة إسلامية، ونحن نكتفي بالتهديد: دع سمائي فسمائي محرقة، لكن سماواتنا – تحت رايات الشيوعيين والقوميين – لم تحرق أعداءنا، بل تحرقنا نحن، منذ مائتي عام على الأقل.

***

سقطت بغداد .. ولكي تسقط كان الوحش الأمريكي المتلمظ يخطط ويقدر ويدبر منذ ثلاثين عاما على الأقل، منذ عام ٧٣ وحظر البترول، ساعتها أخرجت أمريكا الخطة إلى حيز التنفيذ، لم تختلقها أيامها، فقط أخرجتها إلى حيز التنفيذ، ومن يومها، وكل الدول العربية تتصرف في أرخص أدوار الكومبارس، منفذة تعاليم المخرج الأمريكي، دافعة بالأمور إلى ما وصلت إليه.

***

من المؤكد أن أمريكا قبل أن تهاجم العراق كانت قد أمنت لنفسها عشرات الضباط الخونة، ومئات المسئولين، وآلاف الكتاب والمفكرين. كانت أمريكا قد استولت على العراق حتى قبل أن تطلق قذيفة واحدة. ولم يكن ينقص السقوط إلا الإعلان ..

فهل تظنون يا قراء أن وضع أي بلد عربي أو إسلامي يختلف عن وضع بغداد قبل

إعلان السقوط؟ .. هل تظنون أن النخبة في كل عالمنا العربي لم تتأمرك، وتتغرب، وتخن؟

هل تشكون يا قراء أن القاهرة والرياض ودمشق تحتاج لأكثر من ست دبابات لغزوها؟! .. دبابتين لكل عاصمة .. نعم .. دبابتنا تروحان وتجيئان في تردد على معبر .. ليسقط بعدها كل شيء ..

هل تشكون في أن أمريكا قد رتبت أمورها منذ زمان طويل مع قادة جيوشنا ولواءات شرطتنا ورؤساء صحفنا وزعماء أحزابنا، نعم، رتب الغرب بقيادة أمريكا أموره منذ زمان طويل، والحسابات السرية بالملايين بل والمليارات قد أودعت، لا من أموال الغرب بل من أموالنا.

أودعت ..

والاتفاقات أبرمت ..

والخيانات تمت ..

والعواصم بيعت ..

ودبابتان كافيتان لاحتلال أكبر عواصمنا ..

هل قلت دبابتين؟؟

لا والله ..

وما أظن الدبابتين ظهرتا إلا لأغراض التصوير .. أما استسلام العواصم فلم يكن يحتاج إلا أمر السيد للعبد: اركع .. فيركع ..

والعبد هذا .. مولانا وسيدنا وحاكمنا ..

وهو مهما بلغ جبروته وطغيانه ليس سوى عبد ..

وهل تفهمون الآن يا ناس أن توريث السلطة ليس مجرد انحراف بالسلطة ولا هو إجرام حاكم هنا أو ابن هناك، والأمر لا يمكن أن يكون بعيدا عن تخطيط الموساد والـCIA والشيطان، ولسنا الآن بصدد دراسة ذلك، لكنني أقرر هنا أن درجة الخيانة التي أصبحت تتطلبها أمريكا من الحكام أصبحت تشكل درجة من الغواية لأي حاكم لاحق، درجة غواية لا يمكن لهذا الحاكم اللاحق مقاومتها، درجة غواية ستدفعه لفضح خيانة سلفه، وهذه الغواية لا يمكن مقاومتها وتلافي تداعياتها الخطرة إلا بتوريث السلطة ليظل السر مطويا عن الناس.

نعم يا قراء ..

الخيانة تمت .. وما من حكومة في عالمنا الإسلامي وما من دولة وما من حاكم تستطيع الصمود لدبابتين .. مجرد دبابتين ..

الناس فقط .. الفقراء العزل الذين لم يستول الشيطان على قلوبهم وأرواحهم هم الذين يفتكون بالدبابات الأمريكية والإسرائيلية والروسية والهندية والفليبينية و.. و.. و..

هل تلاحظون يا ناس ذلك الوضع المعجز المذهل المتناقض .. فكلما ازداد تسليح جيش من جيوش عالمنا الإسلامي كلما ازداد عجزه، وكلما ازداد عدده ازداد ضعفه، وأن البلاد الوحيدة التي أبلت فيها الشعوب بلاء حسنا هو حيث لا توجد دولة ولا جيش أو يكاد ..

شعب فلسطين يقاوم .. لأنه لا حكومة ولا جيش .. شعب لبنان يقاوم وينتصر .. لأنه لا حكومة قوية ولا جيشا حقيقيا .. شعب العراق سينتصر إن شاء الله .. لأنه لا حكومة ولا جيش .. فهل أدركتم الآن يا ناس وظيفة حكوماتنا وشرطتنا وجيوشنا؟ ..

***

كل السلاح صدئ في مواقعه، وسلاح الحكومات والعمولات لم يطلق طلقة .. ولم يحارب .. والإيمان هو الذي حارب.

تأملوا يا ناس وانظري أمة إلى ساحة الصراع الآن بعد مائتي عام من محاربة الدولة للدين ..

بعد مائتي عام.

فانظروا ما تروا ..

مبارك العلماني في مواجهة بوش اللاهوتي ..

عبدالله البراجماتي في مواجهة رامسيفيلد الإنجيلي ..

فاروق حسني، الشاذ فكريا، ولوحاته العارية الشاذة في مواجهة وزير العدل الأمريكي المتزمت الذي أمر بتغطية تمثال جرح دينه وحياءه يقع في الطريق بين منزله ومكتبه ..

الشيخ طنطاوي الموظف في مواجهة بابا يحرك التنصير والتبشير في أربعة أركان المعمورة ..

تخلـوا عـن الإيمـان تقليـدا للغـرب أو مجاملـة أو استسـلاما .. فعـاد الغـرب إلى الأسطورة باسم الدين.

***

يا لها من مأساة أن الحكام الكبار للدول العربية الكبرى يقومـون الآن، بـل قـاموا بدور الخديوي توفيق.

***

لابد أن نعترف أن الشفاه المخمورة والأيـدي الدنسـة لـن تحـرر بلادنـا وأبـدا لـن تنتصر. لن يقودنا إلى النصر سوى الأيدي المتوضئة، فالإسلام هو السبيل وهو الوطنية وهو القومية وهو الثورة وهو الحرية وهو التفوق على سائر العالمين، لم نشـعر بعـز إلا في ظله ولن نتخلص من الذل إلا بالعودة إليه.

يترتب على هذا – وتذكري يا أمة – أن كل من لمـز الإسـلام خـائن عميـل لـيس على المستوى الديني فقط، وإنما هو خائن على مستوى الوطنية والقومية.

يترتب على هذا وتذكري يا أمة أن كل من نسب الإرهـاب إلى الإسـلام إنمـا كـان صوت سادته اليهود والصليبيين .. وكان خائنا للدين وللأمة وللوطن والقومية.

يترتب على هذا وتذكري يا أمة أن كل من روج لمصطلحات الغـرب، وجعـل ممـا يدعي زورا أنه الديمقراطية، جعل منهـا دينـا يجُـبُّ الإسـلام، أو نـادي بالعلمانيـة أو الحداثة أو دعـاوى التزويـر الـتي يسـمونها زورا بـالتنوير، كـل أولئـك كـان الطـابور الخامس الذي غزت به أمريكا بلادنا بلدا قبل بلد ..

***

منذ أيام كان أحد المعلقين يتحدث عن مسؤول فلسطيني كبير باع كل شـيء فقـل: لم يعد ينقص ذلك المسؤول سوى أن يعلن تحوله من البهائية إلى اليهودية.

وقلت لنفسي في ألم لا يوصـف: هـذا التعليـق بحـذافيره، ألا ينطبـق علـى جـل ولاة أمورنا؟!.

***

نعم .. سقطت بغداد .. وكان سقوطها مدويا .. لا لأنها كانـت الأضـعف .. ولا لأن الخيانة فيها كانت الأكثر .. وإنما كان دوي السقوط لأنها – بغض النظر عن كـل

شيء – كانت هي الوحيدة التي قاومت .. أما نحن فقد سقطنا جميعا منذ زمان طويل .. استسلمنا في صمت دون صوت .. وكان ولاة أمورنا يستمتعون بالخيانة ..

***

لطالما تساءلنا: ألا يوجد من ولاة أمورنا من يخجل من نفسه ويستقيل ..

ولقد استبدت بنا الدهشة وعزت علينا الإجابة رغم أنها واضحة ومنطقية وبديهية وبسيطة:

قد يستقيل الحكام أو يعزلون أو يتقاعدون، لكن رؤساء العصابات واللصوص لا يستقيلون .. إنهم يسجنون أو يقتلون ..

***

غسيل الأفكار .. !! ..

قَبِلها رواد التنوير (التزوير) من عادل إمام، ولولا ذلك والله لرفضوها، ولو كانت من أعدل إمام ..

بعدها بأيام أيضا ألمحت بها إحدى الفنانات التائبات، تلميحا إلى التصريح أقرب، وكان فحوى القولين، أن الفنانات يتعرضن قبل أن يقبلن في مجتمع نخبة الفن، يتعرضن لمحنة بيع شرفهن .. مقابل الاعتراف والثروة والشهرة والمجد ..

***

دعونا من الخوض في ذلك الآن، لكنني أقول لكم، أنه يبدو أن نفس الشيء ينطبق على المثقفين .. !! وأنهم – حتى بدون اضطرار بل بمحبة وتلهف ورغبة – يبيعون شرفهم قبل أن تعتمدهم السلطة مثقفين.

لذلك أحذر القراء أن يصدقوا بيانات المثقفين المتهاطلة من مؤتمراتهم التي تعقد هنا وهناك بحجة محاولة الخروج من المأزق العربي، لكنني في نفس الوقت أحذرهم من تصديق البيانات المضادة التي يصدرها البعض الآخر منهم، فهذه وتلك ليست إلا اشتباكات محدودة ومحكومة تدور بين أطراف تحالف شمالي يعيش بين ظهرانينا، تحالف شمالي أجاد الدكتور عصام الطاهر (ولم أقل المثقف، فقد أصبحت أنكص عن إلحاقها بأي شريف) .. أجاد التعبير عنه في مقال منشور له منذ شهور، وبغض النظر عن مناسبة المقال فإنه يصلح توصيفا لحال المثقفين العرب أمس واليوم وغدا، وانظر

إليه إذ يقول (.. إنهم يهدفون من توقيعهم علي البيان إلى لفت أنظار الذين استخدموا الدكتور (سعد الدين إبراهيم) بأنهم جاهزون لأن يؤدوا من المهام مثل تلك التي كان يؤديها .. وهنا كان الجانب الذكي من إصدارهم للبيان وظهور أسمائهم عليه. وأنني أطمئن وابشر تلك المجموعة من الموقعين الذين ما زالوا في أعمال يتعيشون منها ويريدون أن يطمئنوا بأن في نشر أسمائهم في البيان الذي نشرته القدس العربي كاملا أن رسالتهم وصلت للجهات المعنية التي ستعتبر التوقيع علي البيان في مقام التقدم بطلب عمل سيكون تحت نظر من يهمهم الأمر في دوائر الاستخدام المنتشرة في الغرب وفي أمريكا علي وجه الخصوص والتي من المؤكد أنها ستحتفظ بأسماء الموقعين علي البيان للرجوع إليها عند اللزوم ..).

***

هذه هي الحكاية بالضبط، لخصها الدكتور عصام الطاهر بسلاسة تثبت أن البساطة عملية عبقرية بالغة التعقيد. فخلاصة كل المؤتمرات الثقافية الآن، وبياناتها، والبيانات المضادة لبياناتها، لا يعدو تقديم طلبات استخدام وتوظيف .. ولفت نظر أولى الأمر إلى وجود المستعدين لتقديم كل أنواع الخدمة. !!

***

لا يقتصر مقالي هذا على المؤتمر الذي عقد في القاهرة مؤخرا، بدعوة من وزارة الثقافة المصرية، وبإدارة – لا أدري كنهها ولا سببها – من وزير الأوقاف الذي نفي (يكاد المريب يقول خذوني ..) وجود تعليمات لمصر من قوى خارجية تطالب بعقد مثل هذا المؤتمر. وتساءل أحد أستاذة الجامعة الذي لم يبتلوا بمحنة التنوير وتنازلاته عن توقيت عقد هذا المؤتمر، معتبرا أن الدعوة سياسية لا ثقافية، وكلمة حق لا يراد بها حق.

الكارثة، أن المؤتمر تجاهل أي صوت ديني حقيقي، وكان من أكبر ضيوفه أدونيس وحجازي (لست أدري لماذا أغفلوا فريدمان وروس).

كان من ضيوف المؤتمر أيضا الدكتور جمال البنا، وهو وإن كان شقيقا للإمام الشهيد حسن البنا – رضي الله عنه – إلا أنه ليس من أهله.

***

لا يقتصر مقالي أيضا على البيان المضاد، الذي أصدرته مجموعة أخري من المثقفين، تهاجم بيان المجموعة الأولى. فالخلافات الناشبة بين هؤلاء وأولئك لا تعنينا

في شيء، لأنها مجرد تنافس بين فئتين: الفئة الأولى منها منتشية بالنصر الأمريكي الحاسم، وتري أنها قد أدت كل المطلوب منها في سبيل تحقيق هذا النصر على أمتها، وأنها تستحق الجزاء الموعود. أما الفئة الثانية، فهي فئة تراهن على أن الفئة الأولى قد احترقت تماما، كالمعارضة العراقية وكالجاسوس عندما يكتشف أمره، وأنها مثلهما لن تحصل على أي ثمن، لأن الذي سيحصل على هذا الثمن، هو تلك الفئات من المثقفين، التي ما زال لديها ما تبيعه، وما زالت تمثل على مجتمعاتها أدوار الدفاع عن الهوية، بينما هم موظفون منذ عشرات الأعوام، لصالح الغازي وثقافته، وضد الإسلام.

مثقفو هذه الفئة الأخيرة، أشد خطورة ممن اكتشفوا، لأنهم يمثلون دور الدفاع عن الأمة، بينما هم الطابور الخامس، والسوس الذي ينخر في جسدها.

هذه الفئة الأخيرة من المثقفين، فئة عالية الصوت، متشنجة في ادعاء الدفاع عن الأمة، تضارع في ذلك العملاء الذين سلموا بغداد، ومن المؤكد أنهم كانوا أعلى الجميع صوتا في التغني بالوطنية والجهاد!! ..

خطورة هذه الفئة تكمن في أنها لا تقدم أفكارها مباشرة للناس، بل تمارس عليها عملية أشبه بعمليات غسيل الأموال .. عملية نسميها إن جازت التسمية: «غسيل الأفكار».

***

وغسيل الأفكار الذي يمارسونه لا يقل خطورة عن غسيل الأموال الذي يمارسه اللص السارق وولى الأمر المارق، بل يزيد، ثم إن هذا مرتبط بذاك، مرتبط به ذلك الارتباط الذي لا يمكن أن تتم به جريمة المثقف دون جريمة اللص، ولا جريمة اللص دون جريمة المثقف، فذلك النوع من الجرائم كجريمة الزنا، لا يمكن أن تتم إلا بطرفين ..

نعم ..

بطرفين ..

على الأقل .. !! ..

***

و كارثة أخرى ..

ما التأم الجرح، وما توقف النزيف، ولا نجا من الغرق الغريق ..

ما انتهت العاصفة ولا انطفأ الحريق ..

ما زلت أختنق ..

نعم .. أختنق .. وفي ذهول كارثة لم تكن أبدا مفاجئة، حيث لم نكف عن التحذير منها منذ مائتي عام .. سقطت بغداد .. وسقطنا قبلها ..

أما توابع السقوط فليست أقل إيلاما من السقوط نفسه.

***

آخر تلك التوابع تتعلق بقلعة كان اسمها مجمع البحوث الإسلامية التابع للجامع الأزهر ..

الأزهر ..

الأزهر .. جماع عقل الأمة .. ووجدانها .. وعقيدتها التي هي كل حياتها ومماتها ودنياها وآخرتها ..

الأزهر .. أهم معاقل الإسلام التي تصدت طويلاً لعمالة الحكام وخيانات المثقفين وواجه في نفس الوقت قوى الاحتلال الأجنبية المعتدية .. وحافظ للأمة على إحساسها بالسمو العقدي والفكري والتميز على الدنيا كلها حتى لو هزمنا في المعارك .. وهو ما لم يغفره الصليبيون لنا أبدا .. ويحاولون رده الآن إلينا ذلا ومهانة ..

***

أدرك نابليون بونابرت قيمة الأزهر وحجم تأثيره، يذكر المؤرخ ج. كريستوفر هيرولد قول بونابرت في منفاه أن: « الأزهر، هو المركز الوحيد الذي يستطيع أن يضرب للناس المثل فيقتدي به الرأي العام في العالم الإسلامي».

كما كان بونابرت يشكو من المواعظ العدائية التي يلقيها الأئمة في المساجد في صلاة الجمعة، وكتب لكليبر يقول: «علينا أن نهدهد التعصب حتى ينام قبل أن نستطيع اقتلاعه».

***

عجز نابليون ..

لكن حكامنا النشامى ومثقفينا الأشاوس استطاعوا النجاح فيما فشل فيه نابليون ..

دمروا الأزهر.

***

لقد أدرك نابليون ـ ومن بعده بوش مرورا بآلاف الخنازير ـ أهمية الأزهر وقدرته على إفشال مخططاتهم في ميدان الاختراق الثقافي والعسكري، فبينما كان قادة الحملة الفرنسية يعتقدون أنهم قضوا تماماً على المقاومة الشعبية فوجئوا بثورة شعبية يقودها الأزهر يوم الأحد ٢١ أكتوبر ١٧٩٨م، يرجعها هيرولد إلى ما يسميه « تحريض المتعصبين من الزعماء الدينيين، كما كانت فرمانات السلطان سليم التي تدعو جميع المسلمين إلى الجهاد ضد الفرنسيين ـ تدخل مصر ويقرؤها الأئمة علناً في المساجد .. كما كان المؤذنون يحضون الناس على الثورة ـ من قمم المآذن ـ خمس مرات في اليوم»، أما العناصر المجاهدة حقاً فهم الغلاة في الدين كالأئمة وطلاب الأزهر، وقد علق على هذا الحادث بعد ذلك بعشرين عاماً بقوله: (كانوا قوماً ذوي تفكير عنيف متطرف).

عنيف متطرف ..

حكامنا وغلمانهم المثقفون– وليس الغزاة – هم الذين يتهمون الأزهر الآن بذلك ..

ما فشل فيه نابليون تماما نجح فيه البريطانيون بعد ذلك بشكل جزئي، حين تكفل القسيس دنلوب بتجفيف منابع الأزهر.

إلا أن النصر الحاسم على الأزهر لم يتم إلا في عهد حكامنا الوطنيين والقوميين.

***

هذا الغرب لا يعبث أبدا ولا يهزل ولا ينسى غاياته .. كما أنه يعود دائما إلى مشروعاته التي فشل في إكمالها فيحاول المرة تلو المرة إلى أن ينجح ... ولشد ما هو مرير ومذهل أن نجد وكيلا من وكلاء الغرب ينجح فيما فشل فيه نابليون منذ أكثر من قرنين .. ولحساب الغرب وليس لحسابنا.

***

ولقد ظل الأزهر يتدهور باضطراد حتى ثلاثة أعوام مضت، حين حدث موقف مفاجئ بدا وكأنه خارج سياق الانهيار وعكسه، موقف حمل من علامات الصحوة ما بث الرعب في قلوب أعداء الله والأمة في الداخل والخارج .. ألا وهو موقفه في قضية رواية: « وليمة لأعشاب البحر» .. حيث واجه السلطة للمرة الأولى منذ عقود

مواجهة سافرة حاسمة لا تعرف في الحق لومة لائم.

ويومها .. أدركت والله يا قراء أن الأعداء لن يتركوا لنا في الضريم جذوة، وأنهم سيتصرفون كما كان الطاغوت الأمريكي يتصرف في سماء العراق، فإذا وجد أي دليل على احتمال وجود القدرة على المقاومة – احتمال القدرة وليس القدرة نفسها ولا الشروع في المقاومة – قصفها على الفور.

***

كان جوهر موقف الأزهر في قضية الوليمة قدرته على التصدي للغزو الفكري المدمر للأمة وإدانته، وفي نفس الوقت القدرة على مواجهة المرتدين بسلطته المعنوية فقط، دون أي قوة مادية تساندها.

***

رصدت رادارات الأعداء الموقعين المشتبهين .. وتقرر قصفهما ..

قصف الموقع الأول منذ شهور حينما قرر مجمع البحوث الإسلامية تجميد حد الردة، رغم أنه لم يكن يطبق في أي بلد في العالم، ولم تبق منه إلا قيمة معنوية محاصرة، شكلت بالنسبة لأعداء الله سلاح دمار شامل، أعداء الله الذين لا يكفون عن إقامة حد الإيمان علينا (أو سموه حدّ الأخدود) .. يقيمونه على كل من يشتبه فيه أنه يقاوم غزوهم .. وبمجرد الاشتباه .. يتم السحق !!.

الموقع الثاني قصف منذ أيام حين قرر نفس المجمع التخلي عن مصادرة الكتب المخالفة للشريعة بل لقد تاب عن مواقفه السابقة « لأن الأزهر كان يقدم فرصة لمثل هؤلاء المؤلفين لترويج كتبهم .. !!».

وكانت هذه هي ذات حجج العلمانيين التي طالما ندد بها الأزهر قبل ذلك.

رحت أسترجع قائلا:

– لم يبق إلا أن يغير الأزهر اسم الدرجة العلمية التي يمنحها، من: « الشهادة العالمية» إلى: «الشهادة العلمانية»!!

– ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

دين حكامنا ..!!

نداء إلى شعبنا العربي في مصر والجزيرة:
من يأبى الاستشهاد بالرصاص مأجورا ..
سيموت بالسياط والنعال مأزورا ..

هذا نداء أوجهه إلى شعبنا العربي في الجزيرة العربية .. اصبروا وواجهوا رحمكم الله فأنتم البقية الباقية التي تحمل ميراث النبوة ..

اصبروا واصمدوا وواجهوا رحمكم الله فأنتم اليوم في وضع الإمام أحمد بن حنبل .. لا يباح لكم رخصة في المواجهة ولا تقية فأنتم بالنسبة لأمة لا إله إلا الله محمد رسول الله بمثابة العالِم الذي يزلّ بزلّته عالَم ..

يا أهلنا في جزيرة العرب: دعونا نسمي الأشياء بمسمياتها:

ليس ثمة تثريب علينا في ممارسة الإرهاب بمعناه الإسلامي لكي نرهب به أعداء الله ..

وليس هناك في الإسلام متطرفون وإنما هناك مستمسكون بالعروة الوثقى ولا ينفي هذا أن كل ابن آدم خطاء ..

ليس هناك متطرفون بل هناك حكام مرتدون يريدون أن يضيعوا الإسلام وأهله مرضاة لسادتهم .. وتثبيتا لدعائم ملك لم تعد تمسك بأطرافه المتهاوية إلا الردة والعمالة للكفار ..

يا أهلنا في الجزيرة ..

إنكم تمرون الآن بما مر به إخوتكم في مصر منذ خمسين عاما .. حين تعرضت مرجعية الإسلام للاغتيال .. فغُمّ على الأمة .. ترددت نخبتها .. وخان بعض علمائها مالئوا الطواغيت تماما كما يحدث عندكم الآن .. فخاف الأغلبون أن يقتلوا – شهداء – بالرصاص .. وكانت النتيجة عندنا – وستكون عندكم – أن ماتوا ويموتون حتى

الآن بالسياط والاعتقالات وقد نحي الإسلام عن المرجعية تماما تماما ..

رفضوا الموت مأجورين فماتوا مأزورين ..

رفضوا ميتة العز والفخار فماتوا ميتة الخزي والعار ..

يا علماءنا في الجزيرة: إن الأرض عطشانة إلى دماء عالم شهيد يقف للسلطان الجائر

يا علماءنا في الجزيرة إن: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة) ..

ويا علماءنا في الجزيرة: عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول اللّه متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «**إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم**» قلنا يا رسول اللّه وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «**الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالكم**».

يا أهلنا وعلماءنا في الجزيرة إنكم الآن من الأمة بمثابة الإمام أحمد بن حنبل في المحنة فإذا ثبتم أنقذتم الأمة وإذا استسلمتم هلكت الأمة .. وما أقول لكم إلا ما قاله الأعرابي للإمام أحمد: يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة وان كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل وإنك إن لم تقتل تمت وإن عشت عشت حميدا ..

يا أهلنا في الجزيرة فلتطلبوا من طواغيتكم أن يأتوكم بآية من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تجيبوهم إليها.

و يا علماءنا في الجزيرة: لقد سئل الشهيد سيد قطب لماذا كنت صريحا كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك؟ فقال: لأن التورية لا تجوز في العقيدة، ولأنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص.

واجهوا الطاغوت ..

والطاغوت الآن لا يهدف إلا ترويضكم ترويض النخاس للعبيد .. وحتى إذا كانت ثمة أخطاء من بعضكم فما يرفع طواغيتكم إلا كلمة حق براد بها باطل .. إن كانت كلمة حق ..

أما إلى شعبنا في مصر فإنني أحذر مما تردده الأنباء عن إكمال السيطرة الكاملة على

خطبة الجمعة ..

نعرف أن خطبة الجمعة تم السيطرة على ٩٠٪ منها .. وأن الطاغوت المجرم العميل يتسلل إلى دمائنا لا لكي يقرب الناس إلى الدين بل لكي ينفرهم منه .. والخطبة الآن تكرس لمحاربة صحيح الدين لا لمحاربة البدع ..

يا أهل مصر: تدخل أكثر من هذا في خطبة الجمعة سيعني أنها تكتب بقلم قسيس وحاخام وضابط مخابرات .. وعلى خطباء المساجد في مصر أن يتخذوا موقفا جماعيا حتى ولو ماتوا شهداء دونه ..

يا أهل مصر: إن التوقف عن أداء صلاة الجمعة مرة واحدة سوف يقتل طواغيت الردة في جحورهم .. وقصورهم .. فتمسكوا بالعروة الوثقى حفظكم الله وحفظ بكم الإسلام.

***

نعم ..

لا مناص من تساؤل تأخر كثيرا .. تساؤل علينا أن نوجهه لأنفسنا ولحكامنا ..

ولننس لدقائق قليلة كل ما فهمناه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسير الراشدين وفقه الأئمة ودروس التاريخ، ولنطلب من حكامنا طلبا واحدا، وهو أن يقولوا لنا ما هو مفهومهم عن الإسلام الذي يريدون منا أن نعتنقه ونمارسه؟! .. وما هو نوع العبادة التي يمكن أن نمارسها، والجهاد الذي يمكن أن نجاهده دون أن نعكر صفو حكامنا أو أن نكدر أجهزة أمنهم. بل هل الجهاد نفسه وارد؟ هل اعتبار الحلال والحرام وارد؟ هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وارد؟.

***

المطلب ذاته مطلوب من نخب المثقفين، من مثقفي السلطة، من مثقف أمن الدولة، كما أنه مطلوب من ضابط أمن الدولة وضابط الحرس الوطني، ورئيس تحرير صحيفتنا القومية، ومن مدير إذاعتنا ورئيس تلفازنا، ومطلوب من وزراء داخليتنا، أصحاب الاجتماعات الوحيدة الناجحة في العالم العربي، مطلوب منهم أن يصلوا إلى قرار شامل جامع مانع يقولون لنا فيه ما هو مفهومهم عن الإسلام الذي إن مارسناه لا يعدوننا إرهابيين، أو ظلاميين متخلفين .. وأن يشفعوا إجابتهم تلك بالمراجع التي

نرجع إليها، وهل تتضمن تلك المراجع من وجهة نظرهم كتاب الله وسنة رسوله؟ ..

أم أن ذلك سيكون من المحرمات (تعتبر مباحث أمن الأنظمة القرآن الكريم وكتب الأحاديث النبوية الشريفة من المضبوطات عند مداهمة المسلمين .. لا أستعمل مصطلحات المنافقين كالإسلاميين والمتأسلمين).

***

لقد فزعت وجزعت والله يا قراء وأنا أقرأ عن كتاب اسمه:« الإسلام والإسلامويون» لكاتبين إنجليزيين هما: البارونة كارولاين كوكس وزميلها جون ماركس، والأولى عضو المخضرم في مجلس اللوردات البريطاني وصاحبة نفوذ معروف.

يجيب الكتاب عن السؤال الذي طرحته للتو على حكامنا، يقدم الإجابة واضحة صريحة فلا يضيف مثل منافقينا رذيلة الكذب إلى جريمة الكفر، فيقرر المؤلفان أن الغالبية العظمي من المسلمين هم مواطنون مسالمون، ولا مشكلة معهم. إنما المشكلة مع المسلمين المتطرفين، ممن يسمون بالإسلاميين، وهم أولئك القلة من المسلمين الذين يعتقدون بأن القرآن وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقرون بأن الشريعة الإسلامية هي مرجعهم الأعلى في كافة شؤون حياتهم.

***

فزعت وجزعت يا قراء .. ليس لأن العلجين الإنجليزيين قالا ذلك، وإنما لأنني اكتشفت أن هذا بالضبط هو دين جل حكامنا، وإنني أجزم بيقين أنه دين نخبنا وكل أجهزة أمننا.

نعم ..

هنا يستقيم المنطق وتتضح الرؤية ويتسق الفهم ..

الآن نفهمهم .. حاولنا أن نقترب منهم دائما وأن نجادلهم بالتي هي أحسن، على أمل أن يهديهم الله، لكنهم كانوا قد حسموا أمرهم منذ زمان طويل جدا، أطول بكثير مما نتصور، وكانوا لا يتمسكون من الإسلام إلا باسمه ومن القرآن إلا برسمه، وكانوا طول الوقت على دين كوكس وماركس ويرون أن المتطرفين والإرهابيين هم المسلمون الذين يصرون علي أن القرآن غير قابل للتبديل والتحريف وهم الذين

يتمسكون بالشريعة الإسلامية !!.

فزعت وجزعت يا قراء .. فمن خلال هذا المفهوم يجري تحديد معنى الظلامية والتنوير، والانغلاق والتطوير، والسلفية والحداثة، ومن خلال هذا المفهوم نفسه يجري تحريم الجهاد ووصمه بالإرهاب. ومن خلال هذا المفهوم نفسه يروجون – بسياسة الخطوة – خطوة لفرية أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر بينما الجهاد الأصغر هو قتال أعداء الله، تقليلا من قيمة الجهاد كمرحلة أولى يتلوها تحريمه بعد أن يتم تجريمه.

***

من أجل ذلك كان تركيزي في المقال الماضي على حقيقة الجهاد وهي حقيقة علينا ألا نكف على التركيز عليها أبدا: فالجهاد هو قتال العدو وقتله أو الموت شهداء دونه .. والعدو الآن هو أمريكا وبني إسرائيل .. وكل عملائهم.

***

لكن الجهاد لا يقتصر على هذه الدرجة العالية السامقة فقط، وإنما هناك درجات أدني، بحيث يجد كل مسلم مهما كان ضعفه وعجزه بابا إلى الجهاد يستبرئ به أمام الله يوم القيامة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم** »

والجهاد الآن فرض عين في جبهات كثيرة، بل في كل الجبهات.

لقد تخلى عنا حكامنا وولاة أمورنا، وكل نخبنا، وكتابنا، ومفكرونا، وصحافيونا، ووزراؤنا، وجامعاتنا، ومعاهدنا، وحتى معظم فقهائنا. الخطورة التي لا نفطن إليها أن خسارتنا في كل أولئك مضاعفة وأن مصيبتنا مزدوجة، فمن ناحية خسرنا الجهد الذي كان من الواجب أن يقوموا به لنصرة الإسلام وإعلاء شأن المسلمين، وكانت تلك خسارة فادحة توازي أن يهرب القادة من الجيش أثناء المعركة، ولكن الكارثة لم تقتصر على ذلك، فقد انضم هؤلاء جميعا إلى معسكر الأعداء، لا بمجرد شن الحرب علينا، بل بما هو أخطر، بتجفيف منابع ديننا.

خاننا السلطان الذي كان المفروض أن يزع ما لا يزعه القرآن، ولم يكتف بخيانته بل راح ينزع من صدورنا ومن صدور أبنائنا القرآن نفسه. وهنا ينفتح باب جهاد أظنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة ..

نعم ..

فرض عين على كل مسلم ومسلمة ..

***

نعم يا قراء .. ثمة أبواب كثيرة للجهاد .. فمن يجاهد؟ ..

المسلم المحاصر مكلف الآن بأن يقوم لا بواجبه فقط، الواجب الذي درج المسلم العادي على القيام به طيلة خمسة عشر قرنا، بل أن يقوم بأضعاف هذا الواجب، إذ عليه أن يقوم بواجب الفرد وواجب الأسرة وواجب المدرسة وواجب الشارع وواجب التلفاز وواجب الصحافة والتلفاز ووسائل الإعلام وواجب مواجهة النخبة الخائنة التي لا تكف عن خداعه وتزييف وعيه. ومكلف أيضا بأن يحاول أن يقيم من الدين ما لا يقوم إلا بولي الأمر .. المسلم ..

لم يعد لدينا أمير للمؤمنين .. لكن هذا ليس مسوغا لأن لا يكون عندنا مؤمنون .. !!.

لقد هدموا دولة الإسلام ثم مزقوا أمة الإسلام ثم هاهم الآن أولئك يتسللون – بمساعدة حكامنا ونخبنا – إلى لبنة المجتمع الأولى، إلى الأسرة، إلى الأب والأمة والإخوة .. ومن هنا يصبح فرض العين على كل راع – وكل راع مسؤول عن رعيته– أن يقوم لا بالدور الذي كان يجب أن يقوم به كل هؤلاء فقط، بل أن يقوم أيضا بمواجهة الدور العكسي الذي يقومون به الآن.

***

نعم ..

لقد نجح الصليبيون واليهود في الاستقطاب، وفرض الكفاية الذي تخلى عنه الحاكم والنخبة والدولة، أصبح فرض عين على المسلمين جميعا، وأول هذا الفرض هو الحفاظ على العقيدة في قلوب أبنائنا كي نعينهم على الثبات حتى يأتي الله بالفرج!.

لقد توقفت المدارس عن تعليم الدين والتاريخ الإسلامي، فليكن كل أب وكل أم مدرسة لتعليم الدين، فليعلم الأخ الأكبر إخوته الأصغر، وليعلم الصديق أصدقاءه. إنهم يحاولون محو القرآن من قلوبنا ومسخه في وعينا، لذلك فإن حفظ القرآن الآن جهاد قبل أن يكون عبادة. يجب أن يتصرف كل واحد منا كما يتصرف الطفل الذي

يعوله أبوه فلا يفكر في أمور المعاش حتى يموت أبوه فجأة، فتتحول المسئولية كلها إليه وينتقل العبء ليستقر على كاهله.

نعم ..

لقد ترك معظمنا القرآن لأنه واثق طول الوقت أن هناك غيره من يقوم بأمره.

الآن .. على كل واحد منا أن يقوم بأمر القرآن كما لو كان لا يوجد في الدنيا من يقوم بأمره سواه ..

إنهم يشرعون الآن في محو عقيدة المسلمين بعد محو دولتهم، علينا إذن أن نجاهد بالحفاظ على عقيدتنا.

إنهم يشرعون الآن مع عملائهم الفسقة بيننا في تحقير شعائر الإسلام، فلنعظم نحن شعائرنا .. وذلك جهاد ..

إنهم يستبعدون تماما أهمية الحلال والحرام والمعروف والمنكر، ليس حتى لصالح الصواب والخطأ وسيادة القانون، لا .. فتخطيط جبابرة الخارج وخونة الداخل ألا يكون هناك حلال ولا حرام ولا صواب ولا خطأ ولا قانون على الإطلاق .. التخطيط ليس أن تعيش شعوبنا العزلاء المهزومة المحاصرة وفق منطق آخر غير الإسلام، بل أن تعيش بلا منطق على الإطلاق .. لتسير نحوا لهاوية ..

يجب أن نرسخ بيننا الفكرة الصحيحة التي ترى أن التشرذم الحالي للمسلمين هو محنة عارضة، ومصيبة طارئة، سبق أن تعرض الكيان الإسلامي لها ثم عبرها وتغلب عليها ونجا منها، وأن الاستسلام للهزيمة خطأ وفقدان الثقة في المستقبل إثم. ! .. بل وعلينا أن ندرك أن أفضل ألف عام في تاريخ البشرية كانت تلك التي ساد المسلمون فيها العالم.

التجمع على الصلوات الخمس الآن جهاد ..

الاهتمام بأمر المسلمين ليس مجرد جهاد بل إن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

***

الخطة الخبيثة الشيطانية التي يساعد عليها ولاة أمورنا هي تجفيف المنابع، وإلغاء التعليم الديني في المدارس والجامعات، ومسخه وتشويهه في المعاهد الدينية، ثم قيام

الفسقة والكفرة بالهجوم على بقايا الدين الضامر الذابل المشوه المنقوص في قلوب الناس متخذين مما يدعون زورا أنه وسائل الإعلام والثقافة منصات قصف وهجوم. حيث تقوم هذه بمواجهة أمة شُوِّه علمها الديني ومسخ، بشبهات لا يوجد بين الناس من لديه العلم الكافي لدحضها، ويأمل عبدة الشيطان وأتباعه من ذلك أن يوجهوا إلى الدين ضربة قاضية لا تقوم له بعدها قائمة.

إنني أرجو من كل راع يقرأ هذا المقال أن يسأل أبناءه أبسط أسئلة يمكن أن يسأل فيها مسلم ولير كيف تكون إجابته ..

في برنامج تلفازي شهير كان المذيع ي الشارع يسأل: في أي عام هجري نحن؟ .. ولم يجب أحد!! .. ثم سأل عمن يعرف الشهور العربية فلم يعرف أحد .. وضحك الناس وكان أولى بهم أن يبكوا دما .. أهؤلاء هم الذين سيدافعون عن الإسلام ويردون عنه غوائل الشبهات التي يزرعها الصليبيون بمعاونة مثقفينا الخونة ..

إن مواجهة هذا كله جهاد، وتعويض ما تقوم به السلطة الباطشة الفاسقة من تجفيف لمنابع الدين جهاد.

إن الاهتمام بلغة العرب جهاد ..

وتعليم الشعوب الإسلامية غير العربية لغة القرآن جهاد.

أليس مهينا أن العربي عندما يسافر يتعلم لغة الأجانب الذين يسافر إليهم، فإذا جاء هؤلاء الأجانب إلى بلاد العرب اضطر العربي إلى تعلم لغتهم بعد أن أفقد ولاته لغة القرآن عزها ومجدها. بل أليس مخزيا أن الخدم في كل بلاد الدنيا يتعلمون لغة سادتهم، إلا في بلاد العرب، حيث يتعلم العرب لغة خدمهم .. !!

***

التفوق العلمي جهاد، ومكارم الأخلاق جهاد، والانتصار للحق جهاد، والصبر جهاد، ومواجهة الموظف الصغير لرئيسه الظالم جهاد، وعصيان ولي الأمر الذي يأمر بما يغضب الله جهاد.

***

كل هذه ومئات وآلاف غيرها كانت ضروب من جهاد العامة ..

أما جهاد الخاصة فإن الأمة تحتاج إلى علماء يستشهدون بقول الحق أمام سلاطين

الجور والفسق والتحالف مع الأعداء .. فهذه الدماء هي الشرارة التي ستشعل نيرانا تحرق طواغيت الكفر إن شاء الله.

***

فضيحة المثقفين والقرد؟!

فضيحة ثقافية حدثت وسط الأحداث العاصفة الأخيرة، فتاهت في زحام الأحداث، كما تاه حدث وفاة المنفلوطي عام ١٩٢٤، الذي واكب إطلاق الرصاص على سعد زغلول فلم ينتبه الناس لموته، فقال أحمد شوقي في ذلك قصيدته العينية الرقيقة التي أذكر منها.

اخترت يوم الهول يوم وداع ... ونعاك في عصف الرياح الناعي

من مات في فزع القيامة لم يجد ... قدماً تشيّع، أو حفاوة ساع

***

سوف نكون حسني النية حتى الغفلة إذا ما فسرنا صمت أجهزة الإعلام عن الفضيحة الثقافية التي سأتناولها على الفور بانشغالها بالغزو الأمريكي وتداعياته، فما أراه هو أن هذه الواقعة تكشف وتفضح كل الحداثيين والمستغربين والعلمانيين العرب، ولكن .. لما كان هؤلاء هم الذين يسيطرون على أجهزة الإعلام فيبدو أنهم قد اتفقوا جميعا على التكتم على الفضيحة التي تسببت في أن أحد المتورطين فيها أدخل إحدى المصحات النفسية لهول صدمة ما حدث ..

***

ما أريد أن أركز عليه هو أن هذا النموذج من النقاد ليس الاستثناء .. بل هو القاعدة .. وكلهم كذلك .. ولا يفوق مقدرتهم في إخفاء مخازيهم وفضائحهم سوى قدرة أمريكا على إخفاء جرائمها .. والكفر ملة واحدة ..

***

موجز الفضيحة أن الصحافي (صلاح محفوظ) المحرر في مجلة (الصدى) الأسبوعية التي تصدر من دبي، قرر الاستعانة بقرد من نوع الشمبانزي يدعى (شيتا) ووضعه أمام لوحة وفرشاة وألوان ثم ترك القرد (ليشخبط: هل توجد كلمة فصيحة تؤدي المعنى؟!) على اللوحة، وعندما اكتملت اللوحة التي سماها (أمريكا والعالم) وطلب

من مجموعة من النقاد والأسماء المعروفة في الساحة الثقافية وأقلام يشار لها بالبنان، أن يكتبوا قراءات نقدية عن اللوحة، بقوله لهم (إن اللوحة رسمها ثري عربي) وسوف يحصل النقاد الذين يكتبون عنها ويروجون لها على مكافأة مالية، وسال لعاب كبار النقاد المستنيرين، وشمروا عن أقلامهم، ونشر الصحافي صلاح محفوظ ما حدث بعد أن فجر الفضيحة، فاللوحة رسمها «قرد» وليس لها علاقة برسام بشري .. وكعادة رواد التزوير لا التنوير لم يعترف النقاد بجهلهم وضلالهم، بل إن منهم من أنكر ما كتبه والبعض الآخر هدد المحرر بالقتل ومنهم من سماه «بمسيلمة الصحافة الكذاب».

***

والآن لنستعرض بعضا من كتابات النقاد القرود عن لوحة القرد:

«للوهلة الأولى لا يستطيع المرء إلا أن يقف مكتوياً بحرائق اللون وبراءة اندفاعاته أمام تجربة تشكيلية جديدة ومتمردة وباذخة في رؤياها، تبحث عن إطار تعبيري مختلف، لوحة الفنان (.. ..) تتقدم إلى متلقيها مسكونة بحرية فائقة وخطيرة، تأخذنا إلى تخوم التجربة المطلق إن صح التعبير.

وهذا بحد ذاته يتطلب من قارئ اللوحة إن يتسلح بذائقة مختلفة، تبتعد بمسافة غير محسوبة عن أنماط المتلقي التقليدي الذي يبني على حسابات الكتل والمساحات وقوانين التشريح وكيمياء الألوان».

وكتب الآخر يقول: (لوحة أمريكا والعالم) للفنان (.. ..) هي بمثابة رفض لوني أو إدانة ضوئية متوهجة عبر لوحة تجريدية ذات وجه فلسفي عميق يحرص على تكريس قيمه مواجهة ومقاومة هذا التوحش الحضاري المتكرر فقط على القوة والافتراس.

هكذا تبدو أمريكا بوصفها حضارة مادية مبنية على قوة مفرغة من المبادئ الإنسانية، وذلك هو سر الدماء الحمراء!!.

وجاء الدور على فنانة تشكيلية أصلا ولكنها وقعت في الفخ وقالت «تجربة» الفنان (.. ..) مستويات عديدة تظهر البعد الفني والنفسي، وهي تطرح جدلاً خاصاً وتحاول إدراك الحلم بنكهة خاصة به بعيداً عما هو مألوف وزخرفي ..

وكتب الآخر وهو ناقد فني يقول «يكتشف الناقد للوهلة الأولى جرأة هذا الفنان

واقتحامه لعالم الألوان دون خوف أو خجل (...) فالأزرق الحالم يدخل في حوار هين وسلس مع الأخضر المستكين، ليقتحم المسن فجأة الأحمر الدموي بصخبه اللانهائي، أما الأصفر السقيم فيمنح اللوحة توازنها وعافيتها .. لا جدال بأن الفنان آثر أن يهجر المكرر والرتيب في الحركة التشكيلية العربية من أجل إقامة حوار لوني عفوي يستند إلى أحكام البناء وتجانس الدرجات اللونية.

وتأتي الورطة الأكبر لواحد من أشهر الأطباء النفسيين الذي شخص الحالة النفسية للفنان (القرد) بقوله: « إن قلة المساحات البيضاء باللوحة تشير إلى أمرين، أولهما إن هذا الفنان يزدحم عقله بثقافات مختلفة وكثرة اطلاع، والثاني : أنه متشائم بدرجة كبيرة، لأنه قلص مساحة الأصل التي يشير إليها اللون الأبيض، كما تشير طريقة رسمه للوحة إلى انه رسمها على مرحلتين، الأولى : كان يمر فيها بمرحلة قلاقل نفسية نتيجة مشاحنات أو مشكلات عائلية، وهذا بدأ من التوتر اللوني الذي يعبر عنه بوضوح في الجانب الأيسر من اللوحة، أما الجانب الأيمن من اللوحة فقد رسمه وهو في حالة نفسية مستقرة، تعبر بوضوح عن حالة انسجام عاطفي وعائلي، حيث تميزت الألوان بالدفء والتناغم، لكن المثير في هذا الفنان (.. ..) إنه يعاني من أعراض فصام عقلي في بداياته أصيب به من كثرة قراءاته واطلاعه على تجارب الآخرين».

***

و .. هؤلاء هم مثقفوك يا أمة!! ..

هؤلاء هم المثقفون الخونة الذين لم يضعهم في أماكنهم إلا حكام خونة ..

وهذا أمر منطقي تماما .. فالحاكم الجاهل السوقي الفظ العميل لابد له من مثقف على شاكلته .. أو بالأحرى من صعلوك يسميه الحاكم – بمرسوم – مثقفا ..

ثم نتساءل كيف ولماذا انهزمنا؟! ..

 اختاري واحدة يا أمة الإسلام

الإبادة كالهنود الحمر، أو الترويض كالعبيد، أو الجهاد ..

***

«حكامنا مرتدون وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون».

عسرٌ ويسران ..

عزاني ربي – سبحانه وتعالى – فأجمل عزائي .. ولولا ذلك العزاء الجميل لانفطر قلبي، فعندما جاءتني رسالة رائد الفلسطيني، القسامي، أحسست أن أعضائي تنفرط، وتتناثر أشلاء، وأحسست أنني غير قادر على مواصلة الحياة يوما آخر، نؤت، فالطريق طويل والزاد قليل، طريق تعب فيه آدم، وناح نوح، وألقي في النار أبو الأنبياء إبراهيم، وأضجع للذبح اسماعيل، وبيع يوسف، ونشر زكريا .. و .. و .. , وتحت وطأة الألم تفلّت مني قلبي، ليخرج من إطار الأوامر والنواهي لسيدي ومولاي صلى الله عليه وسلم، تفلت مني قلبي فتمنيت الموت، وحذرني النذير: سيدك وحبيبك ومولاك حذر من تمني الموت، بل ادع الله أن يحييك ما كانت الحياة خيرا لك وأن يقبضك حين يكون الموت خيرا، ورددت على النذير معتذرا بالألم الذي قد يبيح محظورا كرخصة، ومعتذرا أيضا بما قد ذُكر عن سيدنا يوسف عليه السلام، وعن مريم رضي الله عنها تمني الموت. وذكر ذلك أيضا عن سيدنا عمر وسيدنا عليّ وسيدنا عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنهم أجمعين.

نعم ..

انفطر قلبي مع مجيء رسالة رائد، الفلسطيني القسامي ..

فلسطيني قسامي؟

هل يجوز لي أن أوقع: محمد القاهري أو السكندري؟؟

وهل يجوز لسواي أن ينسب نفسه فيقول الدمشقي أو الحلبي أو الرياضي أو الصنعائي أو البغدادي أو .. أو .. أو .. ؟ ..

لماذا لا أقول رائد المسلم إذن ..

رائد المسلم ..

فالإسلام وطن ..

انفطر قلبي مع رسالة رائد المسلم .. ورأيت فتنا كأنها قطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع قوم أخلاقهم بعرض من الدنيا يسير. ويتركون الدين بأبخس ثمن، فرحت ألتمس العزاء من الله .. عزّني يا رب ففيك العزاء من كل مصيبة والخلف من كل هالك وفيك دركا من كل فائت، من أجل ذلك أرجوك وأدعوك فإن المصاب من حرم من عزائك.

انفطر قلبي وناء بالألم كاهلي فتمنيت الموت وأنا أهتف: صدقت يا سيدي يا مولاي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه ..

***

يا ليتني مكانه ..

يا ليتني مكانه ..

يا ليتني مكانه ..

***

قال ابن مسعود: سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه ..

***

أتذكر رسالة رائد الأخيرة[1]:

ألا هل بلغت اللهم فاشهد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم رائد

فلسطين ١٠ سبتمبر ٢٠٠٣

١٤ رجب ١٤٢٤

(١) راجع رسائل رائد كاملة في مقدمة الكتاب.

آآآآآآآآآآآآآآآه ..

***

شملني عجز كلي ..

و أحسست أنني لا أملك حرفا واحدا يمكن أن أقوله لرائد المسلم ..

لا أملك سوى العجز وعض بنان الندم فلو أنني أستقبل من أمري ما استدبرت لاخترت الجهاد بالدم لا بالقلم.

***

أتذكر من رسائل القراء تلك التي راحت تستحثني: لم يعد لديك المزيد فاذهب إلى فلسطين أو أفغانستان أو العراق طالبا الشهادة ..

ولم أكن أستطيع ذلك يا رائد المسلم ..

فمباحث أمن الشيطان كانت كفيلة بأن تمنعني قبل أن أبرح داري .. وفقهاء السلطان عجزوا عن إثبات النسب بين مباحث أمن الشيطان والشيطان فتركونا في أرض التيه .. حيث المتشابه الذي يصعب فيه اتخاذ قرار ..

***

تنفجر الذكرى كبركان من الألم تسيل حممه ..

١٩٤٨ كنت صغيرا جدا لا أعي ..

٥٦ غرقت في أحلام يقظة عن الجهاد والاستشهاد ..

٦٧ يا رائد انفطر القلب وتمنيت لو أنني استشهدت فيها أو قبلها وكنت نسيا منسيا ..

وفي ذلك الوقت يا رائد كنت ما أزال فريسة للغواية فلم أدرك أي جرف هائل ساقتنا القومية إليه .. ولا أي مجزرة نندفع إليها لن ينقذنا منها إلا التدرع بالإسلام بينما كل أنظمتنا تحارب الإسلام.

٧٨، ٧٩، ٨٠، وحين فوجئت بجاري في القطار أجنبيا، وحدثني، ورحبت به لأفاجأ بعدها بلحظة أنه إسرائيلي ففزعت كالملدوغ، وكان الإحساس الأول الذي تبادر إلى ذهني أن أقتله، وكنت عاجزا يا رائد المسلم، فوليت فرارا من المكان كله ..

***

لم يكن عجزي عن الاستشهاد عجز جبن يا رائد المسلم .. وأظن أن عجز الأمة كلها كان كعجزي .. لم يكن عجزا فينا بل كان عجزا في فقهائنا الذين لم يواكبوا بفتاواهم أنواع الفتن التي تحيط بنا .. وبسبب هذا العجز، أجدني منذ ذلك الوقت وحتى الآن، أي طيلة ربع قرن عاجزا عن الإجابة عن سؤال افتراضي يقول: أيهما تختار لو أتيح لك الاختيار: أن تستشهد في إحدى عمليتين: عملية تفجر فيها نفسك في اجتماع لحكام أمريكا وبريطانيا وإسرائيل .. أم تفضل أن تستشهد في عملية تفجر فيها نفسك في مؤتمر قمة عربي ..

أيهما يفيد الإسلام والمسلمين أكثر ..

و أيهما يكون مدعاة لمرضاة الله أكثر ..

ولم يكن لي أن أجيب عن هذا التساؤل .. كان هذا دور فقهائنا وهو دور نكصوا عنه فتركونا نسقط في تيه الحيرة والمتشابه ..

ولم يقتصر العجز عند هذا الحد .. فقد سألت نفسي ذات يوم: لو أتيحت لي الفرصة لأن أقتل أحد اثنين في سبيل الله فأيهما أقتل: حاخاما إسرائيليا أم شيخا في الأزهر .. قسيسا أمريكيا أم شيخا في الحرم .. وزيرًا شاذا يدعو للشذوذ والكفر أم من أتى به؟

***

عجز كلي يا رائد ..

عجز كلي جعلني أتمنى السجن أو الاعتقال، فبأيهما يسقط التكليف، وأبرئ أمام الله ذمتي، وأبرئ سقمي، وأبرر عجزي، وأشفي وجعي.

عجز موجع .. كل شيء فيه موجع .. الجوارح والزمن والكلمات .. عجز يمتد كجرح بطول الجسد كله .. يشج الجسد كله .. ثم لا يتوقف عند كونه جرحا يشج الجسد في زمن محدود فلعله موجود اليوم ولم يكن موجودا بالأمس وسيبرأ غدا .. لا .. بل جرح يمتد ليس بطول العمر فقط .. جرح يمتد من عام ١٩٤٧ ويتسع .. كل يوم .. جرح لا يقاس طوله بأبعاد المكان بل بمقاييس الزمان .. جرح يتعدى عمري ليضيف إلى هزائمه هزائم أخرى بطول أزمنة الهزيمة .. جرح يؤلم فيه ما حدث في الأندلس وما يحدث في فلسطين .. وما يحدث في الشيشان وأفغانستان وكشمير والفلبين .. جرح بطول التاريخ وعرض الأمة ..

نعم ..

وجع موجع ..

وجع على وجع ..

هـل تـذكر يـا رائـد مقـالتي الماضـية حـين رحـت أسـرد وصـف الشـيخ يوسـف القرضاوي للتعذيب في سجون الطاغوت – ومن جاءوا بعده كانوا أشد شرا وخسة- هل قرأت الشيخ الجليل وهو يصف كم هو فظيـع ألم الضـرب بالسـياط علـى الجلـد السليم أول مرة .. وهل قرأت استدراكه أن هذا الوجع يكـاد لا يـذكر عنـدما يقـارن بوجع وقع السياط للمرة الثانية علـى الجلـد الملتهـب المتقـرح الممـزق بوقـع السـياط السابقة ..

أوجعني الوجع لأنه جاء على وجع ..

وتذكرت .. أن البطل المجاهد أيمن الظواهري كان واحدا من ضحايا هـذا العـذاب لأنه رجل يقول ربي الله ..

أوجعني الوجع فتمنيت الموت رغم تحذير سيدي ومولاي صلى الله عليه وسلم ..

تمنيته وأنا أتوجس أنني من أجيال وقوم الاستبدال الذين سيبدلهم الله فيذهب بهـم ويأتي بقوم يحبهم ويحبونه .. تمنيته وأنا أقول لنفسي: حتى لو انتقلت من جحيم الدنيا إلى النار فيكفيني أنني هناك – وقد انقشـع سـحر الـزمن - لـن أتجـرع غصـص المذلـة والمهانة أمسي عليها كل مساء وأصبح كل صباح .. ثم إنني هناك، ولو في النار، سوف أذهل عن ألم النار برؤية ربي ..

***

لم أكن أتصور يا رائد المسلم كيف ستمر عليّ الساعة التالية بعد وصـول رسـالتك بله انتظار مجيء الصباح ..

***

وفجأة عزاني ربي فأجمل عزائي ..

كانت رسالتك يا رائد محنة وكانت عسرا ..

فأرسل الله لي يسرين ..

نعم ..

يسرين ..

فقد فوجئت بالشيخ أسامة بن لادن وأيمن الظواهري يوجهان رسالة للأمة ..

***

يــااااااااااااااااااااااااااااااااااااااه ..

لشد ما استطال غيابكما ..

ولشد ما نهشني القلق عليكما ..

ولشد ما اشتد الشوق إليكما ..

***

رأيتهما في الصحراء ..

وانفجر في القلب طوفان حنان خاشع باك والزمان يرتد بي خمسة عشر قرنا فأكاد أري الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه يهاجران .. وبعد الهجرة النصر والفتح ..

***

ليس في الأمر أي تشبيه أو مقارنة أو مقاربة، وأرجو ممن أعمى الله بصائرهم أن يعفوني من رسائلهم المتنطعة ضد أي موقف ينصف سيد المجاهدين في زماننا .. وبعضهم يسلقونني بألسنة حداد عندما أقول – وسأقول – أسامة بن لادن رضي الله عنه .. وهذا البعض لا يتورع عن عبادة ملكه أو رئيسه .. ثم إن هؤلاء الهالكين المتنطعين يجهلون أن رضي الله عنه دعاء لم تقصره كتب الأثر على الصحابة والتابعين، بل لقد امتد ليشمل مصحح الطباعة لصحيح مسلم، المطبوع بدار الطباعة العامرة، بالآستانة، عام ١٣٢٩ هـ .. !! ..

وهذه الرسائل المتنطعة رغم قلتها بالنسبة للرسائل الأخرى إلا أنها تعبر عن عدم فهم مطلق ..

نعم .. انفجر في القلب طوفان حنان خاشع باك والزمان يرتد بي خمسة عشر قرنا فأكاد أري الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه يهاجران ..

ليس في الأمر أي تشبيه أو مقارنة أو مقاربة .. لكنني فجأة رأيت في ومضة برقت في الديجور فرأيت رحمة ربي، رأيت الزمان يدور دورته، ويعود لهيئته، ورأيت في الرمز فتحا مبينا.

***

لقد سألني الكثيرون لماذا لم أكتب منذ زمان طويل عن هؤلاء المجاهدين .. وكنت أجيبهم أنني أشعر بعجز كلي .. فماذا يمكنني أن أقول للشيخ أسامة أو الشيخ أيمن أو رائد المسلم ..

أيّ تزيد بغيض أن يتقدم الجاهل ليعلم العالم ..

وأن ينبري الجبان ليشجع الشجاع ..

وأن يتقدم من هده الوهن وأذله ليشد أزر من باعوا أنفسهم إلى الله ..

وأن ..

وأن ..

وأن ..

***

كنت أيضا أخشى أن أثقل بكتابتي عليهم حين أقول لهم كم اشتقنا إليهم وكنت أخاف أن أضغط عليهم بالحب فيظهروا ظهورا يهدد سلامتهم وأمنهم ..

كنت أخشى عليهم مس الريح أن يزعجهم ..

وكنت عاجزا ذلك العجز الكلي .. ففي كل مجال من مجالات الدنيا والآخرة لهم قصب السبق ..

وحتى عندما كنا أهم أن أهتف بهم: اثبتوا فأنتم على الحق، كان الخزي يغرقني والعار يجللني .. فمن أنا حتى أقول لهم ذلك ..

***

فقط .. أقول للأمة ليس من سبيل أمامنا سوى هذا السبيل الذي يسير فيه إخوتنا في فلسطين والعراق وأفغانستان ..

ليس للأمة من سبيل سوى أن تعد لأعداء الله ما ترهبهم به ..

ليس للأمة من سبيل آخر .. وما حدث في ١١ سبتمبر قصاص لا مناص منه .. ونحن لا نسعى إليه .. لكنهم هم الذين يحتلون بلادنا، فإن أرادوا الأمن فعليهم أن يغادروها، كي نعيش الأمن كما يعيشونه أو عليهم أن يعيشوا الرعب والدمار والموت كما نعيشه.

ليس هناك سبيل آخر ..

ذلك أن ما يطرحه علينا الجبابرة الآن واحد من ثلاثة:

إما أن يبيدونا كالهنود الحمر ..

و إما أن يروضونا كما روضوا العبيد ..

و إما أن نجاهدهم ..

***

ليس أمامنا سبيل آخر ..

فإذا أردنا الدنيا فإن علينا أن نجاهدهم ..

و إذا أردنا الآخرة فإن علينا أن نجاهدهم ..

و إذا أردنا الدنيا والآخرة فإن علينا أن نجاهدهم ..

مهما فعلوا، ومهما حاولت أجهزة إعلامهم الشيطانية أن تقلب الحقائق ..

ثقافتهم وبربريتهم لا تلزمنا بشيء ولا تضع أمامنا أي حاجز ..

وديننا يأمرنا أن نقاتلهم أينما وجدناهم .. وهذا أمر لكل مسلم في كل مكان وزمان، أمر لا ينتظر رخصة من حاكم عميل كي يعطيه شرعيته .. فالحاكم نفسه فاقد للأهلية والشرعية .. بل «حكامنا مرتدون وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون» كما يقول الشيخ المجاهد رضي الله عنه.

يا شيخ أسامة بن لادن: لقد كانت عبقرية ما حدث يوم ١١ سبتمبر أنها جردت الغرب من أقوى أسلحته، ألا وهو الكذب، والغرب الذي ادعى الحضارة والرقي والتقدم اضطر لخلع كل أقنعته لتبدو كل عوراته .. تحت رئاسة ذئب غادر غبي هو بوش، وكلب أجرب هو بلير وخنزير هو شارون .. اضطر الغرب لخلع أقنعته في توقيت لم يكن هو الملائم تماما بالنسبة له، فقد كان وكلاؤه يكفونه مئونة القتال بقتل

روح الأمة وترويضها وسلب هويتها وتعويدها على الشذوذ والخنا .. وكلاؤه وهم الحكام والمثقفون .. بعض نخبتنا المثقفة .. الطابور الخامس الذي اختار أن يبيع أمته ودينه، وكان الغرب يأمل أن يتمكن هؤلاء في صمت ودأب من اقتلاع الإسلام من قلوب الناس، ويوما بعد يوم وعاما بعد عام ينجح هؤلاء في مخططهم ليتقدم الغرب بعدها ليستولي على الدول دون قتال. كانت عبقرية ١١ سبتمبر أنها نبهت الغافل وفضحت المخبوء ..

هذه النخبة المثقفة يمثلها رضا هلال .. وإن كانت أموره قد افتضحت بسبب اختفائه الغامض، فإن أمور أقرانه كأموره، فقط هي لم تفتضح بعد .. وفي نفس هذا الإطار- وقبل أن يختفي أحدهما أو كلاهما - أرجو مراجعة كتاب فاروق عبدالقادر الأخير وما ورد فيه عن عدد من الكتاب منهم جمال الغيطاني .. والكتاب مذهل .. وأكثر ما يذهل فيه هدم الحواجز المصطنعة بين الفن كوظيفة وكتوظيف وتمزيق الأستار بين الشذوذ الفكري والجسدي والعمالة للأجنبي .. ويشهد بهذا شاهد يساري .. من أهليهم.

***

يا شيخ أسامة ومن معك .. إن الأمة تكتفي منكم بما فعلتموه .. وتدرك أن القصور في رد فعل أمة عاجزة وحكام خونة وفقهاء عجزوا عن مقاومة غواية السلطان فأنى لهم أن يصمدوا لغواية الشيطان، واحد منهم، وغد منهم أفتى بعدم جواز إفتاء علماء مصر للعراق، ولا يدرك هذا الوغد الزنيم أنه يطبق تعليمات المخابرات الأمريكية ويهدم معنى أول آية في القرآن الكريم بعد البسملة، فالدين كله موجه لله رب العالمين وليس رب المصريين دون العراقيين، هذا الوغد يسلب من الإسلام أهم وأقوى خصائصه: عالميته.

أقول أن الأمة تكتفي منكم بما فعلتموه، لكنها تصدق كل حرف تقولونه، وتدرك أن الملحمة لم تبدأ بعد وتنتظرها. تنتظر – في عجز ذليل- إذلال المجرمين بوش بلير وشارون ومن معهم .. وتنتظر في عجز ذليل إذلال حكامنا الخونة ونخبهم .. ورغم أن هذا هو واجب الأمة إلا أنها وقد عجزت تنتظر الفرج من الله على أيديكم .. فتطرب لدم كل أمريكي مجرم يسفح، ولعنق كل يهودي خسيس يذبح ..

والأمة تأمل – لست أدري كيف- التوصل إلى سلاح دمار شامل يردع المجرمين ..

لست أدري كيف يمكن طرح الأمر لكنه جوهري، وإن أمان البعض حتى لو كانوا خونة، هو في عدم تسليم كل الأوراق إلى أمريكا، وعلى سبيل المثال، فإن وسيلة تأمين السلاح النووي الباكستاني، والمشروع الإيراني، أن تكون معلوماتها النووية متاحة ومطروحة أمام باقي المسلمين.

والأمة تدرك أنه لا سبيل أمامها لمواجهة الطواغيت إلا بإرهابهم، وطردهم من بلادنا ..

وسيطردون بإذن الله ..

فبارك الله فيكم .. يا طليعة المجاهدين والشهداء ..

***

لا أجرؤ على الدعاء لكم .. لكنني أرجوكم أن تدعوا لي .. كي يحشرني الله في زمرتكم يوم القيامة ..

إما إيمان وإما كفر

أي حُمّى وأي تكالب يمكن أن تصيبنا جميعا لو سرت بين الناس شائعة - مجرد شائعة - أن أسهم شركة ما في البورصة تبلغ قيمة السهم منها الآن مائة دينار ستتضاعف في نهاية العام ليباع بألف دينار ..

أي حُمّى وأي تدافع وأي تكالب لو كان أصحاب هذه الشركة من الأسماء اللامعة في عالم الاقتصاد وليسوا نصابين وشذاذ آفاق ..

من منكم يا قراء لن يبيع على الأقل بعض ما يملك كي يشترى من أسهم تلك الشركة ..

ثم ماذا يمكن أن يحدث لو أن الشائعة لم تكن شائعة، بل كانت حقيقة، وأن الأضعاف العشرة هذه ليست إلا الحد الأدنى، والذي يمكن أن يزيد ويتضاعف إلى مائة ضعف، أو حتى سبعمائة ضعف، بل وأكثر ..

***

أي حُمّى وأي لهفة يمكن أن تصيبكم يا ناس لو تعهدت الدولة أن الأمر لا يقتصر على ذلك .. لأن هناك فرصا أمام بعض الناس كي يفوزوا فوق ذلك بجوائز هائلة غير محسوبة تصل للملايين؟ ..

أي حُمّى وأي حمية وأي لهفة وأي تكالب ..

وأي حماقة وأي غفلة سنصم بها أولئك لا يغتنمون الفرصة ..

***

هل يمكن أن يدع أحد - والحال ذاك - تلك الفرصة تفلت من يده ..

حتى أولئك الذين لا يحملون في قلوبهم الثقة واليقين الكاملين بضمانات البورصة وتعهدات الدولة ..

حتى أولئك سيفسرون الشك لصالح هذه الضمانات .. سيقولون لأنفسهم من المؤكد أن خسائرنا ستكون قليلة جدا في مقابل احتمالات للمكاسب هائلة ..

لن ينكص عن الشراء – يا قراء – إلا فئة واحدة ..

تلك الفئة التي تملك اليقين المضاد ..

يقين بأن الشركة تمارس عمليات النصب والاحتيال وليس في ذلك أي ريب ..

ويقين بأن ضمانات الدولة كاذبة كصحفها ونشرات أخبارها وليس في ذلك أي شك ..

ويقين بأن من يندفع لاقتناء أسهم تلك الشركة في البورصة ليسوا إلا من الحمقى والجهلة الذين سيطرت عليهم غشاوات الظلام والجهل والخرافة وأنهم صدقوا ما لا يمكن أن يصدق .. وأن هؤلاء الجهلة المتخلفون الظلاميون إذ يندفعون ويتكالبون يخسرون ما يملكونه فعلا في سبيل وهم لن يملكوه أبدا ..

وهْمٌ لم يحركهم له سوى الجهل والغباء والتخلف ..

***

ماذا يمكن أن يحدث يا قراء لو أن هذه الفئة القليلة التي ظنت بنفسها العلم والاستنارة حاولت أن تعرقل مسيرة ملايين المندفعين نحو البورصة .. وأن تفرض عليهم رؤاها؟ ..

ماذا يمكن أن يحدث؟! ..

هل أقل من أن تسحق الملايين تلك القلة بالأقدام؟! ..

***

فلندلف الآن إلى مثال آخر يا قراء ..

إذ ماذا يمكن أن يحدث لو فوجئنا بإنسان ينكر وجود دولة اسمها أمريكا في هذا العالم، فيقرر أن يمحو اسمها من كتب التاريخ والجغرافيا، ثم لا يكتفي بذلك بل ينظر بعين السخرية والاتهام إلى من يؤكد وجودها؟!.

وماذا يمكن أن يحدث لو فوجئنا بإنسان آخر، يقر كارها ومضطرا إزاء الدلائل بوجود أمريكا، لكنه يجهل كليا كيفية التعامل معها، فلا يعرف كيف ينال مودتها أو كيف يتجنب عداوتها، لذلك فإنه يقرر أنه برغم اعترافه بوجودها إلا أنه لا يستطيع إخضاع هذا الوجود أو تفسيره بمنطقه، لذلك فسوف يمارس حياته كما لو كانت غير موجودة؟! ..

كلا الموقفين سيجد نفسه منضما من الناحية العملية إلى الآخر، الأول ينفي وجودها وبالتالي تأثيرها، والآخر يدعى أن لا تأثير لها ولا تدخل في هذا العالم، أو على الأقل أن هذا التأثير غير مفهوم للعقل.

كيف يمكن أن ينظر العقلاء إلى أنصار هذين الرأيين؟! .. وأي كم هائل من الازدراء والاستنكار والتعالي سينظرون بها إلى من يدعونه .. وماذا يمكن أن يفعل العقلاء إذا ما حاول الحمقى – رغم قلتهم – أن يفرضوا على الأغلبية رؤيتهم العرجاء الحمقاء العمياء؟! ..

والآن، لندلف على الفور إلى ما يرمز إليه المثال، ولنرفع اسم أمريكا ولنضع اسم الله جل جلاله، إن الفئة الأولى تمثل العلمانيين الملحدين، والفئة الثانية تمثل العلمانيين المؤمنين، إن صح أن هناك علمانيين مؤمنين.

***

هل تتساءل أيها القارئ الآن: لماذا استدرجنا هذا الكاتب إلى كل هذه الأمثلة وكل هذا الخيال هذا اليوم؟! ..

لماذا يستدرجنا هذا الاستدراج في أول مقال يكتبه في صحيفتنا الغراء؟!

لكنه يا أيها القارئ ليس خيالا ..

بل أردت يا مسكين أن أقول لك أنا المسكين .. أننا في حدود مثل البورصة لن نجد فئة ثالثة ..

سنجد الفئة الأولى: فئة الذين صدقوا وآمنوا فتكالبوا ..

وسنجد الفئة الثانية: فئة الذين كذبوا وكفروا فعزفوا وانصرفوا ..

لن تجد أيها القارئ أبدا من كذّب فاشترى ولا من صدق فنكص عن الشراء ..

وفي حدود مثل أمريكا لن تجد من يعرف ويعترف فيتجاهل، ولا من ينكر فيتبع .. !!

نعم .. ليس في الأمر أنصاف حلول ..

نعم .. أقول لك يا مسكين أنا المسكين .. أن الأمر لا يتعلق بحسابات الكمبيوتر ولا بقوانين الاحتمالات .. لا توجد نسب مئوية ولا يوجد كسر .. فليس ثمة نصف إيمان ولا ثلاثة أرباع كفر .. المادة تتجزأ .. لكن المعنويات لا تتجزأ .. ليس ثمت نصف شرف ولا ربع أمانة ولا ثلث ضمير ..

أقول لك يا مسكين أنا المسكين .. أن الأمر لا يخرج عن اثنتين لا ثالث لهما ..

إما إيمان وإما كفر ..

وفي حدود البورصة وأمريكا ضربت لكم الأمثلة أيها المساكين أنا المسكين ..

لكن الأمر في حقيقته أكبر وأعظم وأشد هولا ..

الأمر أمر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بقلب بشر ..

الأمر أمر يوم ترجعون فيه إلى الله ..

أمر يوم تصدقونه فأنتم مؤمنون أو تكذبونه فأنتم كافرون ..

إيمان أو كفر ..

لا ثالث ..

ثم إن الأمر لا يتعلق بخطة خمسية ولا حتى خمسينية .. بل يتعلق بالخلد الذي سنبدأه يوم الحساب ..

فأي هول ينتظرنا يوم الحساب ..

أي هول .. فإن صدقنا وآمنا .. فهل يمكن أن يوجد شيء في الوجود أهم من الاستعداد لهذا الهول؟ ..

وهل يمكن أن نعد أنفسنا لهذا الهول عن طريق البعد عن ثوابتنا ومقدساتنا واتباع الحضارة الغربية .. ؟. أم يمكن أن نعيش حياتين؟ .. أم قسمنا الدنيا: جزءًا لله وجزءًا للغرب؟! ..

قد تصلح الحضارة الغربية لإعدادنا للدنيا .. وأقول قد .. فالأمر مشكوك فيه .. وما حروبهم العالمية وقنابلهم النووية إلا دليلا على ذلك ..

أقول قد تصلح للدنيا .. لكن هل تصلح للآخرة .. ؟! ..

ذلك هو الفيصل الذي لا فصل بعده .. والتمييز الذي لا نعرف تمييزا سواه ..

الفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية يقبع في الإيمان باليوم الآخر .. إيمان يتجاوز اللسان إلى القلب .. ويتجاوز القلب إلى العمل ..

إما إيمان وإما كفر ..

إما عمل مكرس للدنيا فقط وإما عمل للدنيا والآخرة ..

عمل للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة ..

فكر للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة ..

سياسة للدنيا لا تصلح ولا تستقيم دون اعتبار ليوم القيامة ..

حكم للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة ..

نعم .. فالأمر جد لا هزل فيه ..

الأمر: إما إيمان .. وإما كفر ..

كلُ شيء مباح .. إلا الإسلام ..!!

يصيبني الذهول يا قراء عندما أستعرض موقف أولئك الأشرار الرافضين للخلافة الإسلامية برغم علمهم أن هناك إجماع بين فقهاء الإسلام على أن أهم أساس من أسس الإسلام بعد العقيدة هو الخلافة الإسلامية.

يصيبني الذهول ..

ليس لديهم بديل غيرها يطرحونه، ولا نظام آخر اتفقوا عليه .. وهم .. من شيوعيين إلى قوميين إلى علمانيين إلى مستغربين إلى حداثيين إلى العرب الصهاينة إلى العرب الأمريكان إلى بقايا العرب الروس إلى عبدة الشيطان لا يكاد يجمعهم شيء سوى رفض الخلافة كمظهر من أقوى وأهم مظاهر الإسلام، ليس ولاء لشيء غير الإسلام فلا ولاء لهم .. وقد تنقلوا بين الشرق والغرب والشمال تنقل جوارٍ بين أسياد .. فكلما ملكهن سيد جديد منحنه كل ولائهن .. فالولاء لمن دفع الثمن ..

نعم .. لا يتخذون هذا الموقف لأن لديهم ما يقدمونه بل عداء للإسلام والمسلمين ..

وهم على شذوذهم، على مستوى الواقع كما في عبدة الشيطان، وعلى مستوى لا يقل بشاعة عن الواقع في الفئات الأخرى، يحملون قدرا مذهلا من الكراهية لكل ما هو إسلامي، كراهية وثنية أو صليبية أو يهودية، ككراهية الشيطان للمؤمنين. كراهية تجعل هدفهم النهائي استئصال شأفة كل ما هو إسلامي كما استأصل الغزاة البيض شأفة الهنود الحمر. كراهية تنفجر من أفواههم وأقلامهم ضد كل مسلم وظاهرة إسلامية، إذا كانت هذه الظاهرة مبحث الخلافة استحالت هذه الكراهية إلى جنون غاضب وغضب مجنون.

الغريب أنهم يتفاخرون ويتطاولون عندما يحكمون علينا بفسادهم وبشذوذهم، أما نحن فلست أدرى ما يمنعنا من الحكم عليهم بديننا، حتى ليصدق فينا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قبض الأمانة: « **حتى يُقال للرجل: ما أجلدَه ! ما أظرفَه ! ما أعقلَه! وما في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان** » (البخاري.)

الدكتور فؤاد زكريا، واحد من غلاة العلمانيين الذين يرفضون ويسخرون من

فكرة الخلافة، (ما أجلده ما أعقله !!) .. وكان قد أصيب بضربة قاصمة زلزلت قيادته الفكرية للعلمانيين بعد هزيمته هزيمة ساحقة في مناظرة مع سلطان العلماء لا عالم السلاطين فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي الذي أورد تفاصيلها في كتاب من أخطر وأهم كتبه هو كتاب « العلمانية»، وسوف نعود إلى هذا الكتاب إن شاء الله في مقال آخر.

الدكتور فؤاد زكريا هذا يعترف ويقول:

(أنها- يعني الأحزاب العلمانية في الوطن العربي - لا تكون مشروعا للنهضة وإنما تشترك في رفض المشروع الذي تقدمه الحركة الإسلامية المعاصرة، والفرق بين التيار الإسلامي المعاصر والاتجاه العلماني الذي يتصدى له ليس تضادا بين مشروعين وإنما هناك مشروع إسلامي من ناحية ومحاولات دفاعية لنقد هذا المشروع وبيان نقاط الضعف فيه من ناحية أخرى، وهو ليس تضادا بين أيديولوجيتين، لأن هناك من جهة أيديولوجية إسلامية وتختلف تياراتها في بعض التفاصيل ولكن الاتجاه العام والاستراتيجية البعيدة متقاربة، وهناك من جهة أخرى مجموعة من الأيديولوجيات الشديدة التباين التي لا يجمع بينها سوى رفض الحل السياسي الذي يقترحه التيار الإسلامي).

هؤلاء العلمانيون الرافضون لحكم الإسلام لا يملكون إذن وجهة نظر مغايرة .. ولم يجتمعوا إلا على رفض منهج الحكم الإسلامي .. وفي سبيلهم لذلك تورطوا في تأييد أشد أنظمة الحكم سوءا وبطشا وفسادا .. بل وانقلبوا حتى على ما ينادى معظمهم به من الأخذ بديموقراطية الغرب كمنهج، عندما أسفرت الانتخابات عن فوز المسلمين بالأغلبية الساحقة كما حدث في الجزائر، وسقط مئات الآلاف من الضحايا دون أن يحرك ذلك فيهم شعرة أو ينتفض فيهم ضمير كذلك الذي انتفض زورا وغشا وخداعا أمام صورة مزورة لطائر بحرى جلبوه من مياه بحر الشمال وألقوه في الخليج كي يتهموا العراق بقتله .. !! ..

انتفضوا لواقعة الطير المزورة ولم ينتفضوا لمصرع مئات لآلاف ..

ولم يرتفع من أصواتهم الجهورية صوت يندد بتزوير الانتخابات ضد المسلمين في بلاد أخرى .. ولا بإهدار حقوقهم .. واعتقالهم وتعذيبهم .. وقارنوا يا قراء بين موقفهم من عبدة الشيطان (حيث كل الرحمة والحفاظ على حقوق الإنسان والتماس

المعاذير وعدم نشر الأسماء تجنبا للفضيحة) وبين موقفهم من ضحايا المسلمين .. الذين يعبدون الله لا يشركون به شيئا .. قارنوا بين موقفهم من نصر حامد أبو زيد (ثلاثة تقارير من الأزهر وأحكام نهائية متعددة توجها حكم محكمة النقض تقضي جميعها بإنكاره ما هو معلوم من الدين بالضرورة) .. وموقفهم من الشهيد سيد قطب أو من الأسير عمر عبدالرحمن ..

هؤلاء العلمانيون يزايدون حتى على أسيادهم في الغرب في كراهية الإسلام وحكمه، حتى أن علمانية الغرب تسمح للمسلمين فيه بحقوق تتجاوز بكثير تلك المسموح بها في بلاد المسلمين!!.

في مثل هؤلاء العلمانيين الأشرار يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي رضى الله عنه في كتابه « ظلام من الغرب»:

« هناك مستشرقون مصريون ولدوا في بلادنا هذه، ولكن عقولهم وقلوبهم تربت في الغرب ونمت أعوادهم مائلة إليه، فهم أبدا تبع لما جاء به .. !

إنهم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا بيد أنهم خطر على كياننا .. لأنهم كفار بالعروبة والإسلام، أعوان – عن اقتناع أو مصلحة – للحرب الباردة التي يشنها الاستعمار علينا، بعد الحرب التي مزق بها أمتنا الكبيرة خلال قرن مضى ...

وهم سفراء فوق العادة لإنجلترا، وفرنسا، وأمريكا أو دول التصريح الثلاثي الذي خلق إسرائيل وحماها. والفرق بينهم وبين السفراء الرسميين أن هؤلاء لهم تقاليد تفرض عليهم الصمت، وتصبغ حركاتهم بالأدب. أما أولئك المستشرقون السفراء فوظيفتهم الأولى أن يثرثروا في الصحف وفي المجالس، وأن يختلقوا كل يوم مشكلة موهومة ليسقطوا من بناء الإسلام لبنة، وليذهبوا بجزء من مهابته في النفوس ... وبذلك يحققون الغاية الكبرى من الزحف المشترك الذي تكاتفت فيه: الشيوعية والصهيونية والصليبية في العصر الحديث .. !

التحرير الكامل أن نجلى هذا الصنف من المستشرقين عن الحياة العامة كما أجلينا عن ضفاف القناة جيوش إنجلترا، وكما سنجلى عصابات اليهود عن أرض فلسطين – بعون الحق – جل شانه ... ! «إن هذا النفر من حملة الأقلام الملوثة أخطر على مستقبلنا من الأعداء السافرين، فإن النفاق الذي برعوا فيه يخدع الأغرار بالأخذ عنهم ..وقد يقولون كلمات من الحق تمهيدا لألف كلمة من الباطل تجيء عقيبها.

فلنحذر هذا العدو المقنع ولنؤمن طريق نهضتنا بتجلية هذا الظلام الوافد من الغرب »

***

ولو أن الأمر قد اقتصر على هؤلاء لهان .. لكن الكارثة التي تدفع بنا للهاوية هو ذلك الحلف غير المقدس بين السلطة الباطشة وهذا النوع من أعداء الله، خاصة وأن الأمة قد مكثت فترة طويلة جدا قبل أن يكتشف بعضها طبيعة هذا التحالف الذي لم يجمعهم فيه إلا كراهية الإسلام وأهله .. تحالف خفي كتحالف العملاء والجواسيس مع عدو .. إن السياسة بأدواتها الغليظة المباشرة سرعان ما تكشف نفسها .. ولقد قام هؤلاء حتى وهم يمثلون زورا وخداعا أدوار المعارضة بدور أساسي في التعمية على الأمة ..

إن الصحوة الإسلامية التي يحاول الغرب إجهاضها بكل قوة لإدراكه خطورتها عليه، هي في الواقع أشد خطرا على هؤلاء وأولئك من خطورتها على الغرب.

يقول الشهيد عبدالقادر عودة في حديثه عن الخلافة:

« وهكذا تضافر الحكام المسلمون وبعض الفقهاء المسلمين – وكلا الفريقين أمين على مصالح الأمة – تضافروا جميعا على خيانة الأمة الإسلامية، وسلبها حقوقها التي فرضها الإسلام، فالإسلام يعطى للامة حق اختيار حكامها وعزلهم، وجعلهم بمثابة النواب عنها، ولكن الحكام وبعض الفقهاء تآمروا على الأمة الإسلامية فسلبوها كل حقوقها، وجعلوا من أفرادها عبيدا ومن الحكام سادة يأمرون فلا يرد لهم أمر ويتصرفون في حقوق الأمة ومستقبلها وأرواح أبنائها دون حسيب ولا رقيب. وقد شارك في هذه الخيانة جماهير المسلمين بسكوتهم على الباطل، ولرضاء بعضهم به، وبعدم ثورتهم عليه، فتمت بذلك المؤامرة الكبرى التي أوشكت أن تقضى على الإسلام، والتي عطلت سيره وأوقفت اندفاعه من مئات السنين، وخان المسلمون جميعهم – عن جهل أو عمد– الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وتعرض لحملها الإنسان على ما فيه من جهل وظلم (..) خان المسلمون أمانة خلافة الله في الأرض وكفروا بأنعمه عليهم فلم يقيموا أمر الله فيما بينهم ولم يهتدوا بهديه ولم ينتهوا عن نهيه (..) وخانوا أمانة الاستخلاف في الحكم بعد أن مكن الله لهم، فلم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة ولم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر (..) وارتكب المسلمون حكاما ومحكومين هذه الخيانات وقد

نهاهم الله عن خيانة الأمانات وحذرهم منها (..) .. فجزاهم الله المهانة في الأرض، وسلط عليهم أعداءهم يملكون بلادهم، ويتقاسمون أوطانهم، ويحولون بينهم وبين نعيم الحياة ونعمة الكرامة والحرية. ولقد انتهى هذا كله إلى أسوأ النهايات، فقد فسدت أداة الحكم في الدولة الإسلامية وتحولت عن غايتها التي رسمها الإسلام، وأصبحت مهمة الحكام أن يحكموا في حدود الهوى والمنفعة، وابتغاء الاستعلاء والسيطرة أو ابتغاء رضا المستعمرين، بعد أن كان واجبهم الأول أن يحكموا في حدود الإسلام ابتغاء مصلحة الجماعة وابتغاء وجه الله. وحينما انفلت الحكام من حدود الدين انقلبت الموازين في أيديهم واختلطت الأوضاع عليهم، فهم لا يميزون الطيب من الخبيث ولا يعرفون الحق من الباطل ولا يفرقون بين الضار والنافع، لأنهم يتبعون أهواءهم، ويتخذون منها آلهة (..) وترتب على فساد الحكم وخروج الحكام على حدود الدين أن ابتعد الناس عن الدين، وفسدت الأخلاق، وشاعت الفاحشة، وضعف المسلمون، وتصدعت وحدتهم، وتعددت أحزابهم واتجاهاتهم، بما اتبعوا من أهوائهم، حتى أصبحت الفوضى شعارهم، والتفرق الذي نهوا عنه يميزهم عن غيرهم، وحتى انتهوا إلى ما هم فيه من الاستعباد والذلة، يستعبدهم المستذلون ويغلبهم على أمرهم المشردون المغلولون. »

***

خان المثقفون وفقهاء السلطان دورهم ..

وأصبحت المشكلة أصعب ..

فبدلا من أن ترسم الثقافة للسياسة المعايير والقيم والمثل الأعلى، راحت السياسة، ويا ليتها سياسة سوية، ترسم للثقافة معاييرها ومثلها وقيمها الدنيا.

ولعل دستويفسكى كان يصف أمثالهم حين قال : «إذا لم يكن الله موجودا ... فكل شيء مباح» ..

نعم .. هؤلاء الذين كفروا بالله كفر ربوبية أو كفر ألوهية أو كفر أسماء وصفات .. كل شيء عندهم مباح .. إلا الإسلام .. !!

كيف يمكن أن يرفضها مسلم؟!

عندما يضيق حذاؤك عليك فإنك تخلعه ..

كذلك تفعل في الملابس فتتخلص منها إذا ضاقت أو بليت ..

بل إنك تفعل نفس الشيء مع ضرسك إن حار فيه الطبيب .. فتخلعه إن غلبك وجعه ..

لكن ..

إذا أوجعتك عينك .. هل تخلعها؟! ..

أم تحتفظ بها حتى ولو كلّ منها البصر .. حتى ولو كانت عينا ناقصة ..

إذا مرض قلبك .. هل تذهب إلى الطبيب ليستأصله؟! ..

أم أن هناك ما تستحيل الحياة أو تصور الحياة دونه، لذلك فإننا – مهما أصابه من مرض – لا نتخلى عنه أبدا بل نحاول قصارى جهدنا علاجه .. مدركين أن فشلنا في العلاج لا يعنى سوى الموت ..

***

نفس الأمر ينطبق على الخلافة ..

إنني أدرك أن بعض القراء – أرجو أن يكونوا قلة – سيفتح شدقيه ليصب اللعنات على هذا الكاتب المتخلف الرجعى الذي يريد أن يعيده القهقرى إلى جبروت وظلمات حكم الخلافة ..

توقف يا مسكين ..

توقف ..

فلقد سمموا عقلك وزيفوا وعيك وغسلوا مخك ووضعوا لك ذاكرة مزيفة مغشوشة ..

توقف فإنك مسموم .. وأنت تخرف .. فإن لم تكن تخرف فإنك تجدف ..

توقف يا مسكين .. فليس ما بك شحم بل ورم .. وليس ما تظنه حيوية الحركة

حركات بل تشنجات .. فتوقف واقرأ ..

***

في مقالات سابقة قلنا أن أحد المحظورات في الفكر الإسلامي أن نحكّم عقلنا في شرع الله .. فكيف يحكم الناقص على كامل والجزئي على كلي؟! ..

قلنا أيضا أن الشريعة ثابتة والفقه متغير ..

والآن .. هل الخلافة – أو الإمامة فالكلمتان تستعملان بذات المعنى – فقه أم شرع؟؟ ..

لقد ذهب جمهور علماء الأمة الإسلامية إلى أن إقامة الإمامة أو الخلافة الشرعية فرض أساسي من فروض الدين، بل هو (الفرض الأعظم) الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض ؛ لأنه - كما يقول الجرجاني -: (من أتم مصالح المسلمين وأعظم مقاصد الدين).

بل بلغ الأمر أن دراسة الخلافة تأتى في أبواب العقيدة والتوحيد لا في أبواب الفقه ..

***

حتى الحرب العالمية الأولى لم يكن هناك بين المسلمين في شتى أرجاء العالم مسلم يشك في وضع الخلافة في الإسلام كإمامة عظمى (مقارنة بالإمامة الصغرى في الصلاة) ..

كانوا يدركون أن الأمور تختل، وأنها يجب أن تعود إلى النموذج المرسوم، وكانوا يعلمون أنها منذ قرون وهى خلافة ناقصة، وكان الأمل أن تعود وتكتمل .. لا أن تلغى وتهدم ..

وكما يقول أنور الجندي في كتابه أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي– دار الفضيلة:

« كان إسقاط الخلافة الإسلامية من أكبر أهداف النفوذ الأجنبي الزاحف على العالم الإسلامي وكان المخطط يرمى إلى تفكيك وحدة المسلمين وتمزيق المجتمع الإسلامي إلى وحدات متفرقة وقد عملت بريطانيا التي كانت تقود الحرب ضد الإسلام والأمة الإسلامية على رسم خطوات هذه المؤامرة التي بدأت بعزل السلطان عبدالحميد وتولى الحكم في الدولة العثمانية أعدى أعداء الإسلام: الاتحاديون الذين

رسموا الخطة بقيادة مصطفي كمال أتاتورك الذي لم يكن في أغلب كتابات المؤرخين المنصفين مسلما، بل كان من الدونمة، ووقفت بريطانيا وراء الخطة وعندما تحرك مسلمو الهند كلفت المستشرق « مرجليوث » كتابة دراسة يدعى فيها أن الخلافة ليست من الإسلام، ولما ذهب الشيخ على عبدالرازق ليدرس في بريطانيا أهداه هذا الكتاب الذي أصدره باسمه تحت عنوان (الإسلام وأصول الحكم). كان هدف الكتاب ضرب الإسلام في عقيدة من أكبر عقائده وفريضة من أعظم فرائضه وهو أنه دين ودولة ونظام ومجتمع ومن ثم فقد عبر الكتاب عن وجهة نظر الاستشراق اليهودي التلمودي الهدام وقد واجه الكتاب ومؤلفه حربا شديدة وكشف عن الزيف الذي ذهب إليه على عبدالرازق، حين ادعى أن الإسلام ليس دين شريعة ونظام مجتمع وحكم ولكنه منهج عبادي شأنه شأن المسيحية وغيرها، ولقد كذب علماء الإسلام دعوى على عبدالرازق وتكشف من بعد أن هذا الكتاب لم يكن إلا ترجمة لكتاب مرجليوث، ولقد واجهت حركة اليقظة الإسلامية كتاب على عبدالرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطاءه ولكن قوى التغريب ما تزال تعيد نشره وطبعه مع مقدمات إضافية يكتبها مضللون شعوبيون يخدعون الناس بألقابهم وأسمائهم ».

وكان ممن انبروا للرد على كتاب مرجليوت المنسوب إلى على عبدالرازق الدكتور السنهوري الذي قدم في رسالة للدكتوراه مشروعا يرمى إلى تطوير الخلافة كما عرضها الفقهاء. وكان من رأيه إزاء فداحة الانهيار أنه: إذا كان هناك استحالة في إقامة نظام خلافة راشدة أو كاملة فلا مناص من إقامة حكومة إسلامية غير كاملة على أساس حالة الضرورة للظروف التي يمر بها العالم الإسلامي حالياً «عام ١٩٢٥م». وأن هذا النظام الناقص يجب اعتباره نظاماً مؤقتاً لحين التمكن من إقامة النظام الراشد مع العلم بأن الشريعة لا تفرض شكلاً معيناً لنظام الحكم.

***

على إنني قبل أن أستطرد فإن علىّ أن أنوه بردود كثيرة جاءتني بالبريد الإليكتروني، والحقيقة إنني دهشت لأن معظمها يعتب علىّ في الاستشهاد والإشادة بالدكتور السنهوري، فهو من وجهة نظرهم الذي وضع الدساتير العلمانية على حساب الشرع ..

ولست أحب لنفسي ولا لكم يا قراء أن نستهلك جهدنا في جدل فرعى لن يسهم في حال صحته بتقريبنا من الحقيقة أبدا، أما في حال بطلانه فلن يسفر إلا عن صرفنا

عن هذه الحقيقة.

وبرغم إنني أحترم الدكتور السنهوري إلا إنني أومن بـأن الرجـال يعرفـون بـالحق ولا يعرف الحق بالرجال، وأن كل الناس عدا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم يؤخـذ منه ويرد عليه. ثم إنني أضيف أن ما آخذه مـن الـدكتور السـنهوري هـو موقفـه مـن الخلافة، وهو موقف صحيح. ولنا جميعا الحق في أن نرده فيما نحسب أنـه أخطـأ فيـه. لكنني إحقاقا للحق أضيف أن الرجل كان ذا باع طويل في الدفاع عـن الشـريعة، ولـه مؤلفات عديدة في ذلـك يسـدل الطواغيـت سـتائر التعتـيم عليهـا، وربمـا كـان عـدم الاطلاع على هذه الأعمال سببا في تشوه صورة بعض القراء عنه. كما أنه فيما وضـع من دساتير حاول قدر ما استطاع أن يعيد الشـريعة إلى تبـوء عرشـها القـديم، لكـنهم أخذوا منه ما يتفق مع أهوائهم وتركوا ما يتفق وشرع الله، وقرؤوا ما كتب قراءة مـن يقرأ: « ويل للمصلين » ثم يصمت .. !! ..

***

منهج سيادة الشريعة كان منهجا أصليا في فكـر السـنهوري، ولقـد كـان رد فعلـه سريعا وعمليا على سقوط الخلافة (١٩٢٤) وعلى كتاب الإسـلام وأصـول الحكـم، حيث كان في فرنسا، وكان قد حصل بالفعل على شهادة الدكتوراه، لكنه تقدم برسالة أخرى إلى جامعة السربون عن ضرورة إعادة الخلافة .. وحصـل عليهـا بالفعـل عـام ١٩٢٦، ولقد كتب هذه الرسالة بوازع ديني رغم عدم تكليفه بها وتحذير أساتذته مـن صعوبتها والمناخ الأوروبي السياسي والفكري المعادي لفكرتها!.

وواصل جهوده وجهاده فتقدم برسالة إلى مـؤتمر «لاهـاي» للقـانون الـدولي سـنة ١٩٣٢م

أثبت بها لأساطين القانون أن الشـريعة الإسـلامية هـي الأرقـى –حتـى بمقـاييس العصر الحاضر–، وهي الأنفع والأوفى، إذا ما قورنت بالمنظومات القانونية الأخـرى، وقد بلغ من تأثير هذه الرسالة على هذا المؤتمر الدولي أنها لفتت أنظار فقهاء القـانون الغربي، إلى تميز–بل وامتياز– الشريعة الإسلامية، الأمر الـذي انعكـس في اعتمـادهم الشريعة الإسلامية منظومة قانونية عالمية متميزة.

أحب أن أنبه القراء أيضا أن السنهوري قد اتخذ ذلك الموقف والعالم الإسلامي كله في قمة الانهيار أمام الغرب والانكسـار أمـام جيوشـه والانبهـار بحضـارته .. لم تكـن

الصحوة الإسلامية قد أدت بنا إلى ما وصلنا إليه الآن من إدارك للزيف والعفن في تلك الحضارة ..

***

في دراسة للدكتور محمد عمارة يوجز الأمر بقوله: «أراد السنهوري وكتب وعمل للنهضة العامة للشرق الإسلامي، ولقد قاده القانون إلى ضرورة تأسيس هذه النهضة الشرقية العامة على الشريعة الإسلامية، فكانت مخططاته ودراساته وآراؤه حول ضرورة بعث الشريعة الإسلامية بالاجتهاد الجديد والدراسات المقارنة والحديثة، لتتخطى هذه الشريعة الغراء أعناق القرون، فتعود -ثانية- المرجعية الحاكمة، لا في القضاء والقانون والتشريع وإنما المرجعية الحاكمة في كل ميادين الثقافة والفكر والعلم والقيم والحياة.

«فالرابطة الإسلامية-كما يقول السنهوري- يجب أن تفهم بمعنى المدنية الإسلامية، وأساس هذه المدنية الشريعة الإسلامية ...». فالشريعة الإسلامية هي أساس المدنية الإسلامية، التي هي الصيغة الحضارية للنهضة الشرقية.

ولذلك جعل السنهوري من بعث الشريعة الإسلامية بفتح باب الاجتهاد الجديد فيها مشروع حياته، بل وحلمه في هذه الحياة.

وكتاب الدكتور السنهوري (فقه الخلافة وتطورها) كتبه منذ عام ١٩٢٦، ولم يتصد لترجمته لنشره على قراء العربية سوى ابنته (وزارات ثقافاتنا وأجهزتنا الإعلامية وصحفنا الكبرى مشغولة بقضايا أهم من الخلافة .. كقصص الجنس ومسارح العرى وروايات الكفر و .. و .. و .. ألا شاهت الوجوه) ..

يقع الكتاب فيما يقارب الأربعمائة صفحة، وفي دراسة لمحمد سيد بركة يوجز فيها اتجاه الكتاب حيث يرى الدكتور السنهوري أن الخلافة هي الحكومة الإسلامية الكاملة وأن خصائص الخلافة تتميز عن الحكومات الأخرى بالخصائص الثلاث الآتية:

١- أن اختصاصات الحكومة «الخلافة» عامة، أي تقوم على التكامل بين الشؤون الدنيوية والدينية.

٢- أن حكومة الخلافة ملزمة بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية.

٣- أن الخلافة تقوم على وَحدة العالم الإسلامي.

ومتى اجتمعت هذه الخصائص في الحكومة الإسلامية أصبحت حكومة شرعية مهما يكن شكلها واستحقت أن توصف بأنها حكومة الخلافة.

***

والآن .. فلنقف وقفة قصيرة لنواجه صنفين من الناس يرفضون الخلافة ممن يحملون أسماء كأسمائنا وألسنة تنطق كألسنتنا ويدعون دينا هو ديننا .. الصنف الأول هو الغالب، وهو يتشكل من جمّ غفير وجمع كبير من ضحايا وسائل إعلام يتنافس فيها إعلام الحكام مع وسوسة الشيطان، هم الذين زيفوا وعيهم وغسلوا مخهم، فأصبح مفهوم الخلافة عندهم يعنى الظلم والظلمات، وهذا صنف ما أن يعرف الحقيقة حتى يتبعها (وهذا ما يخيف الغرب ووكلائه وعملائه أشد الخوف). أما الصنف الثاني فهم الأقلون الأخسرون لكنهم الأشد خطورة .. إنهم على وعى كامل بالحقيقة، لكنهم يبدلونها تبديلا في سبيل هدم الإسلام كله، ومن هؤلاء من يساهم في تشويه تاريخنا كله بالكذب البواح كي يصل إلى مبتغاه.

لنواجه هؤلاء وأولئك بمفهوم لخلافة .. والذي ينحصر في أمرين جوهريين تندرج تحتهما التفاصيل الأخرى ..:

- تطبيق الشريعة الإسلامية ..
- ووحدة العالم الإسلامي ..

***

ذلك هو مفهوم الخلافة .. فإن جاز أن يرفضه الشيطان وأعوانه والغرب وعملاؤه .. فكيف يمكن أن يرفضه مسلم .. ؟! ..

الله فاعل

كان ذلك الصديق، وهو أستاذ بجامعة الأزهر على الطرف الآخر من الهاتف يصرخ:

– أين راح شرفنا وكيف اختفت نخوتنا وحرصنا على الجهاد .. إننا نريد أن نجاهد في سبيل الله بشرط السلامة .. بشرط ألا نقتل ولا حتى نجرح .. وبشرط ألا يخصم للموظف منا يوم من راتبه .. وذلك لا يمكن أن يكون جهادا في سبيل الله بل خيانة لله ..

استبد بي الغضب فهتفت في ذلك الأستاذ بجامعة الأزهر: أين كنتم ؟ .. أين الناس؟؟ أين الأمة؟؟ لماذا لحقهم التشويه لماذا انتشر فيهم الوباء؟؟ لماذا انهزموا؟؟ لماذا لم ينج منهم أحد؟؟.

عندها راح الرجل يبكى ..

وجاءني سؤاله عائما فوق طوفان دموعه:

– هل يعنى ذلك أنه لا أمل ..

وقلت له أن مفردات الواقع تشى بيأس مطبق أسود لا يرى ثمة بصيص ضوء .. فإنني لا أدعى –كما يدعى السفهاء – ولا أزعم – كما يزعم الأغبياء – أن جموع الأمة بخير، بل أعترف أنها –جميعها – بشرّ، الحكام والمحكومين، النخبة والعامة، المجنسين والبدون، الصفوة والحثالة والقضاء والجيش والشرطة والاقتصاد والصناعة والزراعة، والأزهر والحرم والأقصى، ليس ثمة عندنا ما لم يلحق به البوار ..

نخرب بيوتنا بأيدينا ...

لا منهج يقودنا ..

ولا نبراس يضئ الطريق لنا ..

ولو نظرنا إلى كل الفئات لوجدنا أن أكثر ما أساء ولوث بالعار كل فئة لم يكن الأعداء ولا الإخوة أو الأصدقاء، بل أبناء الفئة نفسها ..

فمن أساء إلى هيبة الحكم هم الحكام أنفسهم ..

ومن أساء إلى الدين رجال الدين ..

ومن أساء إلى الأزهر شيخ الأزهر ..

ومن أساء الجيش هم قياداته ..

ومن أساء إلى الشرطة هم ضباطها ..

ومن أساء إلى القضاء قضاة ..

ومن أساء إلى رجال النيابة رجال نيابة ومن أساء إلى المثقفين مثقفون، وإلى الصحفيين صحفيون، وإلى الكتاب كتاب، وإلى أحزاب الأغلبية أحزاب الأغلبية وإلى أحزاب المعارضة أحزاب معارضة وإلى الأمة سكوتها عن كل هذا ..

لقد افتقدنا المنهج ..

لقد كانت طريقة إدارتنا لكل شئوننا تفتقد إلى منهج، لذلك كان الفشل هائلا والكوارث فادحة ..

وجاءني – عبر الهاتف – صوت الرجل الباكى: ما العمل؟ ..

قلت له إنني لا أملك تفاصيل حل بل أملك منهجا ..

لست أملك وصفة سحرية نتجرعها في المساء فإذا بالصباح يأتى وقد انقشعت الغيوم ورحلت الهموم وانتهت الكوارث وتحولت الهزائم إلى انتصارات ..

لا أملك ذلك الحل، لكن ما لا أملكه أنا قد يملكه ٦٥ مليون مصري وأغلب الظن يملكه ٣٠٠ مليون عربي ويقينا يملكه ١٥٠٠ مليون مسلم ..

الحل في تبنِّي منهج الحضارة الإسلامية في مواجهة قضايانا ..

المنهج الشامل الكامل الذي هو أوسع من أي جماعة أو حزب لأنه يستوعب الجميع .. المنهج الذي نسيناه، والذي يثير عليه العلمانيون الغبار ويقذفون بالأوحال .. المنهج الذي يعيد إلينا الثقة بديننا .. والذي يجعل هذا الدين حتما لا مناص منه .. ليس لأن الإسلام هو الحل لمشاكل دنيانا .. بل لو لم يحل الإسلام لنا أي مشكلة من مشاكل دنيانا – وهذا افتراض غير صحيح – فليس أمامنا سواه .. وليس لنا اختيار .. المنهج الذي يجعلنا نشعر بأننا الأعلون ..

إن جهد الأمة الآن يجب أن يكرس لا لإصلاح شامل جذري يستحيل حدوثه،

بل لتحقيق توازن مبنى على قانون إلهي ربما يشبه قانون الكتلة الحرجة في الفيزياء، وهو قانون لا يتحكم فيه الكمبيوتر ولا يجرى حساباته العقل بل القلب، قانون لا يخطئ، ويقضى بأننا لو استطعنا أن نربى أمام كل ألف خائن مخلص واحد لانتصرنا ..

قلت له استخلص العبر من التاريخ منذ صفين والجمل وكربلاء حتى جماعة كوبنهاجن، عن شرفاء تدنوا، وأطهار تدنسوا، وأبطال خانوا، وأتقياء فسقوا وأسوياء انحرفوا، ومجاهدين بلغ بهم الانحراف بعد أن رفعوا لواء الثأر لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أن ادعوا النبوة- لماذا يفسد الكل ويتعفن؟- لماذا؟ .. الإجابة واضحة وجلية: افتقاد المنهج ..

قلت له تسألني عن الحل؟ .. الحل أراه بقلبي بعد أن كلت عيني .. ببصيرتي بعد أن زاغ بصرى .. الحل أمل في الله ويقين به ورجاء أن تسبق رحمته بنا عدله فينا .. وأننا مساقون سوقا إلى منهجه وإن أبينا ..

وبهذا المنهج أقول لك أيها القارئ أننا برغم كل هذا الانهيار سننهض لننتصر ..

بهذا المنهج أقرر أننا – أنا وأنت – نحن الأقل لكننا الأعز، وأننا نحن الضعفاء، المحاصرين، المعتقلين، المعذبين، الشهداء، نحن الذين ننتصر في النهاية دائما رغم كل عناء، وأن التاريخ يلقى بالآخرين في مزابله، وأن الله يفصل بيننا يوم القيامة ..

إن المستقبل غير كل تصوراتنا له، والإعجاز الإلهي في الخليقة يأبى إلا أن يكون معجزا ..

إن منهج الحضارة الغربية يعتمد على المادي المجرب المحسوس، فهو أشبه بجسد بلا روح، أما جوهر الحضارة الإسلامية فإنه يعتمد على كل ذلك مضيفا إليه قوة ودعما لا نهائيا هو قوة الروح، وهنا إذن يكمن جوهر نملكه لا يمكن أن يتمتع أعداؤنا بمثله، جوهر الإيمان بأن وعد الله حق، جوهر الإيمان، لا بالله فقط، بل بنواميس الله التي خلقها والتي تحتم دائما وأبدا انتصار الحق واندحار الشر مهما بعد المدى، ومن هذا المنظور وبهذا المنهج يجب علينا أن نقرأ التاريخ وأن نتأمل عبرته، إن خيانة الحكام والنخبة ليست بحادث طارئ، فعبر التاريخ كله كان حكامنا يخونون قضية أمتهم، تاريخ الحكام هو تاريخ الخيانة والبطش والجبروت والتزوير والكذب، إننا نقع في خطأ تفسير المستشرقين بما يكتنفه من نوايا السوء، حين نطالع تاريخ الحكام مفترضين أنه تاريخ الحقيقة، وليس إلا سلسلة من الأكاذيب لإخفاء الحقيقة، كان الحكام

يخونون، لكن الناس كانوا في نفس الوقت يصوغون حضارة شاملة ورائعة في كافة فروع العلم والدين والأدب والمعرفة والحرب، تلك الحضارة هي التي بقيت لنا وللعالم، أما الحكام فقد ذهبوا في مزابل التاريخ. انظروا في تاريخ البشرية منذ آدم، وتعلموا أنه يتوجب علينا ألا نرفض الشر، لأن الله هو الذي خلقه ليبلونا به، ليمتحننا، علينا إذن أن ندرك الحقيقة المعجزة في بساطتها، في بهائها، في سطوعها الذي يعمى الأبصار عن رؤيتها، أن الله فاعل في هذا الكون، لا تتجاهلوا أهم عنصر في أي صراع في هذه الدنيا، أن الله فاعل .. المادي المجرب المحسوس موجود وعلينا أن نتلمس به الأسباب لكن الله فاعل .. حسابات الحاسبات الضخمة موجودة ويجب أن تحترم ولكن الله فاعل. الله فاعل في هذا الكون، زاغت عقولنا حين تصورنا أن ارتباط الأسباب بالمسببات حقيقة مطلقة بينما هي ليست إلا مشيئة، تتوقف على الفور حين تشاء المشيئة، إن المؤمن ليس مطالبا بالقوة كلها بل بما يستطيع منها، وأنه حين يتجرد ويخلص، فثمة قانون أشبه بقانون الفيزياء الذي يتحكم بالكتلة الحرجة التي يتحقق بعدها الانفجار النووي، لقد طبق القانون الذي يقضى بأنه حينما يكتمل قدر معين من التجرد والإخلاص، يأتى نصر الله الموعود ليقلب كل موازين القوى.

انظروا إلى بدر، انظروا إلى غزوة الخندق، انظروا إلى الحروب الصليبية، انظروا إلى الحرب العالمية في حطين حين خرج صلاح الدين من مصر بجيش قوامه اثنا عشر ألفا ليواجه مئات الآلاف من جيوش الصليبيين، ولينتصر، بالقانون الإلهي الذي لا ندرك كنهه، انظروا إلى ما حدث أيامها عندما جند ملك الألمان جيشا جرارا من ثلاثمائة ألف مقاتل لينجد به الصليبيين وليقضى على المشكلة من جذورها باحتلال مكة والمدينة، وبدأ الجيش الجرار زحفه، تخيلوا لو أن هذا الجيش وصل إلى ساحة الحرب ماذا كان يمكن أن تكون النتيجة؟ .. كيف كان يمكن أن يكون تأثيره على الجغرافيا والتاريخ ؟ هل تعرفون ماذا حدث لهذا الجيش؟ حدث أن الله فاعل، أن الله غالب على أمره، لقد نشبت الصراعات بين الجيش واستحر القتل، ثم غرق الإمبراطور وهو يستحم في ترعة صغيرة فخلفه ابنه، ثم فشت الأوبئة فمات الابن أيضا، فهل تعلمون كم وصل من الجيش الجرار إلى ساحة الحرب في فلسطين؟ ألف -- ألف فقط -- منهكين متعبين مهزومين، الله فاعل، الله فاعل، انظروا إلى صراع الخير والشر منذ آدم، لو اتبعنا قواعد التفكير العلمي بمنطق أهل الأرض، بالمادي المجرب المحسوس وبأدق وأضخم الحاسبات، لانتهى الخير بالهزيمة الماحقة بعد بضع عشرات أو مئات

من السنين من بداية البشرية، لكن الله فاعل، ألق البذرة في الأرض كيفما شئت لكنها ستنبت في اتجاه الشمس، اقلبها، سيستدير الساق نحو الشمس، الله فاعل .. انظروا إلى تلك النسبة المعجزة في الإنسان والحيوان والنبات بين الذكور والإناث وملاءمة ذلك لكل جنس منها، وانظروا إلى زيادة نسبة المواليد الذكور بعد الحروب الكبرى حين يهلك كثير من الرجال، الله فاعل، وثمة قوة لا ندريها ولا ندرك كنهها لكننا نؤمن بها هي التي تحدد النهايات والمصائر، الله فاعل، لكن خطيئتنا الكبرى أننا – خاصة بمفهوم الحضارة الغربية – نعطى العقل أكثر مما يستحق، وليس العقل إلا بعضا من الإنسان قدراته محدودة ومحكومة بوسائل الجسد في تحصيل المعارف، لقد خلقنا الله ثم أعطانا من العقل ما نحتاج فعلا إليه، ما ندرك به النسبي لا المطلق، الناقص لا الكامل، والعقل يشبه حقيبة جراح تحوى من الآلات ما يمكنه من إجراء عمليات محددة، لا يمكنه أداء سواها، وعدم استعماله فيما خلق من أجله حماقة واستعماله فيما لم يخلق من أجله جنون، تماما كما أن الله قد خلق لنا قدمين نسير عليهما، فإن من يتوقف عن استعمالهما أحمق ستدفع حماقته بقدميه إلى الضمور، أما من يحاول استعمالهما للسير بهما على السحاب فهو مجنون ثم إنه لا محالة هالك، الله فاعل، والعقل البشرى محدود، فإذا كنا نؤمن بكل ذلك فلماذا نستبدل المنهج الأرضي بالمنهج الإلهي؟ .. وكيف بعد ذلك ننتظر الفلاح والنجاح؟ ..

الله فاعل، انظروا إلى صراع الخير والشر من الأزل إلى الأبد، لقد كان المدافعون عن الخير دائما هم الأقلون، هم المستضعفون في الأرض، كان عددهم في كل بقعة من بقاع الأرض لا يتجاوز العشرات إزاء الآلاف، أو الآلاف إزاء الملايين، لكنهم هم الذين انتصروا دائما، لو أخضعتم التاريخ لمقاييس العقل الأرضي لما بقى في الأرض خير، واحد في الألف هم الذين رفعوا الراية دائما عبر التاريخ وسلموها من جيل إلى جيل، واحد في الألف أظهر الله دائما إلى أيديهم وقلوبهم نوره، واحد في الألف هم الذين أصروا دائما على ألا يستسلموا، ولقد كان الحكام دائما في الجانب الآخر، عدا استثناءات نادرة سجلها التاريخ واحتفي بها أيما احتفاء، واحد في الألف، هم الذين أدركوا أنهم جند الله في الأرض وأنهم هم الوارثون، ليست خيانة الحكام والنخبة اكتشافا جديدا، ومع ذلك، هم الذين يذهبون ملعونين – في أغلب الأحوال – حتى نهاية الزمان ونحن الذين نبقى، نحن المستضعفين، ولست أدعى أننا كنا على الحق دائما، لكننا حاولنا طول الوقت فكنا الخطاءين التوابين، نحن الذين بقينا، نحن الذين

ذبحنا وقتلنا وعذبنا وحرّقنا وصلبنا وسجنا وهزمنا وتُـقُـوُّلِت علينا الأقاويل وزيف ضدنا التاريخ، هم ذهبوا ونحن بقينا، لأنهم أطفئوا نور الله فيهم فلم يبق فيهم إلا الوجود الحيواني الذي لا يترك خلفه بعد الموت إلا نتن الجيف، نحن، نحن المستضعفين منّ الله علينا فأدركنا أننا حملة راية نور تنتقل من جيل إلى جيل، أدركنا أننا نحملها كأمانة تعهدنا بها قبل أن نولد بملايين السنين لنوصلها إلى بعد أن نموت بملايين السنين، كي نقف أمام الله يوم الحساب يباهى بنا نبينا عليه الصلاة والسلام الأمم، نقف منتصرين خالدين لا نموت، ليس يضيرنا إذن أن يسقط منا فرد أو مليون فرد، فنحن نحارب من أجل قضية خلق ووجود وكون لا يحده زمن ولا وطن ولا جيل ولا فرد، قضيتنا مستمرة استمرار الوجود، ولأننا واثقون أن رايتنا هي التي تصل، فلا محل عندنا لليأس ولا انتظار للنصر، لأننا منتصرون ونحن محاصرون، منتصرون ونحن نقصف بالصواريخ أو نعدم بالرصاص، منتصرون معلقين على المشانق، منتصرون مصلوبين، منتصرون لحظة اتخاذ الموقف لا لحظة النتيجة الأرضية، منتصرون حين انتصرنا في الجهاد الأكبر على نفوسنا فتوقفت ذواتنا عن التضخم، توقف كل واحد منا عن اعتبار نفسه مركز الكون وأن موته هو نهاية الدنيا، توقفنا عن انتظار جنى ثمار جهادنا في حياتنا، نحن نحارب اليوم كي ننتصر بعد ألف عام، تماما كما حارب الحسين كي ينفي الشرعية عمن اغتصب الحكم رغما عن المسلمين، ولو أنه استسلم لحل لكل غاصب غصبيته.

قولوا لي من انتصر، يزيد أم الحسين؟، انظروا، لتدركوا أن جهادنا نحن هو الذي يبقى في قلوب الناس وأن كلامهم زبد يذهب في الأرض جفاء. نحن خسرنا الدنيا فلا نطيق أن نفقد من الآخرة شيئا وهم فقدوا الآخرة فلا يطيقون أن يخسروا من الدنيا شيئا، وما خسرنا الدنيا لقلة حيلة لكننا أدركنا أنها لهو ومتاع الغرور، أنها جيفة، ولولا هوانها إلى الله ما رزق فيها كافر بشربة ماء، لذلك استعصت قلوبنا عليها، لا لزهدنا، بل لطمعنا فيما هو خير وأبقى. فإذا كانت الدنيا جيفة فما موقع التاريخ الكذوب من الجيفة وما قدر حكام خانوا فيها. انظروا إلى سر الإعجاز الإلهي في خلقه .. إن الواحد في الألف هو الذي يحدد مسار التاريخ، وهو برغم الأغلبية الكاسحة يتطور باستمرار إلى أمام، إنهم دائما يعرقلون التطور، يؤخرونه، لكن مشيئة الله هي التي تنفذ على أيدينا في النهاية، هذا الواحد في الألف لم يخبرنا به حساب ولا تجربة ولا جهاز كمبيوتر بل أنبأنا به الله حين أخبرنا أنه يأمر آدم يوم القيامة أن يأتيه

بحصاد جهنم فيأتيه من كل ألف بتسعمائة وتسعة وتسعين، الواحد في الألف إذن هـي الكتلة الحرجة التي يحدث بعدها الانتصار، فهل نعجـز كأمـة أن نربـى مـن كـل ألـف واحدا وأن يثبت هذا الواحد وهو على يقين من نصر الله ..

إننا الآن في الزمن الذي أخبرنا به الرسول ﷺ، الزمن الذي يخرج فيه النـاس مـن دين الله أفواجا، زمن العولمة، فهل تعجزين يا أمة الإسـلام أن تعطـى مـن كـل ألـف واحدا فقط ؟ أجل، فليثبت منا من كل ألف واحد، وسيكون لنا النصر ...

أرأيت أيها القارئ كيف يمكن أن يغير المنهج من نظرتنا للأمر، لسـنا مطـالبين إذن بالمستحيل، ولا مطالبين بما قد يؤدى إلى مجازر الشعوب والحروب الأهليـة، مطـالبون فقط بما نقدر ونستطيع، فليكن في الحاشية والجيش والشرطة والقضاة والنيابة والمجتمع كله صالح واحد بين ألف طالح، وسينتصر الواحد الصالح لكن هـذا الصـالح عليـه ألا يخشى إلا الله، أن يعبد الله حقا ويعرفه حقا ويجاهد في سبيله حقـا .. إن الآخـرين يعرفون عن قوانا الكامنة أكثر بكثير مما نعرف، لكن الجهل والخيانة يحاصـرانا، وعلـى سبيل المثال فما أكثر ما كتب عن كتاب صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ما أكثر ما كتب عنه، لقد قدمه البعض للقارئ كما لو كان كتابا لا يأتيـه باطـل، ومـع ذلك لم يذكر أحد أن رأي المؤلف: « صـمويل هنتنجتـون » فينـا أفضـل مـن رأينـا في أنفسنا، يقول الكاتـب: « طالمـا أن الإسـلام يظـل – وسـيظل – كمـا هـو الإسـلام، والغرب يظل –وهذا غير مؤكد – كما هو الغرب، فإن الصراع الكبير بين الحضـارتين الكبيرتين وأساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر » ..

أجل .. مهما كانـت كثافـة الظـلام في الحاضـر، ومهمـا كانـت حسـابات العقـل متشائمة، فإنه لا ينبغي أن نيأس من المستقبل فثمة وجه آخـر للأمـر علينـا ألا نغفلـه، ذلك أن التطور البشرى كله مبنى علـى اكتشـاف خطـأ مـا ظننـاه حقـائق راسـخة لا يتطرق الشك إليها، إن حساباتهم الآن أننا نحتضر .. حسابات صبيان زويمـر وتلاميـذ دنلوب وجنود كرومر وجماعة كوبنهاجن أيضا تقول ذلك ..

فهل نستيئس؟! ..

لا .. لا يحق لنا نحن مهما صادفنا من إحباط أو نكران أو فشل أن نيأس، فنحن لا نجاهد من أجل قضية شخصية ولا من أجل مجد أرضى، قضيتنا هي إعلاء كلمـة الله، وهى قضية محسومة، نحن على الحق، من يسقط منا فاز، ومن يستمر يفوز والقضية في

كل الأحوال مستمرة. حتى الأخطاء والهزائم، يوظفها الله لنا كي تكون جنودا لنا، وانظروا في عصرنا الحديث إلى تصرفات بعض دولنا، لقد كان تصرفها ضد مصلحة الأمة كي تثور في الضمائر الآن تساؤلات عن شرعية وجودها، هذه التساؤلات المثارة اليوم سوف تنفجر غدا، وسوف تغير الجغرافيا والتاريخ، انظروا مثلا إلى الأزهر عندما نسى دوره ليدعم السلطان، عندما راح يقارن كامب ديفيد بالحديبية، لقد انصرفت الأمة عنه، عزلته كي توقف تأثيره الضار على وجدانها، وحل محل الأزهر خطباء مساجد نصف ما يقولونه من أحاديث هي أحاديث موضوعة، وبرغم ذلك فبجهل الجهلاء لا بعلم العلماء احتفظت الأمة بتوجهها الصحيح، تماما كما يحافظ الصدأ على تماسك هيكل معدني ضخم لو أزلت منه الصدأ لانهار، فانظروا فيوض الكرم حين ينصرنا بضعفنا ويحفظ عقلنا بجهلنا، انظروا أيضا إلى البوسنة، لقد كانت محاولة استئصال شأفة الإسلام هي نفسها الطريق إلى انبثاق أول دولة إسلامية في أوروبا الحديثة. اقرؤوا كتاب: الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان، اقرؤوه لتدركوا أن الله سوف يسبب لكم الأسباب .. انظروا وأيقنوا إذن بالنصر، واعلموا أن مأساة البشرية ليست في الموت بل في الخلد، وما الموت سوى عرض عابر، لقد كنا أحياء قبل أن نولد، وسنحيا بعد أن نموت ثم نبعث ثم لا نموت أبدا، وإننا عندما نبدأ الطريق ندرك أن إخوة وأبناء لنا سوف يكملون ما بدأنا، ما لراية ترفع مشيئة الله أن تسقط فأبدا لا تستيئسوا، بعون الله سوف ننجح، سنوقف التعذيب وسنمنع التزوير وسنقضى على الفساد وسنوحد الأمة وسنحارب إسرائيل كافة كما أمرنا الله – لا لكى نعيدها إلى حدود ٦٧ بل حتى نزيلها من الوجود– ..

لو أن إنسانا شريفا وعدك وعدا فإن وعد الحر دين عليه ولو أن جلالة ملك أو فخامة رئيس أو سمو أمير أو معالى شيخ وعد وعدا فإن وعده أمر .. أما إذا وعدنا الله نفسه فإن وعده قضاء لا رد له ومجرد الشك في حدوثه معصية نبرأ إليه منها

لقد فشلت الدول، وفشلت الأحزاب وفشلت التجمعات لكننا نحن كأفراد سننجح ..

نحن شتلات الزمن الآتي، نحن الذين سنحافظ بإذن الله على اليقين في قلوبنا كي نمنحه لمن يأتى بعدنا، نحن جيش الله، وعلى كل فرد منا أن يدرك أنه يحارب وحده وأنه جيش وحده وأن وعد الله حق ونصره قريب ..

علينا أن نحافظ على أنفسنا، على مبادئنا وقيمنا وأفكارنا كي لا يصيبنا البوار والعفن الذي أصاب الذين من حولنا ..

علينا أن نناضل ونكافح وأن نستعد للاستشهاد في كل لحظة، فما أقل عددنا وما أكثر أعداءنا ..

علينا أن نفعل كل ذلك بحب وبثقة ويقين فنحن جنود، أوصانا قائدنا بمهمة، وعلينا القيام بها، حتى لو متنا في الطريق، فالقائد يعلم، وقد كان قادرا على أن ينفذ مهمته بقدرته دون تكليف لنا، لكن التكليف امتحان لنا، ليس من حقنا نحن الجنود أن نسأل القائد لماذا يفعل ما يفعل، فكوننا لا نقرأ إلا صفحة من كتاب الوجود ثم نذهب يحتم علينا بعدم اكتمال المعرفة ألا نسأل أو نعجب أو نعترض، ثم إنه سبحانه ما ضنّ علينا بوعد النصر، إن الإيمان الأكمل كان يقتضى منا أن ننفذ ما كلفنا به حتى دون وعد، لكنه سبحانه رحم الضعفاء فينا، نحن لا نصل إلى الغايات بل نتبع الوسائل، وفي وسائلنا ينبغي أن نكون دائما كما أمرنا، ولا عذر لنا، تحت أي ظرف من الظروف، في أن نتخلى عن نبلنا وشرفنا، ولا أن ننسى أبدا أننا خير أمة أخرجت للناس ..

كتب للمؤلف

اغتيال أمة– طبعة أولى	١٩٨٧	سياسي	مكتبة مدبولي
الحاكم لصا	١٩٨٩	رواية	مكتبة مدبولي
مباحث أمن الوطن – صودرت بعد الطبع.	١٩٩١	قصص قصيرة	مكتبة مدبولي
اغتيال أمة –طبعة ثانية مزيدة	١٩٩١	سياسي	مكتبة مدبولي
قصر العيني	١٩٩٢	رواية	مكتبة مدبولي
من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك	١٩٩٣	سياسي	الشركة العربية للطباعة والنشر
إعلانات مبوبة	١٩٩٤	قصص	دار جهاد للنشر
مباحث أمن الوطن (غير المصادرة)	١٩٩٧	رواية	مدبولي الصغير
أنى أرى الملك عاريا	١٩٩٩	سياسي	مكتبة مدبولي
بغداد عروس عروبتكم	٢٠٠٠	سياسي	مدبولي الصغير
الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة	٢٠٠١	سياسي	مكتبة مدبولي
بل هي حرب على الإسلام	٢٠٠٢	سياسي	مكتبة مدبولي
الإخوان المسلمون (جزآن)	٢٠٠٨	سياسي- تاريخي	المختار الإسلامي
غزة .. عروس عروبتكم	٢٠٠٩	سياسي	مكتبة جزيرة الورد

الفهرس